حقيقة ما يجري في العراق

أسرار وخفايا المقاومة العراقية

بالوثائق والإحصائيات والصور

عادل الجوجري

الناشر

دار الكتاب العربي

دمشق - القاهرة

حقيقة ما يجري في العراق

أسرار وخفايا المقاومة العراقية

بالوثائق والاحصائيات والصور



اسم الكتاب :

حقيقة ما يجري في العراق
أسرار وخفايا المقاومة العراقية
بالوثائق والإحصائيات والصور

اسم المؤلف :

عادل الجوجري

رقم الايداع بدار الكتب المصرية :
٢٠٠٥/٢٠٥٥٢

الترقيم الدولي :
I.S.B.N. 977-376- 134- 7

تصميم الغلاف :
كامل جرافيك

الطبعة الأولى
٢٠٠٥



دمشق - القاهرة

سوريا - دمشق - الحجاز - شارع مسلم البارودى
هاتف ٢٢٣٥٤٠١ ـ ص.ب: ١٣٣٤٤ ـ فاكس: ٢٢٤٧٢٩٧
مصر - القاهرة - ٥٢ شارع عبد الخالق ثروت - شقة ١١ - تلفاكس: ٣٩١٦١١٢٢
Email:darkitab2003@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

تحية احترام إلى زملاء أعزاء بذلوا مجهودا مخلصا معى فى إعداد هذا الكتاب، سواء فى جمع المادة العلمية، ومتابعة ما ينشر فى شبكة الإنترنت أو مراجعتها وتصحيحها بعد جمعها فى الكمبيوتر.

وأذكر هنا بدون ترتيب الزملاء: شيماء موسى، أحمد فاروق، وشريف سعد الدين، ومحسن حسين، وأحمد فتحى .. لهم منى جميعاً خالص الشكر والتقدير.

(المؤلف)

تقديـم

• هل هى لعنة «باب الله» أو مدينة بابل؟

هكذا تساءل طبيب أميركى كان قد لاحظ أن عدداً كبيراً من الجنود الأميركيين العائدين من العراق، والمصابين بنوع من الأمراض النفسية والعصبية هو أقرب إلى الرعاش المصحوب بهيجان، كانوا يتمركزون فى دباباتهم وعرباتهم المدرعة فى محافظة بابل، التى يمتد عمرها إلى حوالى أربعة آلاف عام، ولم يقتحمها عدو إلا وتعرض لغضب الرب.

لقد واجه الجيش الأميركى صعوبات جمة وهو يحاول بناء قاعدة عسكرية ضخمة على أرض الإله «مردخ» أو على أرض مدينة «بابل» المقدسة التى تقع على الضفة اليسرى من نهر الفرات فى موقع قريب جدا من بغداد، أو على الطريق الذى يربط بينها ومدينة الحلّة.

وكان لمدينة بابل مكانة دينية خاصة من الألف الثالث قبل الميلاد، باعتبارها مقرّاً لعبادة الإله «مردخ» والإله «عشتار» بالإضافة إلى كونها عاصمة للبابليين ثم الكلدانيين من بعدُ.

وقد فوجىء الجنود الأميركيون بصواريخ الآر- بى- جى والهاونات تقصف أرواح زملائهم فتراجعوا غير مرة عن بناء القاعدة العسكرية، دون أن يدركوا طبيعة الروح التى تسكن رجال المقاومة وتدفعهم إلى القتال بشراسة.

لقد كان صعباً على الجيش الأميركى أن يدوس بدباباته تاريخ هذه المدينة المقدسة، وأن يدهس بعرباته المجنزرة حدائق فيحاء تعود إلى الملك نبوخذ نصر الذى هزم اليهود فى معركة شهيرة، وسبى نساءهم وسجلت انتصاراته فى لوحة خالدة عرفت باسم «السَّبْى البابلى»، وبنى لزوجته قصراً هو الأجمل فى الدنيا فى عصره، حيث حشد الفنانين والمهندسين من أرجاء العالم لكى يشيدوه، وعلى مقربة من هذا القصر المهيب شيد «نبوخذ نصر» إحدى عجائب الدنيا السبع وهى الحدائق المعلَّقة، وكانت مقامة على طبقات يعلو بعضها البعض حتى وصل ارتفاعها إلى خمسة وعشرين متراً، وفى أعلاها وضع طبقة سميكة من الطمى، وغرس فيها الأشجار وبديع النباتات والزهور.

لاشك أن «بابل» - وأخواتها - بقدسيتها، وعراقتها، وحدائقها انتفضت ضد المارينز، ويبدو أن أحفاد نبوخذ نصر وحمورابى هبوا للدفاع عن شرف مدينتهم ضد غزاة الأطلسى، برابرة الألفية الثالثة الذين لم يعرفوا شيئا عن حضارة هذا البلد العريق، ولا رموزه، ومثلما انتفضت الأنبار وسامراء ثارت بابل، ولها فى التاريخ دور كبير، لاسيما فى مجال الديمقراطية والتشريعات الدستورية التى يفاخر ويتباهى بها الغرب اليوم فى حين أنها صناعة عربية، فعندما جلس على عرش بابل المصلح الكبير،

الملك «حمورابى» فى عام ١٧٢٨ ق.م وكان شخصية عظيمة، نصيرا للسلام والعدل والمساواة، كانت عيناه لا تغمض عن أى مكان فى مملكته المزدهرة المسالمة، وقد قضى اثنى عشر عاما من عمره الملكى فى سَنّ قوانين وتشريعات تنظم أعمال التجارة والصناعة والزراعة وتنظم المعاملات بين الناس، وكثيرا من أمور الزواج والطلاق.

ولم تكن صدفة أن أهم الكمائن التى نصبتها المقاومة العراقية على الطرق السريعة لاصطياد القوات الأميركية كانت على طريق بابل - الحِلَّة، وهو الطريق الذى سار عليه ذات يوم المؤرخ الشهير هيردوت، عندما زار مدينة بابل ووصف مبانيها حوالى عام ٤٥٠ ق.م واستوقفه بناء جميل، يعلو منازل المدينة كلها، يتسامى فى ارتفاعه، وهو زقورة - شبه هرم - شاهقة ذات سبع طبقات يعلوها هيكل قال عنه «هيردوت» بأنه كانت تتوسطه مائدة كبيرة من الذهب، وفيه أيضا سرير تُحَلِّيه الزخارف تنام عليه كل ليلة إحدى الكاهنات تنتظر زيارة الإله، ذلك هو برج بابل، وهو إحدى عجائب الدنيا، لكن لم يبق منه سوى عطر تاريخه وكان يقوم فى أسفله معبد للإله «مردخ» العظيم، الذى اشتهر فى جميع بلاد العالم القديم.

لاشك أن السومريين أبناء بابل قاموا - كل صباح - للدفاع عن شرف مدينتهم، ولهذا ارتفع عدد القتلى والجرحى الأميركيين فى هذه المحافظة، مع الاحتفاظ لباقى المحافظات بحقها المقدس فى الدفاع عن مجدها وتاريخها.

فالعراقيون كانوا - عبر التاريخ - شعبا مقاتلا، استقر فى المناطق العليا من وادى دجلة الأوسط، وكانوا يتباهون بشراستهم فى الحرب، وباعتقادهم أن إلههم الذى يحمى آشور هو نفسه إله حرب، أين منه اليوم بوش أو بلير وجيوشهما المذعورة التى تحتمى فى العربات المدرعة؟!

صحيح أن شهرة السومريين والآشوريين فى الحرب اكتسبوها بسبب حداثتهم فى معدات الحرب، فكانت قوتهم العسكرية فائقة، فاستعملوا العربات، وشكلوا الفيالق وفق قواعد صارمة، وحوالى العام ١٢٠٠ ق.م اعتمدوا الأسلحة الحديدية فى جعل الجيش الآشورى قوة حربية هامة، لكن صحيح أيضا أن المقاومة العراقية هى التى طورت العبوات الناسفة لكى تخترق الدروع، وأجادوا استخدام صواريخ «استريلا» المحمولة على الكتف لإسقاط طائرات العدو، ونجحوا فى تكوين خلايا سرية تتسم بكفاءة فى رصد تحركات العدو، ثم نصب الكمائن، والانقضاض عليه فى توقيت مناسب، الأمر الذى جعل إمبراطور الشر يعترف بصعوبة الأوضاع، وأن الحرب فى العراق لم تنته فى مايو ٢٠٠٣، بل اعترف أيضا جنرالات البنتاجون بأن الحرب ضد المقاومة قد تستمر عشرة أعوام.

والواقع هو أن المقاومة العراقية مثل المقاومة الفلسطينية هى أنبل ظاهرة عربية، ليس لأنها زلزلت الأرض تحت أقدام الصهاينة الأميركيين الغزاة فحسب، وإنما لأنها تجاوزت جميع العراقيل والصعوبات

المحلية والإقليمية والدولية، فقد توصل استفتاء أجرته جامعة يهودية فى نيويورك «يشيفا يونيفرستى» أن هناك أغلبية كبيرة متحمسة لسياسة بوش، لكن هذه الغالبية موجودة فى إسرائيل، ويورد هذا الاستفتاء أن غالبية اليهود فى إسرائيل ترى أن الحرب الأنجلو أميركية على العراق جعلتهم أكثر أماناً، تقابلها نسبة ٢٨٪ فقط من يهود أميركا تشعر الشعور نفسه «واشنطن بوست ٢٠٠٥/٦/٢٦».

واتضح فى استطلاع لشبكة سى. بى. إس وصحيفة نيويورك تايمز أن ٤٢٪ من الأميركيين فقط راضون عن سياسة بوش و٤٥٪ فقط يعتقدون أن قرار شن الحرب على العراق كان صحيحاً، فى حين يعتقد ٥١ فى المائة عكس ذلك «نيويورك تايمز ٢٠٠٥/٦/١٧».

وما يهمنا هنا هو سبب انخفاض شعبية بوش، فقد ذكرت الصحف الأميركية أن الكذب هو السبب حيث حاولت إدارة بوش إقناع المواطن الأميركى بأنها شنت الحرب على العراق لأن الأخيرة تمتلك أسلحة دمار شامل تهدد الأمن الأميركى والعالمى، ثم كذبت هذه الإدارة عندما زعم ديك تشينى أن المقاومة العراقية تحتضر، وهو ما نفاه العسكريون فى شهادتهم أمام الكونجرس فى ٢٠٠٥/٦/٢٣ فهذه هى المرة الأولى التى تندلع فيها مقاومة مسلحة ومنظمة بعد ساعات من غزو العاصمة، واختفاء الكيان السياسى والإدارى للدولة.

فوقائع التاريخ تشير إلى أن المقاومة كظاهرة سياسية واجتماعية هى نتاج تفاعلات طويلة المدى، وبالتالى لا تظهر بعد الاحتلال مباشرة، فالمقاومة العربية المسلحة ضد الاحتلال البريطانى والفرنسى والإيطالى فى القرنين التاسع عشر والعشرين لم تظهر إلا بعد عقود طويلة من وطأة الاحتلال.

والمقاومة العراقية ربما هى الوحيدة فى العالم التى لم تتمكن من الحصول على دعم إقليمى أو دولى بسبب هيمنة الولايات المتحدة على القرار العالمى، فكان صعبا وصول إمدادات مالية وتسليحية إلى المقاومة، على رغم نجاح مئات - وربما آلاف - المتطوعين العرب فى التسلل عبر الحدود المشتركة، والمتنوعة، والطويلة لكى تمارس دورها القومى والإسلامى فى الدفاع عن أرض عربية احتُلَّت ظلما وبدون أى شرعية دولية، بل إن مجلس الأمن الدولى، الذى يفترض أن يمثل الضمير العالمى - متواطئ مع الاحتلال، وبموافقة الدول الكبرى التى عارضت القرار الأميركى المنفرد بغزو العراق، أسبغ شرعية على هذا الاحتلال بإصدار القرارين ١٤٨٣ و١٥١١ اللذين يعترفان بوجود الاحتلال فى العراق.

وانزلقت قوى معارضة عراقية، كانت منفية فى الخارج، أو فى حضن إحدى دول الجوار أو أكثر إلى خطيئة التعاون مع العدو قبل وبعد الاحتلال، بل طالبت بعض هذه القوى ببقاء الاحتلال بدعوى أن رحيله يؤدى إلى فوضى أمنية، وربما هى المرة الأولى التى يصبح الاحتلال ضرورة أمنية حسب قول بعض القوى، التى - فى واقع الأمر - روجت لاستمرار الاحتلال، لأنه الجدار الوحيد الذى تحتمى به، بعد أن عرتها الإرادة الشعبية العراقية، وباتت معزولة تماماً، بل وصارت هدفاً للمقاومة. وقد نجحت

المقاومة فى تلقين رموز المتعاونين مع الاحتلال درساً دموياً، اذ جرت عمليات لاصطياد هذه الرموز، وسقط بعضها مدرجاً فى وحل التبعية وهرب آخرون فى اللحظة الحرجة.

لقد ظنت الإدارة الأميركية، ولاسيما صقور المحافظين فى البنتاجون وبناء على معلومات ملونة أو ملوثة من معارضين عراقيين من أمثال اياد علاوى واحمد الجلبى ووفيق السامرائى أن القوات الأميركية سوف تقابل بالورود والرياحين بمجرد أن تدخل الأراضى العراقية من عند أم قصر، وبدعوى أن الشعب العراقى اكتوى بنار نظام حكم الرئيس صدام حسين، وبالتالى سيخرج عن بكرة أبيه لاستقبال محرريه، لكن المفاجآت كانت من العيار الثقيل، فقد ظلت مدينة أم قصر، صغيرة المساحة، قليلة البشر تحارب لمدة عشرة أيام فى صمود أسطورى يعيد إلى الأذن أسطورة مخيم جنين فى فلسطين المحتلة الذى ظل صامداً عام ٢٠٠٢ فى وجه آلة الحرب الصهيونية، وأوقع خسائر بالجملة فى جيش الاحتلال الصهيونى ولم يستسلم المخيم أبداً.

إن إحدى حقائق الحرب الأنجلو أميركية على العراق هى بطولات الجيش العراقى الباسل، فهو الذى واجه القوات الأميركية (٢١) يوماً بينما ظنوا انه سوف يستسلم فى ساعات، واللافت هو أنه لم تحدث أى وقائع استسلام لوحدة عسكرية عراقية على الإطلاق، بل إن الفيلق الخامس فى شمال العراق الذى لم يشارك فى المعارك بعدما رفضت تركيا السماح للفرقة الرابعة الأميركية بالدخول من أراضيها رفض تسليم أسلحته إلا لشيوخ العشائر العراقية، وبعد أن كانت الحرب النظامية قد انتهت، وبدأت بالفعل سيناريوهات الحرب الشعبية أو المقاومة.

وإذا كان كثيرون ظنوا أن احتلال بغداد بسرعة، وعلى غير المتوقع، وبدون معارك شوارع أو حتى معارك على مشارفها باستثناء معركة المطار، فإن بعض الظن إثم، لأن الواقع هو أن القوات العراقية مارست أسلوباً ذكياً فى الاختفاء من مسرح معركة بدت محسومة عندما نجحت القوات الأميركية - بكثير من الضحايا - فى الاحتفاظ بمطار صدام، ومن ثم الانطلاق نحو شوارع العاصمة، وقد بدا - فى اعتقادى - أن تعليمات صدرت من الرئيس صدام مباشرة إلى قيادات الجيش والحرس الجمهورى والحرس الجمهورى الخاص، وفدائيى صدام وجهاز الاستخبارات العامة والاستخبارات العسكرية وقيادات وكوادر حزب البعث بالاختفاء، والانتشار وفق خطة اعدت قبل الحرب وتم تجريبها، ووفق قاعدة معلومات موثقة عن كل شارع، بل كل بناية فى عموم العراق، وهذا هو ما شهد به سكوت ريتر أحد اعضاء فرق التفتيش الدولية وشهدت به قيادات أميركية سوف تعترف - بعد حين - أن رجال البعث والرئيس صدام والجيش العراقى يشكلون العمود الفقرى للمقاومة المحترفة، التى كانت سبباً رئيسياً فى ارتفاع معدل الخسائر البشرية الأميركية إلى حوالى ٢٠ ألف قتيل وجريح حتى نهاية يونيو ٢٠٠٥، وقت الانتهاء من إعداد هذا الكتاب.

إن عبقرية المقاومة العراقية لا تكمن - فحسب - فى هزيمة المشروع الكونى الأميركى بدليل اعتراف رامسفليد وريتشارد مايرز بأن الحرب فى العراق قلصت قدرة أميركا على خوض حروب جديدة خارج حدودها حتى وإن امتلكت إمكانات شن هذه الحرب، وإنما عبقرية المقاومة تكمن فى قدرتها على توحيد صفوف الشعب العراقى، وصهر مكوناته الطائفية والعرقية والعشائرية فى بوتقة الوطنية والمواطنة، وتحت راية واحدة هى طرد الاحتلال بعد هزيمته، وهكذا ظهرت المقاومة السُّنّية مع المقاومة الشيعية والمقاومة الكردية والمسيحية والتركمانية، وفى مشهد عبقرى كانت الفلوجة تحارب وكانت النجف بزعامة السيد مقتدى الصدر تقدم لها الدعم بالدم والطعام والدواء، وعندما كانت كربلاء والنجف تحارب ذهبت الفلوجة فى وفد يمثل عشائرها ومقاومتها ورموزها تقدم الدعم بكافة أشكاله بما فى ذلك خبرة المقاتلين فى نصب الكمائن، وقطع الامدادات واستنزاف العدو.

ولم يكن ذلك غريبا على أهل أرض الرافدين، تلك الأرض التى سار فيها النبى إبراهيم عليه السلام، وبدأت الكتابة فيها لأول مرة منذ خمسة آلاف عام، هذه الأرض التى عرفت الزراعة بالطرق الحديثة بينما كان البريطانيون - وهذه شهادة النائب البريطانى المحترم جورج جالاوى - يعيشون فى الغابات، وكانت أميركا أرضا آمنة هادئة يعيش فيها الهنود الحمر، فهذه الأرض - أرض العراق - انجبت شعبا لا يمكن أن يُحكم كالعبيد، بل إن ابناء حمورابى وبنوخذ نصر الذين اقاموا أول امبراطورية فى التاريخ معنيون باسقاط أكثر الامبراطوريات شراً فى التاريخ.

لقد وصف ماوتسى تونج الحرب الشعبية أو المقاومة بأنها مثل السمكة إذ لابد وأن تعوم فى بحر الشعب، ولابد من وجود دعم شعبى، فإذا اعتبرت سلطة الاحتلال والهيئات المتعاونة العميلة ان الفدائى هو خارج عن القانون أو «إرهابى» فإن الشعب هو الذى يعطى الفدائى حقا أصيلا هو حق المبادرة فى الدفاع عن الوطن، وقيادة الشعب فى طريق الكرامة والعزة، وهذا ما حدث فى الفلوجة، حيث حوصرت ٢٠ يوماً فى أبريل ونوفمبر ٢٠٠٤ وظل الاحتلال وأعوانه يحرضون المواطنين على مغادرة المدينة حتى لا يتعرضوا لخطر القصف الجوى والبرى، لكن شعب الفلوجة أبى أن يخرج ويترك المقاومة عارية إلا من جدران وحيطان يسهل هدمها، وعندما بدأ الهجوم التحم الدم فى الدم، والجسد فى الجسد، واستشهد داخل البيوت وفى الخنادق والمساجد مواطنون وفدائيون، نساء وكوادر مقاتلة، أطفال ومسلحون بطاقات إيمان لا تنتهى. وتشكلت فى مدينة الفلوجة اسطورة جديدة أضيفت إلى فالوجة ١٩٤٨ فى فلسطين حين رفض عبدالناصر ورفاقه الاستسلام وترك مواقعهم رغم حصار القوات الصهيونية لمواقعهم.

إن قصة المقاومة العراقية لم تكتب، بعدُ وهذا الكتاب ليس سوى بضعة سطور حاولت أن أجتهد فى جمعها، وتحليلها، لكن المقاومة مستمرة، وفيها متغيرات عسكرية فى الميدان، وسياسية فى ساحات

أخرى، لكن الأهم هو الجانب الحضارى فيها، فبدون شك أن المقاومة العراقية عطلت وعرقلت مشروع الهيمنة الأميركية على العالم وبدا السؤال مثيرا ومهما فى آن داخل أروقة صنع القرار فى البيت الأبيض والبنتاجون والكونجرس بل وفى الصحف اليمنية الموالية للمحافظين الجدد وهو: إذا كان الشعب العراقى بامكاناته المحدودة واسلحته القديمة بسبب الحصار الظالم الذى استمر ١٣ سنة، وجيش تم حله وفى ظروف صعبة للغاية استطاع أن يربك المشروع الإمبراطورى الأميركى ويضعه على المحَكّ، فكيف يكون الحال إذا سار فيلق الشر فى واشنطن فى مشروع الهيمنة الكونى إلى نهايته، واصطدم بقوى أكثر تنظيما وتسليحاً وبشعوب لم ترهقها الحروب والحصار؟

وبصيغة أخرى ماذا تفعل واشنطن إذا وجدت نفسها وجيوشها تحارب إيران أو كوريا الشمالية بل وربما الصين؟

إن طرح السؤال على هذا النحو يعنى ضمنيّاً هزيمة أميركا فى حرب العراق، والاستعداد عمليًا لإصدار شهادة دولية بالهزيمة، لكن ما هو أخطر مكمن فى أن أميركا المتغطرسة سوف تضطر الى التواضع وربما الانحناء أمام إرادة الشعوب، فالرئيس بوش الذى بدا طاووسا وسط أفراد من جيشه فوق إحدى حاملات الطائرات يعلن صيف ٢٠٠٣ تحقيق أو انتهاء المهمة هو نفسه الذى عاد بعد عامين بالتمام والكمال ليعلن أن جيشه يواجه ظروفاً صعبة فى العراق بسبب المقاومة.

أما وزير الدفاع رامسفليد فقد اضطر أن يخفض صوته وهو يعترف بأن البنتاجون دخل فى مفاوضات مع المقاومة سعياً إلى تخفيف حدة العمليات الفدائية بعد أن بلغت ١٨٠ عملية فى اليوم الواحد، أما رفيقه بول وولفوفيتز نائب وزير الدفاع فقد وجد ضالته فى عمل مدنى عندما صار رئيساً للبنك الدولى وسط معارضة شديدة من دول العالم الثالث.

إن الأيام والظروف الصعبة التى تنتظر الجيش الأميركى على حد قول بوش ورامسفليد لا تقتصر فحسب على العمليات الفدائية التى تمارسها المقاومة العراقية، وانما تمتد إلى تظاهرات شعبية مندددة بالاحتلال تؤشر لبدء مرحلة العصيان المدنى الشامل وفق جدول متفق عليه بين المقاومة وشيوخ العشائر والرموز والفعاليات السياسية، بدت ارهاصاته واضحة فى طلب تقدم به ٨٣ نائباً فى البرلمان الجديد يطالبون فيه الحكومة بجدول زمنى لانسحاب قوات الاحتلال، ويأتى ذلك فى ظل تصاعد المعارضة فى الكونجرس، وفى الرأى العام الأميركى لاستمرار القوات الأميركية، وحصول تحول شديد فى اتجاهات النخبة الحاكمة لمصلحة الانسحاب من العراق بعدما وصلت التكلفة البشرية «والاقتصادية» حداً غير معقول بسبب التطور الذى حققته المقاومة فى أسلوب العمليات الفدائية.

فى ٢٢ يونيو ٢٠٠٥ كتب ديفيد كلو مقالاً فى نيويورك تايمز حول تعقيد وتركيب المتفجرات فى العراق، فالمسألة من منظوره ليست فقط مسألة عدد التفجيرات، بل إن هذه التفجيرات أصبحت أقدر

على اختراق المدرعات، وذلك بتركيز الانفجار فى ما يشبه حركة الانفجار الصاروخي. يضاف إليه ادخال التحكم بالمتفجرات عن بعد بواسطة الأشعة تحت الحمراء وليس الكترونيا، لأنه يسهل التشويش على الوسائل الاليكترونية، وهذا يعنى أن عدداً مهمّاً من خبراء التسليح فى الجيش العراقى السابق يشاركون مباشرة فى الإعداد للعمليات.

ففى مايو ٢٠٠٥ وقع ٧٠٠ هجوم بمفتجرات معدة يدوياً ضد القوات الأميركية «وهو أعلى رقم منذ الغزو عام ٢٠٠٣» لكن ما يقلق البنتاجون ليس عدد التفجيرات وإنما التطور الذى طرأ على صناعة المتفجرات، وهو الأمر الذى دفع قيادة الجيش إلى استدعاء كبار المهندسين لعقد اجتماع فى قاعدة فورت أرفين فى صحراء كاليفورنيا، نهاية عام ٢٠٠٤ للبحث عن وسائل جديدة لمواجهة العبوات الناسفة التى تستعملها المقاومة العراقية.

لقد وصف دينس هاليداى مساعد الأمين العام للأمم المتحدة السابق الرئيس الأميركى جورج بوش بأنه الديكتاتور الأكبر للنظام العالمى، وهذا هو نفسه الوصف الذى استخدمه الرئيس العراقى الأسير صدام حسين ضد بوش، واضاف هاليداى «إن الولايات المتحدة تسعى إلى فرض نظم بعينها فى الشرق الأوسط حتى لا تهدد المصالح الأميركية النفطية، كما تهدف الى فرض هيمنتها وليس الديمقراطية كما تدعى، وتسعى لاستثمار تلك الهيمنة باستنزاف الموارد الطبيعية للعرب، وبخاصة النفط، ومن ثم تحاول أن تسيطر على القرار الأوروبى والصينى واليابانى، التى تحتاج إلى الذهب الأسود لتفعيل ادواتها التكنولوجية الحديثة، والتى من دون نفط سوف تتحول إلى قطع من الحديد الصدء، أو الخردة.

إن أسباب الحرب الأنجلو أميركية على العراق لم تعد سرّاً يحتفظ به بوش وحليفه بلير وتوابعهما من قادة إيطاليا وإستراليا واليابان، وباقى ما سمى بقوات التحالف، ووفق المنهج الإقصائى، فقد تم استبعاد أسلحة الدمار الشامل التى زعمت واشنطن ولندن وجودها فى العراق، وأنها يمكن أن تستخدم فى غضون ٤٥ دقيقة، وأن هذه الأسلحة الفتاكة يمكن أن تقع فى أيدى منظمات إرهابية، تهدد حياة المواطن الأميركى والأوروبى، فقد ثبت - قبل الغزو وبعده - عدم وجود هذه الأسلحة، كما ثبت عدم وجود أى علاقة بين نظام الرئيس صدام حسين وتنظيم القاعدة الذى اتهم بتنفيذ أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، كما أن تحرير العراق من سطوة الديكتاتورية لم يعد سبباً مقبولاً لتفسير غزو دولة دون سند شرعى من الأمم المتحدة. والأكثر من ذلك هو أن جنة الحرية التى وعدت إمبراطورية الشر بها شعب العراق سرعان ما تحولت إلى حرية الموت، فقد سقط ١٠٠ ألف عراقى شهيداً وقتيلاً فى غضون عامين، وارتكبت القوات الأميركية والبريطانية جرائم يندى لها جبين العصر، وكل العصور سواء المجازر الجماعية بالقصف الجوى والصاروخى العشوائى لمناطق آهلة ومزدحمة بالسكان أو بتعذيب الأسرى فى سجون العراق وجوانتنامو ما يبرهن على أن عمليات تعذيب المعتقلين «ممنهجة» وتقع فى نقطة

محورية فى العقل المركزى الأميركى. ولم تكن احداثا طارئة أو فردية مثلما حاول أن يصورها جورج بوش.

قصة الحرب على العراق هى فصل جديد من المحاولات الغربية المتواصلة لاستعمار الوطن العربى ونهب ثرواته، هى فصل يضاف إلى فصول أخرى سابقة، بدأت بالحرب الصليبية ولم تنته عند غرس الكيان الصهيونى فى جسم الوطن كبؤرة سرطانية كانت مرشحة للاتساع لولا المقاومة الفلسطينية بكل طوائفها وفصائلها واشكال قتالها.

وأغلب الظن أن قصة الحرب على العراق ستكون قصة قصيرة أو اقصوصة فالأرض التى أنجبت القائد العراقى «سرجون الأكدى» الذى قاد أول امبراطورية فى التاريخ «٢٣٢٠ إلى ٢٣٠٠ ق.م» امتدت من البحر المتوسط «كان يسمى البحر الأعلى» إلى الخليج العربى «البحر الأسفل» لا يمكن أن تهزم، وكذلك هى الأرض التى ارتوت بدماء سيد الشهداء، سيد أهل الجنة «الحسين بن على» عليه السلام لا يمكن أن تستسلم لمشروع مغامر وافد من وراء البحار، يسعى إلى النفط واذلال أعناق الرجال. واذا ارتبط الصراع كله بما يسمى صراع الحضارات. فإن الأمر المؤكد هو أن ابناء العراق هم أصل الحضارة، فقد أعطى الملك حمورابى حريات واسعة للمرأة «١٧٢٨ - ١٦٨٦ ق.م» قبل ٢٣٠٠ سنة، وسمح للفتيات بالذهاب الى دور العلم مع الفتيان، ويجلسون جنباً إلى جنب لا فرق بين الرجل والمراة، حدث ذلك وقت كان الهنود الحمر يسكنون ما يعرف اليوم بالولايات المتحدة، والغريب والمدهش هو أن الطريقة التى أزيلت بها دولة حمورابى هى نفسها الطريقة التى اتبعها جورج بوش فى اجتياح العراق، وهى حرب الإبادة أو الأرض المحروقة، فقد ظهر ملك يدعى «سنحاريب» زحف بجيوشه على مدينة «بابل» على إثر قيام أهلها بثورات وانتفاضات ضد حكم الآشوريين، فما كان من هذا الملك الإرهابى إلا أن أمر بتحويل مياه احدى لقنوات لتغرق ما بقى من بيوت مدينة بابل، وكانت البيوت مشيدة بالطوب اللبن، غير المحروق، وهو الأسلوب نفسه الذى اتبعته قوات بوش تجتاح الفلوجة، حيث كان القصف الجوى والصاروخى عشوائيا بأسلوب يسمى «الحصيرة» أى اطلاق النار على كل شىء ثابت أو متحرك، بشر أو حجر.

والأمر المؤكد هو أن «سنحاريب» ذهب إلى مكانه الطبيعى فى التاريخ وبقت «بابل» عنواناً للحضارة والمدنية والكتابة والزراعة، وهو ما سوف يحصل لجيوش بوش وبلير، سوف ترحل فى يوم ما، وتبقى الفلوجة والنجف شاهدتين على عراقة شعب، وحضارة أمة، وجسارة المقاومة العراقية.

❖ ❖ ❖

الفصل الأول

التــوراة والنفــط

- لماذا قطعت القوات الأميركية آلاف الأميال لغزو العراق؟
- ٢٦ جماعة أصولية وتبشيرية لها تأثير على القرار فى البيت الأبيض
- كبير قساوسة أميركا: لا يمكن أن نتصور أن يسوع المسيح سيدعم الهجوم على العراق
- بوش الأب وديك تشينى وكوندليزا رايس من أبرز تجار النفط العالميين

عندما سئلت مادلين أولبرايت وزيرة خارجية أميركا الآن أثناء رئاسة كلينتون(٩٢- ٢٠٠٠): لماذا أرسلتم نصف مليون جندى لتحرير الكويت فى عام ١٩٩١ من القوات العراقية، ولم ترسلوا جيشكم لمنع قتل مليون راوندى؟

أجابت ببرود استعمارى، لم نتدخل فى رواندا لأنه لا يوجد نفط بينما، فيما يوجد بالكويت".

هذه النظرة الاستعمارية الكلاسيكية لا تكفى وحدها لتبرير غزو دولة عربية كبيرة مثل العراق، قد تكفى هذه النظرة لإرسال قوات لتحرير الكويت، لكنها لا تكفى لغزو أو احتلال دولة من وزن العراق، لذلك تلاقت هذه النظرة مع رؤية أخرى قديمة - جديدة - يروج لها المحافظون الجدد فى الولايات المتحدة، المنتشرون فى المؤسسات السياسية والاقتصادية والإعلامية، هى الرؤية التوراتية لأنصار إسرائيل الذين يقولون: إن بابل سوف تبعث من جديد على يد ملك بابلى جديد (الرئيس صدام حسين) لذلك يجب التخلص منه مرة أخرى، وإفناء بابل قبل أن ينقلب الزمان).

هكذا التقت الرؤيتان: النفط والتوراة، الاقتصاد والدين، المتن والغلاف، فغزو العراق ما كان ليحصل لولا تركز عيون حكام أميركا الحقيقيين، أى الشركات العملاقة (هاليبورتون- بكتيل) على نفط العراق وثرواته الأخرى، وفى نفس الوقت كان الغطاء الدينى قد توفر من خلال العلاقة المركبة بين إسرائيل والمذهب الأصولى للمسيحية الجديد: New christian fundmentalism فى أميركا، حيث- لأول مرة- يسيطر قطاع من المسيحيين الرساليين على القرار فى واشنطن ونيويورك، وهذا الاتجاه أكثر راديكالية فى مساندة حكومة اسرائيل مقارنة حتى بجماعات الضغط الصهيونية، وأبرزها منظمة (ايباك).

هناك ٢٦ جماعة أصولية تبشيرية لها نزعة يمينية تؤثر على دوائر صنع القرار فى أميركا، وأهمها جماعة Heritaqe foundation التى تترأسها زوجة ديك تشينى نائب الرئيس الأميركى، ولهذه الجماعات تأثير مباشر وكبير ليس فقط على السياسة الأميركية، بل أيضا على النسق القيمى، والذى يتضمن التعليم والإعلام والثقافة والفن، وهى تعتقد أن المجتمع الأميركى خرج عن المسار الأخلاقى لبعض الوقت والمطلوب (رده) إعادته إلى الطريق القويم، لكن هناك أشرارا يعرقلون هذه العملية، وبالتالى وجب إزاحتهم من الطريق.

فى أغسطس ٢٠٠١ صدر تقرير هام عن مستقبل الولايات المتحدة أعده المفكر الأصولى برنارد لويس ونيوت جينجريتش وهو من غلاة التيار اليمينى الأصولى الجديد، جاء فيه بالحرف الواحد (بدون مؤسسات سياسية واقتصادية قوية لم يكن للمغول والمقدونيين أن يحافظوا على إمبراطوريات مترامية

الأطراف، وما جعل الإمبراطورية الرومانية عظمى ليس مجرد قوتها العسكرية، وإنما امتيازها كإمبراطورية، وما جعل الإمبراطورية الصينية عظمى لم يكن قوتها العسكرية فقط، وإنما القوة الاقتصادية والقدرة الهائلة لثقافتها، وإذا كان لنا أن نستخلص دروس التاريخ، فإنه من أجل أن تعزز الولايات المتحدة هيمنتها يجب أن تبقى مهيمنة عسكريا، ولكن عليها أيضا أن تحافظ على تفوقها عبر الأعمدة الأخرى للسلطة، أى الاقتصاد والثقافة).

• شبكة صواريخ مضادة للصواريخ

معنى ذلك أن مشروع احتلال العراق ليس نتيجة لأحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، حيث هوجمت الولايات المتحدة من الداخل، بينما كانت تخطط لإنفاق ٢٠ تريليون دولار لبناء شبكة صواريخ مضادة للصواريخ تحيط بالأرض الأميركية من كل جانب، بما يشكل سياجا صاروخيا لمنع أى عدوان صاروخى روسى أو صينى محتمل أو بالطائرات على أراضيها، ومنع أى احتمال لتكرار كارثة بيرل هاربر (١٩٤٢) أخرى، غير أن الضربة جاءت من الداخل، فأثارت الفزع لدى أنصار التيار التوراتى، الذين ظنوا أن الله رزقهم بمحيطين (الأطلنطى- الهندى) يفصلانها عن باقى الأشرار فى العالم، فإذا بالأشرار يأتون إلى بلادهم.

هنا حصل التحول الهام فى نظرة المحافظين الجمهوريين الذين تولوا الحكم بعد نهاية فترة كلينتون- إلى العدو، ففى حين أن عددا من الاستراتيجيين الواقعيين أمثال زيحينو بريجنسكى رأوا ضرورة فصل السياسة عن المنهج الدينى، كان هناك تيار متطرف له ثقله وتأثيره يتمثل فى الدعاة الإنجيليين وعلى رأسهم فرانكلين جراهام، الذى ظل يروج أن الخطر على أميركا يتمثل فى المتطرفين المسلمين، الذين يعتبرون أميركا هى الشيطان الرجيم أو الشيطان الأكبر.

لقد ظهرت بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ نظرية (الحرب الاستباقية) أو الحرب الإجهاضية، والتى تقوم على فكرة بسيطة هى (علينا أن نذهب إليهم، ونقاتلهم، بدلا من أن ننتظرهم يقاتلوننا).

وكان بول وولفوفيتز نائب وزير الدفاع الأميركى السابق وريتشارد بيرل الرئيس السابق للجنة السياسات فى وزارة الدفاع، فضلا عن دونالد رامسفيلد وهم جميعا من تكساس (الولاية التى ينتمى لها جورج بوش) الذين لعبوا دورا بارزا فى إقناع الإدارة الأميركية باختيار العراق هدفا لحملة عسكرية شرسة تبدأ بأفغانستان، ولا تتوقف عند حدود بابل أو العراق.

فى لقاء مع رجال الأعمال البروتستانت فى مدينة ناشفيل، وقبل شن الحرب على العراق، قال بوش (إن الإرهابيين يكرهون حقيقة.. أن نعبد الرب العظيم بالطريقة التى نراها مناسبة، وأن

الولايات المتحدة مدعوة إلى إيصال هدية الحرية التى منحها الرب لكل إنسان على وجه المعمورة).

ويؤمن بوش بمشيئة الرب، وبالفوز بالانتخابات بدعم الذين يؤيدونه، فخلال مشاركته فى حملة والده عام ١٩٨٨، بنى جورج بوش الابن حياته المهنية من خلال نسج علاقات مع رجال دين كانوا يشكلون حينذاك الحركة الإنجيلية الصاعدة فى الحياة السياسية، واليوم يمثلون قلب الحزب الجمهورى الذى يسيطر على كل العاصمة للمرة الأولى منذ نصف قرن، فالمسيحيون المتدينون هم أشد الداعمين لبوش، لذا فإن حشدهم بأعداد كبيرة فى صدارة أوليات مستشار الرئيس السياسى كارل روف، لكن هذا الدعم الدينى لبوش ليس مجانيا، بل مقابل أن يدعم الرئيس خططهم الداخلية (معارضة الإجهاض وحظر الاستنساخ البشرى) وخارجيا بدعم مشاريعهم فى التبشير، وبخاصة فى العراق وأفريقيا.

فبعد أيام قليلة من توقف المعارك فى العراق وصلت طلائع جماعتين تبشيريتين، يطلق على إحداهما اسم "مؤتمر المعمدانى الجنوبى، والثانية يطلق عليها اسم (كنيسة السامرى) وهما من أبرز الجماعات الدينية المؤيدة لبوش.

وقد أعلن مؤتمر المعمدانى الجنوبى وهو أكبر تجمع بروتستانتى- حسبما نشرت صحيفة نيويورك تايمز- أنه خلال الحرب الأميركية على العراق استطاعت أن تجمع حوالى ٨٠٠ مبشر تطوعوا من خلال بعثتها لتقديم مساعدة روحية ونفسية للجماعات العراقية، وكان أحد زعماء تلك الجماعة قد أغضب مشاعر المسلمين فى العالم عندما وصف النبى محمد (صلى الله عليه وسلم) بأوصاف غير لائقة منها أنه (إرهابى).

أما الجماعة الأخرى، والتى يطلق عليها (كنيسة السامرى) فهى إحدى جماعات الإغاثة التى يديرها فرانكلين جراهام ابن المبشر البروتستانتى بيلى جراهام، والذى تلا التعويذات الدينية للرئيس بوش فى حفل تنصيبه وهو أحد أبرز الذين شكلوا الثقافة الدينية لبوش.

وتقول صحيفة (النيويورك تايمز) إن أعضاء هذه الجماعات انتشروا فى الكويت والأردن خلال الحرب وبعدها، وأنهم يساعدون فى إعداد التجهيزات الطبية والماء للنازحين أو الهاربين من جحيم الحرب.

وكان جراهام آثار ضجة فى العام ٢٠٠٢ عندما نشر كتابا وأدلى بأحاديث اتهم فيها الدين الإسلامى بأنه دين يحرض على العنف ويدعو إلى الشر، ولم يتراجع هذا القس عن آرائه رغم أن كثيرين شرحوا له خطورة مثل هذه الآراء على العلاقات الأميركية- العربية، ويقول إبراهيم هوبر

المتحدث باسم مجلس العلاقات الإسلامية فى واشنطن أنه من غير المناسب أن تحظى هذه الجماعات بهذا الدور فى وقت يشك المسلمون فى العالم فى نواياهم، ويعتقد العديد من المسلمين أنها حرب ضد الإسلام، وأن نشاطات هذه الجمعيات التبشيرية يؤكد ما استقر فى أذهان البعض عن أهداف مشبوهة للحرب على العراق.

• حقيقة الحرب الصليبية على العراق وأفغانستان

والواقع أنه مهما حاول جورج بوش أن يلطف من تصريحاته التى تعكس رؤيته الدينية والفلسفية لـ (الآخر) من أصحاب الديانات الأخرى، إلا أنه كثيرا ما يعبر عن هذه الرُّؤى بطريقة مثيرة للجدل، وليس صدفة أنه وصف الحرب على الإرهاب بأنها حرب صليبية جديدة، ففى عام ١٩٩٣- تقول مجلة النيوزويك- وقبل سنة من ترشحه لمنصب حاكم ولاية تكساس أثار بوش عاصفة صغيرة حين صرح لصحفى فى أوستن (تصادف أنه كان يهوديا) أن (المؤمنين بالمسيح وحدهم سيصعدون إلى الجنة)، ورغم أن مثل هذه الأقوال شائعة ورائجة فى تكساس غير أن كون بوش وقحا بما فيه الكفاية لقوله ذلك آثار جلبة وضجة، وفيما تضايق اليهود من هذا التصريح فإن أحد مستشارى بوش قال (إن هذا التصريح يؤكد على صدق انتماء بوش إلى حزام الإنجيل فى مناطق تكساس الريفية التى كانت حتى ذلك الوقت تميل إلى الحزب الديمقراطى، وبوصفه مرشحا فإنه سوف يحصل على تأييد رجال الدين لاسيما من قادة كنائس كبرى فى الضواحى بما يضمن له المزيد من الأصوات).

ولا يختلف الحال كثيرا فى الحملة الرئاسية فقد كانت شبيهة بحملة تكساس لكن على نطاق أكبر، وفيما استعد لترشيح نفسه عام ١٩٩٩، جمع بوش كبار القساوسة فى قصره "لينال بركتهم"، والقى فيهم خطبة وصفها منافسه جارى باور: (تحدث بوش عن إيمانه فصدقه الناس وآمنوا به) لأن الجرعة الدينية الإيمانية كانت عالية فى خطبته، أما خطاباته المكتوبة فقد اعتمد فيها على كاتب موهوب هو مايكل جرسن، وهو خريج جامعة وينون فى ولاية ألينوى (التى تعتبر هارفارد الإنجيلية) فقد فهم محافظة بوش، لا بل الأهم، أنه كان يتحلى بالموهبة للتعبير عنها بلغة جليلة مرحة بوسعها أرضاء الناخبين المتدينين والعلمانيين الذين يبحثون عن شعور ضائع بالارتقاء والنهوض فى الحياة العامة.

أما كاتب خطاباته السابق ديفيد فرام فيقول: إن الرئيس يرحب بالأسئلة عن الإيمان التى يجرؤ بعض الموظفين أحيانا على تشاطرها معه، لكنه ليس من النوع الذى يحب إطلاق نقاش جدلى بشأن مسائل لاهوتية من نوع: هل ستكون الحرب فى العراق حرب عادلة وفق المفهوم المسيحى كما شرحها

القديس أوغسطين فى القرن الرابع وفصلها كل من توما الاكوينى ومارتن لوثر وآخرون؟ لقد اقنع بوش نفسه بأنها ستكون كذلك، لكنه لم يتوصل إلى هذا الاستنتاج عبر التمحيص فى النصوص أو الإشراف على جدل فى هذا الشأن، لقد قرر أن صدام شرير وانبثق كل ما تبع عن ذلك.

• الدور الرهيب للجماعات التبشيرية

ويقول أفرام: إن الحديث عن الخير والشر طرح بشكل طبيعى، فقد استخدم الرئيس عبارة الأشرار لوصف الإرهابيين لأن بعض المعلقين كانوا يستاءون جهارا عما إذا كانت الولايات المتحدة تستحق من ناحية ما الاعتداء الذى ارتكب بحقها فى ١١ سبتمبر ٢٠٠١

يضيف أفرام: (أراد أن يضع حـداً لذلك على الفور، وأن يوضح أنه لا يرى مطلقا أى تعادل أخلاقى، فنبش هذه الكلمة مباشرة من المزامير". وظل يشدد على هذه الفكرة، وأن بن لادن وجماعته أشرار، وفى نوفمبر ٢٠٠١ وفى مقابلة مع مجلة نيوزويك أعلن للمرة الأولى بعد أن تمت مباغتته بالسؤال إن صدام حسين فى العراق شرير أيضا.

ويحظى بوش بدعم واسع من ريتشارد لاند، وهو القائد الرئيسى للجناح السياسى للمؤتمر المعمدانى الجنوبى (وهى من أبرز وأكبر جماعات التبشير الأميركية) ومن أشد المعادين للعرب والمناصرين لإسرائيل، وهو واحد من المبشرين الإنجيليين الذين لا يخفون رغبتهم فى تحويل المسلمين إلى المسيحية-لا بل لاسيما- فى بغداد، تحت مبرر أن أحد أهداف إطاحة صدام هو منح شعب مقموع حرية العبادة.

وتقول صحيفة النيويورك تايمز (إن هذه الجماعات التبشيرية تمثل مشكلة للرئيس بوش، فهو لا يريد أن يبعد هذه الجماعات المسيحية البروتستانتية عن العراق، ولكنه فى نفس الوقت لا يريد أن يفهم العالم الإسلامى أن الحرب على العراق هى حملة صليبية الهدف منها تنصير شعب مسلم.

وقد أعلن آرى فلايشر المتحدث باسم البيت الأبيض (إنه ليس من مسؤولية الحكومة تحديد الجماعات التى تقدم مساعدات للعراق) ثم استطرد (إن الرئيس يعرف أن الإسلام دين سلام، وأنه لا يهتم بمن يقول إن الإسلام غير ذلك).

ومن المعروف أن من أبرز جماعات التبشير، وهما مؤتمر المعمدانى الجنوبى وكنيسة السامرى هما اللتان تطلقان عبارات تسيىء إلى الإسلام والمسلمين، ومع ذلك فهما أكثر بعد وقف الحرب انتشارا فى المناطق الجنوبية والشمالية فى العراق.

وثمة دوائر فى الإدارة الأميركية متأثرة بفكرة جوهرية هى أن غزو العراق هو عمل مبارك من

الله، وهو عمل يرضى الضمير المسيحى، لأن هناك أشرارا فى العالم كما هناك طيبين، وهذه الفكرة تعود إلى عصر رونالد ريجان (٨٠- ١٩٨٨)، وكان هو الذى وصف الاتحاد السوفيتى بأنه (إمبراطورية الشر) وهو التعبير نفسه الذى سوف يطلقه بوش على ثلاث دول هى العراق وإيران وكوريا الشمالية، فبعد أن فاز بيل كلينتون بمقعد الرئاسة للمرة الثانية عام ١٩٩٦ بدأت مجموعة الجمهوريين فى التجمع والالتقاء مرة أخرى من أجل الانتصار فى الانتخابات القادمة (عام ٢٠٠٥)، وكانت هناك ورقة عمل أو مشروع فكرى سياسى أطلق عليه اسم (القرن الأميركى الجديد)، باعتبار أنه إذا كان القرن العشرين هو القرن الأميركى الذى بسطت فيه أمريكا هيمنتها الاقتصادية والعسكرية على العالم وكان هو القرن الذى قادت فيه أميركا العالم إلى الانتصار على الفاشية ومن بعدها الشيوعية فإن القرن الحادى والعشرين ينبغى أن يكون بدوره قرنا أميركيا وكان ذلك هو المشروع التى تتجمع حوله النخبة التى نجد معظمها الآن يحيط بالرئيس جورج بوش كما السوار بالمعصم، وباتت القضية هى: كيف تحقق الولايات المتحدة هذا الهدف؟ هذه المجموعة ضمت اليوت ابرامز جارى بويز- وليام بينيت- جيب بوش- ديك تشينى- اليوت كوهين- بولا دويرينيسكى- ستيف فوربس- ارون فيدبيرج- فرانسيس فوكاياما- فرانك جافنى- فريد ايكل - دونالد كيجان- زالماد خليلزاد- لويس لبى- نورمان بوريتز- دان كيول- بيتر رادمان- ستيفين روزين- هنرى روين- دونالد رامسفيلد- فين وايبر- جورج وايجل- بول ولفيتس، معظم هذه الأسماء لها لمعة الآن فى الإدارة الجمهورية وربما لا توجد أسماء مثل كونداليزا رايس مستشارة الأمن القومى للرئيس الأمريكى ثم وزيرة الخارجية فى القائمة ولكن أفكارها لا تختلف كثيرا عن أفكار المشاركين فيها.

فى هذه الرؤية- المشروع، الذى يتضمن نقطة جوهرية هامة هى الدفاع عن وجود إسرائيل، وحمايتها، بشرا وحدودا ونظاما، وتفعيل الاتفاق الاستراتيجى الذى وقعه ريجان مع إسرائيل عام ١٩٨٣، باعتبار أن إسرائيل التوراتية هى امتداد لأميركا المسيحية، وهى نقيض للعدو الإسلامى الذى وجه ضربة قاسية لأميركا عام ٢٠٠١، والسماح لإسرائيل أن تكون صاحبة اليد العليا فى إقليم الشرق الأوسط إلا أن هذه النظرة البراجماتية إلى السلوك السياسى الأمريكى أثبتت فشلها فى كثير من الأحيان، يدفع إلى هذه البراجماتية اعتقاد الكثير من المفكرين فى شتى أنحاء العالم وبخاصة فى عالمنا العربى أن أمريكا لا علاقة لها بالأيديولوجية وانه لا يوجد بيد قادتها من يبنى سياسته الخارجية على أسس أيديولوجية، هؤلاء يجانبهم الصواب فى كثير من تقديراتهم للسياسة الأمريكية وردود فعلهم، إن مسألة المصالح حقيقية، ولكنها ليست كل شئ، الشيء الأهم فى أمريكا كما فى عدد

من الدول الأخرى هو الاعتبارات الأيديولوجية، إن الذى يحرك الولايات المتحدة الآن ويحرك سياستها الخارجية ويفسر ما قامت به من حروب فى الآونة الأخيرة وما ستقوم به من حروب فى المستقبل بوسائل وأشكال متعددة لن يفهم كل هذه التطورات إلا إذا اقتنع بالفكرة القائلة بأن هذه اللحظة التاريخية (هدية) إلى أمريكا من السماء لبناء إمبراطورية طيبة القلب خيرة تسعى لنشر الديمقراطية تحرر الشعوب من الظلم، وتقضى على الأشرار فى كل مكان، إذا اقتنعنا بهذا اقتنعنا فى الوقت نفسه بأن غزو العراق لم يكن أطماعا نفطية فحسب أو لمصلحة استراتيجية فقط وإنما هو حلقة فى مسلسل يهدف إلى بناء هذه القوة (الخبرة الطيبة الجديدة التى سيكون على أيديها، أو بفضلها خلاص العالم من كافة الشياطين والشرور والحروب الصغيرة).

لا يمكن أن نتصور أن يسوع المسيح سيدعم هذا الهجوم على العراق). هكذا حسم واحد من أكبر الدعاة المسيحيين فى أميركا جيم ونيكلر رئيس لجنة المينودست عدم وجود أى شرعية دينية لحرب بوش فى العراق، علما بأن بوش هو أحد أعضاء هذه الكنيسة، وقد كتب ونيكلر رسالة إلى سيد البيت الابيض جاء فيها (إن الحرب الوقائية ضد دولة كالعراق تتعارض مع كل ذرة من مفهومنا للإنجيل ولتعاليم الكنيسة وضميرنا).

لقد تحركت آلة الحرب فى العقل الأميركى الحاكم، وبات العالم على شفا حرب جديدة يخوضها الجنود الأميركيون تحت شعارات مسيحية مخلوطة بالنفط، رغم أن المسيحية منها براء، ورغم أن النفط لم تمنعه السلطة العراقية عن الأسواق، وبينما تنامت المعارضة المسيحية فى جميع أنحاء العالم، وبخاصة داخل أميركا للحرب، كان بوش يداوم على الصلاة، حريصا فى الوقت ذاته أن تنشر وسائل الإعلام واسعة الانتشار صورا له وهو يبتهل إلى السماء غير مهتم بصلاة أخرى كان المجلس القومى للكنائس الأميركية الذى يضم ٣٦ كنيسة يصل حجم عضويتها نحو ٥٠ مليون أميركى يدعون الله أن يوقف الحرب قبل أن تبدأ، لأن الحرب الوقائية (لا أخلاقية وغير شرعية وغير قانونية) وفق البيان الذى أصدره الوفد (مكون من ١٣ عضوا برئاسة د. بوب ادجار الذى زار بغداد قبل الحرب بثلاثة شهور، وذكر فيه (إن الحرب ضد العراق ستجعل الولايات المتحدة أقل أمنا، كما أن الحرب ستنشر المعاناة للشعب العراقى البرئ).

لقد قال الشعب الأميركى كلمته (لا للحرب الأميركية على العراق) وامتد الرفض ليشمل جميع أنحاء العالم، فيما عدا حكومات واشنطن وسيدنى «استراليا» ولندن وعواصم أخرى التى كانت لها مصلحة فى خوض الحرب، وإزاحة نظام الرئيس صدام حسين، وهدم أركان الدولة التى كانت تشكل

تهديدا لإسرائيل، وعلى رغم انخفاض التأييد الشعبى للحرب فى سبتمبر ٢٠٠٢ من ٦٧ إلى ٥٠٪، إلا أن الرئيس الأميركى وأركان إدارته ظلوا يواصلون إطلاق الأكاذيب حول أسلحة الدمار الشامل العراقية، وعلاقة النظام العراقى بتنظيم القاعدة، وتهديداته لدول الجوار، وهى أكاذيب رفضتها الشعوب، حتى أن أكبر تظاهرة جرت فى ٢٠٠٢/٩/٢٨ فى أميركا نظمها ائتلاف اطلق على نفسه اسم (ليس باسمنا) أى ان هذه الحرب ليس باسم الشعب الأميركى، واعتبر مراقبون فى أروبا أن الحرب الأنجلو أميركية على العراق تصلح كنواة لتغيير العالم كما فعلت نظيرتها فى فيتنام حينما رسمت تاريخا جديدة للعالم، فمنحت اليائسين أملا، ودفنت رؤوساً للطغاة فى الطين.

• برميل نفط

"فلنتوقف عن سرد الكلام الفارغ أمام العالم.... إنه: النفط"، هكذا حدد المحلل السياسى الأميركى الصهيونى النزعة (توماس فريديمان) الهدف الأميركى من الحرب على العراق، وهو هنا يكرر ما كشف عنه (لورانس ليندساى) مستشار الرئيس الأميركى للشؤون الاقتصادية من أن الهدف الحقيقى لمساعى الولايات المتحدة المحمومة للهجوم على العراق وإسقاط نظامه هو النفط، لتنتهى بذلك حيرة رئيس جهاز الاستخبارات الأميركية على العراق فهل هو فعلا لتدمير أسلحة الدمار الشامل التى تهدد الاقتصاد العالمى أم هو الجرى وراء مخزون حقول النفط الضخمة فى العراق؟

• من الأطماع إلى الأزمة

قبل ستة عقود بدأ أبرز علماء الجيولوجيا الأميركيين وهو (ايفيريت دى جلير) مهمة عاجلة وسرية فى منطقة الشرق الأوسط بتكليف خاص من الرئيس الأميركى (آنذاك) فرانكلين روزفلت، وكان على (دى جلير) أن يتوصل إلى إجابة دقيقة ومحددة لسؤال طرحه عليه الرئيس الأميركى وهو (كم تبلغ أهمية احتياطى نفط منطقة الشرق الأوسط بالنسبة لمستقبل العالم؟) وعندما أنهى (دى جلير) تلك المهمة فى عام ١٩٤٣ والتى زار خلالها الشرق الأوسط، قام بتقديم تقرير مثير، أكد فيه أن مركز أهمية إنتاج النفط فى العالم ينتقل من منطقة الكاريبى إلى منطقة الشرق الأوسط

تلك الأهمية التى حاول الأمريكيون بعد تلك الفترة إنكارها والتقليل منها، والتأكيد على أن الخرائط النفطية لأميركا تتجه أكثر نحو فنزويلا وألاسكا وروسيا وبحر قزوين، ولكن الحقيقة هى أن الإدارات الأميركية المتعاقبة منذ تلك الفترة كانت عاجزة عن إخفاء حقيقة تناقص الاحتياطى النفطى العالمى، من أميركا وكندا إلى إيران والسعودية، فوفقا لتقديرات الوكالة الدولية للطاقة سيصل إجمالى المعروض العالمى من النفط فى عام ٢٠٢٠ إلى (٩٢ مليون برميل يوميا) من (٧٤ مليونا حاليا)، فى حين تقدر الوكالة الطلب العالمى بحلول هذا التاريخ بنحو (١١١

مليون برميل يوميا) أى ان العالم سيواجه عجزا نفطيا لن يقل عن (١٩ مليون برميل يوميا).

وعلى الجانب الأميركى فإن الاستهلاك الذى يبلغ حاليا نحو (١٧ مليون برميل يوميا) ويلتهم بذلك ٢٥٪ من إجمالى صادرات العالم سوف يقفز من سنة ٢٠٢٠ إلى (٢٦ مليون برميل يوميا)، وذلك فى الوقت الذى لن يزيد فيه الإنتاج المحلى الأميركى عن تسعة ملايين برميل يوميا أى أن العجز سيرتفع إلى (١٧ مليون برميل يوميا).

كل هذا العجز فى ظل أن الاحتياطات الأميركية من النفط لا تتجاوز (مليار برميل) فى الوقت الراهن، وغير متوقع لها أن تكون لأكثر من عقد قادم من الزمان، لتصبح الولايات المتحدة معتمدة على استيراد النفط بشكل كامل.

ويبقى السؤال المطروح على الولايات المتحدة هو: ما هى البدائل النفطية لواشنطن؟، فروسيا أقصى ما تستطيعه ان ترفع إنتاجها إلى (١٠ ملايين برميل يوميا) وستنضب كل احتياطياتها بعد عقدين، وكذلك الصين وبريطانيا والنرويج سيتحولون إلى دول مستوردة لكامل احتياجاتها من النفط قبل نهاية العقد الأول من القرن الحالى، أما ليبيا، والمكسيك فسوف تنضب احتياطاتهما قبل نهاية العقد الرابع من القرن الحالى، اما الدول التى ستظل تمتلك احتياطات نفطية وقدرات تصديرية كبيرة حتى سبعة عقود مقبلة فهى متمركزة فى دول الخليج العربى (السعودية والعراق) إضافة إلى إيران ومنطقة بحر قزوين وفنزويلا.

● ارتباط شخصى واقتصادى

ومن هنا وفى ظل إدارة أميركية حاكمة يغريها الجموح الإمبراطورى الذى لن يمده بالطاقة والحيوية سوى السيطرة على نفط الشرق الأوسط، فى وقت يستبد فيه ظمأ دول أوروبية وآسيوية لهذا النفط باعتباره محركا لا غنى عنه لاقتصادياتها وتقدمها، فكان من الطبيعى أن تولى الولايات المتحدة الأميركية وجهها شطر بغداد وربما غدا طهران بحثا عن مكامن النفط الغزير والرخيص فى آن واحد!

ولا يخفى على أحد انتماء أركان الحكم الأميركى إلى معسكر العاملين السابقين فى مجال النفط، فبوش الأب يعمل فى مجال النفط، والرئيس الحالى جورج بوش الابن، كان يعمل فى مشروع نفطى مشترك بين دولة الكويت وولاية تكساس الأميركية من عام ١٩٧٤ حتى عام ١٩٨٨، إلى أن أصبح حاكما لهذه الولاية، أما (ديك تشينى) نائب الرئيس الأميركى، فكان الرئيس التنفيذى لشركة نفطية أميركية وهى "هاليبرتون"، وأثناء فترة عمله حصل على عقود من مملكة البحرين بعد حرب الخليج الثانية بما أدى لمضاعفة دخلها ثلاث مرات، وهى الشركة التى منحت تشينى ٢٥ مليون دولار حين قرر التقاعد

ودخول ماراثون الانتخابات الأميركية الأخيرة، أما مستشارة الرئيس الأميركى لشؤون الأمن القومى آنذاك، (كونداليزا رايس) فقد كانت تعمل لدى شركة "شيفرون" للنفط حتى إن اسمها أطلق على إحدى ناقلات النفط التابعة للشركة.

وهناك أيضا (خليل زالماى زادة) المبعوث الأميركى فى أفغانستان ثم المبعوث الشخصى للرئيس الأميركى فى مؤتمر المعارضة العراقية فى لندن هو أحد أقطاب صناعة النفط الأميركية حيث كان المستشار السابق لشركة "أونوكال" لصناعة النفط.

ومن ثم فإن الهم والاهتمام النفطى يسيطران على اهتمامات الإدراة الأميركية الحالية، بحكم الارتباط الشخصى المباشر (إلى جانب الارتباط القومى والاقتصادى) بشكل يصعب معه الاستسلام للنفى الأميركى عن علاقة الحملة على العراق، بموضوع النفط، ومن المؤكد أن هذا الاهتمام كان مخططا له ومنذ عدة سنوات، عندما قدم لفيف من الساسة الأميركيين الجمهوريين فى عام ١٩٩٧ إلى الرئيس الأميركى الأسبق بيل كلينتون بوثيقة اسمها (نحو قرن أميركى جديد)، وجاء فى تلك الوثيقة (أنه يجب علينا إنشاء وجود أميركى قوى فى منطقة الشرق الأوسط، وأن نكون مستعدين لاستخدام القوة لحماية مصالحنا الحيوية فى الخليج، وإذا استدعى الأمر لابد من إزاحة صدام حسين والسيطرة على نفط العراق)، وكان الموقعون على الرسالة هم: (ديك تشينى- دونالد رامسفيلد- خليل زالماى زادة- ريتشارد أرميتاج (مساعد وزير الخارجية الحالى)- ريتشارد بيرل- بول ولفوويتز (نائب وزير الدفاع الحالى) أى أن الموقعين على الوثيقة هم أركان الحكم الأميركى الحالى.

• دوافع الحملة الأميركية

نعود الى الدوافع التى من أجلها اختارت الإدارة الحالية النفط العراقى هدفا لها، تلك الدوافع التى تساوى فى الوقت ذاته مكسبا خاصا للإدارة الأميركية فى إطار طموحها لأن تكون إمبراطورية أميركية عظمى، وهى كالآتى:

أولا: العراق يمثل بالفعل مخرجا مثاليا وممتازاً لأزمة النفط الأميركية القادمة بسبب احتياطاته الهائلة التى أعلنت بغداد رسميا فى مارس من عام ٢٠٠٣ أنها تبلغ (١١٥ مليار برميل) أى نحو (١١٪) من الاحتياطات العالمية المؤكدة من النفط، وذلك فى الوقت الذى يقدر خبراء غربيون حجم تلك الاحتياطات بنحو (٢٢٠ مليار برميل) إضافة إلى (١١٠ تريليونات قدم مكعبة من الغاز الطبيعى)، فى ذات الوقت يجمع النفط العراقى ميزة رخص التكلفة وسهولة النقل، بالاضافة الى غزارة الانتاج، حيث إن تكلفة استخراج برميل نفط عراق تبلغ أقل من دولارا واحدا، مقارنة بنحو ٣- ٥ دولار للبرميل فى كل

من السعودية والكويت وإيران، وحوالى ٥- ٨ دولار للبرميل فى الإمارات، وما بين ٨- ١٠ دولار للبرميل فى المكسيك وفنزويلا، وما بين ١٠- ١٢ دولار للبرميل فى المياه العميقة، هذا فى الوقت الذى تستطيع فيه العراق خلال فترة وجيزة أن ينتج ما بين ٦،٤ ملايين برميل يوميا، ويمكن أن ترتفع المعدلات إلى ٧ ملايين بعد تطوير منشآته النفطية.

ولتحقيق تلك الزيادة فى الإنتاج النفطى العراقى رصدت إدارة إعمار العراق (الأميركية) مبلغ ٣٠ مليار دولار بهدف تحقيق تلك الزيادة إلى (٦ ملايين) برميل يوميا، وهذا الأمر يتواءم مع ما صدر عن مكتب (ديك تشينى) نائب الرئيس الأميركى عن إمكانية استخدام عائدات بيع النفط العراقى لدفع تكاليف الاحتلال والتى تقدر بما يتروح بين ١٢ مليارا و٤٨ مليار دولار سنويا، مع الأخذ فى الاعتبار أن مدة الاحتلال قد تستمر إلى أكثر من عام ونصف العام، فإذا كان الإنتاج النفطى العراقى وصل فى أعلى معدلاته (فى الفترة التى سبقت الحرب) إلى ١٥ مليار دولار سنويا، فإن العراق يحتاج إلى رفع سقف إنتاجه إلى (٦ ملايين) برميل يوميا، وربما إلى (١٠ ملايين) برميل لكى يسدد للإدارة الأميركية فاتورة احتلاله!!

ثانيا: يمثل العراق (تاريخيًا) عقبة أمام الاستراتيجية الأميركية فى سوق النفط، وحيث أن العراق كان يقف دائما فى صف الصقور بين الدول المصدرة للنفط وداخل منظمة الأوبك والتى عملت دائما على رفع أسعار النفط لضمان عائد عادل للدول المصدرة للنفط، وقام بتأميم ثروته النفطية وحرم الشركات النفطية العالمية الكبرى من النهب المبالغ فيه للثروات النفطية العراقية، لذا فسلوك الإدارة الأميركية إزاء هذا البلد مفعما بقدر هائل من الرغبة فى الانتقام والتنكيل به، والرغبة فى نهب ثروته النفطية الضخمة وتحويله إلى عبرة لكل الدول المعارضة للولايات المتحدة الأميركية.

والسيناريو الموضوع لذلك كان هو: إذا سيطرت أميركا على العراق ونفطه من خلال الغزو ووضع حكومة عميلة، فإنها يمكن أن تتحكم فى حجم الإنتاج العالمى من النفط من خلال مضاعفة حجم الإنتاج العراقى، ويمكنها بالتالى أن تعمل على خفض أسعاره بشكل كبير بما يحقق مصلحتها كأكبر دولة مستهلكة ومستوردة للنفط فى العالم، ومن خلال هذه السيطرة الأميركية على النفط العراقى ستوجه واشنطن ضربة موجعة وربما قاضية إلى منظمة الأوبك، والتى لا يخفى المسؤولون الأميركيون كراهيتهم لها ويتهمونها علنا بأنها كيان احتكارى يناقض وجود قواعد الاقتصاد الحر ويضر بالمستهلك بل وبالاقتصاد العالمى ككل، يهمهم فى ذلك بالطبع الاقتصاد الأميركى فحسب.

وفى إطار نفس السيناريو، مخطط أنه فور تمكن واشنطن من الاستيلاء على النفط العراقى

ستخفض سعر برميل النفط إلى السعر الذى تراه مناسبا، وهو ما يتراوح بين ١٥ و١٨ دولارا للبرميل، وربما يغريها الوضع إلى تخفيض السعر إلى ما هو أدنى من ذلك إلى حدود ٨: ١١ من الدولارات فقط، وهذا السعر سيصل إليه الأميركان بمضاعفة حجم الإنتاج العراقى وستكون حجتهم فى ذلك هى أن العراق يحتاج إلى عائدات ضخمة لتمويل إعادة إعماره بعد رفع الحصار عنه، لذا فلن يكون من السهل على منظمة الأوبك أن تقنع العراق (إدارته الأميركية) بالالتزام بالحصة الإنتاجية المحددة أسوة بباقى الأعضاء، وبالتالى فسينفلت الموقف داخل الأوبك التى ستفقد عمليا سيطرتها على الأعضاء الذين سيضطرون إلى زيادة الإنتاج لتعويض نقص عائدات التصدير الناجم عن إنخفاض الأسعار بفعل زيادة المعروض، وهكذا ستندلع حرب سعرية حقيقية ستدمر الأوبك، وسيكون الأمر بمثابة كارثة مالية للسعودية ولباقى دول الخليج ولإيران وروسيا وفنزويلا والمكسيك، ولن يجنى ثمار هذه الحرب سوى أميركا ومعها بعض الدول المستهلكة.

ثالثا: فى ظل الضغوط الاقتصادية الأميركية المتتالية والكساد الحالى المسيطر على جميع أجواء الاقتصاد الاميركى، فإن أميركا باستعادتها لعصر النفط الرخيص سينتعش اقتصادها بل سيحقق مكاسب هائلة وفائضا ضخما، حيث أن انخفاض سعر برميل النفط دولارا واحدا يعنى انخفاض مدفوعات واشنطن، فى وارداتها النفطية بمقدار (٤ مليارات دولار) سنويا، أما إذا انخفض بمقدار ١٠ دولارات للبرميل ليدور حول مستوى (١٨ دولاراً للبرميل) فهذا يعنى أن الولايات المتحدة ستكسب من وراء ذلك نحو (٤٠ مليار دولار) فى العام، وكلما انخفض سعر البرميل، كلما انخفض حجم المدفوعات الأميركية على الواردات النفطية.

هذا فى الوقت الذى ستستفيد فيه الشركات الأميركية المستهلكة للنفط وعلى رأسها المجمع الصناعى العسكرى وشركات النقل والطيران والجيش الأميركى والمستهلكون الأميركيون من هذا الربح الذى ستحققه الولايات المتحدة من استعادة عصر النفط الرخيص.

أيضا فإن تلك المكاسب الأميركية الضخمة ستتحقق على أنقاض خسائر الدول العربية المصدرة للنفط، حيث إن انخفاض سعر برميل النفط بمقدار دولار واحد يعنى بالنسبة لها خسارة أكثر من (٦ مليارات دولار) من إيراداتها النفطية فى العام، ويعنى بالنسبة لدولة واحدة انخفاض إيراداتها النفطية بما يتراوح بين (٣,٢,٥ مليارات دولار) سنويا، وهذا يعنى أن الاقتصادات العربية سوف تمنى بخسائر مروعة جراء انخفاض سعر البرميل الى مستوى (١٥ دولارا للبرميل) من مستواه الراهن البالغ فى المتوسط نحو (٢٨ دولاراً للبرميل)، لأن هذا الانخفاض سيعنى خسارة الدول العربية المصدرة للنفط

لنحو (٧٨ مليار دولار) سنويا من إيراداتها النفطية.

بعد هذه المكاسب التى ستعود على الولايات المتحدة الاميركية من احتلال العراق والاستيلاء على نفطه وفى ظل هذه الادارة الاميركية التى تنتمى اغلب واهم رموزها الى شركات النفط، فهل يمكن أن نتجاهل أن يكون النفط هو الهدف الرئيسى والدافع الأهم للحملة الأميركية على العراق، ففى ظل إدارة المحافظين الجدد الذين يبحثون عن تدشين إمبراطورية أميركية تهيمن وتسيطر على مقدرات العالم وذلك بتنفيذ المخططات الموضوعة من قبل الصقور فى هذه الإدارة والتى سبق وأن أوصت بالسيطرة على منطقة الشرق الأوسط ونفطه لضمان استمرار تلك الإمبراطورية، وكذلك فهم يستمعون جيدا وينفذون لنصيحة رئيسهم فى أيام الحرب العالمية الأولى (وودرو ويلسون) والتى تقول (إن التاريخ العالمى لأية أمة سيكون مرهونا بثرواتها النفطية)، لذا فإن نقطة النفط عندهم تساوى نقطة الدم!!

❖ ❖ ❖

الفصل الثانى

من أم قصر إلى الناصرية
صمود أسطورى لجيش العراق

- لماذا لم يستقبل الجيش الأميركى بالورود واستقبلوه بالبارود؟
- استراتيجية أميركية للحرب المتدحرجة فى مواجهة دفاع عراقى ثابت
- كيف استطاعت المقاومة أن توقف الهجوم الأميركى البريطانى فى أم قصر

٢١ يوما قضاها العراق والعراقيون فى مقاومة باسلة وبطولية للحرب العدوانية الشرسة التى شنتها الولايات المتحدة الأميركية وحليفتها الرئيسية المملكة المتحدة لاحتلال العراق.

لكن بغداد احْتُلَّت فى النهاية وكان احتلالها أمراً منطقياً لاختلال موازين القوة، ونظرا لظروف سياسية واجتماعية محلية ،إقليمية ودولية صبت جميعها فى مصلحة اختلال ميزان القوة الأميركية، ورغم قصر الفترة الزمنية لذلك الغزو إلا أن سير أحداث المعارك والمقاومة الأسطورية فى تلك الأسابيع الثلاثة كانت عديدة، ومتلاحقة بصورة قلما تحدث فى حروب تقليدية.

فقد كان افتراض استسلام العراقيين جيشا وشعبا قائما عند بعض المحللين الاستراتيجيين قبل الغزو مستشهدين فى ذلك بما حدث من انسحاب واستسلام القوات العراقية إبان حرب الخليج الثانية ومسترشدين فى ذلك من الكره الذى يبديه أهل الجنوب من الشيعة للنظام العراقى، ولكن الموقف الشيعى الشجاع فى جنوب العراق قلب كافة الموازين، فقد بدأت المقاومة الباسلة فى الجنوب فى المنطقة التى توهمت الولايات المتحدة أنها نقطة الضعف الأساسية والمحورية فى الجسد العراقى، فاتضح عندها زيف تلك الصورة، وتبين أن الجنوب هو محور القوة الأساسية فى العراق الذى عكس شعبه بسالة فائقة من التضحية ونكران الذات للحفاظ على تراب وطنه من الغزو والاحتلال عن أى هدف اخر حتى ولو كان التخلص من ديكتاتورية عريقة وقاسية كصدام حسين ونظامه

لذا انتهى مع الساعات الأولى للغزو هذا التصور الخاطئ الذى افترضته الاستراتيجية الأميركية من أن الحرب سرعان ما سوف تنتهى عقب قصف مركز، ودقيق لمواقع القيادة والسيطرة العراقية.

كان لبسالة تلك المقاومة الشعبية والصدمات المتوالية التى فوجئت بها الولايات المتحدة عند بداية الغزو أثراً رائعاً فى ارتفاع الروح المعنوية لدى الشعوب العربية بأسرها، ولدى الشعب العراقى بصفة خاصة، وظن الجميع أن الولايات المتحدة قد دخلت إلى مستنقع أكثر فتكا من مستنقع فيتنام الذى راح ضحيته ٥٠ألف أميركى، ولكن الأحداث التى شهدتها اخر ايام الحرب فاجأت الجميع بانهيار مأسوى ومحبط للمقاومة العراقية النظامية وبطريقة سريعة وغير متوقعة، فقد اختفى تماما كل المقاتلين العراقيين الذين كانوا ينتشرون بكثافة فى العاصمة العراقية منذ اندلاع المعارك، كما اختفت تماما وحدات الحرس الجمهورى والقوات النظامية واختفت معهم رموز النظام العراقى بشكل اثار الدهشة والتساؤل.

هل هو اختفاء عمدى ومنظم وفق خطة معدة سلفاً وتم اختبارها أكثر من مرة أم هو اختفاء اضطرارى وإجبارى وعشوائى؟

• الحرب النفسية

مهدت الولايات المتحدة لمعركتها ضد العراق بحرب نفسية شعواء وقاسية مورست ضد الشعب العراقى وقياداته فى محاولة لكسب المعركة من قبل أن تنطلق الرصاصة الأولى، فقامت فى البداية ببث دعاية موجهة تمهد الطريق امام قوات التحالف، وذلك عن طريق القاء الطائرات لملايين المنشورات سواء على القوات العراقية، أو فوق المدن على جموع الشعب العراقى والتى تحض على عدم مقاومة جيوش التحالف بل والتعاون معها وحسن استقبالها باعتبارها قوات تحرير وديمقراطية.

كما لجأت الولايات المتحدة إلى أساليب جديدة فى إشاعة الرهبة داخل العراقيين شعبا وجيشا، وذلك من خلال تسمية المعركة باسم «الصدمة والرعب» والإعلان عن أحدث ما فى ترسانة الأسلحة الأميركية من ذخائر فتاكة بل واطلاق عدة مسميات عليها مثل إطلاق اسم (أم القنابل) على أحدث وأقوى القنابل الضخمة وبث الشائعات عن نية الولايات المتحدة استخدام القنابل النووية التكتيكية للقضاء على المواقع الحصينة للقوات العراقية، والكثير من تلك الأساليب وذلك كله من أجل إخماد الروح المعنوية لدى المحارب العراقى سواء أكان نظامياً أو ملتحقا بإحدى المليشيات العسكرية وحتى لدى المواطن العراقى العادى.

وعمدت الولايات المتحدة على تسريب سيناريوهات المعركة عن طريق التصريحات العديدة لكبار الشخصيات العسكرية فى وزارة الدفاع، والتى عملت من خلال تلك التصريحات على زعزعة ثقة المقاومة العراقية عن طريق القول بأن حرب الصدمة والترويع ستكون أكثر الحملات الجوية شمولاً فى تاريخ الحروب، وكيف انه سيتم تدمير القصور الرئاسية ومناطق القيادة والسيطرة ومنصات الدفاع الجوى ووحدات الحرس الجمهورى، وأن كثافة وقوة النيران الهائلة ستكون معها مقاومة الجيش العراقى ضعيفة وغير مجدية لدرجة تصريح احد مسئولى وزارة الدفاع بان الحرب ستكون سريعة ومكثفة لدرجة تجعل العراقيين عاجزين عن معرفة ماذا أمامهم.

وبلغت ذروة التهديد والحرب النفسية بتصريح صدر عن وزير الدفاع الأميركى دونالد رامسفيلد الذى حث الجيش العراقى على عصيان قياداته مهدداً بأن الجيش الأميركى سيشن هجوماً لم يسبق له مثيل، وانه مالم يتنح القادة العراقيون فسوف نستخدم القوة بحجم ونطاق لم يسبق أن استخدم فى حرب أخرىً، ايضا دعا رامسفيلد المواطنين العراقيين إلى البقاء فى منازلهم والإبتعاد عن الأهداف العسكرية والاستماع إلى الإذاعات الموجهة لتلقى التعلمات من قوات التحالف.

كذلك حاول الجيش الأميركى التأثير على النفسية العراقية بالقول بأنه فور صدور أمر شن الحرب سيبدأ الجيش بقصف جوى شديد ومتواصل لإقناع الجيش العراقى بأنه لا جدوى من المقاومة وفى محاولة لإيهام العراقيين أن الحرب موجهة فقط ضد النظام العراقى صرح الجنرال ديفيد ماكيرنان بأنه من المشكوك فيه أن يؤيد الشعب والجيش العراقى صدام فى هذا الوقت كما أشاعت الولايات المتحدة أن الآلاف بل الملايين من الشعب العراقى سوف ينزحون من العراق فور انطلاق أول قذيفة فى الحرب، وبالفعل ومع كثرة ترديد تلك الشائعات توهم العالم بأن الشعب العراقى بأثره سوف يفر مع بداية المعركة، وقدرت الأمم المتحدة عدد النازحين الفارين بحوالى مليونى عراقى أعدت لهم عدة معسكرات فى الدول المجاورة كالأردن والكويت وايران وتركياً ولكن بقيت تلك المعسكرات خاوية طوال أيام المعركة بل شهد العراق موجة من النزوح العسكرى خاصة من الاردن وسوريا للآلاف من العراقيين فى الخارج الذين عادوا إلى بلادهم للمشاركة فى مقاومة الغزو.

ومع بداية اللحظة الأولى لاندلاع العمليات العسكرية صعدت الولايات المتحدة من حملتها النفسية ضد الشعب العراقى، ففى توقيت متزامن مع الضربة الأولى فجر ٢٠مارس تمكن الجيش الأميركى من التشويش لدقائق على موجات الإذاعة العراقية، وأعلن مذيع باللغة العربية عما سماه بذوغ الفجر الذى كنا بانتظاره كما روجت الولايات المتحدة لشائعات عديدة تتحدث عن هروب عدد من القيادات العراقية وكانت أبرز هذه الشائعات تلك الشائعة التى تحدثت عن هروب نائب رئيس الوزراء العراقى طارق عزيز ولجوئه إلى المناطق الكردية، وحزر من ذلك مع القاء نحو مليونى منشور فى اليوم الأول للهجوم دعت فيه القوات الأميركية الشعب العراقى إلى الإنتفاضة ضد صدام حسين ونظام حكمه، وحذرت فيه الجيش العراقى من مغبة استخدام اسلحة الدمار الشامل أو حرق آبار النفط

• مفاجأة المواطن العراقى

رغم تلك الحملة النفسية المرسومة بعناية لإرهاب الشعب العراقى اتضح، ومع اليوم الأول للقتال بأن الجندى العراقى ومعه المواطن العراقى هو مفاجأة الحرب، والتى قلبت موازين الاستراتيجية الأميركية، فقد ظل الجندى والمواطن العراقى متماسكا ضد تلك الحملة النفسية العنيفة مدفوعا بتراث حضارى عريق وبوعى تاريخى بحتمية الدفاع عن أراضيه وبلاده مهما كانت الظروف القاسية التى يعانيها، ومهما واجه من قوة وجبروت من قبل المعتدى الغاصب لذا تبخرت الأوهام الأميركية بانهيار المقاومة عقب القصف الجوى، كما ظهر المعدن الحقيقى للمواطن العراقى الذى فضل

الصمود داخل المدن العراقية وعلى رأسها بغداد وعدم النزوح منها رغم القصف الجوى العنيف الذى طال الأهداف المدنية قبل الأهداف العسكرية.

وصدمت الولايات المتحدة بخيبة ظنها حين حاولت الإيحاء للعراقيين، بل للعالم أجمع بأن المعركة ليست غزواً وإنما تحريراً للشعب العراقى، وأن الجيش الأميركى سَيُسْتقبل بالورود والرياحين استقبال الفاتحين المحررين، كما خاب أمل الولايات المتحدة فى محاولة اللعب على الوتر الطائفى بزعم ان مدن الجنوب ذات الأغلبية الشيعية سوف تنتفض بمجرد اقتراب القوات الأميركية مما يؤدى إلى استسلام مدن الجنوب أم قصر والبصرة والناصرية والنجف دون قتال.

من هنا ولتلك الأسباب جميعها حاز المواطن العراقى على احترام كافة شعوب العالم التى اعترفت له بالشجاعة والبسالة فى مواجهة أكبر قوة عسكرية فى العالم، بل وصل الأمر إلى اعتراف كبرى الصحف والمجلات الأميركية ان القوات الأميركية واجهت مقاتلاً عراقياً يختلف تماماً عن ذلك الذى واجهته مسبقاً فى حرب الخليج الثانية.

• الاستراتيجية العراقية فى مواجهة الخطة الأميركية

اعتمدت الخطة الأميركية على استراتيجية «الحرب المتدحرجة» وهى إدارة المعارك كالطاحونة التى تدور بكل قوتها حيث تندفع القوات من كل اتجاه إلى الأمام حيث تبدأ الحرب بضربات جوية وصاروخية عنيفة خاصة على بغداد العاصمة، يتبعها اندفاع سريع من كافة الاتجاهات صوب بغداد، وبحيث يدور القتال على كافة الجبهات، وفى ذات الوقت وعلى اتساع مسرح العمليات العراقى، وبحيث تهاجم بغداد من الجنوب والشرق والغرب وأيضا من جهة الشمال إلا أنه قد حدث تغير استراتيجى فى العمليات سببه عدم سماح تركيا باستخدام أراضيها كمعبر للفرقة الرابعة مشاة الأميركية، والتى استهدفت مهاجمة العراق من الشمال، لذا تم الهجوم البرى فقط من الجنوب وقد كان الهدف الرئيسى من تلك الخطة الضغط على القوة العراقية المقاومة سواء أكانت نظامية أو ملحقة بالمليشيات العسكرية الشعبية مما يؤدى إلى إرباكها وتفتيتها وعزلها.

وكانت الخطة الموضوعة سلفاً تنص على إسقاط أكثر من ٣٠٠٠ قنبلة من القنابل الذكية الموجهة عالية الدقة و٨٠٠٠صاروخ كروز بأنواعها المختلفة لتصب جميعها على أماكن القيادة والسيطرة، وخاصة حول بغداد العاصمة، وذلك خلال الـ٤٨ساعة الأولى فى الحرب بهدف إحداث ما أسموه «بالصدمة والترويع» وذلك املاً فى أن يؤدى ذلك تدمير الدفاعات الارضية فى بغداد ومحيطها مع تحطيم غالبية الأهداف العسكرية الهامة على المسرح العراقى وأهمها وحدات الحرس الجمهورى

التى تدافع عن العاصمة وتحيط بها، واحداث حاله من الشلل على كافة وسائل السيطرة للقوات العراقية مما يمهد مسرح العمليات تماما للزحف البرى الذى يتم من قبل القوات الأميركية والبريطانية املا فى استسلام سريع للقوات العسكرية العراقية عقب الهجوم المتزامن على الأراضى العراقية من عدة اتجاهات، وفى وقت واحد وباستخدام وحدات المدرعات والقوات الخاصة، والمظليين مع ارسال وحدات خاصة للإستيلاء والسيطرة على حقول البترول فى الرميلة بالجنوب وكركوك والموصل فى الشمال.

وقد تم تقسيم ما بين القوات الأميركية والبريطانية فكان من واجب الفرقة البريطانية (جرذان الصحراء) العمل من اتجاه أم القصر ثم التقدم إلى شبه جزيرة الفاو، وصولاً إلى البصرة ثانى أكبر المدن العراقية، أما الفرق الأميركية فقد كانت مهماتها التحرك وبسرعة من أم القصر إلى الناصرية المدينة الجنوبية الهامة، ومنها تتحرك قوات الفرقة الثالثة مشاة ميكانيكى، والفرقة ١٠١المحمولة جوا باتجاه النجف ومنها إلى كربلاء وصولاً إلى مشارف العاصمة بغداد، أما الفرقة الأولى مشاه البحرية (المارينز) فكانت مهمتها عبور «المعبرين» الرئيسيين على الفرات لتشق طريقها شرقاً نحو الكوت، ومنها إلى بغداد لإحكام السيطرة فيما يعرف باستراتيجية الكماشة.

• الخطة العراقية

فى المقابل اعتمدت الخطة العراقية على التقدير الكامل لحجم القدرات العسكرية المحدودة للعراق قياسا لحجم وتجهيزات القوات الأميركية والبريطانية، إضافة إلى الفارق التقنى الواسع بين نوعية الاسلحة الأميركية فى مواجهة مثيلاتها العراقية، لذا اعتمدت الاستراتيجية العراقية على تركيز معظم قوات الحرس الجمهورى فى عدة نطاقات حول بغداد، تشكل قوساً واسعاً فى مواجهة القوات الأميركية مع تجنب الخروج لمواجهة القوات الأميركية فى الصحراء تجنبا لحرب مكشوفة جوياً نتيجتها معروفة مسبقا، كما حاولت الاستراتيجية العراقية جر القوات الأميركية إلى مواجهات داخل المدن تدور فيها حرب عصابات عنيفة لإحداث أكبر قدر من الخسائر فى صفوف قوات التحالف، لذلك اعتمدت الاستراتيجية العراقية على نظام اللامركزية الدفاعية، وذلك بتحويل مدن العراق إلى مجموعة من الجزر المستقلة دفاعياً مع تجهيز تلك المدن بالموارد الغذائية المتاحة لمقاومة قد تمتد لعدة شهور.

وفى محاولة لتلافى القصور الواضح كما وكيفا للقوات المسلحة العراقية فى مقابل التفوق الكاسح لقوات التحالف، بادرت القيادة العراقية بتسليح معظم أعضاء حزب البعث، وتكوين مليشيات

عسكرية مثل (فدائيى صدام) وغيرها لحماية المدن العراقية، خاصة الجنوبية منها مثل البصرة والناصرية فكانت المقاومة الشعبية هى مفاجأة الحرب الثانية بعد مفاجأة صمود المواطن العراقى.

• المقاومة الشعبية

تعد مسألة المقاومة الشعبية من الظواهر القديمة تاريخيّاً فكثيرا ما هبت الشعوب لمواجهة المعتدى الغازى وتذكر كتب التاريخ كيف نجحت المقاومة الشعبية فى دحر العدوان الإنجليزى عن مدينة رشيد المصرية ومن ثم انسحاب فلوله هاربة من كافة الأراضى المصرية.

وفى العصر الحديث عادت تلك الظاهرة للبذوغ بقوة وبصورة حديثة فى ظل توالى أحداث الحرب العالمية الثانية فتحت الضربات العنيفة للجيش النازى بزعامة هتلر وافقت عدة حكومات أوروبية ومنها فرنسا على التسليم، وإيقاف العمليات الحربية بعد هزائمها العسكرية أمام الجيوش النازية غير أن عناصر وطنية عديدة رفضت الرضوخ لهذا الأمر، وقررت متابعة الكفاح المسلح، وهذا ما أقدمت عليه «القوات الفرنسية الحرة» بقيادة الجنرال ديجول.

لذا حاولت المواثيق الدولية تعريف المقاومة المسلحة، فالقواعد التقليدية لقانون الحرب ميزت بين فئتين من الناس: المحاربون الذين تتكون منهم القوات المسلحة للدول، وغير المحاربين الذين يمثلون السكان المدنيين، لذا عدلت تلك الاتفاقيات، وتم الاعتراف بالمقاومة الشعبية واسباغ صفة المحاربين غير النظاميين على المقاومة

- وذلك فى حالتين.

أولهما: هبة الشعب فى وجه العدو وهى انتفاضة السكان فى وجه العدو الغازى بناء على دعوة من حكومتهم، وانضمامهم إلى التنظيمات العسكرية التى تنشئها الحكومة للدفاع عن الوطن، وهو ما تمثل فى حالة كتائب فدائيى صدام وجيش القدس وغيرها.

أما الحالة الثانية: فتتعلق بفصائل المتطوعين وهى تتكون من أفراد يشتركون طوعا فى العمليات الحربية دون أن يكونوا أعضاء فى أية وحدة من وحدات الجيش النظامى وهو ما تمثل فى الآلاف من المتطوعين العرب الذين تدفقوا على العراق فى محاولة لوقف الغزو الأميركى عليها، من هنا يتبين نجاح العراق فى توظيف كافة الإمكانات المتاحة لديه فيتم استغلال وتوظيف الميليشيات العسكرية كفدائيى صدام وجيش القدس الشعبى بالاضافة إلى المتطوعين العرب فى وقف تقدم الجيش الأميركى فى الجنوب، وقدمت تلك الميليشيات اروع الأمثلة فى التضحية والفداء، ومثلت عقبة خطيرة لم تتوقعها الخطة الأميركية، وحارت فى التعامل معها حتى قرب انتهاء المعركة وقد ساعد

على توظيف تلك الميليشيات نجاح الخطة العراقية فى توفير القدرات والإمكانيات القتالية لكل مدينة رئيسية من المنتظر تعرضها للهجوم ووفرت لهذه المدن أعداداً متواضعة من القوات المسلحة النظامية مع الاعتماد بصفة اساسية على الميليشيات الشعبية والفدائيين مع اعداد المدن لحصار طويل قد يمتد لعدة اشهر من خلال تخزين كل احتياجاتها من المواد الغذائية والتموينية والذخائر التى تمكنها من الصمود لفترة طويلة.

وبتجميع كافة النقاط السابقة يتضح أن استراتيجية المقاومة العراقية تمثلت فى أربع نقاط رئيسية:

١- الصمود لأقصى فترة ممكنة مع الاستفادة من عامل الزمن الذى يؤثر إيجابا فى الجانب العراقى وسلبا فى الجانب الأميركى الذى يقاتل فى أرض ومناخ وبلاد غريبة عليه.

٢- الاعتماد على محاولة تكبيد الجانب الأميركى أكبر قدر ممكن من الخسائر البشرية لعلم العراقيين بما يحدثه ذلك من تأثيرات سلبية عنيفة داخل المجتمع الأميركى.

٣- اعتمدت الخطة العراقية على أنه مع طول أمد المعركة فانه قد يمكن الاعتماد على تحرك المجتمع الدولى لإنقاذ العراق من خلال اجتماع لمجلس الأمن أو حتى للجمعية العامة للمطالبة باتخاذ قرار لوقف إطلاق النار.

٤- لوحت وروجت القيادة العراقية الصمود طويل الأمد فى معركة بغداد باعتبارها المعركة الحاسمة والنهائية، ولم يكن ذلك صحيحاً لإدراك القيادة العراقية أن الحرب على بغداد العاصمة بدأت منذ أول لحظة (فجر ٢٠مارس) واستمرت طيلة الأسابيع الثلاثة بعكس ما يعتقد البعض بأن المعركة بدأت يوم ١٦أبريل، فالواقع أنه عندما وصلت القوات الأميركية على مشارف بغداد كانت المعركة قد انتهت، وبدأت إعمال وتفعيل خطة أخرى هى الاختفاء من مسرح العمليات المركزى (بغداد) والظهور فى أماكن أخرى، وقد اعترف رامسفيلد لمحطة (نوكى) الأميركية (٢٠٠٥/٣/٢٠) بان عدم تدخل الفرقة الرابعة مشاه من تركيا فى الحرب ساهم فى إعطاء قيادة الاستخبارات والميليشيات العراقية فرصة إخلاء العاصمة، والانتشار خارجها لادارة المعارك الاستنزافية، ما أطال أمد الحرب وأوقع مئات القتلى والآف الجرحى فى صفوة القوات الغازية.

• القدرات العسكرية لكلا الطرفين

دائماً وأبداً كانت الحروب عبارة عن صراع بين إرادة الطرفين المتحاربين، وكانت الشجاعة مع توافر الإرادة، والنظام تمثل ولا تزال تمثل العامل الأكبر فى حسم الحروب، فكانت الحروب فى مجملها حروبا بين أساليب وارادات الأطراف المتحاربة، ولكن الأمور تغيرت مع بوادر القرن العشرين

فقد ظهر عامل أخر حاسم فى حسم المعارك العسكرية الا وهو عامل الكثافة النيرانية (القدرة النيرانية على حسم المعركة) وفى العقدين الأخيرين اضيف عامل آخر وهو عامل التقدم التقنى فى استخدام وتوجية الأسلحة.

لذا كان من الواجب الإشارة إلى الفرق التقنى أو الفجوة الهائلة بين القدرات التسليحية العراقية فى مواجهة القوة العسكرية الأميركية البريطانية، وليت الأمر ينحصر فقط نوعا كما يبدو ظاهراً فى الجانب التقنى، وانما يتعدى الأمر نوعية السلاح ليصل إلى كمه فحتى عند مقارنة الأسلحة لدى الطرفين نجد المعادلة مختلفة تماما، وترجع كفة الميزان بصورة شاذة لدى القدرة العسكرية الأميركية البريطانية، لذا تبدو المقارنة بين الجيشين مقارنة ظالمة فالجيش العراقى، والذى خاض حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١كانت أحواله وعتاده وتقنية أسلحته فى وضع متطور جداً عما آل إليه الوضع عام ٢٠٠٣، فقد وصل عدد الدبابات لدى الجيش العراقى،عام ١٩٩١إلى ٥٥٠٠دبابة كانت فى وقتها تعد من السلالات الحديثة كما كان يمتلك قوات مسلحة يصل قوامها إلى ٨٠٠ألف مقاتل تتشكل فى عدد ٤٢فرقة مشاة ميكانيكية، و٥فرق مُدرعة علاوة على قوات الحرس الجمهورى التى تتشكل من عدد من الفرق والتى تعد القوة الضاربة فى الجيش العراقى، كما كان لدى العراق كميات ضخمة من صواريخ ارض ارض (سكود) ذات المدى الواسع والتى يمكن ان تصل إلى كافة دول الجوار، كما كانت القوات الجوية تحتكم على أكثر من ٥١٧طائرة، أما الجيش العراقى وبعد أكثر من عشر سنوات من الحصار الظالم عاد ليخوض نفس المعركة مع نفس العدو القديم ولكن بقوات لم يتعد قوامها ٣٥٠ألف مقاتل ولم يعد يمتلك الجيش سوى ٢٢٠٠ دبابة معظمها صار قديما ومتهالكاً بدون قطع غيار و٢٠٠٠عربة وناقلة جنود، و١٥٠٠مدفع هاون كما دمرت كافة صواريخ أرض أرض الهامة لديه حتى صواريخ الصمود ذات المدى القصير ١٢٠كم تم تدميرها قبل خوض المعركة، أما القوات الجوية فلم يعد لديها سوى ١٢٠مقاتلة متهالكة وغير صالحة لخدمة معارك فى مواجهة أحدث طائرات فى العالم بالاضافة لكافة تلك العوامل تأثرت ايضا الكفاءة الفنية للجيش العراقى بسنوات الحصار الطويلة فعلى مدار عشر سنوات كاملة كان العراق ممنوعا من استيراد اى قطع غيار، أو اى مواد تسليحية من أى جهة مما انعكس بالتالى على الكفاءة الفنية لتلك الأسلحة.

أما أهم وحدات الجيش العراقى وأفضلها تسليحا فهى وحدات الحرس الجمهورى وهى كالتالى:

أ- الحرس الجمهورى الخاص:-

ومقره بغداد ويبلغ حجم تلك الوحدة ١٥ألفا وتتكون من أربعة ألوية مشاه ووحدة مدرعة، ووحدة

للدفاع الجوى أما تسليحها فيعتمد على الدبابات الروسية ت-٧٢ والحرس الجمهورى الخاص هو الوحده العسكرية الوحيدة المسموح لها بالتواجد داخل بغداد وينتمى كل اعضائها تقريبا لقبيلة بونار التى ينحدر منها الرئيس العراقى.

ب- الفيلق الشمالى

ويبلغ قوامه ١٠ آلاف جندى ويتكون من فرقة (المدينة المنورة) المدرعة و(فرقة عدنان) الآلية وفرقتا مشاة العابد وبغداد، ويتكون تسليحها من دبابات ت٧٢ ومدفعية ذاتية الدفع وعربات مشاة سوفيتية الصنع، ومعظم هذه الأسلحة من انتاج السبعينيات ولم يطرأ عليها أى تحديث بسبب الحصار.

ج) الفيلق الجنوبى

ومقره جنوب بغداد ويتكون من فرقة النداء المدرعة وفرقة حمورابى الآلية وفرقة مشاة نبوخدنصر وتمتلك نفس التجهيزات العسكرية لباقى فرق الحرس الجمهورى

• الدفاع الجوى

أما الدفاع الجوى والذى كان يعد من أقوى تشكيلات الوحدات العسكرية العراقية، فقد تضرر كثيراً عقب حرب الخليج الثانية، ولكنه طور من استراتيجيته تبعا للموقف الآنى فأصبح عمله يعتمد على القدرة الفائقة على التحرك من موقع إلى آخر فى فترات زمنية قصيرة.

أما أنظمة تسليحه فتعتمد على صاروخ أرض جو (سام) وبطاريات مدفعية مضادة للطائرات أما أخطر الأسلحة التى شكلت تهديداً للقوات الأميركية وعملت منذ البداية على تحيدها فهى سلاح الدفاع الجوى «شيلكا» ذات الفوهات الرباعية ٢٣مللى والتى يتم حملها على عربات مجنزه وهى مزودة باجهزة رادار للتوجيه الذاتى.

• قوات الغزو

إذا انتقلنا إلى الجانب الآخر من الصراع نجد الولايات المتحدة قد أتت بقوات يبلغ قوامها الـ٣٠٠ألف مقاتل، بالإضافة إلى أكثر من ١٠٠٠طائرة مقاتلة و١٢٥٠طائرة هليكوبتر و٥فرق مدفعية جاهزة للقتال وتتألف قوات التحالف من:-

١- الفرق الثالثة مشاة ميكانيكى مدرعة

وهى وحدة تحرك سريعة تضم أسلحة الفرقة دبابات من طراز ابرامز، وعربات نقل جنود مدرعة من طراز برادلى ومروحيات اباتش هجومية من احدث طراز وكلها مزوده باجهزة تشويش على الرادارات.

٢- الفرقة الرابعة مشاة مدرعة

وتسمى باللواء الحديدى، وتتكون من كتيبتى مشاه، كتيبة دبابات - كتيبة مهندسين - كتيبة للبحث وكتيبة للمعاونة، وتحتوى الفرقة على وحدات استطلاعية وفرقة للحماية الجوية

٣- الوحدة ١٨٢المحمولة جوا

وعددها ٥٠٠٠مظلى وتتكون من فريق للاستطلاع، ويتم إنزال الجنود عن طريق الطائرات أو الإنزال المظلى أو عن طريق طائرات الهيلكوبتر وقد كلفت تلك الفرقة بالعمل فى غرب العراق وتمكنت من الاستيلاء على مطارى H2 ،H1 ثم واصلت القتال للسيطرة على طرق الإمداد من اتجاه الغرب، وحاولت إغلاق الطرق التى تربط سوريا بالعراق وعملت هذه القوة أساسا لحماية اسرائيل من خلال تمشيط المنطقة الغربية التى انطلقت منها مسبقا صواريخ أرض أرض فى اتجاه إسرائيل فى حرب الخليج الثانية (١٩٩١).

٣- الوحدة ١٧٣مظلات

وعملت تلك الوحدة اساسا فى الشمّال العراقى ونجحت فى الاستيلاء على مطارات كركوك والسليمانية واربيل بمساعدة من القوات الكردية.

٤- الفرقة الأولى مشاه أسطول (المارينز)

وهى من اقوى الفرق الأميركية، وأكثرها عدة وعتادا وأكثرها تجهيزا واستعدادا للقتال تحتوى تجهيزات الفرقة على كافة ما لدى الولايات المتحدة من امكانيات تسليحية.

٥- الفرقة ١٠١المحمولة جوا

وهى الفرقة الوحيدة فى العالم القادرة على نشر الآلاف من القوات الهجومية على مسافات بعيدة وراء خطوط المواجهة، ولدى الفرقة التى تعرف باسم (النسور الزاعقة) أكثر من ٢٨٠طائرة مروحية و٣ أسراب من مقاتلى الأباتش.

كما شاركت فى الحرب ايضا الفرقة البريطانية المدرعة المعروفة باسم (جرذان الصحراء) وهى واحدة من أفضل الفرق فى الجيش الإنجليزى واقواها فاعلية وعتادا.

وبالاضافة لكافة تلك القوات ارسلت الولايات المتحدة ٦حاملات طائرات تعد كل واحدة منها بمثابة قاعدة عسكرية كاملة وتشكل كل واحدة منها مطاراً عائماً ولا تتحرك حاملة الطائرات بمفردها، بل تتحرك وسط مجموعة من السفن الحربية والمدمرات وسفن الامداد والغواصات وبذلك تشكل كل حاملة منها جيشا صغيراً يحتوى على كافة أنواع الأسلحة والذخائر.

• القوات الجوية

أما القوى الهجومية الجوية فهى وحدها كافية لترجيح كافة القوات الأميركية فى أى معركة تخوضها. فإجمالى عدد الطائرات على متن الحاملات الست بالإضافة إلى طائرات «الشبح» التى تتحرك من مواقعها فى جزيرة ييجو جارسيا فى المحيط الهندى وطائرات ب٥٢ العملاقة التى تنطلق من قاعدة فيرفورد فى إنجلترا بالإضافة إلى ألفى طائرة انواع F15 وتوريندو وF18 وغيرها.

كانت جميعها أبلغ دليل وإشارة على عنف الحملة الجوية الساحقة التى مورست ضد العراق، هذا بالإضافة إلى الصواريخ الهجومية وأشهرها كروز والقنابل الذكية التى تصل وزن الواحدة منها ١٠ آلاف كيلو جرام وتكفى الواحدة منها لتدمير ٢٠شارعاً وقد استخدمت فى إبادة وحدات الحرس الجمهورى المحيطة ببغداد قبل بدء الاقتحام البرى، وهى تكفى لتذويب الحديد فى الدبابات فى مسافة ١٠كيلو مترات مربعة، وقد ألقيت المئات منها خلال فترة الحرب على مناطق تمركز وحدات الحرس الجمهورى.

• عملية قطع الرأس

بدأت الحرب فجر الجمعة كما كان مخططاً لها، بهجوم جوى عنيف ومركز يهدف إلى تدمير الدفاعات الجوية، وتمهيد الأرض للهجوم البرى، وقد كان من المتوقع أن تبدأ الهجمة الجوية الصاروخية حسب ما صرحت به المصادر الأميركية بحوالى ٣٠٠٠صاروخ كروز وقنبلة ذكية خلال اليومين الأولين للقتال، ولكن الهجوم بدأ فعلياً فى الساعة الرابعة والثلث من فجر الخميس ٢٠مارس وبعد مضى ساعة و٤٠دقيقة من المهلة التى حددها الرئيس الأميركى جورج بوش لرحيل الرئيس العراقى من العراق، وذلك عندما رصدت المخابرات الأميركية وجود صدام حسين وبعض أعضاء القيادة العراقية وهم يدخلون إلى أحد القصور للاجتماع، لذا كان القرار بتعجيل الضربة الأولى، ولسبب محدد وهو محاولة قطع الرأس، لذا لم يزد حجم الضربة الصاروخية الأولى عن ٤٠صاروخا فقط من طراز توما هوك تم إطلاقها من القطع البحرية الموجودة فى الخليج العربى والبحر الأحمر، وكانت تلك الضربة بمثابة محاولة لإصابة رموز القيادة العراقية على أمل إنهاء عملية السيطرة على القوات العراقية بصورة سريعة، وكسب الحرب كما هدفت تلك العملية تليين الدفاعات الأرضية بتدمير مراكز القيادة، كما كان للضربة هدف آخر وهو استكشاف مواقع الدفاع الجوى العراقية حول العاصمة بغداد، حيث تحاول تلك الدفاعات مقاومة الطائرات ومحاولة إسقاط الصواريخ، وهنا تلتقط الأقمار الصناعية، ووسائل الرصد الأخرى الاشعاعات الصادرة عنها وتحدد مواقعها بدقة، ومن ثم تضعها كأهداف محددة للتدمير.

إلا أن العملية كانت فى مجملها فاشلة فقد فشلت الضربة الصاروخية فى اصطياد صدام وكبار معاونية، كما احتفظت قوات الدفاع الجوى بقدرتها الدفاعية لفترات طويلة بعد تلك الضربة، واستطاعت أن تسقط عدداً من أحدث الطائرات الأميركية والبريطانية.

• الصدمة والترويع

فى الثانية ظهراً من يوم الجمعة ٢١مارس بدأت الولايات المتحدة فعليا خطتها المسماه بالصدمة والترويع حيث أقلعت القاذفات الثقيلة من طراز بـ٥٢ المحملة بصواريخ توماهوك وبحوالى ٢٤٠الف طن من القنابل من قواعدها فى فيرفورد فى انجلترا متوجهة نحو العراق وبعد ٦ساعات وفى الثامنة مساء تماما، بدأت عملية الصدمة والترويع والتى استهدفت بغداد فى الأساس، حيث قصفت العديد من قصور الرئاسة ومقرين لحزب البعث الحاكم وجهاز المخابرات العراقى بوسط بغداد ومبنى وزارة الدفاع ووزارة التخطيط وهى مواقع الحرس الجمهورى حول طوق بغداد، كما تم قصف كافة مواقع الدفاع الجوى على امتداد اراضى العراق وبلغت ضراوة تلك الضربة إلى حد وصف فيه المراسلون ووسائل الاعلام ان ما تم يعد بمثابة حرق لبغداد حيث اندلعت ألسنة الدخان واللهب فى سماء المدينة. وقال احد المراسلين أن كمية الصواريخ والقنابل التى هطلت على بغداد فى ذلك المساء تعادل ٣ أضعاف قنبلة هيروشيما النووية.

• المعركة البرية

أما المعركة البرية فقد سبقت وعلى خلاف كل التوقعات ،والتحليلات ذلك الهجوم الجوى فقد بدأت الحملة البرية صباح يوم الجمعة بينما بدأ القصف الجوى مساء ذات اليوم وبدأت الحملة البرية بعبور كل من طلائع الفرقة الثالثة مشاة والفرقة الأولى مارينز للحدود العراقية وتحت ستار من القصف المدفعى المكثف انطلاقا من أم القصر فى طريقها إلى مدينة الناصرية حيث بدأت تلك القوات فى الزحف السريع داخل الأراضى العراقية وبسرعة تتراوح ما بين ٤٠و٥٠كم فى الساعة، ومع حلول اليوم الثانى للمعركة توغلت القوات الأميركية فى جنوب العراق بطابورين مدرعين احدهما يسير بمحاذاة نهر دجلة فيما يتقدم الأخر بمحاذاة نهر الفرات فى ظل مقاومة شبة معدومة لأنها تحركت فى ارض مكشوفة وفى الساعات الأولى من المعركة قطعت القوات الأميركية حوالى ٣٦٧كم فى عمق أراضى العراق، وهو رقم قياسى لتقدم قوات عسكرية فى أرض معادية، ولم يكن ذلك التقدم السريع للقوات الأميركية إلا نتيجة منطقية لما أملته ظروف المعركة، فلم يتن باستطاعة

المقاومة العراقية التصدى لتحركات كل من الجيشين الأميركى والبريطانى فى ساحة الصحراء المفتوحة حيث التفوق الجوى والسيادة التامة على مسرح العمليات لقوات التحالف المدعومة بغطاء جوى على درجة عالية من القوة وسرعة التحرك والكثافة النيرانية بما يفوق قدرة المقاومة العراقية على الاحتمال، لذا كانت حركة الجيشين الأميركى والبريطانى بلا مقاومة تقريباً.

من هنا توقعت المصادر الأميركية أن تصل طلائع القوات الأميركية إلى بغداد فى غضون ثلاثة أو أربعة أيام من بدء المعركة.

ومع نهاية اليوم الثانى من المعارك أعلنت القوات الأمريكية إحكام قبضتها على الناصرية التى تقع على بعد ٣٢٠ كم جنوب شرق بغداد، بالإضافة إلى إحكام السيطرة على البصرة وكانت الخطة الأمريكية تستهدف السيطرة على الناصرية باعتبارها مرتكزاً رئيسيا للقوات الأمريكية المتجهة نحو بغداد حيث تقع المدينة على نهر الفرات ويتواجد بها جسران هامان بالاضافة الى جسر جديد آخر اقامته القوات الامريكية لعبور النهر الى الضفة الغربية.

وفى سبيل تحقيق ذلك خاضت القوات الأمريكية معركة ضخمة وشرسة مع المقاومة العراقية من اجل السيطرة على الكوبريين المقامين على نهر الفرات وذلك بعد أن سيطرت على المطارين الموجودين بها، ومن الناصرية اتخذت الفرقة ١٠١ والفرقة الثالثة مشاة طريق النجف/كربلاء من اتجاه الغرب وصولا إلى بغداد، فيما اتخذت قوات المارينز اتجاه الناصرية - الكوت، ومنها الى بغداد عن طريق الشرق، مع تلك الاندفاعة السريعة والتى لم يتخللها أية عقبات أو حواجز ظهرت عبقرية الاستراتيجية العراقية التى عملت على اختراق صفوف القوات الامريكية، ونجحت فى قطع طريق الامداد والتموين عنها لفترات طويلة نسبيا، إلا أن ذلك لم يمنع مقدمة القوات الامريكية المهاجمة من التقدم فى اتجاه الشمال صوب مدينة النجف على بعد ١٠٠ كم فقط جنوب بغداد.

ومع اتضاح معالم الخطة العراقية سرعان ما عدلت القوات الامريكية التى تتصف بالمرونة من استراتيجيتها ونتيجة الاستعانة بالأقمار الاصطناعية وخرائطها الدقيقة تدفقت القوات الأمريكية فى عدة قوافل مختلفة وسلكت خلال تحركها فى الطريق نحو بغداد طرقا وعرة غير معروفة حتى تتجنب المرور من المدن والبلدان المأهولة بالسكان، مع ذلك وبحلول يوم السبت ٢٩ مارس اعترفت القوات الامريكية وللمرة الأولى أنها قد انغرست فى مستنقع دورحلة كبيرة نظرا لصعوبة تأمين خطوط القوات الأمريكية التى وصلت الى ٤٠٠ كم والتى تعرضت لهجمات عراقية بطولية قطعت عن القوات الأمريكية الامدادات لدرجة حدوث

نقص حاد فى الإمدادات خاصة الغذائية منها، مما استدعى توزيع وجبتين فقط على الجنود كل ٣٦ ساعة بدلا من ٣ وجبات كل ٢٤ ساعة، ومع حلول اليوم العاشر من المعارك البرية أجبرت المقاومة العراقية الشرسة القوات الامريكية على وقف الزحف صوب العاصمة العراقية بغداد قرابة الـ ٦ ايام انتظارا لوصول تعزيزات عسكرية جديدة ولتأمين خطوط الامداد الطويلة التى اصبحت هدفا اساسيا للمقاومة مما حدا بالرئيس الامريكى جورج بوش الى الاعتراف بأن المعارك الجارية فى العراق ضارية ومن المتوقع ان تستمر لفترة طويلة.

• أسطورة أم قصر

مدينة أم قصر العراقية هى إحدى المدن الهامة فى الجنوب فرغم صغر حجمها وقلة كثافتها السكانية إلا أنها تتميز بموقع استراتيجى غاية فى الخطورة، فهى الميناء العراقى الوحيد على المياه العميقة، ومنها يتم التحكم فى الدخول من الخليج نحو الساحل العراقى وهى منفذ العراق البحرى الوحيد والموجود فى نهاية الطرف الشمالى للخليج، وقد كان من المتوقع أن تكون أم القصر هى الهدف الأول لقوات التحالف لما يتبع سقوطها من حرمان العراق من منفذه البحرى الوحيد، وبما يساعد على حصارة بريا وبحريا فى ظل سيادة جوية لقوات التحالف، كما أن سقوط هذا الميناء سوف يساعد قوات التحالف على نقل القوات والإمدادات إلى مسرح العمليات وبالفعل تم الإعلان عن سقوط مدينة أم قصر فى اليوم الأول للقتال ومعها مدينة الفاو الاستراتيجية.

• مثلت المقاومة العراقية الباسلة فى أم قصر

استراتيجية المقاومة العراقية اتضحت كأبلغ مايكون فى الأحداث التى تلاحقت فى الأيام الأولى للغزو، فرغم الإعلان عن سقوط أم قصر إلا أن المقاومة العراقية الباسلة ظلت صامدة داخل المدينة لأيام عديدة استعصت معها كافة الإمكانيات العسكرية لقوات التحالف عن القضاء عليها، فقد تمكنت المقاومة من التصدى لجيوش الاحتلال من خلال وحدات صغيرة مزودة بأسلحة خفيفة ومتحصنة فى مناطق سكنية، مما ادى إلى صعوبة التعامل معها والتخلص منها رغم تدخل المروحيات.

وقد حاول الجنود الأميركيون والبريطانيون بلا جدوى ولعدة أيام القضاء على جيوب المقاومة العراقية التى أبلت بلاء حسناً خاصة اللواء ٤٥التابع للفرقة ١١مشاة، ومعه فوج من خفر السواحل ممن قدموا نموذجاً فريداً فى الدفاع عن بلدة وميناء أم قصر، وذلك عن طريق استخدام اساليب الخداع والكمائن وحرب العصابات مما مثل إحراجاً كبيراً للقوات الأميركية التى أعلنت مراراً أن

منطقة أم قصر قد اصبحت آمنة وخاضعة للسيطرة ليعاود رجال المقاومة شن هجماتهم المضادة من جديد، لتتضح الخيبة الأميركية فى السيطرة على الميناء، وقد استمر اطلاق النار مع استخدام أساليب الكر والفر لمدة ٥أيام متوالية، مما مثل احراجاً كبيراً للقوات الأميركية خاصة بعد نقل محطة بريطانية على الهواء صوراً لتبادل إطلاق النار فى أم القصر.

وفى يوم الـ٢٤من مارس شنت المقاومة العراقية هجوما كبيرا على المدينة. الأمر الذى أدى إلى مهاجمة الدبابات الأميركية لمناطق سكنية يختبئ فيها حوالى ١٢من رجال المقاومة الذين استمروا فى الدفاع عن المدينة، وقد استمر القتال الشرس لمدة فاقت الأربع ساعات،وبلغت من الحدة والعنف الدرجة التى سارعت خلالها قوات التحالف فى طلب المساعدة من القوات الجوية فقامت طائرات هاريير البريطانية بشن غارتين جويتين اسقطت خلالها قنابل تزن الواحدة ٥٠٠ رطل ومع المقاومة العنيفة التى أبدتها المقاومة والتى اسفرت عن سقوط ٣من الجنود الأميركين والبريطانيين اصدر قائد المنطقة أوامره بقصف مناطق تجمع رجال المقاومة بالطائرات بدلاً من الدخول فى مواجهات عنيفة معهم

وبالرغم من أن القوات البريطانية تمكنت بمساعدة أفراد من المارينز من السيطرة على أم قصر الا ان منطقة سكنية صغيرة فيها تسمى القرية السكانية استعصت تماما على قوات التحالف من خلق جدر ترابية وباستخدام أعمال التمويه والخداع وارتداء الملابس المدنية تمكنت تلك المقاومة من إزعاج قوات التحالف لفترات طويلة وقد قيل الكثير عن سبب صمود وبسالة رجال المقاومة العراقية فى أم قصر الا ان ارجح الاقوال التى فسرت تلك المقاومة الباسلة ارجعتها إلى وجود ٢٠ضابطاً من الحرس الجمهورى العراقى قاموا بتشكيل خلايا مقاومة من فلول القوات العسكرية ومن مليشيات مدينة أخرى ودربوها على حرب الشوارع والكر والفر ثم عملت تلك الخلايا بصورة منفصلة. وبمعزل عن بعضها البعض بحيث لا يؤثر القضاء على احداها بالنيران الأميركية والبريطانية على أداء بقيتها مما جعل مهمة التعامل معها أمراً فى غاية الصعوبة، ورغم علم رجال المقاومة بأن المعركة فى نهايتها محسومة لصالح قوات التحالف إلا أن المقاومة استمرت لفترة طويلة وباسلة ونادرة حتى ان العراق لم تعترف رسمياً بسقوط أم قصر إلا فى الثانى من أبريل؛ أى بعد ١٢يوماً من القتال.

• معركة البصرة

البصرة مدينة استراتيجية هامة، وهى الثانية من حيث الحجم والأهمية بعد العاصمة بغداد،

والبصرة هى درة مدن الجنوب، ومع أول أيام القتال بدأت القوات الأميركية والبريطانية فى اتخاذ مواقعها على الطريق الرئيسى إلى داخل مدينة البصرة مع قصفها بالطائرات والصواريخ حيث وقعت انفجارات ضخمة أضاءت سماء البصرة لدرجة جعلت المراسلين يرون كرات النيران من على بعد مسافات بعيدة عن المدينة، كما قيل ان البصرة قد ضربت بقذيفة أم القنابل المدمرة التى يبلغ وزن الواحدة منها عشرة أطنان إلا أن القوات الأميركية سرعان ما نفت ذلك، ومع حلول اليوم الثانى للغزو أعلنت قوات التحالف أن البصرة قد اصبحت تحت سيطرة على مطار المدينة وأحد الجسور الاستراتيجية بها، وذلك بعد مقاومة وصفتها القيادة الأميركية بالشرسة فيما أعلنت القيادات الأميركية والبريطانية بأن القوات المهاجمة لن تخطط للهجوم على المدينة تجنباً للتورط فى حرب مدن شرسة قد تؤدى إلى خسائر فادحة بقوات التحالف.

رغم ذلك تعرض طابور مدرعات أميركى لقصف عراقى مكثف وعنيف عند تقدمه نحو البصرة، التى تحرك منها منطلقا نحو الشمال وتاركا مهمة حصار المدينة للواء السابع المدرع البريطانى الذى يضم ١٢٠دبابة و١٤٠عربة مدرعة و١٦طائرة هجومية، إلا أن تلك القوات تمركزت خارج المدينة، ومنذ اليوم الأول لذلك الحصار حاولت قوات التحالف شن حرب نفسية قاسية على رجال المقاومة فى البصرة، فأعلن أولا عن مفاوضات تجرى على استسلام سلمى للقوات العراقية المدافعة عن المدينة، ثم إشاعة استسلام الفرقة ٥١من الجيش العراقى والمكلفة بحماية البصرة إلا أن اللواء خالد الهاشمى قائد الفرقة ظهر أمام شاشات التليفزيون ليؤكد استمرار صمود فرقته يندرج فى إطار الحرب النفسية، ورغم اعتراف اللواء الهاشمى بالخسائر التى منيت بها فرقته، إلا أنه قال انه موجود وسيظل موجودا مع رجاله داخل البصرة للدفاع عنها وعن أهلها وعن ثرواتها النفطية.

ومع حلول اليوم الثالث فى المعارك البرية ضربت القوات البريطانية حصاراً شاملاً على المدينة، إلا أن ذلك لم يمنع رجال المقاومة من مهاجمة قوات التحالف المحتشدة حول المدينة حيث لقى اثنان من جنود المشاه المارينز مصرعهم فى قتال ضارى فى ضواحى المدينة الجنوبية فى حين أصيب ثلاثة آخرون جراء إلقاء قنبلة على عربة عسكرية أميركية القاها أحد رجال المقاومة بلباس مدنى.

ومع رابع أيام القتال ونتيجة للصمود العراقى الباهر حاولت المقاومة العراقية تطوير استراتيجيتها وبدأت فى شن هجوم عكسى على قوات وحده جرذان الصحراء البريطانية مما دفع تلك القوات إلى التخلى عن مواقعها، والانسحاب من مشارف المدينة واعادة ترتيب تلك القوات فى

الصحراء القريبة من المدينة فى ظل اعتراف القادة العسكرين البريطانين بانهم قد اساءوا بشكل كبير تقدير قوة المقاومة العراقية المدافعة عن المدينة وان وحداتهم تواجه وضعاً صعباً، فهناك مخابئ أسلحة فى كل مكان، ومن الصعوبة التفرقة بين المدنى والعسكرى فى ظل هجوم رجال المقاومة بملابسهم المدنية للجنود البريطانيين خاصة وان القوات العراقية قد نقلت اسلحتها الثقيلة والدبابات إلى المناطق السكانية فى المدينة..

بعد مرور خمسة أيام من المقاومة الشديدة والباسلة من قِبل رجال المقاومة العراقية أعلنت قوات التحالف تحت وطأة عمليات الهجوم العكسى الضارى انها قد قررت التراجع عن عزل مدينة البصرة وقررت اعتبارها هدفا عسكريا.

ونتيجة للفشل الذى اعترى قوات التحالف فى تعاملها مع المدينة حاولت القوات الغازية اللعب على الوتر الطائفى فادعت بأن هناك محاولات للقيام بانتفاضة ضد النظام فى البصرة، وأنه قد تم إخمادها بالقوة الأمر الذى ثبت عدم صحته فى الأيام التالية من القتال، وبعد مرور أسبوع كامل على فشل القوات البريطانية فى السيطرة على المدينة وفى محاولة لاستغلال النجاحات المتتالية التى حققتها القوات العراقية فى الدفاع عن المدينة، دفعت المقاومة العراقية بقافلة عسكرية تضم نحو ١٢٠دبابة وعربة عسكرية خرجت من البصرة متوجهة نحو شبه جزيرة الفاو لتحريرها، الأمر الذى وصف بأنه خطأ استراتيجى فادح خاصة أن الأقمار الاصطناعية رصدت تلك التحركات، وسرعان ما قامت الطائرات الأميركية والبريطانية بالهجوم على القافلة بقصفها بوابل من الصواريخ مما أدى إلى تدمير الجزء الأكبر من تلك القافلة لكن المقاومة العراقية لم تيأس، ولكنها فى الوقت نفسه لم تتعظ مما حدث فى المرة الأولى فعاودت الكَرَّة بعد مرور عدة ساعات فى محاولة لكسر الحصار عن البصرة فغادرت أرتال من الدبابات والمدرعات من مدينة البصرة فتعرضت لهجوم شرس من طائرات التحالف، والقصف من المدفعية الثقيلة مما أدى إلى تدمير معظم تلك الدبابات وحاملات الجنود عقب اشتباك قصير حيث تم اصطياد تلك المدرعات بطائرات الأباتش التى تمكنت من إلحاق خسائر فادحة بالقوات العراقية.

إلا أن ذلك لم يمنع رجال المقاومة من إبداء بسالة نادرة فى الدفاع عن المدينة، الأمر الذى أدى بالقوات البريطانية إلى الاستعانة بعناصر من الفرقة ١٠١المحمولة جواً لتنفيذ عدة مهام على حدود البصرة لدعم القوات البريطانية التى تواجه مقاومة شرسة وعنيدة.

وحتى نهاية يوم الجمعة ٢٨ابريل كانت البصرة بعيدة كل البعد عن سيطرة القوات البريطانية وذلك وفقا للتصريحات الرسمية للكولونيل كريس فيرفون المتحدث الرسمى باسم الجيش البريطانى عقب ذلك بدأت القوات البريطانية فى القيام بعمليات توغل داخل البصرة لتحسس مناطق المقاومة فتوغلت دبابات تشالنجر البريطانية لمسافة خمسة كيلو مترات داخل المدينة وللمرة الأولى حيث دمرت هنالك مقر قيادة قوات فدائى صدام وبرجين للبث الاذاعى والتليفزيونى قبل أن تتقهر مرة أخرى إلى مواقعها فى ضواحى المدينة عقب قصف عراقى. بقاذفات اربى جى والقنابل اليدوية مما دفع القوات الأميركية لقصف المدينة بصورة عنيفة طوال اليوم مما أدى إلى استشهاد ٢٩مواطناً مدنيّاً.

• الدورية المشددة

عقب تلك الأحداث عدلت القوات البريطانية من استراتيجيتها للمرة الثالثة فى إطار خطة أسميت بالدورية المشددة تقوم على عزل المناطق التى تتمركز فيها المقاومة العراقية مع استمرار القصف الجوى المكثف على أماكن تجمع تلك القوات لذا أغارت القوات البريطانية مرة أخرى على جنوب البصرة تحت غطاء جوى مكثف وشامل بالاضافة إلى تمهيد من المدفعية الثقيلة استهدف اسكات واخماد كافة اسلحة المقاومة العراقية وتحييدها ان لم يكن تدميرها، وفى تلك الغارة تمكنت القوات البريطانية من قتل عقيد من الحرس الجمهورى اثناء تلك الاشتباكات الأمر الذى أكد أن عناصر من الحرس الجمهورى جاءوا إلى البصرة لمساعدة القوات التى تقاوم فى المدينة، كما حاولت القوات البريطانية السيطرة على أربعة من الكبارى الرئيسية فى ضواحى البصرة.

ومع حلول فجر اليوم الأول فى شهر أبريل أعلنت بريطانيا أن معركة الاستيلاء على البصرة قد بدأت حيث شنت القوات البريطانية أعنف هجوم برى على المدينة من جهة الجنوب الشرقى وصف بأنه الهجوم الأعنف منذ عام ١٩٨٢ فى حرب الفوكلاند (فى الأرجنتين).

وبالطبع وفرت المقاتلات الجوية الغطاء اللازم لتقدم القوات البرية، وبدأت المعركة بالهجوم العنيف على بلدة (أبو الخصيب) الواقعة على بعد عشرة كيلو مترات جنوب شرق البصرة إلا أن القوات البريطانية فوجئت ببسالة وشراسة القوات العراقية اللانظامية الأمر الذى افسد المخطط البريطانى فى اقتحام البصرة حيث سطر رجال المقاومة هناك أسمى معانى الفداء والوطنية، وعلى مدار ثلاثة أيام فشلت القوات البريطانية فى اقتحام البصرة مما دفع قوات التحالف إلى الإستعانة بقاذفات القنابل الأميركية التى ألقت قنابل زنتها ٩٠٠كجم على عدة مراكز وتجمعات للمقاومة فى

المدينة، ولم تستطع القوات البريطانية التوغل فى المدينة إلا بحلول يوم الخميس الثالث من أبريل حيث تراجعت قوات المقاومة العراقية التى لم تزد عن نحو ١٠٠٠مسلح إلى وسط المدينة للدفاع عنها، وبينما تهاجم القوات الأميركية مطار صدام على مشارف العاصمة بغداد كانت البصرة لا تزال صامدة وتقاوم المحتل الغاصب حتى اللحظة الأخيرة.

ومع حلول يوم الجمعة الرابع من أبريل دخلت القوات البريطانية فى قتال شوارع شرس مع عناصر المقاومة المتبقية فى البصرة، وذلك فى إحدى المناطق العشوائية على بعد ٤,٥كم من قلب المدينة، كما حاولت القوات البريطانية التقدم إلى قلب المدينة، ولكنها فوجئت بالنيران التى اشتعلت فى الآبار المملوءة بالنفط، مما عرقل عملية التقدم حتى تم الاستعانة بالقوات المحمولة جواً لإجراء عمليات التفتيش من منزل لمنزل مع استمرار تطويق المدينة، والسماح بحركة مرور المدنيين على أمل انهيار المقاومة فى المدينة لكن المدينة ظلت صامدة حتى يوم الاثنين السابع من أبريل، عندما وصلت القوات البريطانية إلى وسط المدينة للمرة الأولى بعد ١٩يوما كاملة قضتها البصرة فى حصار وقتال متواصل أرغم المحتل على الاعتراف ببسالة وشجاعة رجال المقاومة خاصة اللانظامية منها والتى عانت منها القوات البريطانية معاناة شديدة.

◆ ◆ ◆

الفصل الثالث

معارك الحرس الجمهورى
فى النجف وكربــــلاء

- ٢٣ مارس يوم أسود للقوات الأميركية فى الناصرية
- قنابل عنقودية وانشطارية استخدمتها الطائرات الأميركية لتدمير فرق الحرس الجمهورى
- أسرار معركة المطار وقائمة العمليات الاستشهادية

تعتبر مدينة الناصرية إحدى المدن الاستراتيجية الهامة فى جنوب العراق، وتقع المدينة على نهر الفرات على بعد ٣٢٠كم جنوب شرق بغداد، وكبقية مدن الجنوب تسرعت القوات الأميركية بإعلانها أنها قد استولت على مدينة الناصرية الاستراتيجية وأعلنت إسقاطها فى الثانية والنصف ظهر ثانى أيام الغزو، حيث أقامت القوات الأميركية جسراً حديدياً على نهر الفرات إضافة إلى الجسرين الآخرين الموجودين بها وعبرت منه إلى الضفة الغربية حيث أعلنت أن الناصرية ستمثل نقطة الانطلاق الرئيسية للقوات الأميركية فى طريقها لمحاصرة بغداد.

• انتصارات باهرة

تصورت الولايات المتحدة أن مدينة الناصرية قد دانت تحت سيطرتها وانها سوف تتخذ منها منطلقاً نحو العاصمة العراقية، ولكن المقاومة العراقية كان لها رأى آخر إذ جعلت من الناصرية انما يعكس مضمونا حيث تحقق فى تلك المدينة انتصارات باهرة للمقاومة العراقية خاصة فى رابع أيام الغزو حين قام حوالى ٥٠٠جندى من قوات الحرس الجمهورى بمهاجمة مشاة البحرية الأميركية عند إحدى طرق المدينة، وسقط نتيجة لتلك المعركة ٢٢من جنود الولايات المتحدة الذين لقوا حتفهم تحت وطأة ضربات المقاتلين العراقيين كما أصيب أكثر من ٥٠جندياً اميركياً، كما فقد أكثر من ١٢جندياً آخر تم أسرهم فى كمين نصبه رجال المقاومة لهم، مما حدا بالقيادة المركزية إلى الاعتراف بأن الأحد ٢٣مارس هو أصعب أيام المقاومة منذ بدء الحرب على العراق.

ومع نهاية ذلك اليوم تبين النجاح الباهر لاستراتيجية المقاومة العراقية، فتشكيلات الفدائيين مدعومة بعناصر من الحرس الجمهورى نجحت فى اعاقة حركة مؤخرة القوات الأميركية، كما قطعت عنها خطوط الإمداد والتموين، وتمكنت من وقف تقدم تلك القوات على بعد ٢٠كم من المدينة مما حدا بالمسئولين الأميركين إلى الإعتراف بأنه تجرى حاليا اعادة تقويم للإستراتيجية المتبعة فى العمليات للتغلب على المقاومة العراقية الشرسة.

ومع حلول اليوم السادس للمعركة تمكن فدائيو صدام المتحصنون فى المدينة من قطع الطرق تماما على القوات الأميركية التى عجزت عن التقدم فى داخل مدينة الناصرية وتعين عليها إما خوض معركة شرسة ودموية من أجل شق طريق لها حتى جسرى الناصرية أو الالتفاف تماما حول المدينة أو قصف المدينة بالصواريخ من الجو والبحر.

وبالطبع رأت الولايات المتحدة أن تتبع الخيار السهل، فاستعانت بالقوات الجوية لخوض معركة شرسة حول مدينة الناصرية ولم تستطع قوات المارينز مد اتصالها بأحد الجسور فى الناصرية إلا على جثث الشهداء العراقيين الذين أبدوا شجاعة منقطعة النظير، فقد استشهد أكثر من ١٠٠عراقى تناثرت

جثثهم على الطريق فى شوارع المدينة المؤدية إلى الجسر كما تناثر حطام المدرعات العراقية المحترقة بفعل القصف الجوى الصاروخى العنيف على طول الطريق، كما لم تسلم المنازل من قصف طائرات الكوبرا الهجومية التى فجرت أعالى المنازل بقاذفات شديدة الانفجار للتخلص من القناصة العراقيين.

وقد دارت رحى تلك المعركة حول جسرين استراتيجيين أحدهما فوق نهر الفرات والآخر فوق قناة صدام، وتفصلهما مسافة ٥,٣كم إلا أن القوات الأميركية ووجهت بمقاومة عنيفة للسيطرة على الشوارع الواقعة فيما بين الجسرين، وسط معارك طاحنة على حد، وصف مراسل رويترز الذى قال ان القوات الأميركية دائما مما تتعرض لإطلاق النيران فى تلك المنطقة، حتى بعد تطهيرها من المقاتلين العراقيين لعدة مرات.

وبعد مرور أسبوع كامل على بدء الغزو العراقى كانت مدينة الناصرية لاتزال مستعصية على السيطرة الأميركية، فرغم القصف الجوى والمدفعى العنيف الا ان قوات المقاومة استمرت فى نجاحها فى عرقلة تقدم سير المدرعات الأميركية حتى التى حاولت الالتفاف نحو المدينة.

أما بلدة الشطرة الواقعة على بعد ٤٠كم من شمال الناصرية والتى عدتها القوات الأميركية محورا رئيسياً لانطلاقة الهجوم نحو قواتها فقد تعرضت لقصف جوى وبرى عنيف خاصة أن القوات البرية الأميركية قاست من ويلات القصف المدفعى من تلك البلدة الصغيرة، ولم تستطع اقتحامها، مما اضطرها للاستعانة بطائرات الهليكربتر الهجومية لاسكات النيران مما ادى إلى استشهاد اكثر من ٢٥عراقيا من رجال المقاومة الشعبية غير النظامية، رغم ذلك أكد قائد قوات مشاة البحرية بالمنطقة ان قواته لن تغامر بالسيطرة على مدينة الناصرية وانها ترغب فقط فى تأمين منطقة الجسور لعبور نهر الفرات، وذلك مع اعترافه ان الناصرية هى المصدر الرئيسى لعمليات المقاومة العراقية الا ان تلك اللحظة سرعان ما تم تغيرها بعد ما بدلت القوات الأميركية من استراتيجيتها فى خطة الهجوم على بغداد، وتوقفت عن التقدم بل وارتدت بعض وحداتها جنوبا لشن هجمات مميتة ضد المليشيات العراقية فى تلك البلدة، وذلك لتأمين مؤخرة الجيش وخطوط الامداد والتموين.

ولكن مع محاولة تجنب حرب الشوارع وارتكاز الهجوم على مراكز قيادة تلك القوات، ومخابئ أسلحتها، ولكن العملية لم تسر كما أرادت القوات الأميركية فمن داخل أراضى المعركة أكد قائد القوات البرية الأميركية وقائد الفيلق الخامس الجنرال ويليام والاس ان جنوده يواجهون عدواً غير الذى تدربوا على مواجهته، وقد وصف الجنرال المقاتلين العراقيين بالجسارة الشديدة لدرجة انهم يهاجمون دبابات ابرامز ومدرعات برادلى بعربات نصف نقل مما اضطرهم إلى الدفع بأعداد أكبر من الجنود المشاه حماية وتأمين خطوط الإمداد والتموين التى تصل إلى ٤٥٠كم خاصة أنه قد حدث نقص حاد فى

الامـدادات، مما اسـتـدعى توزيع وجـبـتين فـقـط على الجنود الأمـيـركـيين كل ٣٦سـاعـة بدلا من ثلاث واجبات كل ٢٤ساعة.

وفى سـبـيل التـخلص من عقبـة المقـاومـة الشـرسـة فى الناصـرية أرسلت قوات التحـالف الطائرات الأميركيـة الثقيلة لتدك البلدة فى موجـات عنيفة ومتوالية من القصف الجوى لتلقى بالآلاف القنابل زنة الواحدة منها ألفا رطل، كما استدعت قوات المارينز طائرات الهليكوبتر من طراز كوبرا لقصف مبانى المدينة ممـا أدى إلى تدمـيـر مـركـز قـيـادى عـراقى، واشـتـعـال النيـران فى مـحطة الكهـرباء التى تغـذى الناصرية، كما تم تدمير أكثر من ٢٠٠منزلاً بالصواريخ المنطلقة من الطائرات المروحية الهجومية. وبدا الأمر وكأن الولايات المتحدة فى طريقها لهدم كافة مبانى الناصرية للتخلص من عقبة المقاومة الشرسة أخيراً اعترفت المصادر العسكرية الأميركية ان نحو ١٢من مشاه البحرية قد فقدوا خلال تلك العمليات وانهم وقعوا فى الأسر ولم تعلن ذلك إلا بلعد ان بث التليفزيون العراقى صور الأسرى الأميركيين

ومع نهاية شهر مارس استعانت القوات الأميركية بوحدات من الفرقة ١٨٢المحمولة جواً التى بدأت فى التمركز قرب الناصرية لتأمين خطوط الامداد عقب فشل قوات المارينز فى القضاء على المقاومة العراقية التى شنت هجمات منتظمة على قوافل الامداد والتموين فى الناصرية، رغم ذلك لم تتوقف موجات القصف الجوى والمدفعى العنيف للمدينة لضمان تطويقها فيما شنت تلك الوحدات اضافة إلى وحدات مشاه البحرية الأميركية هجوما شاملا تم فيه استخدام الدبابات والمدفعية الثقيلة على البلدة حيث تم حصار عدة مخارج، ومداخل للناصرية وسط مقاومة عراقية عنيفة، بينما نجح رجال المقاومة فى استدراج القوات الأميركية إلى معارك صغيرة فى عدة أماكن على أطراف المدينة إلا أن ذلك لم يمنع القوات الأميركية من الإجهاز على كافة الدبابات العراقية بالمدينة واستطاعت فى تلك العملية إخلاء جثث مشاة البحرية التى ظلت ملقاه لأكثر من خمسة أيام داخل العربات الأميركية المدرعة المحترقة والمدمرة.

ورغم قسوة تلك العمليات لن تخضع سوى أجزاء قليلة من مدينة الناصرية فى الشمال والجنوب إلا أن القوات النظامية العراقية قد تكبدت خسائر فادحة فى المعدات والأفراد مع تدمير مواقع الحرس الجمهورى وفدائيى صدام داخل المدينة.

كما بدأت وحدات المشاه هجوماً شاملاً على بلدة الشطرة بحثاً عن على حسن المجيد قائد الجبهة الجنوبية وكافة عناصر تشكيلات فدائى صدام.

ومع حلول الأول من أبريل بدأت مشاة البحرية فى تحويل العديد من وحداتها المتجهة شمالاً لاتجاه الجنوب مرة أخرى لمداهمة مدينة الناصرية تحت دعم طائرات الهليكوبتر والدبابات والمقاتلات، وبدأت

خلاله مشاة البحرية بحملات تفتيش من منزل إلى آخر للقضاء على فلول المقاومة ومع انقضاء يوم الثانى من ابريل كانت المدينة قد خضعت بصورة شبه كاملة للقوات الأميركية التى احرقت ودمرت اجزاء كبيرة من المدينة فى سبيلها للقضاء على المقاومة، وبسقوط الناصرية فى قبضة قوات التحالف اختفى بصورة شبة نهائية دور قوات فدائيى صدام (سوف يظهر دورها بعد احتلال بغداد).

وهكذا لم يعد لدى الجيش العراقى وحدات جاهزة لدخول معارك جديدة سوى فرق الحرس الجمهورى المتمركزة فى قوس دفاعى طويل حول مدينة بغداد وبسقوط الناصرية دانت طرق الإمداد والتموين. واكتمل اتصال خطوط القوات الأميركية فى طرق امتدادية طويلة تصل إلى أكثر من ٤٥٠ كم أصبحت جميعها مؤمنة عقب سقوط المقاومة فى الناصرية ولم يتبق للقوات الأميركية عقبات فى طريقها نحو بغداد إلا فى منطقة الفرات الأوسط حيث خاضت القوات العراقية أشرس معارك الحرس الجمهورى ضد قوات التحالف.

• معارك الحرس الجمهورى

عند منطقة الفرات الأوسط انتهى تماما دور الجيش العراقى المنتشر فى الجنوب (مع بقاء فيلق كامل فى الشمال) الذى توزعت الموصل – كركوك، ولم يتبق أمام القوات الأميركية أى عقبات إلا عقبة الحرس الجمهورى العراقى الذى تحمل مهمة التصدى للقوات المعتدية التى وصلت اولى طلائع قواتها إلى مدينة النجف بحلول يوم الأحد ٢٣مارس أى بعد أربعة أيام فقط من بداية الغزو.

• الفرات الأوسط: النجف وكربلاء

وصلت فرق من الدبابات والمدرعات والمشاة الميكانيكية الأميركية إلى مشارف مدينة النجف على بعد ١٠٠كم فقط جنوب بغداد، حيث قطعت تلك القوات ٣٦٧كم فى عمق أراضى العراق خلال ٤٠ساعة فقط حيث تصدت لها فى البداية قافلة عراقية مكونة من ١٠٠سيارة جيب مدنية عراقية مزودة بالرشاشات الثقيلة تابعة لميليشيات حزب البعث العراقى وبالطبع لم تصمد تلك القوات اللانظامية فى مواجهة حجافل مباشرة مع القوات الأميركية المدعومة بغطاء جوى مكثف مما أدى إلى تدمير معظم تلك السيارات ومقتل أكثر من ١٠٠عراقى.

• فرقة المدينة المدرعة

فى يومها الخامس دخلت الحرب الأميركية ضد العراق مرحلة جديدة شهدت خلالها أول ظهور فعلى لقوات الحرس الجمهورى العراقى حيث استطاعت الأقمار الاصطناعية الأميركية رصد تحركات فرقة المدينة المدرعة، والتى توجهت نحو مدينة كربلاء كنقطة دفاعية متقدمة عن العاصمة العراقية.

لذا أغارت تشكيلات من الطائرات الهجومية من طراز باتش على مواقع فرقة المدينة، ولكنها بعد ٣

ساعات من القتال المتواصل لم تستطع اختراق مواقع الفرقة بل أسقطت الفرقة طائرتى أباتش وتم أسر اثنين من طاقمهما.

ومع حلول اليوم السادس فى المعارك بدأت القوات الأميركية فى شن هجمات جوية مكثفة ومتوالية ولمدة ٤٨ساعة متواصلة على فرقة المدينة المدرعة، حيث قصفت طائرات من طراز الشبح ارتال متوالية من القنابل الاستراتيجية الموجهة لاضعاف الفرقة، ومحاولة تدمرها حيث اعتبرت القيادة الأميركية أن فرقة المدينة هى حلقة الدفاع الأولى والأكثر أهمية فى الدروع الدفاعية المحيطة ببغداد، لذا قامت طائرات الشبح وبـ٥٢ بـ١٥٠٠ غارة على مواقع الفرقة، وذلك بعد ان تم رصد طابور من المدرعات والمركبات العسكرية التابعة للحرس الجمهورى تتقدم من جنوب بغداد صوب النجف فى رتل ضخم ضم أكثر من ١٠٠٠مدرعة عسكرية من مختلف الأنواع والتى حاولت استغلال العاصفة الترابية مع التحرك فى مسارات خاصة لتحاشى مجابهة القوات الأميركية إلى حين وصولها إلى مدينة النجف.

وبعد مرور أسبوع كامل على بداية المعارك اشتبكت، ولاول مرة وجهاً لوجه وحدات من الحرس الجمهورى الممثلة فى فرقة المدينة مع القوات الأميركية فى مواجهة برية تم فيها تدمير ١٠دبابات أميركية و١٣ناقلة للجنود وسقط ٩من الجنود صرعى، ولكن الأمور لم تسر كما خطط لها فخروج الدبابات العراقية من مواقعها التى تتمركز فيها مثل خطأ استراتيجيا فادحا من قبل القيادة العراقية التى ظنت أن العواصف الرملية التى تمثل ساترا لتحركات تلك القوات قد تستمر لبضعة أيام حتى تتمركز من جديد، ولكن الولايات المتحدة بإمكانياتها التكنولوجية الهائلة رصدت تلك التحركات التى ضمت نحو ثلث فرقة المدينة المدرعة التى غادرت من القطاع المتاخم لبغداد، وتقدمت صوب الفرقة الثالثة مشاة ميكانيكا مما حدا بالقيادة الأميركية إلى سرعة الاستعانة بطائرات ثاندربولت مائدة الدبابات ومقاتلات تورنادو البريطانية وقاذفات ب٥٢ وعشرات من طائرات الاباتش. وبلاك هوك بالانتشار فى سماء المنطقة لتدمير تلك القوات اثناء تحركاتها مما ادى إلى القضاء على أعداد كبيرة منها قبل وصولها إلى النجف كما نجحت فى تدمير واعطاب معظم تلك الآليات وقتل ما فيها.

ورغم ذلك تمكن أحد قادة ألوية فرقة المدينة من الانسحاب بجنوده ودباباته وتمكن من الوصول إلى كربلاء والتمركز فيها انتظاراً لمعركة أخرى مع القوات الأميركية المتمثلة فى الفرقة الثالثة الأميركية، بينما استمر القصف المتواصل لفرقة المدينة لمدة ٤ليال متواصلة مما أدى إلى تدمير نصف الدبابات التى تضمها الفرقة والبالغ تعدادها الكلى ٣٠٠٠ دبابة وعربة مدرعة فى معارك شرسة جدة، مما اجهض تلك الفرقة والتى تعد درةتشكيلات الجيش العراقى الـ ٢٥ من قدرتها الأمر الذى أدى إلى أن يتم تعزيز الفرقة بعناصر من فرقة حمورابى المتمركزة غرب بغداد وعليه استمرت المقاتلات الأميركية

والبريطانية فى دك فرقة المدينة، ونجحت فى قصف مستودع رئيسى للوقود مخصص لتموين دبابات الفرقة. كما استمرت المقاتلات فى قطع خطوط لإمداد عن تلك الوحدات بهدف شل حركتها، واستهدف القصف بطاريات المدفعية الثقيلة الخاصة بالفرقة، وذلك لضمان تحييدها وعدم اطلاقها للقذائف فى اتجاه القوات الأميركية، التى توقفت عن الحركة للامام فى إطار استعدادتها لمواجهة فرق الحرس الجمهورى.

ومع أول أيام شهر أبريل اندلع هجوم برى ومباشر آخر بين القوات الأميركية والحرس الجمهورى حيث هاجمت الفرقة الثالثة مشاة مدرعة قوات فرق المدينة ونبوخذ نصر قرب مدينة النجف عند مدينة الهندية حيث استخدمت القوات الأميركية أسلوب حصيرة النيران لدك مواقع تجمع القوات العراقية حيث تم إسقاط نحو ١٢٠٠قنبلة موجهة فى ذلك اليوم على تلك القوات رغم ذلك لم تجرؤ، القوات الأميركية، على عبور جسر الهندية خشية تفجيره، وعملت بدلا من ذلك على اقتحام بلدة الهندية، وخاضت داخلها حرب شوارع للقضاء على المقاومة.

ومع حلول يوم الأربعاء الثالث من أبريل اصبحت القوات الأميركية على بعد ٤٥كم فقط من بغداد حيث شنت ليلتها هجوماً موسعاً وشاملاً مدعوما بالمدرعات والدبابات إضافة إلى الغطاء الجوى ضد مواقع الأربع فرق الرئيسية للحرس الجمهورى التى تشكل قوساً حول بغداد من جهه الجنوب.

وقد انطلق الهجوم الموسع عبر محورين رئيسين الأول من مدينة الكوت جنوب شرق بغداد لإحكام الحصار على بغداد من جهة الشرق، والثانى من مدينة كربلاء جنوب غرب العاصمة، وقد تم خلال الهجوم الأول تدمير فرقة (بغداد) بالكامل، وعبرت قوات المارينز أحد الجسور الاستراتيجية على نهر دجلة بعد معارك عنيفة استمرت طيلة ساعات الليل، اثبت قادة فرقة بغداد شجاعة نادرة من خلال دبابات قديمة فى مواجهة أحدث الدبابات الأميركية المدعومة بقصف صاروخى رهيب.

أما الفرقة الثالثة مشاة ميكانيكى فقد عبرت جسرا استراتيجيا آخر فوق نهر الفرات، وخاضت معارك ضارية ضد مواقع الحرس الجمهورى فى نقطة تجمع الفرقتين اللتين تدافعات عن كربلاء وهما (المدينة) و(نبوخذنصر) كما قصفت بالطائرات مواقع فرقة (النداء) وقد استخدم فى هذا القصف وللمرة الأولى قنابل عنقودية، وانشطارية تبلغ زنة الواحدة منها نصف طن، ألقيت عبر قاذفات القنابل الثقيلة (بى ٥٢) وذلك لإبادة أى كائن حى أو مدرعة عراقية فى محيط القصف حيث إن هذا النوع من القنابل ينتشر بمجرد انفجاره إلى أعداد لاحصر لها من القنابل الصغيرة القادرة على اختراق دروع الدبابات والقضاء عليها.

وكانت شدة القصف من القوة والوطأة لدرجة إعلان القيادة الأميركية بأن فرقة (المدينة) أصبحت

غير ذات جدوى من الناحية العسكرية.

ويبدو أن الاستخبارات الأميركية قد نما إلى علمها أن القوات العراقية ستحاول تفجير سد هام فى بلدة الحديثة شمال غرب بغداد، بهدف إحداث فيضان يعرقل القوات الأميركية المهاجمة على محور كربلاء بغداد فما كان من القيادة الأميركية إلا أن دفعت وحدات العمليات الخاصة للسيطرة على هذا الجسر ثم تقدمت القوات البرية على ثلاثة محاور للسيطرة على مدينة كربلاء من غربها وشرقها وجنوبها بهدف إخضاع المدينة التى عدتها القيادة الأميركية بمثابة خط أحمر حول بغداد عقب تخطيه تنفتح لهم أبواب العاصمة فى اليوم التالى أكملت القوات الأميركية سيطرتها على الجسور الرئيسية على نهرى دجلة والفرات رغم ذلك ورغم الخسائر الفادحة التى شهدتها فرقتا المدينة ونبوخذ نصر والتدمير شبة الكامل الذى لحق بهما إلا ان قادة الفرقتين تمكنا من اعادة تجميع وحداتهما فى بسالة منقطعة النظير، وحاولا شن ثلاث هجمات مضادة لاستعادة جسر المسيب الاستراتيجى ولوقف التقدم الأميركى.

وقد استشهد فى تلك المعارك أكثر من ٥٠٠جندى عراقى، فقد ردت القوات الأميركية على تلك الهجمات المضادة بإطلاق نيران كثيفة من مدرعات برادلى والمدفعية الثقيلة المدعومة بغطاء جوى من طائرات تاندر بولت (صائدة الدبابات) وقد بدأت تلك الهجمات العراقية المضادة بهجوم أول نفذه حوالى ٢٠٠جندى عراقى مدعومين بالدبابات من طراز تى ٥٥ السوفيتية (صنعت عام ١٩٦٤) ثم تلاه هجوم آخر بعد أقل من ٣ساعات قام به ٢٠٠جندى، وجرى شن الهجوم الثالث بآخر فلول فرقة المدينة، الأمر الذى ادى إلى استشهاد معظم قادة الفرقة وضباطها الذين حاولوا تنفيذ الهجوم المضاد. ورغم هزيمة فرقة المدينة (درة التاج فى الجيش العراقى) وإبادة معظم أفرادها إلا أن التاريخ يحفظ لتلك الفرقة مواقفها المشرفة وبسالتها ، وتضحياتها الفائقة لصد العدوان الأميركى الغاشم، وبالفعل لم يعبر الأميركيون منطقة الفرات الأوسط إلا على أشلاء جثث الشهداء من فرقة المدينة فى طريقهم نحو بغداد العاصمة، واللافت هنا انه لم يستسلم جندى عراقى واحد ولا ضابط، وانما الذى حصل انهم استشهدوا أو غادروا مسرح المعركة بعدما تم تدمير دباباته.

فى الوقت نفسه وبعد تدمير فرقة المدينة فى الغرب تمكنت قوات المشاه البحرية (المارينز) من الإجهاز على فرقة النداء وتدميرها فى جنوبى شرق العاصمة بغداد لتصدر بعدها وزارة الدفاع الأميركية بيانا تعلن فيه أن فرق الحرس الجمهورى الست قد تعرضت لضربات جوية قوية، وأن فرقتين قد دمرتا تماما وهما (بغداد والمدينة) وإن أثبتت أنه قد دمرتا بشكل كبير عدنان و(حمورابى) والأخيرة كانت تقدمت من شمال غرب العراق إلى جنوب بغداد، وفرقة عدنان الآلية التى تحركت من تكريت، أما

فرقتا نبوخذ نصر والنداء فقدتا ٧٠٪ من قوتهما، ولم يتبق للجيش العراقى سوى فرقة الحرس الجمهورى الخاصة والتى تمثل نخبة النخبة فى الحرس الجمهورى.

عقب ذلك دفعت القوات الأميركية بالمئات من عناصر القوات الخاصة التى تسللت ليلا إلى وسط بغداد للتعرف على أماكن المقاومة، وتحديد أماكن تواجد أركان النظام مع محاولة تقدير مقاومة بقايا الحرس الجمهورى الخاص المدافعة عن العاصمة.

ومع حلول يوم السبت الخامس من أبريل كانت القوات الأميركية قد اقتحمت مقر قيادة فرقة المدينة، والقاعدة الرئيسية لها على بعد ٥٠كم تقريباً، دونما مقاومة تذكر كما اشتبكت مع فلول فرقة النداء لتشتيتها أو لإبادتها ثم طورت تلك القوات من أوضاعها لتهاجم الاربعة للسيطرة على المدينة وتأمين خطوط الإمدادات والتموين، وبالطبع لم يكن الأمر سهلاً فى ظل مقاومة عراقية عنيفة أخذت طابع حرب الشوارع حيث حارب العراقيون من منزل إلى منزل، مما اضطر القوات الأميركية للاستعانة بنيران الطائرات التى قصفت المدينة بقنابل تزن الواحدة منها ألفى رطل، كما تم إنزال وحدات من قوات الفرقة ١٠١ للمساعدة فى اقتحام المدينة، وبالرغم من أن فرق المقاومة حاولت وباستماتة استدراج القوات الأميركية إلى الشوارع الضيقة الا ان القوات الأميركية لجأت إلى التدمير العنيف لأجزاء من المدينة خاصة مناطق تجمع المقاومة لتسقط كربلاء فى النهاية بعد مقاومة مشرفة.

• معارك المطار

مع حلول مساء الخميس ٣أبريل بدأت القوات الأميركية فى الهجوم على مطار بغداد الواقع على بعد ١٥كم تقريباً من قلب مدينة بغداد إلا أن سيطرة القوات الأميركية على المطار كانت جزئية مع إغلاقها للمدخل الجنوبى الغربى للمدينة.

ثم استمر الوضع كما هو عليه حتى مقدم اليوم الثانى باستمرار سيطرة القوات الأميركية على أجزاء عديدة من المبانى داخل المطار وبالرغم من دفع القيادة العراقية لفرقة الحرس الجمهورى الخاص للدفاع عن المطار وشنها لهجومين مضادين لاستعادة المطار، الا ان المحاولتين باءتا فى النهاية - بالفشل رغم نجاح تلك القوات فى بداية الامر فى عزل القوات الأميركية على معظم ارجاء المطار، ودارت داخله معارك طاحنة تم فيها استخدام المدرعات والمدفعية الثقيلة تحت غطاء جوى مكثف.

ففى البداية تقدمت الفرقة الثالثة مشاة ميكانيكى للسيطرة على المطار مدعومة بغطاء جوى، ولكنها تعرضت لوابل من النيران العراقية التى حاولت القيام بهجوم مضاد مستعينة بعربات نصف نقل وشاحنات محملة بمدافع ذات أعيرة صغيرة، وذلك فى مواجهة احدث ما فى الترسانة الأميركية من أسلحة وبخاصة المدرعة برادلى، والتى فتحت الطرق بوابل من نيران الرشاشات الثقيلة، واستخدمت

صواريخ تاو الموجهة لتدمير دبابات تى ٧٢العراقية، ليصرح الأميركيون فى النهاية ان معركة المطار لم تنته الا باستشهاد أكثر من ١٠٠٠عراقى، قاوموا ببسالة لاستعادة المطار، إلا أن المعركة كانت اشبه بالمستحيلة لأن القوات الأميركية سرعان ما عززت من قواتها عبر الإسقاط الجوى، والدفع بأعداد ضخمة من المدرعات، مما جعل من استعادة المطار أمراً شبه مستحيل.

• بغداد

على عكس كافة المدن العراقية بدأت القوات الأميركية حربها على العراق من بغداد وأنهتها أيضا فى بغداد.

فمنذ اليوم الأول للغزو تعرضت العاصمة العراقية للهجوم الجوى والصاروخى العنيف الذى لم ينقطع طوال أيام الغزو حيث تعرضت العاصمة فى الـ٤٨ساعة الأولى لاكثر من ١٠٠٠غارة جوية، وتم القاء أكثر من ٣٠٠٠قنبلة و٣٢٠صاروخا لتندلع الحرائق فى شتى انحاء وسط بغداد، كما تم قصف مواقع الحرس الجمهورى داخل المدينة وجرى قصف عنيف لمختلف الوزارات العراقية ولم يسلم مبنى التليفزيون من تعدد القصف الموجه له، كما تعرضت مراكز الاتصالات والسيطرة للهجوم الجوى المكثف ولم يسلم المدنيون من قصف الطائرات التى قذفت حى الشعب والشغيلة شمال بغداد لتسقط القذائف على مبان تضم مساكن، وعدد من ورش السيارات لتختلط الجثث المتفحمة بالسيارات المدمرة فى جريمة حرب ابادة لم يلتفت لها العالم الحر ولا الحكومات العربية.

ومع اقتراب القوات الأميركية من محيط العاصمة بغداد. سارعت تلك القوات بقصف البنية التحتية للمدينة مما أدى إلى انقطاع التيار الكهربائى فى المدينة بعد قصف محطات توليد الطاقة الكهربائية وباتت العاصمة العراقية محرومة من إمدادات الماء والكهرباء مع استمرار الغارات الجوية التى استهدفت إسكات ما تبقى من فلول الدفاعات العراقية المضادة للطائرات داخل العاصمة

• مواقف مشرفة أو بطولات مضيئة

شهدت مراحل الغزو الأميركى للعراق مواقف مشرفة وبطولات مضيئة لعل أهمها ظاهرة الاستشهاديين التى انتقلت بحماسها وجهادها من فلسطين إلى العراق، حيث مثلت تلك الظاهرة مصدر قلق عميق للقوات الأميركية التى عدلت من خططها لمواجهة تلك العمليات وباتت تشك فى جميع من حولها، وأصبح الجنود الأميركيون ينتظرون الموت على الطرقات فى أى وقت ومن أى فتى أو فتاة يمر أمامهم.

١- ٢٥مارس: الشهيدة ميسون حميد عبدالله، دمرت إحدى ناقلات الجنود عندما فجرت نفسها فى دورية أميركية.

٢- ٢٩مارس:- علىّ جعفر موسى حمادى النعمانى، ضابط عراقى فجر سيارته فى نقطة تفتيش شمالى النجف ما أدى إلى مقتل ٥ أميركيين

٣- ٤ أبريل: نور الشمهرى ووداد جميل تفجران سيارة شمال غرب بغداد أدت إلى مقتل ٣جنود أميركيين فى بلدة الحديثة.

٤- عملية فدائية رابعة داخل مطاربغداد نفذها أحد الاستشهاديين العراقيين الذى لم يتم التعرف على هويته.

٥- ٤/١١ وبعد سقوط بغداد فجَّر استشهادى نفسه عند نقطة تفتيش عراقية مما أدى إلى مقتل عدد من مشاة البحرية الأميركية فى مدينة صدام شمال بغداد.

• المقاتلون العرب

اما الظاهرة المضيئة الأخرى فتتمثل فى المتطوعين العرب الذين توجهوا منذ أوائل شهر مارس بالآلاف إلى العراق، وقاموا بإجراء تدريبات عسكرية على قتال الشوارع وحرب المدن، وذلك فى معسكر يقع على بعد ٢٠كم شمالى شرقى بغداد، وقد بدأت فكرة التطوع لدى الشباب العربى منذ أواخر شهر فبراير ٢٠٠٣ففتح باب الجهاد فى العراق، ويتراوح عدد المتطوعين العرب فيما بين ٦٠٠٠إلى ٨٠٠٠فدائى وصلوا العراق فعلاً قبل الحرب، وقد لعب هؤلاء دوراً مهمّاً فى معارك جرت فى بغداد وبعد الغزو حيث اختفت القوات النظامية العراقية ولم يبق فى الميدان سوى هؤلاء المتطوعين وبالفعل نجح المقاتلون العرب فى السيطرة ولعدة ايام على عدة مناطق داخل العاصمة العراقية، وأقاموا نقاط للتفتيش ودوريات أمنية واستولوا على شوارع هامة فى حى المنصور كما سيطروا على شوارع الاعظمية والوزيرية شمالى وسط العاصمة العراقية، وخاضوا عدة معارك فى الأعظمية التى ظلت محررة بوجود المقاتلين العرب عدة أيام إلى أن تم السيطرة عليها بواسطة وحدة عسكرية أميركية مدرعة.

• لماذا سقطت بغداد؟

لم يكن أحد يعتقد أو يتوقع أن تنتصر العراق على أميركا فى تلك المواجهة العسكرية، وذلك للفوارق الكثيرة والرهيبة فيما بين الدولتين، ولكن فى الوقت نفسه اصيب الكثيرون بالإحباط، لما آلت إليه الأمور فى نهاية العدوان من سقوط سريع لبغداد وبطريقة بدت مخزية، وغير متوقعة قياساً لما أبدته مدن الجنوب والوسط من مقاومة باسلة، ولكن لماذا سقطت بغداد؟

• فوارق ساحقة

أميركا دولة عظمى بل هى أعظم دولة موجودة حاليا على سطح الكرة الأرضية، وتتمتع بوضع فريد قلما حظيت به دولة أخرى على مستوى التاريخ الإنسانى، أما العراق فرغم أنه دولة إقليمية هامة وقوية

إلا أنه من حيث المقارنة بالنسبة للإمكانيات والقدرات، فالكفة فى غير صالحه تماماً خاصة فى ظل الحصار المفروض على العراق لمدة ١٢سنة لم يسمح له باستيراد أى مواد تدخل فى الصناعة الحربية بشكل مباشر أو غير مباشر.

القوات الأميركية منتشرة بالأساطيل والقواعد فى القارات الست وتميل كافة موازين القوة لصالحها، وبصورة تبدو ظالمة عند المقارنة، ففى ساحة غزو العراق بدأت أميركا عدوانها على العراق، وهى تسيطر على البحر والجو ولم يتبق لها الا الاراضى العراقية، التى اجتاحها بسهولة، وقد لعبت القوات الجوية دوراً رئيسياً فى تلك الحرب، فقد كانت الطائرات الأميركية تنطلق من خمس حاملات طائرات، وما يقرب من ٣٠قاعدة جوية موزعة فى ١٢دولة مختلفة، أما القصف الصاروخى فقد كان له النصيب الثانى فى حسم المعركة حيث قصفت العراق بـ٨٥٠٠صاروخ كروز، و١٤ألف قنبلة ذكية، وكانت تحلق فوق سماء العراق أحياناً نحو ألفى طائرة مختلفة الطرز والأثقال.

وبالرغم من أن العراق قد عمل وخطط لتحقيق أمرين هامين وهما إطالة أمد الحرب قدر الإمكان، وإنزال أكبر عدد ممكن من الخسائر فى الجيش الأميركى والبريطانى وباقى قوات التحالف إلا أن القدرة على المناورة التى تتمتع بها القوات الأميركية مكنتها من تقصير فترة العدوان إلى أقل درجة ممكنة، فاخترقت قواتها الصحراء غير المأهولة إلى هدفها الأساسى بغداد فقد كانت بغداد، وليس العراق هو هدف تلك القوات، وبالرغم من نجاح المقاومة فى إلحاق خسائر بمؤخرة الجيش الأميركى فى لناصرية الامر الذى أوقف الزحف لعدة أيام إلا ان ذلك لم يمنع القوات الأميركية من استمرار الزحف حتى الوصول إلى العاصمة وقد تركزت مصادر القوة العسكرية الأميركية فى الأتى:

١- المرونة Flexibility

وتتمثل فى قدرة القوات العسكرية الأميركية على المناورة مع القوات العراقية من كل الجوانب للقضاء عليها فقد دار القتال على كل الجبهات، وفى الوقت ذاته فى الشرق والغرب والجنوب وحتى الشمال رغم امتناع تركيا عن السماح لفرقة أميركية باستخدام المدخل الشمالى للعراق، أيضا قاتلت القوات الأميركية بكل قواتها المتاحة، وفى مغامرة نادرة ودون وجود قوات تعمل كاحتياطى استراتيجى، وباتساع رقعة العراق لمسافات بلغت الـ٥٠٠كم وهى المسافة من ام القصر جنوبا وحتى العاصمة بغداد.

ورغم أن تأمين طريق يتجاوز الـ٤٥٠كم يعد مهمة شاقة بالغة الصعوبة للقوات الأميركية التى تحركت بأقصى سرعة واندفاع مما مكن القوات العراقية من خلخلة هذه الخطوط فى معارك مشرفة عند الناصرية، لكن الاستراتيجية الأميركية المتطورة مكنتها من تعديل السيناريوهات الهجومية لتطويق القوات العراقية التى تدافع عن المدن ففى البداية اكتفت قوات التحالف بحصار المدن وتطويقها من

الخارج دون السيطرة عليها ثم عدلت خططها عقب الأداء العراقى المميز فعملت قوات التحالف على خلخلة دفاعات مدن الجنوب بطريقة مستمرة، ولم تلجأ ابداً للهجوم الشامل والمباشر لعملها بان حرب الشوارع نتيجتها محسومة لصالح المدافعين عن مدنهم، وأرضهم، لذلك لجأت قوات التحالف إلى تقسيم المدن إلى قطاعات مع إحكام السيطرة الأرضية والجوية فوق سمائها، ومع القصف الجوى الدقيق لأماكن الدفاعات داخل المدن، وبصورة تدريجية تمكنت قوات التحالف من خلخلة دفاعات تلك المدن ولنا فى البصرة النموذج المثالى لتلك الخطة فلم تُقتحم البصرة، ويتم السيطرة عليها بصورة نهائية الا قبل يوم واحد فقط من اقتحام بغداد، وتم حصار البصرة منذ اليوم الأول لاندلاع العدوان، وهذا ما يؤكد أن غزو بغداد تم منذ اليوم الأول للحرب وليس يوم ٩ أبريل ٢٠٠٣.

٢- الاستطلاع المستمر لمسرح المعركة ومحيطها Situational awareness

وقد أتاح ذلك للقوات الأميركية سيطرتها على المعلومات واستخدامها لأحدث التكنولوجيا لمراقبة أراضى المعركة. وما يدور حولها مما مكنها من تحقيق عدة مفاجآت استراتيجية بطريقة مستمرة، وذلك بفضل عامل اساسى، وهو الحصول على المعلومات من الأقمار الاصطناعية المتطورة التى نقلت للجيش الأميركى الصور والمعلومات فائقة الدقة عن اماكن توزيع المقاومة العراقية حتى الوحدات صغيرة العدد منها ومتابعة تحركاتها المستمرة وبالرغم من انتهاج العراق لسياسة تغيير الدفاعات الأرضية بصورة مستمرة إلا أن تلك الأقمار بالاضافة إلى المعلومات التى ترسلها الردارات العملاقة المعروفة باسم Eyeshillion المتطورة مكنا القوات الأميركية من التجسس على الاتصالات، والتحركات العراقية التى تجرى على كافة ساحات المعركة بطول امتدادها، كما لا يمكن اغفال دور الطائرات بدون طيار التى لم تتوقف عن التحليق فوق المدن العراقية وساحات المعركة للمراقبة، والتصوير، ويمكن ملاحظة أهمية هذا العامل ودوره الحيوى فى حسم تلك الحرب من خلال عدة مواقف تعد محطات هامة ورئيسية فى تلك الحرب منها:

١- التعجيل بالضربة الأولى فى المعركة والتى بدأت فى الساعة الرابعة والثلث فجر الخميس ٢٠مارس عندما رصدت الأقمار الاصطناعية دخول بعض القيادات العراقية الهامة لأحد القصور الرئاسية، وكان القرار السريع بتوجيه تلك الضربة الصاروخية التى لم يكن مخططا لها حتى إن القيادة البريطانية قد فوجئت بتلك الضربة التى تمت بمعزل عن خطة القصف الجوى الشامل والتقدم البرى فى إطار ما عرف باسم خطة الصدمة والترويع، ويعتقد أن بعض الجواسيس قدموا معلومات حول تحركات قيادات سياسية وعسكرية عراقية عليا قبل وقت قليل من انطلاق صواريخ كروز صوب القصور الرئاسية فى بغداد لتدشن الطلقة الأولى فى الحرب.

٢- أما المحطة الثانية والأكثر أهمية وخطورة فهى رصد الأقمار الصناعية لتحركات فرق الحرس الجمهورى العراقى مثل تحركات فرقتى المدينة وبغداد من بغداد فى اتجاه الجنوب لشن هجوم مضاد على القوات الأميركية فى الفرات الأوسط، فقد ظنت القوات العراقية أن بمقدورها استغلال العواصف الرملية الشديدة كغطاء للتمويه على تحركات تلك القوات لكن الوسائل التكنولوجية الحديثة فى الرصد والاستطلاع تمكنت من رصد تلك التحركات، مما دفع القوات الأميركية للقيام بعمليات قصف جوى عنيف وشرس لم مما يسبق له مثيل، وبقنابل انشطارية هجومية دمرت أكثر من ثلثى تلك القوات أثناء تحركاتها وخروجها من أماكنها الدفاعية مما سهل على القوات البرية الأميركية اصطياد الوحدات العراقية المدرعة التى وصلت إلى أرض المعركة شبه منهكة، ورغم خوض القوات العراقية لقتال بطولى باسل الا ان تحركات تلك القوات من مواقعها التى تحصنت فيها زادت من فاعلية القصف الذى استهدفها، كما كان لوسائل الرصد الحديثة اثرها فى استهداف فرق الحرس الجمهورى التى فى شمال العراق ثم حاولت النزول جنوبا باتجاه جنوب العاصمة إلا ان رصد تلك القوات واستهدافها اثناء تحركها ساهم فى ضرب أكثر من نصفها واخراجها بصورة عملية عن مسرح العمليات العسكرية.

٣- اما المحطة الثالثة والأخيرة فتمثلت فى المعلومات التى اتيحت من خلال الرصد والتى توصلت إلى فراغ بغداد من أى دفاعات، ما شجع القوات الأميركية على القيام بعمليات استطلاعية فى نواحى بغداد بدأت يوم ١٥أبريل ثم القيام بعمليات اختراق طولى أخرى إلى ان تم دخول القوات الأميركية إلى العاصمة العراقية بدون مقاومة تقريبا.

• دور العمليات الخاصة

كان للعمليات الخاصة دور هام فى حسم تلك الحرب العدوانية، فالقوات الخاصة الأميركية تنقسم إلى ٤مجموعات لكل منها مهامها وأهدافها، وفى مقدمة تلك القوات قوة دلتا، ومهمتها التعامل مع الأهداف الخاصة بعمق الأراضى العراقية مع العمل كطابور خامس فى اشاعة الفوضى والبلبلة داخل المدن، وقامت عناصر منها بالتسلل داخل بغداد لتتبع القيادات العراقية ورصدها وإبلاغ المعلومات عنها أولاً بأول بما فى ذلك معلومات عن تحركات الرئيس العراقى قبل سقوط بغداد.

ب) قوات الرينجرز

والتى يتم تكليفها بالاستيلاء على الأهداف الحيوية والتمسك بها إلى أن يتم الدفع بالقوات النظامية، وقد تم دفع بعض وحدات تلك القوات للعمل فى شمال العراق عوضا عن الفرقة الرابعة المدرعة التى كان من المقرر أن تدخل من الحدود التركية.

جـ) وهناك أيضاً القوات الخاصة بمشاة الأسطول (المارينز)، ووحدات أخرى تابعة للقوات الجوية

مهمتها تقديم المعلومات الأخيرة والحديثة قبل رسم خطة الهجوم.

ويمكن ملاحظة الدور الهام للقوات الخاصة التى قامت بمد الطرق والمسالك الخاصة فى الصحراء عبر الدروب الوعرة، تمهيداً لتقدم القوات الأميركية عبر الصحراء، كما قامت بالسيطرة على الكبارى والممرات والجسور ونجحت فى السيطرة على معظم الجسور حول بغداد والتى اعد رجال المقاومة العراقية خططهم لتفجيرها لعرقلة تقدم القوات الأميركية، كما تم الدفع باعداد كبيرة من رجال العمليات الخاصة لعزل القوات العراقية شمال بغداد، والسيطرة عليها، والتى كان من المقرر نسفها لعرقلة التقدم الأميركى واغراق مدرعاته فى المياه والأوحال.

كما يمكن ملاحظة الدور الفعال الذى لعبه رجال العمليات الخاصة التابعة للقوات الجوية خاصة فى معارك المطار حيث تم إنزال العديد من الوحدات جوّاً، والتى سيطرت على المطار ومهدت للقوات البرية التقدم نحوه.

٤) القدرة على تأمين الدعم للقوى المناورة عند الطلب Fire support

من الصعب مقارنة الأسلحة والذخيرة الأميركية بمثيلتها العراقية، لا كمّاً ولا نوعاً، وحتى الوسائط التى يتم من خلالها إطلاق تلك الأسلحة لا يمكن مقارنتها لدى الجانبين.

فمنذ بداية المعركة تم عزل السلاح الجوى العراقى تماما واقتصر الدعم النارى للقوات العراقية على المدرعات، وقذائف الصواريخ ذات الأعيره المتوسطة المحمولة من قبل الأفراد، وذلك فى مقابل ترسانة ساحقة من القذائف والعتاد العسكرى الأميركى وعبر وسائط متنوعة ومن ابعاد مختلفة (من الجو بواسطة الطائرات بطيار وبدون وعبر صواريخ كروز متعددة الأبعاد والقدرات ومن حاملات الطائرات ومن الأرض عبر المدفعية الثقيلة والدبابات والمدرعات الحديثة.

الأمر الذى شكل صعوبة مواجهة هذا التفوق النارى من قبل قوات نظامية فى معارك مباشرة، وقد ثبت ذلك خاصة فى معارك الفرات الأوسط، فقبل أى التحام بين القوات الأميركية وقوات الحرس الجمهورى كانت الطائرات والصواريخ والمدفعية تدك القوات العراقية وتمهد للمواجهة بقصف مركز للمدرعات العراقية بهدف خلخلة تلك القوات وتدمير جانب كبير منها مع العمل على إضعاف الروح المعنوية والقتالية للفرق العراقية.

٥) المفاجأة الاستراتيجية:

أما العامل الأكبر والذى مثل حجر الزاوية لما حدث من تفوق أميركى على الجيش العراقى، فيتمثل فى المفاجأة الاستراتيجية للخطة الأميركية الهجومية ذاتها.

فالجيش العراقى اعتمد فى خطته المضادة على أن الولايات المتحدة سوف تكرر نفس السيناريو

الذى اتبعته من قبل فى حرب الخليج الثانية، وفى حرب كوسوفا وفى معارك أفغانستان، وذلك باللجوء إلى الاستعانة بالقصف الجوى لفترات طويلة قد تصل إلى قرابة الشهر كما حدث فى الحروب السابقة ثم تبدأ القوات الأميركية فى الزحف والسيطرة على مدن الجنوب مدينة تلو الأخرى فى طريقها نحو بغداد، وتوقعت القيادة العراقية ذلك السيناريو واستعدت له جيداً فى محاولة لإطالة زمن الحرب لأقصى مدى ممكن على أمل التدخل الدولى لوقف الحرب لذا عملت الاستراتيجية العراقية على جعل المدن العراقية أشبه ما يكون بالجزر المستقلة والمحصنة تحصيناً جيداً مع اتباع سياسة الكر والفر تجاه القوات الأميركية، وبالفعل نجحت تلك الاستراتيجية نجاحاً باهراً، ولنا فى أم قصر والبصرة خير مثال فقد استعصت أم قصر على سيطرة التحالف قرابة الاثنى عشر يوما، بينما لم يتم اقتحام البصرة إلا قبل اقتحام بغداد بـ٤٨ساعة فقط، لذا كان من المتوقع أن يطول أمد الحرب لمدة طويلة لو سارت الخطة كما توقعها العراقيون.

ولكن الجيش الأميركى فاجأ الجميع بذلك التحرك البرى السريع من الجنوب إلى الشمال فى اتجاه بغداد متفادياً اقتحام المدن، وبسرعة فائقة (تعتبر الأسرع فى تاريخ الحروب البرية). بنحو ٧٠ميلا فى اليوم مما جعله على مشارف بغداد فى زمن قياسى مستعيناً بما لديه من قدرات عسكرية ولوجستية.

• نقاط غامضة وأخطاء استراتيجية فادحة

رغم ذلك لم تخلو الاستراتيجية العراقية الدفاعية من أخطاء فادحة منها؛ خروج قوات الحرس الجمهورى من مكامنها فى طريقها إلى منطقة الفرات الأوسط مما عرضها للقصف المتواصل أثناء تحركاتها وجعل من تدميرها أمراً أكثر سهولة.

كما لم توجد أى مقاومة تذكر بين كربلاء ومشارف العاصمة بغداد . كما لم تستطع المقاومة العراقية تدمير أى جسر داخل أو خارج العاصمة بغداد والتى يخترقها نهرى دجلة وديالى رغم علم المقاومة المسبق أن القوات الأميركية سوف تحاول السيطرة عليها أخيراً، لم يلاحظ وجود أى مؤشرات أو دلائل على تحضير العاصمة بغداد لقتال المدن والشوارع رغم علم الجميع أن معركة بغداد هى المعركة الكبرى واقتصرت المعارك على المطار الأمر الذى يعد خطأ استراتيجياً فادحاً فمنطقة المطار منطقة واسعة مما سهل تدمير القوات العراقية بها عن طريق القصف الجوى.



الفصل الرابع

كيـف سقطـــت بغـداد
وما هى قصة الخيانة؟

- لماذا لم يتم تنفيذ خطة قصى بإغراق المطار بالماء ثم كهربته؟
- كيف نجا صدام من محاولة اغتياله فى مطعم الساعة؟
- لم تستسلم أى وحدة عراقية ولو بحجم الفصيلة للقوات الغازية

ضمن تفسيرات عديدة لسقوط بغداد بهذه الطريقة الدراماتيكية يأتى سيناريو (الخيانة) التى قام بها عدد من كبار القادة العراقيين تحت ضغط الإغراءات أو التهديدات الأميركية، وفى ظل تعتيم إعلامى حول أسماء الخونة ومناصبهم وأدوارهم، باعتبارات هؤلاء قدموا معلومات خطيرة للعدو حول خطط القتال، ومواقع القوات وتحركاتها ما أدى إلى نجاح القوات الأميركية فى احباط محاولات هجوم عراقية فى مناطق كربلاء والنجف وصولاً إلى معلومات حول مكان اختفاء عدى وقصى صدام حسين ما أسفر عن استشهادهما، ومكان اختفاء الرئيس صدام حسين ما أدى إلى أسره.

ومن هنا كانت الخيانة هى السيناريو الأرجح لدى فريق من المحللين السياسيين لتفسير سقوط بغداد.

صحيفة (العربى) القاهرية تناولت ثلاثة سيناريوهات تم ترويجها فور سقوط العاصمة العراقية بعد اختفاء صدام مباشرة وفسرت أسباب اختفاء الرئيس العراقى من خلال تقرير بثه مراسل قناة الجزيرة الفضائية فى موسكو نسب فيه كلاماً لمصادر فى المخابرات الروسية رجحت هروب صدام حسين وأسرته ومعاونيه فى سياق صفقة مع ضباط المخابرات المركزية الأميركية تواجدوا سراً فى بغداد، وأنه جرى عقد اتفاق يخرج بمقتضاه صدام حسين ومعاونوه إلى المنفى مقابل فتح أبواب بغداد للأميركيين.

ووفقاً لهذا السيناريو تردد على نطاق واسع أن الرئيس العراقى خرج من بغداد بسيارة السفير الروسى وحمل معه أرشيف القيادة العراقية غير أن السلطات الروسية سارعت بنفى هذه الرواية، مثلما نفى فى مصر الفريق سعدالدين الشاذلى احتمال هروب صدام مؤكداً أن شخصيته تمتلك مواصفات وتركيبة صدام لا تهرب من المعركة - ورغم تنوع الاجتهادات فى تفسير ما جرى، ظل سيناريو الصفقة هو الغالب على التحليلات، فقد خرج تليفزيون (إل. بى. بى) اللبنانى بعد ساعات من دخول القوات الأميركية إلى وسط بغداد ليؤكد أن قائد قوات الحرس الجمهورى الخاص «ماهر سفيان» عقد صفقة مع القوات الأميركية تقضى بعدم المقاومة، مقابل تأمين حياته وحياة قادة الفرق التى تحرس بغداد وبالفعل - حسب رواية مراسل «إل. بى. بى» فى بغداد - أعطى الفريق سفيان أوامره لقوات الحرس الجمهورى بإلقاء السلاح، والذهاب إلى منازلهم قبل أن تنقله طائرة «أباتش» إلى مكان آمن غير معلوم وقد انتشر هذا السيناريو فى صحف عديدة محلية وأجنبية ولكن جريدة العربى ترى أن سيناريو الصفقة يبدو ضعيفاً جداً لأسباب تتعلق بطبيعة النظام العراقى، لأن الصفقة لابد وأن تتم عبر مفاوضات، وأميركا لم تكن تترك الفرصة وكانت لابد وأن تعتقل الشخص الذى جاء للتفاوض لسؤاله

عن أماكن وجود صدام حسين هذا بالإضافة إلى أن وسائل الاتصال المنقطعة بين قيادة الحرس الجمهورى وبين الوحدات والجنود لم تكن تسمح بوصول تعليمات من القيادة بترك الميدان. كما أن أميركا كانت تسعى لتعويض فشلها فى إلقاء القبض على أسامة بن لادن وذلك لم تكن تفكر فى ترك صدام حسين يخرج من بغداد حياً.

ومن جانبها نفت الخارجية الروسية لجوء صدام حسين إلى السفارة الروسية فى بغداد، ونفت أيضاً ما تردد عن طلب صدام حسين اللجوء السياسى إلى روسيا البيضاء كما نفت سوريا لجوء بعض القيادات الكبيرة إلى أراضيها أو توفيرها كافة السبل لخروج صدام من بغداد.

وبدا فى الأفق أن هناك سيناريو آخر جديداً وهو احتمال أن يكون صدام لقى مصرعه فى إحدى الضربات الأميركية التى استهدفته، خاصة قصف مطعم فى حى المنصور بوسط بغداد، ويؤكد أو يرجح هذا الاعتقاد خبير آخر هو اللواء محمد عزت السيد الذى عرض احتمالين لا ثالث لهما الأول هو احتمال أن يكون صدام قد قتل أثناء القصف الأميركى العنيف لبغداد والاحتمال الثانى هو قيام أحد معاونى صدام بعملية خيانة منظمة قُتل خلالها الرئيس العراقى ومعاونوه وأعطيت الأوامر للجنود بإرتداء الزى المدنى، وإلقاء السلاح، ومن الواضح ان هذين التصورين لم يصمدا أمام الحقائق التى تأكدت بوجود صدام حياً داخل العراق.

● التفكك الداخلى والخيانة

بالإضافة إلى سيناريو الخيانة وسيناريو مقتل صدام أثناء القصف المكثف لبغداد، وأيضاً عقد صدام نفسه صفقة مع الأمريكان يستطيع بمقتضاها أن يخرج هو وحاشيته سالماً من بغداد مقابل تسليمها.

هناك تحليلات أخرى تقول إنه من ضمن الأسباب التى أدت إلى سقوط بغداد بهذه السهولة والسرعة هو حدوث نوع من الارتباك بين صفوف عدد من القادة وكبار الضباط العراقيين بسبب ضراوة القصف الأميركى وتغير الخطط العسكرية الأميركية وقد بدأ هذا الارتباك يظهر بوضوح اثناء المعارك التى دارت فى «مطار بغداد الدولى» فبينما كانت القوات الأميركية تتقدم صوب المطار وكان لابد من التحرك السريع لمواجهتها حدث خلاف شديد بين قصى نجل الرئيس صدام حسين المسئول عن منطقة بغداد، وبين رئيس أركان القوات المسلحة العراقية، وكان قصى قد طلب عدم مواجهة القوات الأميركية وجعلها تتقدم صوب المطار ثم اصطيادها هناك عن طريق عزل المطار كهربائياً عن بغداد واطلاق خراطيم المياه ثم كهربة المياه فى المطار إلا أن رئيس الأركان العراقى رفض هذه الخطة، لأن

الاميركيين يتدفقون بأعداد كبيرة ورأى أنه من المهم مهاجمته فوراً والتفكير فى قطع خطوط الإمداد والتموين عن المجموعة المهاجمة حتى لا تكون هناك قوات جديدة، أو عتاد عسكرى جديد.

ومع اشتداد الخلاف بدأت الأوضاع تزداد سوءاً خاصة مع غياب الرئيس صدام حسين الذى لم يكن قادراً على حضور الاجتماعات لأسباب أمنية وإصرار قصى على وجهة نظره حيث طلب من رئيس الأركان أن ينفذ الأوامر التى يصدرها دون مناقشة، فاضطر رئيس الأركان إلى تنفيذ الأوامر بدون حماس، لكن تدفق القوات الأميركية كان أسرع من تفكير قصى، كما لا يعرف أحد لماذا لم يتم تنفيذ الخطة التى تبناها قصى لكن الأوضاع كانت قد تردت بسرعة شديدة وأصبح الحال أشبه بوضع الثغرة المصرية - كما تقول جريدة الأسبوع القاهرية - فى حرب ١٩٧٣م.

وعلى الرغم من ذلك فقد كانت المعركة فى المطار شرسة وتكبدت قوات الاحتلال خسائر فادحة حيث أبدى الجنود العراقيون شجاعة أصابت الأميركيين بالرعب، فقد راحوا ينسحبون ثم يعودون مرة تلو أخرى ومعهم قوات إضافية بفرض احتلال منطقة المطار حيث مثل هذا الاحتلال ضربة قاصمة لخطة تأمين بغداد، وعندما حاولت القيادة العراقية معالجة مسألة احتلال المطار كان لابد بأن يدفع بعدد كبير من قوات الحرس الجمهورى الخاصة ولكن القادة العسكريين حذروه من ذلك، لأنه لن يجدى شيئا فستكون المعركة خاسرة، وأقنعوه أنه من الأفضل التمسك بهذه القوات فى داخل بغداد والمراهنة على حرب الشوارع، ولم يكن بالإمكان أن يتحقق ذلك إلا فى ظل ارتفاع معنويات المقاتلين العراقيين خاصة بعد أن نجحت قوات الغزو فى إقناع عدد من الضباط والقيادات التى تعاونت معهم فيما بعد بأن الذى حسم معركة المطار هو تعاون عدد من زملائهم الضباط الذين نقلوا إلى مناطق خاضعة للاحتلال كنوع من التأمين لهم إلى حين نقلهم إلى أميركا أو بريطانيا بعد منحهم حق اللجوء أو أن بعضهم سوف يشارك تحت الرعاية الأميركية فى اعادة بناء الجيش العراقى فيما بعد. وقد لاقت هذه لوعود الأميركية قبولاً بين عدد من الضباط العراقيين وكبار القادة الذين كانت عليهم مسؤلية تأمين بغداد، ويبدو ان الأوضاع المتردية والارتباك شجعا على توفير مناخ أكبر للخيانة وهكذا نجد أن هذه الاجتهادات صبت فى النهاية فى سيناريو الخيانة الذى تبناه فريق من المفكرين الاستراتيجيين الذين حاولوا تفسير سقوط بغداد.

• شاهد عيان

ومما يعزز هذا السيناريو أيضاً ما نشرته «صحيفة الوفد» نقلا عن صحيفة البيان الإماراتية عن متطوع مصرى عائد من بغداد بعد مشاركته فى القتال ضد القوات الأميركية «ويدعى على عبدالرازق

الموصلى» الذى قال إن خيانة كبيرة حدثت لصدام حسين من قبل كبار رجال الجيش ومنعته من تنفيذ «المفاجأة» التى كان يتحدث عنها محمد سعيد الصحاف وزير الاعلام العراقى، سواء باستخدام حيوانات مفخخة كالحمير والكلاب تم التصويب عليها من بعد لكى تنفجر فى القوات الأميركية أو إغراق منطقة المطار وضواحيها بالمياه ثم تشغيل مولد كهربائى لقتل القوات الأميركية به (وهذه هى خطة قصى).

وأكد الموصلى أنه كان ضمن القوات المكلفة بالدفاع عن بغداد، وبقى هناك حتى سقوطها، ومن خلال وجوده يؤكد أنه بالرغم من الفارق الكبير بين الجانبين العراقى والأميركى من حيث القوة التكنولوجية والغطاء الجوى، إلا أن القوات العراقية كانت تستطيع الدفاع عن بغداد لستة شهور على الأقل، وكان لدى القوات من السلاح والعتاد والمؤن ما يكفيها لذلك حتى المدنيين كانوا مسلحين، وأينما سرت فى شوارع بغداد تجد أسلحة وذخائر ومواقع عسكرية فضلا عن تخزين المؤن والأغذية التى تكفى الأهالى فى المدينة لستة شهور، ويؤكد الموصلى أن ما حدث من انهيار مفاجئ لبغداد ليس له تفسير سوى حدوث خيانة كبيرة فى صفوف قادة الجيش والحرس الجمهورى والاستخبارات وكانت هناك قرائن على حدوث هذه الخيانة حتى قبل سقوط بغداد، وقال لم اشاهد أى ضابط يستسلم ولا جندى يسلم سلاحه، بل ان الاسلحة العراقية الثقيلة لم تدمر كما يشاع بل اختفت، ولم اشاهد الا دبابات عراقية محترقة أو مدمرة بل كانت هناك مخازن للأسلحة فى كل مكان لن تتوصل إليها القوات الأميركية لأن صدام نظم المقاومة قبل وقت من الحرب، وأخفى الأسلحة المتوسطة والصغيرة فى مخابئ لا يعلمها إلا قليلون.

• أسماء الخونة

الكاتب الصحفى مصطفى بكرى رئيس تحرير جريدة الأسبوع استند حسب ما كتب على مصادر بالغة الأهمية حصل على شهادتها المشفوعة بالأسماء والوقائع بعد أن عايشت الأحداث عن قرب، وذكر بكرى أنه راح يتصفح ما وصله من معلومات وروايات بكل مرارة وراح يشعر باللا معقول لما يقرأه.

وعلى حسب التقرير الذى تم نشره فى جريدة الأسبوع العدد (٣٢٢) فى ٥مايو ٢٠٠٣كتب بكرى:

لقد أسلمت القيادة العراقية ظهرها لمن أغمدوا سيوفهم فيها بلا شفقة، فقد استطاعت الولايات المتحدة الأميركية أن تعقد صفقة مع عدد من ضباط الجيش ورجال الاستخبارات السابقين، كما استطاعو أيضاً أن يعقدوا نفس الصفقة مع شلة من ضعاف النفوس من ضباط وموظفين وشخصيات كانت موضع ثقة الرئيس العراقى صدام حسين وأركان حكمه، وعبر هؤلاء استطاعت أميركا أن تحصل

على معلومات بالغة الأهمية، مثلت ضربة قاصمة للرئيس العراقى صدام حسين وبخاصة اصطياد أحد رجالاته، وأكثر الضباط اقتراباً منه وولاء له وابن خالته «الفريق ماهر سفيان التكريتى» قائد قوات الحرس الجمهورى الخاص.

وتقول «الأسبوع» الكل فى العراق يعرف العلاقة الحميمة التى تربط بين الرجلين «صدام وسفيان» فلقد احتل موقعاً فريداً فى قلب الرئيس العراقى، وكان معنيّاً بالحفاظ على أمنه الشخصى حيث تحمل تلك المسؤلية بجدية وكفاءة على مدى سنوات طويلة مضت، وكان بحكم موقعه المقرب معنياً بنقل التعليمات التى يصدرها صدام إلى العديد من الجهات العسكرية الاستخباراتية فى البلاد، وهى معلومات تقع كلها تحت بند «سرى للغاية» أى أنها تشكل عقل وقلب القرار العسكرى والسياسى فى العراق، ويتساءل مصطفى بكرى: كيف استطاع الأميركيون الوصول إلى الفريق «ماهر سفيان» وكيف نجحوا فى تجنيده؟

ويقول انه بحسب المصادر الهامة فإن عملية التجنيد سارت فى دروب متعددة غير أن أكثر القنوات تأثيراً تمثلت فى اتصالات أجراها عدد من الضباط الهاربين لديهم معرفة وثيقة بين مستخدمين أداء مهمتهم شخصية عراقية «كقناة مرور» إليه وهو من الشخصيات المقربة جداً إليه.

وكانت الولايات المتحدة قد عرفت مفاتيحه التى سارت فى اتجاهين أولهما تقديم إغراءات لا قبل له بها تبدأ بعرض مبلغ ٢٥مليون دولار مع نقله هو وأسرته للعيش فى الولايات المتحدة وتمتد إلى الإيحاء بأنه قد يكون رجل العراق القادم.

أما ثانيهما فقد اشتمل فى تحذيره من مغبة الرفض أو التردد مستخدمين فى ذلك كافة وسائل التأثير النفسى والجسدى، ومنها أن معركة بغداد خاسرة، وأن صدام محكوم عليه بالإعدام إن آجلاً أو عاجلاً وما بين الاغراءات والتحذيرات وحيرة الرجل جاءته التطمينات بأن خيانته سوف تبقى فى طى الكتمان ولن يعلم بها أحد وأنه وعائلته سيكونون فى أمن كامل بل وسيتم نقلهم إلى مناطق آمنة قبل دخول القوات الأميركية إلى وسط بغداد، ومع اكتمال الصفقة كانت ملامح الخيانة قد بدأت تخيم فوق بغداد فلقد أبلغهم مبكراً عبر «الوسيط» الذى فتح معه «قناة الخيانة» أن ما أعلنه الرئيس العراقى بكل ثقة من أنه سوف يقضى على مغول العصر على أسوار بغداد لا ينبع من فراغ، وإنما مبنى على حقائق وخطط تم وضعها وإقرارها لإغراق الأميركان فى بحيرة من الدولار، إذا ما وصلوا إلى أسوار بغداد ومحيطها، فقد كانت الخطة المعدة تقضى باستدراج القوات الأميركية للوصول إلى المنطقة المحيطة ببغداد، وكانت تقضى بانتظار تمركز القوات الغازية وآلياتها فى تلك المنطقة ثم يجرى تفجير الخنادق

الدفاعية التى سيتم حفرها فى مناطق الحقول الزراعية ببغداد من خلال الكنترول المركزى، الأمر الذى سيحول تلك المنطقة إلى جهنم، ويوقع أعداداً هائلة من القتلى فى صفوف القوات الأميركية قدرتها التقارير والتوقعات العراقية نحو ٢٥ألف جندى على الأقل، معتبرة أن من شأن ذلك أن يدفع واشنطن للتراجع عن عدوانها والبحث عن صيغة تفاهم جراء هذا العدد الضخم من القتلى.

وحين وصلت هذه المعلومات عبر الوسيط الذى يمثل الفريق الخائن إلى مقر القيادة العسكرية الأميركية حدثت حالة من الانزعاج الشديد ووجد القادة العسكريون الأميركيون فى رجلهم «الخائن» وبما يشغله من موقع ويحظى به من ثقة، وبما هو مطلع عليه من معلومات القدرة على القيام بالمهمة الرئيسية فى مسلسل خيانته لوطنه، ألا وهى إفشال المخطط الدفاعى الذى استعدبه العراق لملاقاة مغول العصر عند أسوار بغداد، وعبر سيناريو محكم، وقدم الأميركيون للفريق الخائن ماهر سفيان التكريتى سلسلة من المطالب التى يمكن عبرها إجهاض المخطط، وإسقاط تهديدات صدام وتمثلت تلك المطالب فيما يلى:-

أولاً: سحب قطاعات الحرس الجمهورى الموجودة على محورى «الحلة - بابل» وطريق «بغداد - الكوت» والزج بها فى معركة أسموها «معركة مطار بغداد الدولى».

والقطاعات التى يتم سحبها تعد «نخبة الحرس الخاص» وهى «قوات المدينة المنورة وقوات بنوخذ نصر وقوات الفاروق».

ثانياً: تقديم خريطة كاملة بالخطوط الدفاعية السبعة حول بغداد والعمل على أبطال مفعولها وتخريب الكنترول المركزى.

ثالثاً: أن يصدر تعليماته بصرف قيادة القوات إلى بيوتها وترك أسلحتها - الثقيلة منها خاصة - فى مواقعها.

• خدعة مجاهدى خلق

وتقول صحيفة «الاسبوع» أنه فى ذلك الوقت كانت وكالات الأنباء والمحطات الفضائية تذيع أنباء عمليات الإنزال الأميركية التى تمت بجوار منطقة مطار بغداد الدولى، وبالتحديد فى منطقة أبوغريب التى تجاور منطقة سكنية وأخرى مكشوفة وإلى جوار هذه المناطق توجد معسكرات خاصة لجماعة «مجاهدى خلق» الإيرانية المعارضة لنظام الحكم الإيرانى والتى احتضنها العراق بقيادة مسعود رجوى لسنوات طويلة، وتحمل تبعات استضافتها فى التوتر المتبادل والثأرات الدفينة التى خيمت على أجواء العلاقات الإيرانية العراقية.

وبدلاً من أن يحفظ «رجوى» وجماعته الجميل للعراق على تحمل وجودهم على أرضه وزعمائهم طيلة هذه السنوات عقد هو الآخر صفقة مع القوات الأميركية ضد النظام العراقى ليوجه بذلك طعنة أخرى غادرة للرئيس صدام حسين. حيث انسحب «مجاهدى خلق» من معسكراتهم القريبة من مطار بغداد لنحو ٢٥كم واستقروا فى منطقة «نادى الفارس» بعد أن سلموا معسكراتهم السابقة للقوات الأميركية حدث ذلك فى السادس من أبريل وقبل سقوط العاصمة بثلاثة أيام عندما أعلنت القوات الأميركية أنها تمكنت من الوصول إلى «مطار بغداد الدولى».

وبالقرب من هذا المطار توجد قرية الرضوانية يتواجد بالقرب منها لواءان عراقيان مجهزان بأحدث الأسلحة كان آمر اللواء الأول يدعى «اللواء محمد مصطفى عزيز» وقد شعر بحدوث خيانة من قبل (جماعة مجاهدى خلق) فحاول أن يتصل بقيادته ولكن محاولاته باءت بالفشل بسبب انقطاع الاتصال لذلك حاول أن يتصرف من نفسه حيث قام بتحريك قواته وافتعال برقية حرك بها القوات تحمل رقم ٧٦/أ - على حسب ماورد بجريدة الأسبوع - وحدد ساعة التحرك ٧,٣٥مساء، وحملت البرقية توقيع «صدام حسين» ثم سرعان ما بعث بها إلى آمر اللواء الثانى.

بمقتضى ذلك تحركت قوات اللواءين حيث بدأت معركة عنيفة ضد القوات الأميركية فى الساعة ٨,٤٠مساء تكبد فيها الأميركان نحو ٤٠٠جندى فيما استشهد نحو ١٥٠٠من الضباط والجنود العراقيين وقيل إن اللواء «محمد مصطفى عزيز» وقع فى أسر القوات الأميركية، وهو موجود حالياً فى سجن خاص بمطار بغداد يضم قادة الحرس الجمهورى.

• خونة آخرون

ضمت قائمة الخونة فى صفوف القادة العسكريين العراقيين اسماء أخرى غير ماهر سفيان التكريتى، فهناك «الفريق أول حسين رشيد التكريتى» سكرتير القيادة العامة للقوات المسلحة وشاركه فى الصفقة أبنه «الرائد على حسين رشيد التكريتى» السكرتير الشخصى لقصى صدام حسين، وأدت الصفقة التى أبرماها مع القوات الأميركية إلى دخولها منطقة «الدورة» انطلاقاً من منطقة «هور رجب» حيث أصدر الفريق حسين رشيد التكريتى التعليمات للقوات المسلحة العراقية بمغادرة مواقعها استناداً إلى قرارات تم تزويرها ونسبها لوزير الدفاع «سلطان هاشم أحمد» أما نجله فقد قدم للأميركيين معلومات غاية فى الخطورة عن «خطة تأمين بغداد» والتى كان قصى هو المشرف على تنفيذها، وقد تقاضى كل منهما ٥ملايين دولار بالإضافة إلى ترحيلهما إلى الولايات المتحدة مع عائلاتهما. وبناء على ما نشرته جريدة «الأسبوع» بالعدد المشار إليه مسبقاً، فإن شلة الخونة كانت تضم الضابط «النقيب

عدنان يوسف حسن» الذى كان يتولى مسؤلية حماية بعض الأماكن الخاصة والبديلة للرئيس العراقى، حيث يوجد نحو ٥٠موقعاً بديلاً كان الرئيس صدام ينتقل بينهم ويعقد فيها اجتماعاته بعيداً عن المواقع المعروفة.

• قصة مطعم (الساعة)

كانت الأجهزة الأمنية المقربة من صدام حسين قد شككت فى ولاء الضابط عدنان يوسف حسن فقامت بمراقبته ورصد تحركاته، فعندما توصلت إلى معلومات تفيد بعمالته للاستخبارات الأميركية رفع الأمر إلى صدام حسين الذى حاول أن يتأكد بنفسه من خيانة الضابط، فتعمد أن يذكر أمامه معلومات عن عزمه على عقد اجتماع للقيادة العراقية فى «مطعم الساعة» الذى يمتلكه مواطن مصرى يدعى أبووليد وهو صديق شخصى لنجل الرئيس العراقى «عدى».

كان الاسم الرمزى لمطعم الساعة هو «أبوجعفر المنصور» وتم تحديد الموعد وبالفعل جاء صدام مع نجله «قصى» فى الموعد المحدد بسيارة تاكسى «نيسان» ودخل المطعم، وما لبث أن خرج فى الحال من الباب الخلفى له، وما أن خرجا حتى تعرض المطعم لقصف بأربعة قنابل زنة الواحدة ألف رطل، وهنا تأكد عمالة الضابط، وعندما تمت مواجهته اعترف بعمالته وأعدم حينها رمياً بالرصاص.

وبناء على هذه المعلومات التى وردت بجريدة الأسبوع فإن القيادة العراقية قد تعرضت لخيانة كبرى شارك فيها عدد من القادة العسكريين العراقيين ما من شأنه تأكيد سيناريو الخيانة الذى انتهى بسقوط بغداد.

وثمة رواية أخرى على لسان واحد من شهود العيان، يقول الدكتور القادر الدليمى الأستاذ الجامعى والإعلامى والذى كان يشرف مع عدد قليل على التلفزيون العراقى خلال العدوان إن المطعم لم يتعرض للقصف، حيث كنت قبل ٤٥ دقيقة من القصف فى دار تابعة للسيد أبو كرم وهو مسيحى من مدينة القوش يمتلك أسواقا فى شارع ١٤ رمضان، تقع على بعد أمتار من مطعم الساعة. كان غادر مدينة بغداد أى مسقط رأسه خوفا من القصف الشديد وأودع داره لدى أحد العاملين معه ويدعى «عبد» وهو شاب شيعى متزوج من سيدة عراقية «مسيحية» تعمل حلاقة نسائية فى شارع ١٤ رمضان، ولهما بنتان اسم الكبرى «مريم» حيث استهدف القصف الأمريكى الوحشى المنزل وبقية المنازل الأخرى والبالغة أربعة منازل، والتى تقع تماما خلف مطعم الساعة ولم يخرج أى انسان من هذه الدور التى سُويت تماماً ودفن ساكنوها تحت الأرض.

لكن سيناريو الخيانة حتى لو ثبت صحته فإنه لا يفسر بشكل كامل انهيار خطوط الدفاع العراقية،

ولا اختفاء جميع القوات والقيادات فى توقيت واحد، واختفاء جميع أجهزة الدولة بما فى ذلك رجال المرور، فهناك سيناريو آخر مرتبط بفكرة المقاومة أو ما قاله صدام حسين ان الحرب ستبدأ بعد الغزو، بما يعنى صدور تعليمات باختفاء جميع القيادات والجنود فى توقيت واحد، وسوف تظهر هذه القوات بعد الغزو فى صورة خلايا تقود المقاومة ضد القوات الغازية، بدليل اعتراف رامسفيلد وقيادات أخرى بأن الجيش العراقى والحرس الجمهورى والاستخبارات العراقية أو ما يسميهم أزلام النظام السابق هم الذين يقودون عمليات المقاومة، أو هم الجسم الأساسى للمقاومة كما أشارت مصادر أخرى إلى احترافية العمليات التى تنفذها (المقاومة) فى العراق سواء فى تنفيذ الكمائن أو اصطياد الطائرات الأميركية واسقاطها أو فى زرع العبوات الناسفة، ومن يتتبع مسيرة المعارك من أم قصر حتى احتلال بغداد قد يتوصل إلى حقيقة أخرى، هى انه لم تكن هناك خيانات تؤثر على سير المعارك أو تغيير الخطط، بعد إفشاء أسرارها وأن الأرجح هو أن الخطة العراقية كانت تقوم على فكرة تعطيل القوات الأميركية عبر ثلاثة خطوط دفاع أولها فى أم قصر والفاو، والثانية فى الناصرية والبصرة، والثالث فى النجف وكربلاء، ومع انهيار هذه الخطوط تحت وطأة القصف الصاروخى والجوى ثم معارك دبابات الطاحنة لم تكن هناك أى خطوط دفاع حول بغداد، وبالتالى انتهت المعركة عملياً عند مدينة كربلاء، فبعد سقوطها صار الطريق مفتوحاً إلى بغداد، حيث جرت معركة المطار التى استنزفت آخر ما تبقى من قوات الحرس الجمهورى الخاص، وبعدها صدرت الأوامر بتعتيم العاصمة وذلك باحراق خنادق نفط منتشرة فى شكل قوس حولها لكى يتم السماح لعناصر الاستخبارات والحرس الجمهورى التى سوف تشكل جيش المقاومة بالمرور، والانتشار بعيداً عن العاصمة.

ولما دخلت القوات الأميركية إلى بغداد لم تجد صيداً ثميناً تلقى القبض عليه، فقد خرجت القيادات وانتشرت فى مدن مختلفة لكى تعيد تنظيم الصفوف بعد ذلك عبر شبكة اتصال بدائية (بشرية)، وتخوض القتال على النحو الذى سوف نبينه فى الفصول التالية.

❖ ❖ ❖

الفصل الخامس

الفرق بين المقاومة والعمليات الإرهابية

- من وراء مسلسل اغتيال علماء السنة والشيعة؟
- أحد المتعاونين مع الاحتلال سلمهم قائمة بأسماء ضباط الحرس الجمهورى المقاومين
- حسن نصر الله يتهم الموساد بالإرهاب وقتل علماء العراق

المقاومة مصطلح إنساني وتاريخي، له أبعاد دينية ووطنية، تأصل في نصوص قرآنية ونصوص إنجيلية، وفى السنة النبوية، وصار ركنا هاما فى ثقافة المسلمين وتراثهم، كما فى ثقافة المسيحيين العرب، حتى أن تغييب مصطلح المقاومة يعزى عادة إلى الهزيمة الثقافية أو التأثر بثقافة وافدة أو محاولة للتهرب من تبعات وأعباء النضال، وللمقاومة مرادفات مختلفة من بينها الجهاد والنضال والكفاح، وهناك بعض الجماعات السياسية من بينها الجماعات الإسلامة المسلحة تمسكت بمصطلح المقاومة، ولعل أبرزها حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، وكذلك (الحملة العالمية لمقاومة العدوان) التى ضمت عددا كبيرا من علماء الأمة الكبار الذين أدانوا كل أشكال العدوان الصهيونى فى فلسطين والأنجلو أميركى فى العراق.

والمجاهد أو المقاوم فى الإسلام هو شهيد طالما أنه يدافع عن أرضه، وهذا ما يسمى (جهاد الدفع)، وخير دليل على ذلك هو عبارة أطلقها سيد شهداء المقاومة الفلسطينية الشيخ أحمد ياسين "إنه جهاد نصر أو استشهاد" وفيها ربط مؤسس حركة المقاومة الإسلامية (حماس) بين الجهاد والاستشهاد، كما بين الجهاد والنصر.

فالذين يقاتلون هم الذين يحق لهم أن يأملوا فى النصر كما قال المناضل جمال عبدالناصر، ومقاومة العدو أو الجهاد ضده هو حق إنسانى عليه إجماع عالمى، من خلال المواثيق الدولية التى أكدت حق الشعوب فى درأ العدوان بكل السبل، بما فى ذلك، بل فى طليعة ذلك الكفاح المسلح أو المقاومة المسلحة.

وهناك نوعان من الجهاد، يشرحها د. محمد عياش الكبيسى أحد علماء هيئة علماء المسلمين فى العراق؛ جهاد دفع العدوان، ومجاله أوسع لأنه يضم كل فئات الشعب، بما فى ذلك غير المتدينين، ويحظى باعتراف عالمى ولا يشترط إذن الإمام، فى حين أن جهاد الطلب هو فرض كفاية إذا قام به بعض المسلمين سقط الاثم عن الآخرين، لأن المقصود منه ايصال الدعوة الإسلامية إلى خارج بلاد المسلمين، وليس دفع الأذى أو الاحتلال عن أرض المسلمين.

وفى فقه المقاومة؛ لا يشترط وجود توازن بين أبناء الوطن والعدو، أو بين المقاومة و"المحتل"، وهناك من يروج بأن المقاومة ضد عدو متفوق عدداً وعتادا هو إثم وانتحار، بدعوى أنه دفع الناس إلى التهلكة، وهذا الرأى مردود عليه، بأن تأثيم المقاومين والمدافعين عن أنفسهم وديارهم وعقيدتهم وأعراضهم وتخطئتهم دينيا يستحق الوقفة الجادة ليس للدفاع عن المقاومة بقدر ما هو دفاع عن الإسلام نفسه، إذ كيف يتصور أن يكون إسلام مع الاحتلال ومع الظالم المعتدى على المظلوم المعتدى عليه حتى لو وصلت

المواجهة الى الإبادة، كما قص القرآن الكريم قصة أصحاب الاخدود، حيث أبيدت الثلة المؤمنة وأحرقت فى اخدود النار، ونزل القرآن ليدافع عن المظلومين، ويعلى من شأنهم، ويندد بالطغاة المجرمين، علما بأن هذه النتيجة كانت معروفة ومحسومة سلفا، بالنظر الى الفارق الكبير فى ميزان القوى، وكان باستطاعة اصحاب الاخدود ان يتجنبوا المواجهة بإخفاء ايمانهم، ومثل هذا موقف السحرة الذين تحدوا جبروت فرعون، وقالوا كلمتهم بوجهه ﴿فاقض ما أنت قاض إنما تقضى هذه الحياة الدنيا﴾ (طه/ ٧٢).

لقد اعتمدت المقاومة العراقية على أساليب متنوعة غير المواجهة المكشوفة التى تعرضها للهزيمة أمام عدد يفوقها عدة وعتادا، بل أن المقاومة تمكنت من توظيف قلة عددها، وضآلة عتادها إلى عامل قوة، لأنها صارت اخف وأكثر مرونة فى الحركة والالتفاف، وتوجيه ضربات موجعة إلى الآلة العسكرية الأميركية الجبارة، لأنها تحولت إلى هدف سهل، وصيد ثمين لفرسان المقاومة، وأصبح التفوق التقنى وبالا على الجيش الأميركى.

وإذا عدنا إلى التاريخ الإسلامى سنجد فى أغلب معارك الرسول عليه الصلاة والسلام لم يتحقق فيها التوازن العسكرى، ففى موقعة بدر كان عدد المسلمين أقل من ثلث عدد المشركين، وفى موقعة أحد كان عدد المسلمين أقل من الربع، وفى موقعة الاحزاب كانوا أقل من الثلث، وفى معركة (مؤتة) التى كانت على عهد رسول الله كان عدد المسلمين ثلاثة آلاف مقاتل بينما بلغ عدد عدوهم مائة وخمسين ألف مقاتل، وأما فى معركة القادسية فلم يصل عدد المسلمين إلى الثلث، بل إن بعض الروايات أكدت أنهم كانوا العشر، وأيضا معركة اليرموك، وهذه المعارك الأخيرة كانت جهاد طلب (فتح) فكيف يكون الحال إذا حاول عدو اقتحام مكة المكرمة وفيها رسول الله وبعض أصحابه؟! لابد أن الجهاد هو سيد الموقف مهما كانت التضحية، بل إن الجهاد (المقاومة) فرض على كل أفراد المجتمع بما فى ذلك المرأة فى حال تعرض البلاد الى عدوان، وفى التاريخ الاسلامى شاركت المرأة فى مواجهة الحصار الاقتصادى المفروض على الرسول واصحابه وفى مواجهة التعذيب فى مكة، وهاجرن الى الحبشة والمدينة مع ازواجهن، وتحملت المشاق والصعوبات، وعن الربيع بنت معوذ- رضى الله عنهما- قالت: كنا نغزو مع النبى صلى الله عليه وسلم، نسقى ونداوى الجرحى، ونرد القتلى الى المدينة.

وعن أنس بن مالك- رضى الله عنه- قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يغزو بأم سُلَيْم، ونسوة الأنصار معه، إذا غزا، فيسقين الماء ويداوين الجرحى.

ومن المعترف به أن قوة المقاومة تأتى من شرعيتها أولا، بينما قوة الاحتلال تكمن فى آلته الحربية، والصراع بين المقاومة والاحتلال هو صراع بين الشرعية والشر، بين العدل والقوة، بين المواطن والعسكر، وكما ان المقاومة تحاول هزيمة الآلة العسكرية، فإن الاحتلال هو الآخر يحاول أن يحقق أى اختراق فى شرعية المقاومة أو فى القاعدة الشرعية للمقاومة، والقرآن الكريم يقص علينا ما ينبهنا الى هذا، فيحكى عن فرعون ﴿وقال فرعون ذرونى أقتل موسى وليدع ربه إنى أخاف أن يبدل دينكم أو يظهر فى الأرض الفساد﴾ (غافر: ٢٦) يقول فرعون هذا ليشكك فى شرعية موسى عليه السلام مع أن يديه مغموستان بدماء الأبرياء، وهكذا هو شأن الطغاة فى كل زمان ومكان.

• المسيحية تحرض على قتال العدو

والمسيحية أيضا تدعو الى المقاومة، وقد سبق للكنائس والمؤسسات المسيحية فى كافة انحاء العالم أن أعلنت رفضها للفكر الأمريكى المبنى على الرغبة فى الهيمنة وتدمير الأوطان. حيث خرجت البيانات الرافضة للعدوان الأمريكى من الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمى واتحاد كنائس المسيح فى أمريكا ومجلس كنائس أوروبا تندد بالعدوان خاصة أن العدوان الأمريكى صاحبته أفكار عنصرية روجها بعض المحافظين المتشددين فى الادارة الأمريكية.

وحتى الآن لاتزال الكنائس تعلن رفضها للتواجد الأمريكى فى العراق خاصة ان المبررات التى ساقتها واشنطن للعدوان على العراق تأكد العالم من زيفها.

وبالتالى تأكد الجميع من أن العدوان الأمريكى على العراق عمل غير أخلاقى والتواجد الامريكى بالعراق يعد ظلما واعتداء على الغير وهو ما يؤكده القس اكرام لمعى رئيس المجمع الاعلى للكنيسة المرقصية فى مصر الذى قال: ان المسيحية بوجه عام بغض النظر عن طوائفها ترفض أى نوع من انواع الظلم او القهر ونحن كرجال دين نعتبر ان الغزو الامريكى للعراق نوع من القهر للشعب العراقى.

وإذا كانت أمريكا راغبة بالفعل فى تخليص العراقيين من صدام كما كانت تدعى فهل العراقيون هم الذين طلبوا ذلك من الإدارة الامريكية؟

وهل أمريكا أخذت برأى الشعب العراقى قبل شروعها فى العدوان؟

إذن فما قامت به أمريكا لا يمكن تفسيره سوى أنه ظلم وقهر وتدخل سافر فى شئون الشعوب.

كذلك نحن كرجال دين نؤيد المقاومة العراقية لأن مقاومة المحتل عمل مشروع لا يتعارض مع القوانين الدولية وهى واجب وطنى.

والتعاليم المسيحية تقول للناس إن الله دائما يقف بجانب المظلوم ضد الظالم.

ونحن كرجال دين يجب أن نحذو هذا الحذو الإلهى بالوقوف بجانب الشعب العراقى فى مقاومته للمحتل، ونقول للمحتل الأمريكى عليك بالرحيل إذا كنت تريد بالفعل التمسك بالحق والخير، لأن العراق الان فى ظل تواجد الاحتلال مهدد بفتنة طائفية يشارك الامريكان فى صنعها لأن مبدأ المستعمر دائما وفى التجارب على مدار التاريخ هى "فرق تسد".

القس منيسى عبد النور راعى الكنيسة الإنجيلية فقال ان ما بدأ خطأ يظل دائما خطأ، والعدوان الأمريكى على العراق خطأ من بدايته مرفوض من كل الأديان والأعراف والقوانين الدولية التى داست عليها الولايات المتحدة واستبدلت بها غطرسة القوة.

ويضيف: إن الله دائما لا يترك المتغطرس فى توحشه على الدوام، فالتجارب التاريخية تؤكد ان هناك ممالك قوية قامت فى التاريخ وتغطرست وحاولت فرض سيطرتها على بقية شعوب العالم لكنها سرعان ما تضعف وتقوم بدلا منها مملكة اخرى.

ونقول للأمريكان والكلام - للقس منيسى - تعلموا هذا الدرس من التاريخ، ونقول للشعب العراقى إن المقاومة واجب وطنى وعمل أخلاقى لا يتعارض مع القيم الدينية.

بل انه يستهدف المحتل والمستعمر للرحيل عن الوطن وصد عدوانه واعتدائه على الارض والعرض.

إن أحد أبرز أساليب الاحتلال لهز ثقة المواطن فى المقاومة هو محاولة وصمها بالإرهاب، والزعم بأنها تقوم بقتل المدنيين، وخطف الرهائن خاصة الصحفيين وابتزاز ذويهم أو الهجوم على مساجد الشيعة وتنفيذ عمليات عنف على أسس طائفية ومذهبية أو تدمير البنية الأساسية وتخريب مؤسسات الكهرباء والمياه والنفط، والاحتلال هنا لا يهدف فحسب إلى الإساءة للمقاومة وتشويهها بل لايجاد مبرر إضافى لبقائه.

فإذا كانت حجة تحرير البلاد قد ضاعت أدارج الرياح بعدما ثبتت أطماعه، وإذا كانت ذريعة اكتشاف أسلحة الدمار الشامل قد صارت نكتة سخيفة، فإنه يخترع هدفا جديدا هو تحقيق الأمن، وهكذا أصبح بقاء الاحتلال ضرورة أمنية ومصلحة وطنية.

وللأسف فقد ردد حكام العراق الجدد مقولات من نوع أن انسحاب القوات الأمريكية والبريطانية سيؤدى إلى حالة فوضى (جاء ذلك بعد أكثر من عام على الاحتلال)، وإلى ذلك فإن الاحتلال قد يطالب بأجور مناسبة لسداد نفقات جنوده، وأن يستولى على عائدات النفط العراقى لسداد رواتب جنوده بدعوى انهم كانوا يحمون الشعب العراقى.

والواقع أن الشعب العراقى واجه كل صنوف المعاناة منذ عام ١٩٩٠ وحتى اعداد هذا الكتاب

(٢٠٠٥) على يد اميركا وحلفائها واعوانها، فالاحتلال الاميركى لم يترك مسجدا او مدرسة أو مؤسسة الا واعتدى عليها بادعاءات مختلفة، سواء وجود مسلحين فى داخلها او وجود اسلحة، كما سقط مائة الف انسان عراقى شهداء فى الحرب وتداعياتها خلال عامين منذ الغزو على يد آلة الحرب الأميركية، وتعرضت مئات النسوة إلى الاغتصاب فى معتقلات تشرف عليها القوات الأميركية، كما جرى إهانة كرامة المعتقلين العراقيين فى السجون وأشهرها ابو غريب.

أما العمليات التى لا تمت الى المقاومة النبيلة، والى الفدائيين فلا ينبغى أن تنسب لهم إلا فى إطار الدعاية السوداء التى تبثها محطات فضائية موالية لواشنطن من نوع (الحرة)، لأن هذه الجرائم مجهولة المصدر سواء اختطاف رهائن ومن بينهم صهر طارق عزيز نائب رئيس الوزراء العراقى المعتقل وآخرين من رجال الأعلام الأجانب أو رجال الأعمال العرب فإن المسئولية هنا ينبغى أن تتحدد وفق كل حالة، وليس (بالجملة)، فهناك عمليات اختطاف أعلنت عنها المقاومة لأنها تقع ضد المتعاونين مع الاحتلال، وتقوم المقاومة بإذاعة بيان يحدد الغرض من العملية، فإذا ثبت أن المختطف (كما فى حالة الصحفيين الفرنسيين والصحافية الإيطالية) ليس لهم أى صلة بأجهزة استخبارات أجنبية تعمل ضد الشعب العراقى يتم الإفراج عنه فورا، لكن إذا ثبت تورطه فى أعمال تجسس أو معاونة للاحتلال فالقصاص العادل هنا هو ما اتخذته المقاومة من اجراءات (مثل قتل طيار اميركى سابق) أو (إعدام عقيد عراقى يدعى رياض العليوى) اعترف بأنه قدم للقوات الأميركية قائمة بأسماء ضباط سابقين فى الجيش العراقى يعتقد أن لهم صلة بأعمال المقاومة وجميعهم من الحرس الجمهورى مما أدى إلى اعتقال بعضهم وقد أعدمته خلية فى تنظيم (قاعدة الجهاد فى بلاد الرافدين) بزعامة (أبو مصعب الزرقاوى)، والواقع أن هناك جبهة ساهمت- عمدا- فى إحداث عمليات بلبلة فى أوساط العراقيين، ومحاولة هز صورة المقاومة هى:

الاستخبارات الأميركية والصهيونية التى لا يستبعد أن تكون نفذت عمليات اختطاف وقتل مدنيين أجانب أوعراقيين وهذا ما أكده السيد مقتدى الصدر وقيادات عراقية أخرى وبخاصة من الطائفتين السنة والشيعة لإثارة الفتنة وبينهما.

فبعد أيام من عملية الحلة التى حصدت ١٢٢ مواطنا شيعيا اكدت مصادر فى دائرة الوقت السنية فى بغداد اغتيال ثلاثة من ائمة المساجد السنية واعتقال اثنين اخرين، وأوضحت المصادر أن مسلحين مجهولين اغتالوا الشيخ عزيز محمد امام وخطيب مسجد الرفاعى اثناء توجهه إلى عمله فى مدرسة الامام الحسن فى منطقة جرف الصخر جنوب بغداد، واضافت (أن مسلحين مجهولين اغتالوا الشيخ

عبد الرحيم السامرائى امام وخطيب مسجد اسماء ذات النطاقين فى منطقة بغداد)، وتابع (أن مسلحين اغتالوا قبل ذلك الشيخ وكاع على مخلف إمام مسجد حذيفة بن اليمان فى الرمادى).

وأكد المصدر أن عناصر من قوة طوارئ الشرطة دهمت مسجد خاتم الأنبياء فى منطقة الزعفرانية جنوب بغداد واعتقلت الشيخ فواز الكبيسى والذى كان فى زيارة للمسجد ومعه عدد من المواطنين. واشار إلى أن هذه القوة كانت تروم اعتقال الشيخ معاذ المرسومى إمام وخطيب المسجد وعضو هيئة علماء المسلمين لكنها لم تجده، فاعتقلت الشيخ الزائر وقال: ان هذا ثانى شيخ سنى يعتقل خلال اسبوع بعد الشيخ سعد الدليمى إمام مسجد مائدة الرحمن الذى يقع فى منطقة المحمودية.

ولكن ماذا يعنى هذا التشابه فى الأهداف بين الجهات المجهولة والجهات الظاهرة؟ ماذا يعنى هدم مسجد أو مدرسة بطائرة أميركية فى الفلوجة أو الموصل ثم يدمر مسجداً أومدرسة بسيارة ملغمة فى بغداد أو بعقوبة؟ الا يشير تشابه الضحايا إلى تشابه الجناة، ووحدة الهدف؟

الأمر المؤكد هو أن الأمن والاحتلال لا يجتمعان، وهكذا الحال مع الديمقراطية والاحتلال، فلا حرية انتخابات فى وجود الغازى الأجنبى، ولا تمثيل ديمقراطى فى بقاء الدبابات الأجنبية، فطالما هناك احتلال هناك مقاومة، ومن واجب المقاومة ان لا تترك للمحتل المعتدى أى مكان ينعم فيه بالأمن والاستقرار، والحال نفسه مع المتعاونين مع الاحتلال، فكل من يقدم خدمة للمحتل، سواء الترجمة أو نقل مواد تموينية ونفطية هو هدف مشروع للمقاومة.

وإذا كان لنا أن نقدم رأيا لإخواننا المقاومين فى العراق «أو فى فلسطين» فيمكن أن نلفت إلى ما يلى:

١- ضرورة أن تتبرأ المقاومة بسرعة من كل عمل يستهدف المدنيين الأبرياء، أو البنى التحتية التى يستفيد منها المواطن ولا يستفيد منها العدو، وأن ترتكن المقاومة إلى ثقتها فى الشعب وثقة الشعب فيها، لأن المخططات العدوانية تستهدف الايقاع بين المقاومة والشعب من خلال الدعاية السوداء التى تمتلك قوات الاحتلال كافة امكاناتها التكنولوجية والمالية والبشرية.

٢- أن تتحلى المقاومة بالصبر فى محاسبة العملاء والجواسيس، وأن تتأكد تماماً - قبل إيقاع أى عقوبة - من ثبوت الاتهام، وبالأدلة القاطعة، فقد كان الرسول صلى الله عليه وسلم، وهو يعانى من خيانات المنافقين يرفض فتح جبهة معهم، ويعلل ذلك بقوله: «كيف إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه» (النووى على صحيح مسلم).

ولابد هنا من إدراك الجهة التى تعمل على إثارة فتنة طائفية، فالمنطق يقول إن الحرب الأهلية لا

تخدم إلا المحتل نفسه، وان الاحتلال يحرص على توصيف كل حادثة أو مواجهة بالأوصاف الطائفية او العرقية، وإن كانت بعيداً عن ذلك، فمثلا حينما حصلت مواجهة مؤسفة بين بعض فصائل الحرس الوطنى المحتشدة مع قوات الاحتلال وبين أهالى الفلوجة أو الموصل تعلن قوات الاحتلال عن مقتل ثلاثة من الأكراد أو ستة من الشيعة، مع أن المواجهة لم تكن أصلا تحت هذه العناوين، والمقاومة لم تقصد قتل هذا أو ذاك على هويته المذهبية، وإنما القتل وقع لأن هؤلاء الجنود كانوا ضمن الجيش الذى هاجم الفلوجة.. وأن أهالى الفلوجة «المقاومة» كانوا فى حالة دفاع عن النفس.

٣- أن تواصل المقاومة توسيع رقعة المتحالفين معها، وتأييد كل فعل مقاوم بغض النظر عن طائفة أو مذهب القائم به، وتفويت الفرصة على العدو الذى حاول أن يخلق فتنة بين الفلوجة والنجف عندما دس بعض عملائه لتمزيق صور السيد مقتدى الصدر فى بغداد للإيعاز بأن بعض مقاتلى السنة هم الذين ارتكبوا هذه الجريمة، لكن قادة المقاومة كانوا اذكى عندما اتفقوا سراً مع عناصر من جيش المهدى الموالى للسيد مقتدى الصدر بمراقبة الصور لمعرفة من الذين يقومون على تمزيقها، ولم يمر يوم الا وكانت سيارة همر توقفت أمام أحد الجدران، ونزل منها جندى أميركى وقام بتمزيق الصورة، وتم تصويره وترويج الصورة على أوسع نطاق لاثبات ان المحتل يحاول أن يشق صفوف المقاومة سواء السنية أو الشيعية، فتحت راية المقاومة تختفى كل الرايات والمذاهب والعمائم، وتبقى الوان العلم العراقى بنجومه الثلاث وعبارة «الله أكبر».

• لماذا استهدفت المقاومة الجيش والشرطة العراقيين؟

وقد أعلن الزعيم الشيعى السيد مقتدى الصدر فى مقابلة مع إذاعة «بى. بى. سى» البريطانية، وفى أول حديث له مع وسيلة إعلامية غربية أن مقاومة الاحتلال فى العراق، «مشروعة» وقال لبرنامج «نيوز - نايت» الإخبارى الأكثر رواجاً فى الإعلام البريطانى إن المقاومة مشروعة على كل المستويات الدينية والفكرية وغيرهما، وأكد أنه أول من أقر بذلك هو الرئيس الأميركى جورج بوش الذى قال إذا كان بلدى محتلا فسأقاوم». واشار الى ان وجود الاحتلال فى العراق هو «أم المشاكل» وان «كون العراق ليس مستقلا هو المشكلة، وبقية المشاكل ناجمة عن ذلك، من التعصب إلى الحرب الأهلية.

وبذلك يكون السيد الصدر قد نفى بشكل ضمنى ما ردده بعض المسؤولين العراقيين والعرب من صعوبة إنهاء الاحتلال خشية وقوع حرب أهلية، فالذى أتى بالتعصب وشبح الحرب الأهلية هو الاحتلال، فإن رحل أو انتهى عادت الأوضاع إلى نصابها.

وكان السفير البريطانى فى بغداد وليام تشارترز باتى نفى أن تكون هناك نية لدى بلاده فى سحب

قواتها من العراق أو جدولة الانسحاب فى الوقت الحاضر، وربط باتى فى تصريح نقلته قناة العربية الإخبارية (٢٠٠٥/٧/١٧) بين رحيل القوات البريطانية وبين طلب تتقدم به الحكومة العراقية، وكذلك باستعداد القوات العراقية لتولى المسؤولية، ويعرف السفير البريطانى جيداً إن الحكومة المؤقتة لن تطلب رحيل القوات الأجنبية، فهذه الحكومة تطلق على القوات الأجنبية الغازة وصف «القوات المستضافة» التى فى ضيافة الشعب العراقى «وهذا غير صحيح طبعاً»، وهذه الحكومة المؤقتة هى حاصل جمع تفاعلات قوى المعارضة المتحالفة مع الغرب وتعقيدات الأوضاع المذهبية التى دفعت بعض القوى الشيعية إلى القيام بعمليات قتل للطيارين والملاحين الجويين العراقيين فى حرب تصفية حسابات مذهبية قديمة أو لإنهاء قدرة أهل السنة على امتلاك مقومات العودة إلى الحكم، وبخاصة سلاح الجو، أو قادة الحرس الجمهورى.

الأمر الثانى: هو أن الجيش العراقى لن يكون مستعداً للسيطرة على العراق إذا ظل الاحتلال موجوداً، لأن احد مهام هذا الجيش هو تأمين تحركات القوات الأميركية والبريطانية، وفى عمليات الدهم التى جرت بامتداد العراق من البصرة حتى كركوك كانت القوات العراقية تتقدم القوات الأميركية، وفى أكثر من معركة ضد المقاومة كانت هناك وحدات مشتركة من الجيش العراقى والأميركى، فضلا عن قيام وحدات من قوة مغاوير وزارة الداخلية باعتقال شيوخ هيئة علماء السنة، وضربهم وإهانتهم «الحياة اللندنية ٢٠٠٥/٧/١٨»، وطالما أن الاحتلال قائم، والتحالفات السياسية والمذهبية معه قائمة على حساب طوائف أخرى من الشعب العراقى، فان المقاومة سوف تستمر، بما فى ذلك مقاومة انشاء جيش تابع للسياسة الأميركية أو قوات شرطة موالية لأحد المذاهب أو أكثر.

من هنا يمكن أن نفسر قيام المقاومة باستهداف معسكرات تدريب الجيش والشرطة العراقيين، والهجوم على مقراتهما، ومهاجمة دورياتهما أو شن حرب السيارات المفخخة ضدهم، والتى وصلت ذروتها فى تفجير حصل فى بلدة المسيب التى تقع فى منطقة تسميها القوات الأميركية «مثلث الموت» أسفر عن مصرع ٩٨ وجرح ٧٥ آخرين، ووقع الهجوم عندما فجر انتحارى شاحنة وقود قرب سوق مزدحمة لبيع الخضروات خارج مسجد للشيعة، وهو واحد من ١٥ تفجيراً خلال «٤٨ ساعة» فقط «الأهرام المسائى ٢٠٠٥/٧/١٨» فى بغداد وحدها، وعلى الطريق السريع المتجه جنوباً، فيما وصفه «تنظيم القاعدة فى بلاد الرافدين» بأنه حملة للسيطرة على بغداد.

ويعتقد المراقبون أن المقاومة بكل صفوفها أرادت تفكيك الجهاز الأمنى الرسمى فى بغداد من خلال التفجيرات الاستشهادية ضد ما أسماهم تنظيم القاعدة «الصليبيين وأذنابهم» ويبدو أن مردود هذه

العمليات جاء سريعاً، ففى جلسة عاصفة فى البرلمان هاجم النواب الحكومة لفشلها فى فرض الأمن وطالبوا بتشكيل ميليشيات محلية تحل محل قوات الأمن، لكن اللافت هو أن هؤلاء النواب الشيعة والأكراد لم يطالبوا برحيل القوات الأميركية والبريطانية، بل طالبوا بأمر يتعارض مع بناء دولة حديثة وعصرية، وهو أن تحل الميليشيات محل قوات الأمن، رغم أن المراقبين يؤكدون أن ٩٠٪ من قوات الجيش والشرطة العراقيين هم من أبناء الطائفة الشيعية، فى حين قاطع أبناء الطائفة السنية الجيش والشرطة، وليست الظروف الاقتصادية الصعبة هى وحدها الواقع للشباب الشيعة لكى يشاركوا فى مؤسستى الجيش والشرطة رغم وجود الاحتلال، وأنها لوجود فتاوى دينية شيعية تحرضهم على المشاركة، إذ يرى فريق فى بعض أحزاب الشيعة أن الفرصة صارت مواتية لبناء جيش وشرطة رسميين يضمنان فى المدى البعيد حماية المصالح السياسية والاقتصادية لبعض النخب الشيعية، وبخاصة لقيادات المجلس الأعلى للثورة الإسلامية - وفيلق بدر ومنظمة بدر التى تتهمها دوائر سنية عليا فى العراق بشن حرب تصفية ضد رموز السنة، سواء فى المجال العسكرى أو السياسى، بل أن دوائر شيعية موالية للسيد مقتدى الصدر اتهمت بعض النخب الشيعية بتحريض جنود الجيش «وهم من الشيعة» بشن القتال ضد جيش المهدى الموالى للسيد الصدر وقت المعارك التى جرت فى منطقتى النجف وكربلاء عام ٢٠٠٤، الأمر الذى يؤكد وجود مصالح طبقية وسياسية وراء تشكيل الجيش والشرطة العراقيين، وكذلك وراء رفض الميليشيات الكردية الاندماج فى الجيش والشرطة، والبقاء بعيداً فى المناطق الكردية، مع عدم السماح للجيش والشرطة بدخول المناطق الكردية التى صارت تحت مظلة الميليشيات الكردية للحزبين «الديمقراطى - والوطنى».

• تعتيم إعلامى رسمى على المقاومة

الأمر الذى دفع كثيرين إلى الاعتقاد فى وجود دولة كردية - واقعية - فى شمال العراق، حتى ولو لم يتم إعلان ذلك لقد وقع الإعلام العربى فى أخطاء عديدة أثناء تغطية أو نشر أو بث أخبار العمليات التى أصابت مدنيين على يد المقاومة فى العراق، و افتقرت بعض رسائل الإعلام العربية إلى القواعد المهنية فى التعامل مع الأخبار، ولم تذكر - مثلاً - هوية المدنيين، وتعمدت استخدام تعبيرات من نوع «قتل ٥ أشخاص عراقيين» كنوع من التمييز عن الأميركيين، رغم أن الموضوعية هنا تفترض ذكر الحقيقة كاملة على النحو التالى «قتل ٥ من أفراد الجيش العراقى أثناء عملية مداهمة لمواقع المقاومة» لكن بعض وسائل الاعلام العربية تعمدت وصف المقاومة بعبارة «المسلحين» أو الانتحاريين وتمادت بعضها فوصفت المقاومة بالإرهاب.

وبدا الإعلام العربى مرتبكاً فى استخدام المفاهيم، والمصطلحات، فهو لا يريد أن يغضب السلطات العربية التى تتحكم بالمال أو القرار فى النشاط الإعلامى، ولا تريد أن تغضب المواطن الذى يتابع هذه الوسيلة أو تلك، وجاء هذا التناقض فى غير مصلحة الحقيقة، اذ نسبة قليلة جداً من عمليات المقاومة وقعت ضد مدنيين، وبعضها وقع نتيجة أخطاء تعد أمراً طبيعياً فى الحروب والأزمات، وهى لا تقارن على أى نحو بجرائم الجيش الأميركى ضد المدنيين؛ هذا الجيش الذى أباد مدينة الفلوجة، ودمر مناطق كبيرة من الرمادى وبعقوبة، لكن معظم وسائل الإعلام العربية لم تلتزم الموضوعية فى تناولها لأخبار المقاومة، كما لم تمنحها القدر المناسب من التغطية والتحليل وعرض وجهات النظر حولها.

وفى حين استضافت الصحف والمحطات الفضائية ممثلى الحكومات العراقية المؤقتة، وقادة الأحزاب المشاركة فى الصيغ والأطر المتزامنة مع الاحتلال، فإنها - فيما ندر - لم تستضف قادة المقاومة أو المعبرين عنهم والمتعاطفين معهم، ليس فى داخل العراق فقط، وإنما فى الدول العربية.

وباستثناء الصحف والمحطات المستقلة التى سعت إلى أبراز «ثقافة المقاومة» فى فلسطين والعراق، وتمكنت من تقديم صورة واقعية عن المقاومة، والتقت المقاومين والمتعاطفين معهم، فإن الإعلام الرسمى العربى تأثر الى حد بعيد بالمواقف الحكومية، والتى لم تطرح تصوراً لطرد الاحتلال الأنجلو أميركى من العراق، رغم أن هذه الحكومات هى التى بادرت إلى المشاركة فى قوات تحالف دولى مكون من ٣٠ دولة لاخراج القوات العراقية من الكويت عام ١٩٩١.

وكان لافتاً أن بعض الدول العربية قطعت علاقاتها مع العراق عندما قامت الأخيرة بغزو الكويت عام ١٩٩٠، ولم تقم بقطع العلاقات مع أميركا أو بريطانيا عندما قامتا بغزو العراق ٢٠٠٣ رغم عدم وجود غطاء شرعى، ولا مبررات أخلاقية لهذا الغزو، وبطبيعة الحال فإن تراجع الموقف الحكومى العربى انعكس على اداء وسائل الاعلام الموالية لها، وبالتالى حصل نوع من التعتيم الإعلامى على المقاومة العراقية، رغم أن هذه المقاومة - مع المقاومة الفلسطينية - تمثل أنبل ظاهرة عربية.

• شبح الفتنة الطائفية

كثيرة هى الجرائم التى حاولت القوات الأميركية نسبها إلى المقاومة العراقية، وبخاصة جرائم قصف المساجد الشيعية بقذائف الهاون، أو تنفيذ عمليات انتحارية وسط مدنيين شيعة، وكثيرا ما تظهر تنظيمات وهمية تحاول أن تنسب نفسها للمقاومة السنية باعتبارها هى التى نفذت عمليات انتقامية من الطائفة الشيعية، بدعوى أن جيش أميركا لم يكن يستطيع أن يدخل العراق لولا حصوله على ضوء أخضر من الشيعة.

ومن الواضح أن الخارطة المذهبية العراقية تتضمن منظمات سلفية متطرفة، ومنظمات أخرى شيعية متطرفة، وهناك خلافات كبيرة بين جماعات سلفية وهيئة علماء المسلمين السنة، وفى حين أن بعض المنظمات السلفية السنية المتطرفة نفذت عمليات ناجحة ضد العدو الأمريكى وحلفائه، فإن بعض هذه المنظمات ومنظمات غيرها ارتكبت جرائم لا تمت لخط المقاومة بصلة، ربما بسبب عنف عقائدى أو بسبب استغلال الاستخبارات الأميركية والعراقية (الجديدة) لبعض هذه المنظمات المتطرفة، وتوظيفها فى إطار مخطط لإثارة فتن طائفية، إذ كيف يمكن أن نفهم قيام جماعات سنية وشيعية بهدم مساجد لهذه الطائفة أو تلك إلا فى إطار عمى أيديولوجى او استغلال استخباراتى؟

هناك ثلاث جماعات سلفية ذات تأثير على مستوى العمليات، وحضور فى وسائل الإعلام، وشبكة المعلومات، وتتميز عملياتها بالنوعية وانتقاء الأهداف والكثافة والخبرة العالية للمقاومة وثلاث دول لاتينية ذات الثقافة الإسبانية من العراق أثر ما سمى غزوة مدريد المباركة (على حد وصف تنظيم القاعدة)، تلك الغزوة التى أفهمت الأوروبيين أن بلادهم على مرمى العنف، وأن ساحة القتال ليست محصورة فى البلاد الاسلامية، وإنما قد تكون أرضهم أيضا، كما كان للجيش الإسلامى الأثر الواضح فى فرط عقد الدول الحليفة لأمريكا باجبار الفلبين على سحب قواتها، وهى الحليف الأبرز لأميركا مما شجع الدول الأخرى على سحب قواتها، والاعلان عن رغبتها بسحب قواتها فى أسرع وقت.

وأما جيش أنصار السنة فقد نفذ عدة عمليات قوية ضد قوات البشمركة الكردية، وأشهر عملياتها ما أسمته (غزو أربيل) التى أوقعت خسائر كبيرة فى صفوف البشمركة.

وهناك جماعات أخرى سلفية من بينها الجماعة السلفية للدعوة والجهاد (انضمت الى تنظيم القاعدة) وكتائب (أبو بكر الصديق) السلفية وجيش محمد، وكتائب الغضب الإسلامى (انضمت لتنظيم القاعدة)، وهناك تقديرات تؤكد أن الجماعات السلفية تمثل ٩٠٪ من خارطة المقاومة الإسلامية الوطنية (غير البعثية) كما صرح بذلك القائد الشهيد أبو أنس الشامى.

لكن هناك تقديرات أخرى، لاسيما عند هيئة علماء السنة تنتقد- بعنف- طروحات وأساليب الجماعات السلفية، وتصفها أحيانا بالجماعات الشاذة، بدعوى أنها لا تميز فى عملياتها بين أجهزة أمنية عراقية (جيش أو شرطة) تمارس العدوان على الشعب العراقى بما فيه المقاومة، وبين شرطة عادية تعمل فى مجالات لا تمس جوهر المقاومة كرجال المرور أو الشرطة الجنائية، ويرد السلفيون بأنه من الصعب التمييز بين أى رجل قبل أن يعمل فى جهاز الشرطة بما فى ذلك المرور؛ لأن شرطى المرور يسمح للقوات الأميركية أو الموالية بالعبور لكى تنفذ عمليات ضد المقاومة، كما حصل فى الانبار

والموصل، فى حين أنه ينبغى أن يعمل مع المقاومة سواء بإبلاغ رجالات المقاومة بتحركات العدو أو بتعطيله حركة المرور بأى وسيلة كانت.

وفى بيان صادر عن إحدى الجماعات السلفية رد- بعنف- على هيئة علماء المسلمين، وتساءل: من أين ينهلون أدلتهم الشرعية؟

قال: فى فرنسا أيام احتل الألمان دولتهم اعتبروا كل من يساعد الاحتلال أو الحكومة الفرنسية العميلة خائنا ومنبوذا دينيا، واعتبرته الكنيسة الفرنسية مخالفا لمعتقده الدينى، وخائنا على الرغم من الميوعة العقائدية عند القوم، أما نحن وعلى رغم صفاء عقيدة الولاء والبراء ورضوخها فإننا نماحك ونجادل فى أساسيات عقيدتنا وفى ألف باء الإسلام..فأى زمان هذا؟!

مشروعية إرهاب العدو «فقط»
فتوى الشيخ محمد الألوسى «الناطق باسم الكتلة الإسلامية»

بين الجهاد والإرهاب تلازم وتكامل إذ هما عنصران لا يقوم أحدهما دون الآخر فى تحقيق الهدف منه وهو التصدى للمعتدى وإنزال الهزيمة به بكل وسيلة مشروعة متاحة بما فى ذلك استخدام السلاح، وليس لإكراهه على قبول الإسلام بدليل قوله تعالى: (لا إكراه فى الدين" سورة البقرة آية ٢٥٦، وقوله تعالى: ﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ يونس، آية ٩٩، وقوله تعالى، ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾ الممتحنة الآية ٨، وقوله تعالى: ﴿وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾ البقرة ١٩٠.

أما الإرهاب فيعنى قذف الرعب فى نفوس المعتدين لكى تسهل السيطرة عليهم وانزال الهزيمة بهم.

والإرهاب بهذا المعنى حق مشروع بكل المقاييس العقلية والشرائع السماوية والمواثيق الدولية ضد قوات الاحتلال.

فإذا كان الجهاد بهذا المعنى حقاً مشروعاً وامراً الهيّاً على المسلمين، فإن الإرهاب الذى يمارسه المعْتَدَى عليه دفاعاً عن العرض أو الوطن أو المال أو الدين أو الكرامة يكون حقاً مشروعاً أيضاً بالضرورة والبداهة لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، أما إذا صدر من المعتدى على المعتدى عليه فهو عدوان مرفوض تبعاً لذلك.

إن هذا المفهوم الإسلامى الإنسانى للإرهاب يتعرض الآن أكثر من أى وقت مضى لحملة تشويه

مركزة يقوم بها الحلف الصليبى الصهيونى، بعد أن عجز عن انتزاع عقيدة الجهاد من نفوس المسلمين، فأراد تفريغها من مضمونها لكى تتحول إلى نظرية بلا ممارسة وشعار من دون مضمون، إذ أن هذا الحلف العدوانى توصل من خلال استقرائه لتاريخ المسلمين أن العقيدة الإسلامية مهما بلغت من الوضوح والصفاء ومهما تمكنت من نفوس المؤمنين بها تبقى غير قادرة على الصمود أمام مؤامرات الاعداء، إذا لم تستند على جهاد يحميها وارهاب يقذف الرعب فى نفوس المعتدين.

وهذا الحلف الآن بصدد مشروع عدوانى يهدف تغيير الخارطة السياسية والهوية الحضارية والعقدية للعالم الإسلامى وذلك بتفتيته وتجزئته إلى كيانات طائفية وعنصرية أكثر عدداً وأضعف من الكيانات القائمة فيه الآن لكى تسهل السيطرة عليها سيطرة مباشرة لتحويلها إلى أسواق لبضائعه ولنهب ثرواتها وفى مقدمتها النفط الذى استودعه الله فى أراضيها حيث يبلغ أكثر من ٨٥٪ من الاحتياطى العالمى من نفط العالم، علماً بان أمريكا مهددة بنضوب نفطها الذى يقدره الخبراء ببضعة عقود، فضلاً عن ذلك أنها تسعى جاهدة لحرمان الدول الصناعية الكبرى منه بقصد تدمير صناعتها وهى الآن تخوض ضدها حرباً تجارية خفية قد تتحول إلى حرب أشد سخونة وأكثر تهديداً للبشرية من الحرب الباردة التى كانت قائمة بين المعسكر الرأسمالى والمعسكر الاشتراكى قبل تفكك الاتحاد السوفياتى.

إن أمريكا لم تخفِ أهدافها هذه فقد صرح بذلك وزير خارجيتها المستقيل كولن باول بقوله "إن احتلال العراق والسيطرة على نفطه سيمكننا من تغيير الخارطة السياسية فى العالم الإسلامى" كما صرحت كونداليزا رايز عندما كانت مسؤولة الأمن القومى وصاحبة النفوذ الواسع على الرئيس بوش: "أن أمريكا خلال العشر سنوات المقبلة ستفرض الديمقراطية على الطريقة الأمريكية على العالم الإسلامى"، وقبل باول وكونداليزا رايز كتب الرئيس كارتر فى مذكراته: "إن من يملك نفط الشرق الأوسط يمسك مفتاح السيطرة على العالم".

فلا غرابة إذاً من تركيز التحالف الصهيونى الصليبى حملته على الارهاب بمفهومه الإسلامى الإنسانى وتشويه طبيعته فى الوقت الذى يشجع الحكومات المستبدة العميلة على ممارسة الارهاب العدوانى غير المشروع ضد شعوبها، لان الارهاب الذى يمارسه المجاهدون فى العراق الان قد أوجع امريكا وأوجد لها مشاكل اقتصادية واجتماعية وسياسية فى داخلها وعرّض مصالحها وامتيازاتها وسمعتها للاهتزاز، وشجع ضحاياها المستضعفين الذين أنهكهم المرض والجوع على التململ والتحرك تحدياً لها اقتداء بالمجاهدين فى العراق.

ولا غرابة أيضاً فى أن ينبرى عملاؤها فى العراق وفى غير العراق لترديد مفترياتها بشأن الإرهاب الإسلامى، ترديد الببغاوات وتقليدها تقليد القردة.

وهؤلاء الساقطون لم تَخلُ من أمثالهم أمة من الأمم ولا شعب من الشعوب على امتداد التاريخ.. إلا أن الغرابة فى ان ينبرى المتأسلمون " ادعياء الدين والفضيلة من أصحاب العمائم الكبيرة واللحى الطويلة على ترديد اتهامات المحتلين وشبهاتهم والوقوف مع عملائهم فى خندق الخيانة والعمالة بفتاوى سلطانية ما انزل الله بها من سلطان، يصفون المجاهدين بالقتلة الخارجين على الدين وينعتون الاستشهاديين بالانتحاريين المتمردين، الذين ليس لهم من الإسلام حظ ولا نصيب.. إذ أن خطورة هؤلاء تكمن فى انتسابهم إلى الإسلام وفضائله.. والتحدث باسمه وتسترهم بمصطلحات العقلانية والوسطية.

ويطلبون وجوب الانتظار حتى يتبين الخيط الأبيض من الخيط الأسود لكى تستبين الحقيقة المحجوبة عن بصائرهم وأبصارهم وعندها يصدر الحكم الشرعى، أما قبل ذلك فيكون التحرك فى الدائرة الرمادية أمراً جائزاً، شرعاً مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد حذر من ذلك بقوله: (الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات فمن وقع فى الشبهات وقع فى الحرام، ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه)، ثم دعوتهم إلى التفرغ إلى الزهد والعزلة فى الكهوف والمغارات المظلمة والدهاليز المتعفنة لتطهير النفوس بالجهاد الأكبر بعيداً عن مشاكل الأمة ومطالبها المشروعة إلى أمثال ذلك من الدعاوى والمعاذير التى يريدون بها أن يجعلوا الدين مخدراً للشعوب وأفيوناً للجماهير وخدمة الطغاة والمحتلين بدلاً من ان يكون حركة تحرير للإنسان.

إن هذا النفر الذى أصبح خارج حركة التاريخ بعد أن تكشفت حقيقته ومواقفه الجبانة نسى أو تناسى أن الجهاد الأكبر إذا اجتاح الأعداء أى بلد إسلامى يجب أن يُمارس تحت صليل السيوف ومدافع الهاون تصب حممها على رؤوس المحتلين وعملائهم. وإن على المسلمين جميعاً وفى مقدمتهم العلماء أن يرفعوا راية الجهاد نساء ورجالاً ينهضُ به البار والفاجر، لأنه أفضل من الصوم والصلاة والحج والاعتكاف فى المسجد الحرام ومسجد الرسول والمسجد الأقصى وانه يأتى فى الأفضلية بعد الإيمان بالله لقوله تعالى: (أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمَن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدى القوم الظالمين) التوبة: آية (١٩).

• هجوم انتحارى فى مسجد شيعى (!)

- ومن جريدة الحياة اللندنية ١٤ مارس ٢٠٠٥ نطالع:

اعلنت جماعة (جند الصحابة) غير المعروفة أمس، مسؤوليتها عن الهجوم الانتحارى الذى استهدف مسجدا شيعيا فى الموصل، واسفر عن سقوط ٥٠ قتيلا. جاء ذلك فى وقت ادانت هيئة (علماء المسلمين) و(الحزب الإسلامى العراقى) فى بيانين منفصلين هذه العملية التى اتهمتا فيها جهات خارجية).

وتعهدت (جند الصحابة) فى بيان تنفيذ المزيد من الهجمات ضد الشيعة الذين وصفتهم (بالروافض) واعتبرت انهم ليسوا مسلمين حقيقيين.

وتابع البيان الذى نشر على موقع إسلامى على الإنترنت: (أول ما بدأنا به غزوة الموصل للروافض، ونتوعد الرافضة بتصعيد العمليات ضدهم إذا لم يوقفوا عدوانهم وغيهم).

فى المقابل، أدانت (هيئة العلماء المسلمين) فى بيان (الهجوم الارهابى) الذى استهدف مجلسا للعزاء فى مسجد الشهيدين الصدريين فى المدينة) وجاء فى البيان أن الهيئة (تدين مثل هذه الأعمال التى يذهب ضحيتها الأبرياء من ابناء البلد من غير جرم أو ذنب) واتهمت الهيئة (جهات خارجية بالوقوف وراء مثل هذه الاعمال فى محاولة منها لزرع الفتنة وشق وحدة الصف العراقى).

وحضت العراقيين على عدم الوقوع (فى شراك المخططات التى تحاك ضد أبناء هذا البلد، وأن يفوتوا الفرصة على الأعداء بإظهار وحدتهم وتماسكهم على رغم السهام التى تصيبهم، وأكدت الهيئة (حرمة هذه الأفعال الاجرامية التى لا تخدم إلا أعداد الوطن).

إلى ذلك، أدان (الحزب الإسلامى العراقى) العملية ووصفها بأنها تستهدف وحدة العراق من خلال محاولة إثارة الفتنة، بين الطوائف الدينية. واتهم الحزب فى بيانه (أعداء العراق... الذين يراهنون على استهداف وحدته وتمزيق لحمته من خلال الاصرار على سفك الدم العراقى البرئ وفى مناطق العراق المختلفة مستغلين التنوع الاثنى والطائفى فيها).

ودعا الحزب (إلى التوحد والصمود فى وجه هذه الهجمة الطائفية... وإلى تبنى روح الوطنية الحقة من أجل الوصول إلى عراق آمن ومستقر) كما دعا الحكومة العراقية الى التشاور مع القوى الرئيسية فى البلاد فى التعامل مع الواقع الامنى (لتهدئة التوترات واخماد الفتنة التى تسعى جهات مشبوهة الى إثارتها فى صورة مباشرة أو غير مباشرة... واحتواء المضاعفات التى تهدد واقعنا العراقى المضطرب).

- **مجزرة فى سرادق عزاء**

أدان (الحزب الإسلامى العراقى) و(هيئة علماء المسلمين) اللذان يعدان من أهم الأحزاب والمراجع السنية فى العراق، فى بيان الاعتداء الدموى الذى وقع فى الحلة وأدى إلى مقتل ١١٨ وإصابة ١٤٦ آخرين بجروح، وتردد أن منفذه شاب أردنى، لكن أسرته نفت ذلك.

وقال الحزب فى البيان: (نحن فى الحزب الإسلامى نصرخ ونقول كفى، لقد بلغ السيل الزبى ولابد أن يتعاون الجميع فى كشف الجهات التى تقف وراء هذه الجرائم) وأوضح أن (هذه الجهات لا نشك فى أن لها مصلحة واضحة فى قتل الأبرياء وجر العراقيين للاحتراب فى ما بينهم) وطالب (الحزب الإسلامى العراقى) فى بيانه (الحكومة العراقية من جهة والمحتل الذى يتمسك بإصرار بالملف الأمنى من جهة أخرى بأن يجيب ويحل اللغز الذى بات يؤرق العراقيين فى كل حدب وصوب).

ورأى البيان أن (ما تعرضت له مدينة الحلة يعد مجزرة فظيعة أريقت فيها دماء عزيزة وفاضت الى ربها ارواح بريئة من دون ذنب او جريرة).

ومن جانبها أكدت (هيئة علماء المسلمين) فى بيان أن (مثل هذه الأحداث لن تزيد الوضع العراقى إلا خطورة وتأزما) وأضاف إن (إراقة المزيد من الدم العراقى تبعث الحزن والاسى فى قلوبنا ونفوسنا وتزيد من معاناة شعبنا الصابر المصابر وتفتح بابا لاعداء هذا البلد للوصول الى تنفيذ مخططاتهم الخبيثة فى العراق).

واعلنت الهيئة (حرمة الأعمال الإرهابية التى تطارد أرواح الأبرياء من العراقيين أيا كانت الجهة الفاعلة وأيا كانت المبررات).

قال الشيخ أحمد حسن طه إمام وخطيب مسجد (أبو حنيفة) فى بغداد فى خطبته (كلنا نستنكر المجزرة التى وقعت فى مدينة الحلة ضد إخوتنا العراقيين)

وأوضح أن (هذه التصرفات مجرمة والإسلام منها براء وهناك جهات خارجية تسندها).

وتساءل طه: (ما ذنب هذا الذى كان يصب الماء على المعزيين أو ذاك الذى كان يصب القهوة وما ذنب كل أولئك الحاضرين، وكيف بإنسان يدخل إلى مجلس عزاء ويقتل حوالى خمسين شخصا ويوقع عشرات الجرحى؟!).

• حسن نصر الله يتهم الموساد

اتهم المرجع الشيعى رئيس مجلس الأمناء آية الله أحمد الحسنى البغدادى: السفير الأميركى فى العراق جون نجرو غبونتى بـ (قيادة مؤامرة كبيرة لإشعال نار الفتنة الطائفية فى البلاد وإشعال النار بالمساجلات الجانبية).

وقال البغدادى فى تصريح لـ (الحياة) إن (التفجير الأخير الذى استهدف أحد مجالس العزاء فى مدينة الموصل يأتى فى إطار حملة واسعة لاتهام السنة بالعمليات التى تستهدف الشيعة بهدف اشعال الفتنة الطائفية والحرب الاهلية واطالة عمر الاحتلال).

وحذر البغدادى شيعة العراق من الانسياق وراء المخطط الهادف إلى تفتيت وحدة البلاد، خصوصا أن النسيج الاجتماعى بين السنة والشيعة ذو جذور تاريخية تمتد لمئات السنين (أقوى من ان يتأثر بالاعمال التخريبية التى تقوم بها طائفة تكفيرية تضليلية تعمل تحت حماية جهات معروفة).

ودعا العراقيين إلى (الحذر واليقظة وتشخيص المؤامرة وعدم التسرع فى الحكم على الاحداث الجارية أو اتهام السنة بتنفيذ العمليات الارهابية فى البلاد) مؤكدا ان (الشعب العراقى ومرجعيته على مستوى المسؤولية وتجنب الخديعة التى تمارسها جهات متنفذة لاشعال الحرب الاهلية فى البلاد.

وصرح السيد حسن نصر الله الأمين العام لحزب الله اللبنانى، فى خطبة نشرت مقتطفات كبيرة منها صحيفة السفير، ١٣/١١/٢٠٠٤، بما نصه حرفيا (هناك مشكلة حقيقية فى العراق وخلط بين المقاومة التى تريد تحرير العراق من الاحتلال وهى مقاومة مشروعة تستهدف بعملياتها قوات الاحتلال، وبين الجرائم التى ترتكب بحق المدنيين وبحق العتبات المقدسة لدى المسيحيين والمسلمين، وقتل العلماء من شيعة وسنة وقتل الكوادر والقياديين المخلصين، هذا أحدث التباسا فى الساحة العراقية ،من واجبى كأخ مسلم ان انصح شعبنا فى العراق واقول له:

دقق جيدا بهوية من يزرع السيارات المفخخة فى شوارع العراق، ودقق فى هوية الذين يقتلون علماء الشيعة والسنة، دقق جيدا بالذين يفجرون الكنائس والذين لا يستهدفون الا المدنيين، وأقول لهم بكل صراحة إنكم ستكتشفون بعد حين أن بعض هذه المجموعات تديره وكالة المخابرات المركزية الأمريكية والموساد، وبصراحة أشد بعضها تديره المخابرات العراقية التابعة لإياد علاوى من اجل ان يُقتل العراقيون، من واجبنا أن نقول الحقيقة ولو كانت مرة وقاسية، وكلنا يجب أن ندين العدوان الأمريكى على أى مدينة عراقية، ندين العدوان على الفلوجة كما ندين العدوان على النجف وأى مدينة عراقية.

• من ضرب مقر الأمم المتحدة؟

وتكشف مصادر فى المقاومة العراقية الخطط الأميركية لإثارة الفتنة الطائفية، ومحاولة تشويه المقاومة، والحيلولة دون انضمام قواعد شعبية جديدة لها، ويسوق المصدر (راجع الوثائق) عدة نماذج وأمثلة على المخطط الأميركى لخلط المقاومة بالعمليات الارهابية، ويقول حسن القاضى عضو المكتب السياسى للمقاومة العراقية فى رسالة بعث بها الى نشرة (المقاومة)الصادرة عن اللجنة العربية لمساندة المقاومة الاسلامية فى فلسطين ولبنان بتاريخ ١٠/١٠/٢٠٠٤:

من هنا يتوجب التيقظ لما يقوم به العدو وعملاؤه وأعوانه من اعمال يحاول نسبتها للمقاومة، فلقد أُسقط بيد العدو وفشل فشلا ذريعا ومكلفا من جهتى الارواح والاموال فى تحجيم المقاومة والقضاء

عليها، ولقد بذل كل مستطاعه: من محاولة ضرب العراقيين بالعراقيين، من خلال اثارة النزاعات على اسس قومية أو دينية أو طائفية، الى محاولات اختراق صفوف المقاومة بشتى الوسائل وأكثرها خبثا ودناوة، إلى عمليات إرهابية قذرة ومحاولة الصاقها بالمقاومة.. وليس الزعم بوجود مقاتلين وجماعات اسلامية جرى الترويج الاعلامى لها منذ غزو افغانستان، على انها من يقوم (بالعمليات الارهابية) سوى واحدة من تلك الوسائل.

إنهم يفجرون السيارات المفخخة بين المدنيين قرب المدارس والمشافى والأسواق، ويطلقون قذائف الهاون على البيوت والمساجد ومراكز الشرطة، ويختطفون النساء والمدنيين الأبرياء من خلال أتباع لهم ويساومون على إطلاق البعض منهم نظير المال، وهم من أجرى التفجيرات قرب بعض دور العبادة المسيحية، وهم الذين نفذوا عملية الاعتداء على مقر الأمم المتحدة والصليب الأحمر الدولى، والعديد من المواقع والرموز ذوات الدلالة مما أريد بضربها توجيه أصابع الاتهام صوب المقاومة ومجاهديها، والاساءة بذلك الى سمعة المقاومة من جانب إحداث شقة خلاف بينها وبين شعبها المبتلى من جانب ثان واستغلال الحالة للتخلص ممن لا يروق للبغاة والحاق التهمة بالمقاومة من جانب ثالث.

وعسانا من خلال استعراض بعض الامثلة، والتأمل فى وقائعها وطبيعتها، ندرك ونعى خبث العدو الباغى وحقيقة مسالكه وطبيعة عدوانه.

فالسفارة الأردنية ببغداد تضم بعض موظفين يقدمون خدماتهم لمواطنينا بما ييسر أمر سفرهم وقضاء مصالحهم، ويتواجد فى بناية السفارة كل يوم عدد يربو على خمسين إلى سبعين من المراجعين العراقيين، ولا يتواجد عن قرب السفارة أو محيطها أية قوات للعدو.. فهل يعقل ان تتعرض لما تعرضت له من تفجير وإزهاق أرواح الأبرياء وإيقاع (الصدمة والترويع) فى نفوس المواطنين.

ويمضى حسن القاضى عضو المكتب السياسى للمقاومة العراقية قائلا:

وواقعة مركز تطوع الحرس الوطنى فى مطار المثنى، كشفت لبعض المتواجدين ممن بقوا على قيد الحياة وبدليل دامغ حقيقة الحدث، فالمركز المذكور اتخذ منذ زمن مقرا لاستقبال طلبات المتطوعين فى الحرس الوطنى (الجيش المستحدث)، ولابد من إعطاء صورة للمكان، فمطار المثنى كان يبنى فيه جامع صدام الكبير وهو المخطط ليكون اكبر مسجد فى العالم مما يعطى تصورا عن قدر مساحته فى طرفه الجنوبى المواجه لمتنزه الزوراء ثمة بنايتان كانتا من بقايا المطار (الداخلى) القديم وأثر الاحتلال جعل العدو المحتل البناية الجنوبية مقرا لقيادة فرقة تحيط بها الدبابات والمدافع والرادارات من جميع جوانبها، وإلى الشمال منها هناك بناية من طابقين كانت مخصصة للمسافرين فى الرحلات الداخلية

وقد اتخذها العدو كمطعم وبار وهى محاطة بعدد من الدبابات والمسافة بينها وبين البوابة المواجهة لحدائق الزوراء حوالى مائة متر، وجرى العمل بأن تحرس بوابة هذه البناية - المطعم - من جانبيها مدرعتان وعدد من الجنود بحدود أربعة إلى ستة بينما يقف عند البوابة من الخارج أى على رصيف الشارع اثنان وأحيانا ثلاثة من الحرس الوطنى العراقى، وجرى الاعتياد أن يحضر طالبو التطوع عند الصباح الباكر فيقفون بالدور أمام الجانب الأيمن من البوابة لتسلم استمارات طلب التطوع من أحد أفراد الحرس الوطنى وهذا يتسلمها من جندى أمريكى يقف إلى جانبه مدنى يتفرس فى طالب الاستمارة فيقبل أو يرفض فيصرف الشخص، بينما يصطف عند الجانب الأيسر من البوابة طالبو التطوع الذين حضروا بالأمس وتسلموا الاستمارات لغرض تسليمها بعدما ملئت بالمعلومات، وكانت العادة أن تتم هذه العملية عند الساعة ٩ صباح كل يوم، أما فى يوم وقوع حادثة التفجير فقد طال انتظار الصفين من المراجعين حتى الساعة ١٠,١١ صباحا دون أن يطل عليهم أحد من الداخل سواء لتوزيع الاستمارات أو لاستلامها مملوءة.

وكان اثنان من الحرس الوطنى يتواجدان كالعادة عند الباب وكانا يردان على المراجعين بأن ليس لهما ذنب فى التأخير لأن الأمريكان المسئولين عن العملية لم يحضروا بعد.

ولاحظ الحضور اختفاء المدرعات التى كانت تتواجد أمام النيابة الأقرب للبوابة كما اختفى الجنود الأمريكان تماما من مواقعهم خلف السياج وفى المسافة بينه وبين البناية.. وعلى هذه الصورة وبهذا الحال جاءت السيارة المفخخة، قدمت من جهة كراجات علاوى الحلة وتقدمت بشكل مستقيم صوب جمهور المتطوعين وانفجرت لحظة الاصطدام بهم وقتل من قتل وجرح من جرح ونجا من كان بعيدا وشاهد العديد من الجرحى والناجين أن السائق الذى تمزقت أوصاله وصار أشلاء أن يداه كانتا معلمتين بما يكشف أنه كان مقيدا إما خلال الحادث أو قبله، كما تساءل العديد منهم عن سبب غياب الأمريكان وتركهم لمواقعهم ذلك الصباح، وبدورنا نعرض الوقائع كما هى، ونترك للقارىء أن يتأمل ويقرر.

• إسرائيل قتلت ٧٠٠ عالم عراقى

وفى واقعة مقر الأمم المتحدة، وكذلك فى واقعة الصليب الأحمر، لم يثبت أصلا وجود انتحارى فى السيارتين اللتين كانتا أدوات التفجير.. ولاحظ الناس ومنهم وسائل الإعلام ان الامريكان كانوا يتواجدون قبل الحادثتين فى الموقعين، وقد اختفوا ساعة وقوعهما، وهنا نتساءل كيف لعاقل أن يتقبل ان دولة احتلال عظمى كالولايات المتحدة تترك مقرا مركزيا للامم المتحدة دون حراسة مناسبة

ومكثفة؟! لأن المقر مادام فى دولة محتلة وفيها اضطرابات «وارهاب كما يقولون بأنفسهم» فهو - أعنى المقر - لابد وان توفر له حراسة مشددة تليق بالموقع - الرمز - وتناسب أهميته وخطورة مركزه، ومن جانب آخر ما هى مصلحة المقاومة فى الاعتداء على هيئة دولية تحاول أن تكون لها دور فى احلال السلام وإعادة الأمن إلى بلد كان ضحية إرهاب دولة عظمى بددت الأمن وانتهكت الحرمات ودهست القانون الدولى والوطنى.. لا بل إن المتابعين لاحظوا، ولابد لكل عاقل أن يلاحظ، أن الصراع الدائر منذ الغزو والاحتلال بين الدولتين المارقتين الغازيتين وبين الأمم المتحدة قد تمحور حول رغبة الأمم المتحدة فى أن يكون لها دور رئيسى فى العراق بينما تصر الدولتان المعتديتان على ان يتحدد دور الهيئة الدولية فى بعض الجوانب الانسانية، ولاحظ المراقبون المتابعون لتطورات ذلك الصراع ان المندوب الدولى كان دخل فى حوارات ومماحكات وخلافات مع الحاكم الامريكى بول بريمر قبل حادث التفجير بأيام.

وغير هذا وتلك، ثمة الكثير من العمليات المشوبة بالغموض وبالقذارة فى آن معا، ويبقى دوما فى مقدور الناس قدر كبير من القدرة على التمييز وتشخيص ما هو من عمليات المجاهدين الموجهة دوما وبغير استثناء ضد قوات الاحتلال - آلياته وجنوده ومكاتب مخابراته وعملائه ومكاتب المخابرات الإسرائيلية وعملائها ومراكز التمويه المتخذة كمقار لشركات وهمية بينما تخفى أنشطة استبخاراتية وقوى تخريبية - وما هو من عمليات العدو واجهزة مخابراتية وعملائه مما هو موجه ضد أهداف مدنية لا صلة لها بالعدو.

كما يتوجب ألا يغيب عن بال الناس أن الحدود المفتوحة جعلت من أرض بلادنا فضاء واسعا ومستباحا دخلته العديد من قوى المخابرات لدول عدة بقصد تصفية حسابات وإيقاع الأذى والتصفية بكثير من الأشخاص لسبب أو لآخر..

ومخابرات إسرائيل نشطت بشكل واسع ومذهل فى اغتيال أساتذة الجامعات وعلماء العراق وأطبائه وكل علم من اعلام شتى العلوم وترويع بعضهم لمغادرة البلاد .. ولقد أمكن لها اغتيال ما يربو على سبعمائة من العلماء والأساتذة.. ولنا أن نتساءل: من المسئول عن تسيب الحدود؟ وانعدام السيطرة أو ليس مقصودا كما هو واضح من مجريات الأمور؟!

- **بيان القيادة الموحدة للمجاهدين حول استهداف المدنيين من أبناء شعبنا !!**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه .

تعلن قيادتنا مباركتها لكافة العمليات الجهادية التى تستهدف صدور قوات الاحتلال الغاشمة وأعوانهم وأدلائهم، وتشد على يد كل مجاهد مخلص لدينه وأرضه ونسأل الله تعالى أن ينصر

المجاهدين ويسدد رميهم ورأيهم ويوحد كلمتهم ويؤلف بين قلوبهم ويلقى الرعب فى قلوب أعدائهم ...

وفى الوقت نفسه نستنكر كافة الأعمال التخريبية الخبيثة التى يقوم بها الأعداء وأعوانهم لإلحاق الضرر بأرواح وممتلكات مواطنينا الأبرياء، مشوهين بذلك صورة الجهاد والمجاهدين الذين نذروا أنفسهم لنصرة الدين والوطن. ونعلن أن كل من تسول نفسه القيام بهذه الاعمال التخريبية والإرهابية وخصوصا منها التى ينفذها العناصر المجرمة التى دخلت من ايران، ستكون من أولويات مهامنا التخلص منها. وقد صدر الأمر لكافة الفصائل بتركيز بعض الجهود وبالتعاون مع أبناء المناطق بتعقب هؤلاء المجرمين وخصوصا من يقوم بعمليات خطف الاطفال وقتل العلماء ورجال الدين سنة وشيعة، والمساجد والكنائس. وستكون هذه المبادره محاوله جادة تصب فى حماية المواطنين من أذى هؤلاء.

كان الاجدى بالاجهزة الامنية الجديدة أن تقوم بهذا العمل لو كانت تلك الاجهزة صادقة فى عملها بدلا من إستهداف المجاهدين والمقاومين!

أيها الشرفاء فى كل مكان :

يرجى التمييز والتمحيص لكل ما يقوم به هؤلاء الأوغاد الماكرون لتمرير مخططاتهم وخداع البسطاء من أبناء وطننا وديننا .

((ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين)) .

الله أكبر والعزة لله ورسوله والمؤمنين.

القيادة الموحدة للمجاهدين

بغداد فى ٣ ذى الحجة ١٤٢٥ هـ

الموافق ١٤ كانون الثانى ٢٠٠٥ م

الاربعاء ٨ ذى الحجة ١٤٢٥ / ١٩ كانون الثانى ٢٠٠٥

الفصل السادس

لماذا قامت أميركا بحل الجيش العراقي وتدمير أسلحته؟

- ٨ آلاف دبابة وعربة مدرعة تم تدميرها وبيعها خردة لتجار من خارج حدود العراق!!
- مئات الضباط انضموا إلى المقاومة المسلحة بعدما وجدوا أنفسهم عاطلين بدون رواتب
- البنتاجون شكل فرقة من الأكراد والشيعة لاغتيال قادة المقاومة تحت اسم «خيار السلفادور»

كان المشهد مثيراً للغاية فى مدينة الفلوجة عند نهاية أبريل ٢٠٠٤ عندما تم وضع اتفاق بين شيوخ وعشائر المدينة ووفد يمثل الحكومة المؤقتة يقضى بدخول وحدة من الجيش العراقى «الجديد» وقوات شرطة محلية لفرض الاستقرار فى المدينة، بعد معارك دامية جرت بين المقاومة والقوات الأميركية لم تستطع خلالها القوات الأميركية دخول المدينة بسبب شراسة المقاومة، وانحياز أهل المدينة للمقاومة. وقد بدا المشهد مؤثرا عندما أصر قائد وحدة الجيش العراقى التى دخلت الفلوجة العميد الركن جاسم الدليمى على ارتداء زيه العسكرى القديم أى الخاص بالجيش العراقى قبل حله، وقد حمل العلم العراقى بألوانه الشهيرة، المطرز بعبارة «الله أكبر»، ولم يكن ذلك المشهد سوى اعتزاز من ضابط وطنى محترف أصر على رفض الزى العسكرى الأميركى الذى فرضوه على الجيش والشرطة العراقيين بعد الاحتلال، وأصر على التمسك برتبته العسكرية. وبطبيعة الحال لم تمض أسابيع إلا وكانت القوات الأميركية قد تدخلت واقالت اللواء عبداللطيف، وانهت عمل الوحدة العسكرية العراقية وجهزت لشن حملة شرسة ضد المقاومة العراقية، وقد اكدت قيادات عسكرية اميركية انه لا يمكن الوثوق فى قيادات الجيش العراقى القديم أو حتى الجديد لأن ثقافتهم «قومية» و«وطنية» ويرفضون - فى أغلب الأحيان - قبول تعليمات أو أوامر من سلطات الاحتلال الأميركى.

لقد اعترفت الإدارة الأميركية ودوائر بريطانية بخطأ قرار حل الجيش والشرطة العراقيين، استناداً إلى أن آلاف الضباط والجنود المحترفين الذين صاروا عاطلين عن العمل قد تحولوا إلى خبرات مهمة لمد المقاومة بالرجال والمعلومات وطرق نصب الكمائن، وتفخيخ السيارات، خاصة وحدات المهندسين والإشارة وباقى الوحدات النوعية فى الجيش العراقى الذى كان واحداً من أهم جيوش الشرق الأوسط، وأكثرها خبرة قتالية.

لكن فى المقابل كانت هناك أهداف استراتيجية وراء قرار حل الجيش العراقى، وتدمير أسلحته، وسرقة أرشيفه، وقاعدة معلوماته، ومحاولة قتل أو اغتيال علماء حركة التصنيع الحربى، وهى خدمة المصالح الأميركية والصهيونية، وإذا كان القضاء على الجيش العراقى واستبداله بجيش «مستأنس» يتجاوب مع المصالح النفطية الاستراتيجية الأميركية، فإن هناك اهدافاً أخرى صهيونية وراء الشهوة الأميركية العارمة فى تدمير الجيش العراقى.

فالحرب على العراق مثلت مطلبا إسرائيليا كما مثلت المصلحة الأمريكية لاعتبارات تتعلق برؤية كل منهما لمصالحها فى المنطقة، لقد ظل الكيان الإسرائيلى يرى أن النظام العراقى يحمل رؤية راديكالية تجاه الصراع والتسوية السياسية فى الشرق الاوسط فالعراق شكل قلب جبهة الصمود

والتصدى) ليس على صعيد حزب البعث بل والمواطن العراقى العادى ذو الثقافة القومية وبالتالى ينبغى ضربه وتدميره.

واستغلت إسرائيل حالة التمزق التى مر بها العالم العربى، فقامت فى يونيو ١٩٨١ بتدمير المفاعل النووى العراقى وأعقبت ذلك بغزو لبنان ١٩٨٢، ورغم ذلك ظل الكيان الصهيونى يشعر بدرجة أعلى من التهديد من ناحية الشرق بعد قيام الثورة الخومينية فى إيران، وبموجب هذه الثورة تحولت إيران الشاه من حليف استراتيجى إلى عدو أيديولوجى فى ظل الثورة الإسلامية إذ أن الثورة الإسلامية ١٩٧٨ استولت على مقر السفارة الإسرائيلية فى طهران وسلمته لمنظمة التحرير الفلسطينية لتستخدمه كسفارة لدولة فلسطين.

ومرة ثانية جاءت الفرصة لإسرائيل للتخلص من القدرات العسكرية العراقية، وذلك عندما أقدم العراق على غزو الكويت فى الثانى من اغسطس ١٩٩٠ فقد كانت إسرائيل صاحبة مصلحة فى عدم تسوية الأزمة سلمياً، وبعيداً عن الإطار العربى، ولن تنسى إسرائيل ٢٣ صاروخا عراقيا تلقته أثناء حرب عاصفة الصحراء ١٩٩١، ورغم أن الأثر التدميرى لهذه الصواريخ كان محدودا للغاية، فإن الأثر النفسى على الجانبين العربى والإسرائيلى، وتحديدا المجتمعى- كان عاليا للغاية.

فللمرة الأولى منذ انتهاء حرب ١٩٤٨ تتعرض مدن إسرائيلية للقصف، ويقضى إسرائيليون ساعات طويلة فى المخابئ خشية التعرض لهجوم من الخارج.

وفتحت الصواريخ العراقية جبهة جديدة ونظرية جديدة فى الصراع العربى الصهيونى، هى ضرب العمق الإسرائيلى، وسوف يستفيد الفلسطينيون من هذه النظرية من خلال العمليات الاستشهادية وبخاصة فى الانتفاضة الثانية ٢٠٠٠ التى هزت قلب الكيان الصهيونى. وكان لافتا ان العراق كانت إحدى الدول العربية القليلة التى دعمت العمليات الاستشهادية، وخصص صدام حسين مليار يورو لمساندة أسر الشهداء فى وقت كان البعض من الدول العربية تبرأ من العمل الاستشهادى، وهو ما اعتبرته واشنطن وتل أبيب دعما (للإرهاب).

وحتى اللحظة الأخيرة، وقبل سقوط بغداد، كان الرئيس صدام حسين وباقى القيادات يؤكدون على مسألتين:

١- إن فلسطين العربية هى كل فلسطين من النهر إلى البحر، ولا اعتراف بالكيان الصهيونى، مهما كانت الأسباب، وبالتالى رفضت هذه القيادة الاعتراف بجميع الاتفاقات بين أى دولة عربية بما فيها مصر والأردن والكيان الصهيونى، كذلك لم تعترف باتفاق أوسلو.

٢- إن من حق الشعب الفلسطينى، وبخاصة المقاومة المسلحة أن تجد سندا عربيا، قوميا، وإسلاميا لها، وأن العراق التى صارت تملك أحد أكبر الجيوش فى العالم قبل كارثة عام ١٩٩٠، وانتهاء بالدعم المالى والمعنوى للمقاتلين فى فلسطين تقف خلف المقاومة.

- **تدمير ٨ آلاف دبابة وعربة مدرعة**

ولا شك أن الجيش العراقى كان أحد أهم الأدوات فى تطبيق رؤية القيادة العراقية لمفهومها فى الصراع العربى- الصهيونى (طبيعته- أهدافه- كيفية مواجهته)، هذا الجيش العراقى الذى جرى حله على يد الاحتلال، وتدمير ٨ آلاف دبابة وعربة مدرعة وبيعها خردة، وتدمير طائراته وصواريخه لكى تؤسس مقابله جيش هامشى، ضعيف، يحلق فى الاستراتيجية الإقليمية الأميركية الصهيونية، وجاءت المفارقة الصعبة فى أن قرار حل الجيش والاستخبارات ومطاردة عناصر فدائيى صدام وجيش القدس بنتيجة سلبية على الغزاة، إيجابية على الشعب، لأن أعدادا كبيرة من هذا الجيش المدرب انضمت الى المقاومة بدوافع وطنية، ودوافع احترافية، اذ لم تقبل فرقة «المدينة» مثلا أن تهزم من خلال القصف الجوى، فقرر ضباطها مواصلة القتال على الأرض، بعدما انتشروا بامتداد رقعة العراق، وصارت هناك منظمة عسكرية سرية تعرف باسم (فرقة المدينة)، كما قامت عناصر من أجهزة الاستخبارات- بعد حلها- بعمل شبكة اتصال قوية بين الخلايا المقاومة، ونجحت فى اختراق القوات الاميركية وقواعدها وعملائها، وتمكنت من توجيه ضربات قاسية لها.

صحيفة القدس العربى الصادرة فى لندن نشرت فى ٢٠٠٥/١/٧ المقال الآتى عن الجيش العراقى : للعام الثانى تمر الذكرى السنوية لتأسيس الجيش العراقى الباسل مرورا حزينا كئيبا يحز فى نفوس العراقيين بسبب وجود الاحتلال البغيض الجاثم على صدرهم ولغياب الجيش العزيز الذى طالما تفاخروا به، وأعتبروه رمز السيادة والكرامة والتحدى للعراق.

ففى هذا اليوم السادس من كانون الثانى (يناير) تمر الذكرى ٨٤ لتأسيس الجيش العراقى الذى يعتبر من أقدم الجيوش النظامية وأقواها فى القرن العشرين ضمن المنطقة العربية ودول المنطقة، حيث أنشئ عام ١٩٢١ فى بداية قيام الدولة العراقية الحديثة.

وتحدث عدد من ضباط الجيش العراقى الباسل عن هذه الذكرى، حيث أشار اللواء المتقاعد هلال الشمرى أن الجيش العراقى هو رمز خالد للسيادة والكرامة العراقية وكان له دور مؤثر فى جميع الاحداث التى مرت على العراق منذ تأسيسه من خلال وقوفه الى جانب الشعب فى مختلف الظروف سواء فى الثورات والانتفاضات الداخلية أو فى حماية الوطن من الأطماع الخارجية الكثيرة

أو فى المساهمة المشهود لها فى معارك العرب التاريخية مع الكيان الصهيونى.

وأكد الشمرى أن الجيش لم يكن فى يوم من الأيام تابعا لأحد روحيا إلا للشعب العراقى وقضاياه، والجيش العراقى هو الجيش الوحيد فى العالم الذى تحدى الجيش الأمريكى الذى ترتجف الحكومات والجيوش من مجرد ذكر اسمه بينما خاض ضده معارك ضارية فى عامى ١٩٩١و٢٠٠٣ وألحق به خسائر ليست هينة تعمدت الولايات المتحدة إخفاءها عن الجميع، وذلك رغم الفارق الهائل فى الأسلحة والأمكانيات التكنولوجية والدعم الأقتصادى المفتوح، فالجيش العراقى بايمانه وشجاعته صاحب فضل عظيم على شعوب العالم من خلال كسره حاجز الخوف من أمريكا، وأمكانية مواجهتها والحاق الأذى بها منذ التجربة الفيتنامية، كما حطم نظرية الأمن الاسرائيلية عندما ضربها فى حرب عام ١٩٩١ بأكثر من ٣٠ صاروخاً دون أن تتمكن من منعها من ضرب أهدافها.

• معركة الدبابات فى الناصرية هزت البيت الأبيض

ويتطرق العميد الركن عبد الهادى شعيب ضابط الدروع أنه شارك فى معركة الدبابات الشهيرة فى الناصرية جنوب العراق أثناء المعارك البرية فى حرب ١٩٩١ ضمن قوات الحرس الجمهورى، حيث وقعت معارك تاريخية عندما نجحت القوات العراقية فى وضع القوات الامريكية المتوغلة داخل العراق فى موقف حرج بعد تكبيدهم خسائر جسيمة فى الأفراد والمدرعات فى معارك عنيفة أجبرت القيادة الامريكية على إعلان وقف إطلاق النار من جانبهم وليس من جانب العراق.

وأشار إلى جريمة قيام قوات الاحتلال بتدمير أكثر من ثمانية آلاف دبابة ومدرعة عراقية صالحة رغم انتهاء الحرب عام ٢٠٠٣ والسماح لعصابات التهريب ببيع الكثير منها الى دول الجوار أو تصديرها كخردة كجزء من الحقد والثأر الامريكى على ما ألحقه هذا السلاح بجيشهم من هزيمة، اضافة الى أنه ضمن المخطط الامريكى بنزع كل أسلحة الجيش العراقى السابق لضمان عدم قدرته على تهديد قوات الاحتلال أو الحكومات التى تعينها لأدارة مصالحها فى العراق مستقبلا.

أما العقيد الركن سعيد حسين فيشير إلى أن عدة جهات اشتركت فى مؤامرة تدمير الجيش العراقى البطل لأنه كان يشكل الخطر على أطماعها ومصالحها فى المنطقة العربية ومنها الولايات المتحدة وبريطانيا وإسرائيل وبعض دول الجوار، بل وحتى أحزاب الحكومة الحالية المدفوعين من العديد من الدول المعادية للعراق ساهمت فى إبعاد الجيش العراقى وأحلال هجين غير متجانس من أفراد مليشيات الأحزاب بدله باسم الدفاع المدنى ثم الحرس الوطنى، وذلك بهدف تعزيز نفوذها فى السلطة من خلال زج عناصرها فى الجيش والشرطة والأجهزة الأمنية مثل مليشيات (البشمركة)

التابعة للأحزاب الكردية وقوات بدر ومسلحى الوفاق والمؤتمر، مؤكدا أن ولاء هذه المليشيات هو للأحزاب، وليس للوطن أو الحكومة كما ظهر من مواقفها فى النجف والفلوجة وغيرها عندما شاركت قوات الأحتلال فى قتل العراقيين وتدمير مدنهم.

وكشف العقيد حسين أن الضباط الذين راجعوا وزارة الدفاع استجابة للدعوة بعودة الضباط إلى الجيش الجديد فوجئوا بمن يخبرهم أن الضباط الذين تزكيهم الأحزاب الشيعية يعودون كضباط، أما الذين يزكيهم الحزب الإسلامى أو المستقلون فيعودون كجنود ومراتب وبغض النظر عن رتبهم السابقة، مبينا أن الكثير من الضباط رفضوا هذا التقسيم الطائفى، وفضلوا البقاء بعيدا عن مؤسسة تقوم على أساس الطوائف والقوميات، وأكد أخيرا أن الحكومة تسعى لسرقة تاريخ وسمعة الجيش العراقى وإلصاقها بالجيش الجديد، ولكنها محاولة فاشلة لأن الجيش الجديد اثبت انه مرتبط بإرادة ومخططات المحتل.

• الجيش العراقى العمود الفقرى للمقاومة

وعن مشاعر أفراد الجيش العراقى وعجزهم عن حماية العراق فى ظل الاحتلال، يؤكد الرائد فى المغاوير حميد الدليمى أنه أمر مؤلم أن يصبح مصير مئات الآلاف من ذلك الجيش العظيم بكل خبراتهم وإمكانياتهم وتاريخهم فى الشوارع بلا عمل أو مصدر رزق، ويتطرق الى ادعاء الحكومة أنها ستعيد ضباط ومراتب الجيش السابق الى الجيش الجديد والحقيقة أنها أختارت عدداً محدوداً منهم من رتبة نقيب فما دون وأهملت اصحاب الرتب الأعلى من ذوى المشاعر الوطنية والكفاءة والخبرة العالية لأنها لا تريد جيشا قويا حقيقيا بل تريد مقاتلين يخدمون الآحتلال والحكومة ويواجهون المقاومة فقط.

وأضاف إنه من المؤلم لأفراد الجيش العراقى مشاهدة قوات الاحتلال تتجول فى شوارع العراق العظيم وينتهكون كرامة العراقيين، ولا يجدوا فى أيديهم السلاح المناسب لمواجهتهم والدفاع عن الوطن والشعب، كما فعلنا دائما، إلا انه يؤكد أن الكثير من أفراد الجيش السابق وجد طريقه الى المقاومة وأخذ يشارك فى العمليات ضد قوات الإحتلال مستفيدين من خبراتهم القتالية، ومستخدمين الوسائل والأسلحة المناسبة المتوفرة والتى أثبتت نجاحها فى إيذاء تلك القوات ومنها زرع العبوات الناسفة وتفجيرها عن بعد وأطلاق الصواريخ بمختلف أنواعها على قواعدهم ومعسكراتهم وطائراتهم التى أقضت مضاجع جنود الاحتلال وجعلتهم فى رعب دائم.

وفى هذه الأثناء وبينما كانت الإدارة الأمريكية تبدو عاجزة عن التفكير لإيقاف المقاومة العراقية

المتصاعدة بثبات وثقة وبينما كان وزير الخارجية الأمريكي "كولن باول" يتسول مديد العون الأوروبي لإنقاذ جنوده السوبر من المستنقع العراقي وبينما كان وزير الحرب الأمريكي دونالد رامسفيلد يحاول تعبئة ١٧ ألف جندي لإرسالهم إلى العراق تطوع مجلس الحكم العراقي الانتقالي المعين من قبل الأمريكيين بإنقاذ الإدارة الأمريكية، وذلك عندما اقترح القيادي الشيعي عبد العزيز الحكيم تشكيل ميليشيا من البشمركة الكردية وتنظيم بدر الشيعي التابع له لمساعدة الأمريكيين على مكافحة ما أسماه بـ (الإرهاب) وهو الاقتراح الذي سرعان ما رحبت به الإدارة الإمريكية كغريق تعلق بـ "قشة" وجرت المناقشات بين مجلس الحكم وسلطات الاحتلال لتشكيل قوة أمنية خاصة تتألف من الف مسلح من عناصر الميليشيات الحزبية السابقة لخمسة أحزاب لمساعدة الامريكيين في ملاحقة المقاومة العراقية تحت قيادة الجيش الامريكي .

● جيش طائفي ضد المقاومة

وتوضيح الأمور بهذه الطريقة يكشف تماما حقيقة المعركة ضد المقاومة في العراق وطبيعتها، فهي معركة طائفية عرقية أكثر منها معركة شعارات من قبيل الحرية والاستقلال للشعب العراقي.

إنها معركة تهميش أغلبية "سنية" خلافا لما يشاع إعلاميا عن أغلبية شيعية، وهي معركة إسكات لصوت الشعب العراقي الراضي إجمالا عن خط المقاومة.

الصحفي الشهير غريغ جافيه قال الكثير فيما يخص المواجهين للمقاومة العراقية في صحيفة "وول ستريت جورنال". وخلاصة ما قاله إنه في المعركة ضد المقاومة العراقية ينبري نوعان من القوى العسكرية العراقية هما الوحدات المخططة والقافزة.

والوحدات المخططة للجيش العراقي وقوامها حوالي سبع وخمسون ألف جندي هي نتاج تحضير مرتب بين الولايات المتحدة والقادة العراقيين الجدد أما تلك القافزة فقد بدأت تظهر في الجنوب والشمال أي قوات بدر وقوات البشمركة وقد أصبحت هذه الوحدات غير المتصلة وهي بالعشرات ويبلغ عددها حوالي خمسة عشر ألف جندي، وهي ربما أسرع تطور بارز ذي مغزى في الحالة الأمنية الجديدة في العراق.

أما الوحدات المخططة بحسب "وول ستريت جورنال"، فيقودها أصدقاء وأقارب لأعضاء الحكومة العراقية المؤقتة أو شيوخ عشائر أو زعماء دينيون، وتعرف بأسماء مثل المدافعين عن بغداد وقوات الكوماندوز البوليسية الخاصة وفرقة المدافعين عن الكاظمية والعمارة. وبصورة عامة، فإن الوحدات الجديدة تحظى بدعم الحكومة العراقية وتتلقى تمويلاً منها.

وبينما اتخذت وحدات نظامية من الجيش العراقى من ثكنات الجيش السابق مقار إقامة لها، خيمت أخرى فى أماكن متفرقة مثل مبانى وزارة الدفاع التى نهبت وكلية سابقة للفتيات ونصب للجندى المجهول وهنغر مهجور للطائرات الحربية.

الحديث هنا كما يبدو لى عن ميليشيات عراقية تستعين بها القوات الأمريكية لمواجهة المقاومة بعدما عجزت عن صدها، وفى هذا مؤشر خطير ومثير على أن القوات الأمريكية أولا أكدت فشلها وعجزها، وثانيا بدأت تتبع تكتيكات جديدة لمواجهة المقاومة.

يرفض الجنرالات الأمريكيون وصف هذه القوات المستحدثة بـ"الميليشيات" ويكتفون بالقول إنها مجرد كتائب عراقية غير نظامية تشرف عليها وزارة الدفاع العراقية بشكل غير مباشر.

ما يعنينا أيضا أن هذه القوات غالبا ما تكون تحت إشراف قائد له مكانة لدى الأمريكيين، أو تتألف من أناس لهم خلفيات قبلية ودينية متشابهة بخلاف باقى وحدات الجيش العراقى والشرطة والحرس.

وهذا يجعل الوحدات أكثر تماسكا من حيث المقدرة ضد المقاومة، وبحسب ما تنقل "وول ستريت" عن أحد العراقيين فى واحدة من هذه الوحدات قوله للأمريكيين "فقط قولوا لنا أين نذهب ونحن على استعداد لنأكل المقاومين أحياء".

• خطة خيار السلفادور لاغتيال قادة المقاومة

ذكر مسؤولون فى وزارة الحرب الأمريكية (البنتاجون) أن الجيش يبحث تشكيل فرق اغتيالات من القوات الخاصة لاستهداف قادة المقاومة العراقية، فى استراتيجية جديدة تقوم على أساليب استخدمت ضد المقاتلين اليساريين فى أمريكا الوسطى قبل ٢٠ عامًا.

ونقلت مجلة]نيوزويك [الأمريكية عن مسؤولين عسكريين على اطلاع بهذه المناقشات إن من بين المقترحات: إرسال فرق من القوات الخاصة الأمريكية للمشورة والدعم، وربما لتدريب فرق عراقية من مقاتلى البشمركة الأكراد والميليشيات الشيعية لاستهداف المقاتلين السنة والمتعاطفين معهم.

وأضافت المجلة فى موقعها على الإنترنت أن هذه الفرق ربما تعمل عبر الحدود، ولكنه من غير الواضح ما إذا كانت ستغتال القادة أم تشارك فى عمليات "خطف".

وأوضحت أن الخطة يطلق عليها اسم "خيار السلفادور"، نسبة إلى استراتيجية وضعت خلال حرب إدارة الرئيس الأمريكى الأسبق رونالد ريجان ضد تمرد المقاتلين اليساريين فى السلفادور فى

أوائل الثمانينات، والتى لجأت إليها واشنطن بعد مواجهة حرب خاسرة ضد السلفادوريين، قامت بتمويل أو دعم قوى داخلية لتعقب واغتيال قادة المقاومة والمتعاطفين معهم.

وفى إشارة واضحة لما يواجه جيش الاحتلال الأمريكى فى العراق، قال ضابط كبير للمجلة الأمريكية: "الأمر الذى يوافق عليه الجميع، هو أننا لا يمكن أن نستمر على ما نحن عليه، علينا أن نجد طريقة للقيام بالهجوم ضد "المتمردين"، الآن نلعب دور الدفاع ونخسر".

وأوضحت المجلة إن مصادر البنتاجون شددت على أنه لم يتم اتخاذ قرار بإطلاق تلك الفرق الخاصة.

ووسط قلق بشأن مقاومة جريئة ومتصاعدة، يقوم البنتاجون بإرسال الجنرال المتقاعد جارى لاك إلى العراق لتقييم العمليات العسكرية ككل.

وحول الخطة الأمريكية المزمع تنفيذها، رجحت مصادر مطلعة أن يكون السفير الأمريكى السابق فى العراق جون نيغروبونتى قد لعب دورًا بارزًا فيها، خاصة مع خلفيته المخابراتية، حيث عمل بها منذ عام ١٩٦٠، خدم خلالها فى فيتنام كمسؤول عن الـ «سى آى إيه»، وكان دائمًا من مؤيدى الحسم العسكرى والقمع والقتل الجماعى.

وتنقل نيغروبونتى فى عدة مناصب، كان أكثرها إثارة للجدل وجوده كسفير لدى هندوراس حيث أشرف على دعم ثوار "الكونترا" فى نيكاراغوا وقدم لهم مساعدات بمئات الملايين، كما وجه حكومة هندوراس لتصفية المعارضين، حيث اختفى خلال وجوده هناك ١٨٠ مسؤولاً سياسيًا، واتضح فيما بعد أن فرق الإعدام التى شكلت بإيعاز من نيغروبونتى هى التى اغتالت هؤلاء.

ويؤكد الباحث الأمريكى تشيدفسكى فى مجلة]غلوبال ريسرتش إن بوش أقدم على اختيار نيغروبونتى بسبب خلفياته المخابراتية والقمعية لأن المقاومة العراقية تتحرك فى جميع أنحاء العراق ومن الضرورى التصدى لها بشراسة وضراوة.

يذكر أن مفكرة الإسلام قد أشارت قبل ذلك إلى أن فيلق بدر الشيعى يقوم بتدريب قوات شيعية وكردية فى منطقة مطار صدام للقيام بعمليات اغتيال لقادة المقاومة وأن لديهم قائمة تضم ما يزيد عن ٥٠٠ شخصية أكاديمية ودينية إسلامية سنية للتخلص منهم عن طريق الاغتيال .

عمل هذه الميليشيات الجديدة لمواجهة المقاومة قد يكون محكوما بالفشل الذريع، فهى تنطلق يوميا فى حربها ضد المقاومين بوازع طائفى مقيت وليس بينها وبين باقى القوات العراقية من حرس

وجيش وشرطة أى تنسيق، بل إن الآخرين لا يعلمون بوجودها مما يشكل إرباكا فى المشهد الأمنى العراقى علاوة على ما هو عليه الوضع من سوء. أكبر مثال على ذلك ما حدث فى يوم الانتخابات، حيث كانت قوة من كوماندوز البوليس الخاصة وهى إحدى الميليشيات التى نتحدث عنها تنقل أحد السجناء الجرحى للمستشفى عندما صادفت نقطة تفتيش تابعة للجيش العراقى، ففتحت النقطة النار على العربة التى كانت تقل الكوماندوز مما أدى إلى مقتل ثلاثة من ركاب السيارة.

أكبر معضلة يواجهها الأمريكيون إزاء هذه الوحدات الجديدة من الميليشيات التى يعولون عليها كثيرا فى حربهم ضد المقاومة، هو "الولاء"، حيث يبدى بعض المسئولين الأميركيين قلقا حيال ولاء الوحدات الجديدة، التى غالبا ما تبدو منقسمة بين رعاتها الدينيين والقبليين وما بين الحكومة المركزية، مما يؤدى إلى خطر احتمال أن تتحول هذه الوحدات إلى ميليشيات فى حال اندلاع حرب أهلية فى العراق.

القلق الكبير يأتى بصورة خاصة من وحدة المدافعين عن الكاظمية، والتى تشكلت لحراسة ضريح شيعى رئيسى على أطراف بغداد الشمالية تلبية لطلب من رجل الدين الشيعى حسين الصدر.

القلق الأكبر هو أن تتضخم هذه المجموعة التى يصل عدد رجالها حاليا إلى مئة وعشرين رجلا ليصبح عدد أفرادها ثمانمائة، لتصبح بعدها ميليشيا شيعية جاهزة لأى فتنة طائفية لا يمكن إخضاعها أو التحكم فيها.

ويمكن القول إن معظم العراقيين الذين ينضمون إلى الجيش العراقى النظامى يتم تجنيدهم فى محطات تجنيد عراقية أميركية مشتركة يصل عددها إلى ستة، وهم يفتقرون إلى شعور بالتماسك والكبرياء الذى يضعف أكثر بمجرد انتقائهم.

و"المتصدون" لمواجهة المقاومة العراقية يقودون معركة خاسرة، وهم يشعرون بذلك ،ويعرفونه تماما، ولطالما استخدمت القوات الغازية رأس حربة لمواجهة أهل البلد المحتل.

الطائفية إذا هى التى تحارب المقاومة العراقية وليسوا جنود الجيش العراقى الجديد بدليل ان ما لا يقل عن ٣٠ الف متطوع للجيش والشرطة تركوا الخدمة بعد حصولهم على دورات تدريبية أو رفضوا القيام بأى عمليات ضد المقاومة الشعبية، وبدا واضحا الارتباك فى صفوف القيادة الأميركية التى سعت إلى تأسيس جيش جديد، وفق عقيدة قتالية محدودة الأفق وتتبلور فى الدفاع عن الحدود الخارجية والمنشآت الداخلية، جيش لا يهتم بالصراع العربى- الصهيونى، ولا حتى بتوازن القوى مع دول الجوار.

• انقسام داخل الجيش

بدأت قوات الاحتلال الأمريكى فى اتخاذ إجراءات بناء جيش جديد للعراق منذ يونيو ٢٠٠٣ وأعلنت آنذاك أن الجيش الجديد سيتشكل مبدئيا من ٤٠ ألف عنصر تنظيمى فى ثلاث فرق مشاة كل منها من ١٢٠٠٠ اثنى عشر ألف جندى وستكون واحدة من هذه الفرق على الأقل من نوع المشاه الخفيفة أما الـ ٤٠٠٠ عنصر الباقية فسيتم استخدامها فى مراكز القيادة والمهام اللوجستية وستتضمن مهام الجيش الجديد حراسة الحدود، وحماية منشآت الدولة وأجهزتها فى الداخل مع فتح باب التطوع أمام جميع الأعضاء السابقين فى الجيش العراقى باستثناء أولئك الذين ينتمون إلى رتب عالية والمنتيمن فى السابق إلى الأجهزة الأمنية كما تقرر أن يتم التدريب للقوة الجديدة من قبل طاقم مدربين امريكيين عاملين ومتقاعدين وفق اتفاقية تبلغ ٤٨ مليون دولار من شركة فينل، وأعلن أن هذا الجيش سيبنى على أساس التطوع، وسيكون نظاميا غير مسيّس فعالا عسكريا وسيستغرق تكوينه حوالى ثلاث سنوات، وقد وجهت انتقادات كثيرة لهذه الخطة على اعتبار أن هذه القوة صغيرة جدا بالنسبة لدولة فى حجم العراق وتاريخها فى الحروب والصراعات المسلحة الداخلية والخارجية وما يكتنفها من تهديدات ومشاكل داخلية وخارجية حيث لا يمكن أن تكفى قوة قوامها ٣٦٠٠٠ جندى مشاة فى حراسة حدود العراق مع ست دول بالإضافة لإمكانات محدودة فى الدبابات ومركبات القتال المدرعة والمروحيات وفى غياب قوة جوية صاروخية وسط منطقة تحتفظ دولها بجيوش ضخمة ذات طبيعة هجومية من المدرعات والمقاتلات حيث يبلغ حجم الجيش الإيرانى ٥٢٠ الف عنصر، وتركيا ٥١٥ الف عنصر وسوريا ٣٨٠ الف عنصر والأردن ١٠٠ الف عنصر، إضافة إلى هذه المشكلة فإن الجيش العراقى الجديد سيكون عليه الاضطلاع بما هو أكثر من حماية الحدود، حيث ستتطلب حماية المنشآت الحكومية تخصيص آلاف الجنود مما سيضعف قدرات الجيش الدفاعية فى مناطق الحدود ناهيك عما سيتحمله هذا الجيش من مسئوليات فى تحقيق الاندماج الوطنى وتأمين عملية نقل السلطة والانتخابات وبناء مؤسسات الدولة.

كما سيتعين على هذا الجيش وقيادته أن يؤمن عملية اندماج الميليشيات الحزبية والطائفية فى بوتقة حيث لا يمكن أن يتحمل احتمالات تهديد تأتيه من داخله بواسطة هذه الميليشيات، اذا ما فضلت انتماءها الحزبى والطائفى على انتمائها الوطنى، ناهيك عن تعدد عمليات الانتماء داخله، فالكردى سيظل انتمائه للبشمركة اقوى من انتمائه للقيادة المركزية للجيش الموحد، وجيش اللواء بدر

الشيعى سيظل منتمياً لمؤسسيه من آل الحكيم وربما لمموليه من (إيران)، وبالتالى سوف يسهل اختراق هذا الجيش، وقد تعرضت وحدات الجيش الجديد والشرطة وعناصر الاستخبارات الى عدة نكسات بفعل عمليات المقاومة التى الحقت خسائر بشرية رهيبة بهذه القوات الجديدة، بلغت ٧ آلاف قتيل و٣٠ ألف جريح فى عام ٢٠٠٤ فقط، الأمر الذى وضع هذا الجيش الجديد فى دائرة الشك، اذ ان قاعدة تأسيس الجيوش الوطنية هى الانتماء الى وطن أعلى من الطائفة أو القبيلة، ووفق هذه القاعدة يستحيل بناء جيش وطنى فى ظل الاستعمار الأجنبى، وفى ظل ترويكا حاكمة هى أصلا محكومة بتقسيمة طائفية، ومحاصصة مذهبية، والأمر المرجح هو ان ينفجر هذا الجيش من الداخل تحت وطأة أى ضغط طائفى أو مذهبى خارجى.



الفصل السابع

اغتصاب الأسيـرات وتعذيب المعتقلين

- هجوم بصواريخ « جراد » على سجن (أبو غريب) رداً على رسالة من سجينة للمقاومة
- التـهـديد الجنسى أسلوب اعـتـمـده الأمـيـركـيـون فى غـرب العـراق لإرغـام المقاومة على الاستسلام
- تدنيس القرآن وإجبار الأسرى على احتساء الخمر فى شهر رمضان.. أبشع أنواع التعذيب

إلى أهلى وإخواتى الشرفاء فى الرمادى والخالدية والفلوجة. إلى جميع الشرفاء فى العالم، سلام من الله عليكم. قال تعالى فى كتابه العزيز: (يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم).. صدق الله العظيم.

هذه رسالة من أختكم «نور» من سجن اليهود فى أبو غريب، من أين أبدأ أيها الشرفاء، يعجز القلم عن الوصف، أصف لكم الجوع وأنتم تأكلون، أم أصف لكم العطش وأنتم تشربون، أم أصف لكم السهر وأنتم نائمون؟ أم أصف لكم عراءنا وأنتم تلبسون؟ يا إخوتى، عندما نرى قلاباتكم وسياراتكم تنقل مواد البناء، وعندما نقرأ هوية السيارة فإذا هى تحمل اسم أهلى ومحافظتى، فأقول راجية إلى نفسى: إن أهلى وأخوتى قد باعوا أعراضهم بما لهم الدولار الأصفر ولكن اتذكر الشرفاء وأبكى على حالى. ماذا أصف لكم ما نلاقى من العذاب والضرب المبرح حتى نحفظ لكم العرض ونصون الأمانة؟

فأين أنتم يا علماء الدين؟ هل نسيتم الرسالة التى جاء بها الصادق المصدوق القاسم محمد صلى الله عليه وسلم؟! إن نسيتموها بسبب الدينار الذى تتقاضونه من اليهود، فسوف نوقفكم أمام الواحد الأحد، فنحن أمانة فى أعناقكم.. سألتكم بالله ومن تقع بيده هذه الرسالة من العلماء أصحاب المنابر الشرفاء الذين يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار وهذه أمانة يجب أن تنقلوها على منابركم أيها الشرفاء..

تذكروا يوما كنتم تنظرون «فيه» إلى أخوانكم فى فلسطين.. إننا نعانى ما نعانى عندما ننظر إلى اليهود وهم يريقون الخمر أمامنا ويهتكون أعراضكم كالحيوانات المفترسة ويسرحون ويمرحون مع اللائى هانت عليهن أعراضهن... أيها الشرفاء كم مرة تموتون؟

أعراضنا هتكت، وملابسنا تمزقت، وبطوننا جاعت، ودموعنا جارية، ولكن من ينصرنا؟ لا أريد أن أودعكم.. وقبل الوداع أقول لكم: إتقوا الله فى أرحامكم فقد إمتلأت بطوننا من أولاد الزنى. وقبل الوداع أقول للشرفاء، إذا كنتم تمتلكون الأسلحة فاقتلونا معهم داخل السجون أسألكم الله.. أسألكم الله.

اختكم فى الله

«نور»

هذا هو نص الرسالة التى حركت الحجر فى مدن العراق وقراها، هذه الرسالة التى بعثت بها أسيرة عراقية من سجن أبو غريب فتم طباعتها وتوزيعها على نطاق واسع فى مدن العراق أثرت بشكل كبير فى انضمام مئات وربما الآلاف الشباب إلى صفوف المقاومة العراقية، بعد أن ثبت أن

العدو - الاحتلال - قد لجأ إلى أبشع الأسلحة للتأثير على معنويات الشعب العراقى وهو سلاح الاغتصاب الجماعى للنساء والرجال، المعتقلين على حد سواء ضاربا عرض الحائط بجميع المواثيق الدولية والتشريعات السماوية.

يقول الباحث والمناضل العراقى د. فاضل الربيعى فى مجلة «المستقبل العربى - العدد ٣١٦»: من بين أكثر الأدلة قوة على أن سلاح الاغتصاب استخدم بشكل منهجى فى سياسة فرض السيطرة داخل العراق، ما حدث فى الفلوجة أثناء اجتياحها فى نوفمبر ٢٠٠٤ ونشر فى شبكة البصرة على الإنترنت فى ٢٠٠٥/٣/١٧ النقاب عن وقوع ١٤٩ حالة اغتصاب داخل مساجد الفلوجة وحدها، يقول د. عزيز جبر شيال مدير مركز بغداد لحقوق الإنسان وأستاذ العلوم السياسية فى جامعة بغداد لصحيفة «آفاق عربية ٢٠٠٥/٣/١٧» فى رده على سؤال: هل تمكنتم من زيارة الفلوجة عقب اقتحامها؟ للأسف - يقول جبر - لم يتمكن الفريق الميدانى الخاص بالمركز من الدخول إلى المدينة بسبب منع القوات الأميركية له، لقد اعتدوا على الفريق بالضرب وجرى طرده من المدينة، بيد أننا تمكنا من الحصول على تقارير خاصة تؤكد أن قوات الاحتلال انتهكت أعراض ١٤٩ امرأة داخل المساجد.

يقول فاضل الربيعى: لقد كان الهجوم الجرىء الذى نفذته المقاومة العراقية الباسلة هو على خلفية هذه الرسالة الحزينة واليائسة للسيدة نور، ويجب أن يقرأ الهجوم الجرىء على سجن أبو غريب من هذا المنظور باعتباره أول وأكبر محاولة من المقاومة العراقية لاعاقة أو منع بزوغ مجتمع الاغتصاب، أو منع تعميمه بكلام أدق.

لقد ألقى الأميركيون القبض على السيدة «نور» بتهمة أن زوجها من قادة المقاومة، وكان - ولا يزال - من الواضح انهم استخدموا أسلوب التهديد الجنسى لا من أجل الحصول على معلومات مباشرة من المعتقلين فحسب، بل من أجل إرغام نشطاء المقاومة العراقية على الاستسلام، يقول لى «لفاضل ربيعى» مراسل رويترز: اثناء معارك ابريل ٢٠٠٤ فى الفلوجة وبعدها بقليل قام الاميركيون بمداهمة منزل فى حى الجولان بحثاً عن خميس سرحان المحمدى، وهو عضو قيادى فى حزب البعث العربى الاشتراكى، وأحد نشطاء المقاومة «قبل اعتقاله بعده أشهر» لم يتمكن الأميركيون فى هذه الغارة من القاء القبض على الرجل المطلوب، ولكنهم شاهدوا مصادفة شابة تبلغ من العمر ٢٢ عاما كانت ولا تزال فى اليوم الثالث من شهر العسل، ولم يكن من الملائم بالنسبة اليهم العودة دون صيد ثمين.

فقد اقترح أحد الجنود القاء القبض على الفتاة، فاستشاط الأهالى غضباً، وخرج عشرات الآلاف منهم «ومعهم أهالى الرمادى» فى تظاهرة عارمة تطالب بالإفراج عن الفتاة، طوق المتظاهرون معسكراً للقوات الأميركية فى المنطقة، وهددوا بأن تظاهراتهم ستستمر إن لم يفرج عن الفتاة، لقد أصبح التهديد الجنسى أسلوباً شائعاً فى ممارسات الجنود الأميركيين فقد ابلغت احدى السجينات السابقات، وهى سيدة تضع خمارا على وجهها مراسل محطة B.B.C البريطانية أن هناك عمليات اغتصاب منتظمة وذات طابع نمطى، كانت هناك سجانة «مجندة» أميركية، وكنا مجموعة من النساء - تقول السيدة من وراء الحجاب مساء كل يوم تأتى السجانة ومعها عدد من الجنود ويتم تجريدنا من الملابس لتبدأ الحفلة، وعندما كنا نمتنع أو نقاوم، كان الجنود ينهالون علينا عندئذ بالضرب بواسطة الهراوات، وفى أحيان كثيرة كان الضرب يتركز على أطراف الأيدى والأرجل وتسدد اللكمات إلى وجوهن.

إن تأثير عمليات الاغتصاب للنساء العراقيات كان بالغ الأثر على رجالات المقاومة العراقية، الذين هبوا لنجدة السجينات، واستجابت المقاومة لنداء «نور» فقاموا بسلسلة عمليات جريئة ضد القوة الأميركية فى سجن أبو غريب أهمها هجوم وقع فى أبريل ٢٠٠٥ واستخدمت فيه صواريخ «جراد» قصيرة المدى والهاونات وأدى إلى مصرع واصابة ٤٥ أميركياً حسب بيان للجيش الأميركى معظمهم إصابته خطيرة.

وكشف ضابط أميركى لصحيفة «الحياة» اللندنية «٢٠٠٥/٣/٩» أن الهجمات على سجن أبو غريب قد ترغم الجيش الأميركى على التخلى عن السجن ونقل المعتقلين إلى مواقع «أكثر أمنا».

• جرائم التعذيب للمعتقلين الرجال

لقد ساهمت قضية تعذيب الأسرى فى السجون العراقية فى إشعال نار الغضب الشعبى، وبخاصة عندما تسربت رسائل من داخل سجن أبو غريب، وسجون أخرى عن تعرض النساء المعتقلات إلى عمليات اغتصاب بشعة، الأمر الذى اكد للشعب العربى بكل طوائفه عدم مصداقية حكومتى الاحتلال الأنجلو أميركى وكذلك الحكومة المؤقتة التى شكلها الاحتلال أو التى تلت الانتخابات الناقصة فى ٣٠ يناير ٢٠٠٥ من أن الغزو استهدف تحرير العراق من استبداد سلطة الرئيس صدام ومعاونيه، فقد بدا واضحا ان عملية اذلال المعتقلين والمعتقلات العراقيين هى عملية منظمة، ولها ابعاد نفسية وأخرى دينية، وترتب على ذلك حدوث صدمة حتى لدى الذين كانوا يعتقدون أنه من الممكن التحالف مع الشيطان من أجل الإطاحة بالنظام الحاكم، وبخاصة فى أوساط

النخبة المثقفة المعارضة لنظام الرئيس صدام، والتى شعرت أنها استبدلت «الاستبداد الوطنى» على حد قول أحدهم فى محطة «الجزيرة الفضائية» باستبداد أجنبى غاشم وبغيض.

وتكشفت أبعاد هذه الجريمة عندما بثت شبكة التلفزة الأمريكية سى. بى. إس مساء الخميس ٢٨ أبريل ٢٠٠٥ صوراً لجرائم التعذيب والإذلال التى يمارسها جنود الاحتلال الأمريكى بحق الأسرى والمعتقلين العراقيين فى سجن أبو غريب الواقع قرب بغداد. وتوضح الصور جنوداً أمريكيين بملابسهم يقفون مع أسرى عراقيين عراة فى أوضاع غير إنسانية و غير أخلاقية، يجثون فوق بعضهم فى شكل هرمى وتقف خلفهم جندية أمريكية. ويظهر فى صورة أخرى عراقيون عراة وفى وضع الممارسة فى ما بينهم.

وفى معظم الصور يقف الأمريكيون يتفرجون وهم يضحكون أو يومئون أو يشيرون بعلامة النصر. وفى صورة أخرى يظهر أحد المعتقلين العراقيين ملفوفة حول أعضائه التناسلية أسلاك، وأخرى تبين كلباً يهاجم أسيراً عراقياً. وبدا فى أحدى الصور أسير عراقى أُرغم، على الوقوف على صندوق ورأسه مغطى ويداه مقيدتان وموصولتان بأسلاك التيار الكهربائى. وتشير صورة أخرى إلى عدد كبير من المعتقلين فى مكان واحد وكتبت على جسد أحدهم شتائم باللغة الإنجليزية.

ورداً على سؤال للصحافى دان راذر فى برنامج -(ستون دقيقة)، أعرب الجنرال البريجادير جنرال مارك كيميت نائب قائد عمليات قوات الاحتلال فى العراق قائلا إنهم زملاؤنا، أناس نعمل معهم كل يوم، يمثلوننا، يرتدون الزى نفسه الذى نرتديه. إذا كنا عاجزين عن تقديم المثال حول كيفية معاملة الناس بكرامة واحترام، فكيف يمكننا الطلب من الدول الأخرى القيام بذلك؟ لكنه زعم أنها "أقلية صغيرة، من أصل ١٥٠ ألف" جندى أمريكى فى العراق. وقال لم يكن لدينا أى معلومة من أى نوع كان، ولم أتوقف عن المطالبة ببعض الأمور من قيادتى، عن قوانين وقواعد، لكن لم تأت الأجوبة. وروى جندى فى رسالة الكترونية إلى عائلته، بحسب سى بى إس، «نساهم فى حملهم على الكلام بما تيسر».

• التعذيب حسب تعليمات ال. سى آى إيه

أسلوب التعذيب الذى جرى للمعتقلين العراقيين فى سجون الاحتلال كان حسب طرق أقرتها المخابرات الأمريكية. هذا ما كتبه فيكرام دود فى صحيفة الغارديان البريطانية ٢٠٠٤/٥/٦.

هل صحيح أن شرذمة من جنود الاحتياط الأمريكان من ولاية فرجينيا قد قاموا بتعذيب السجناء العراقيين بالشكل الذى شاهده العالم حسب هواهم ونزعاتهم المريضة والسادية فقط؟!

الرئيس الأمريكى بوش وأركان إدارته اليمينية المتطرفة يقولون أن ما حدث للسجناء فى العراق هو عمل فردى وليس هو من شيمة الأمريكان أو نتاج محرف للسياسة الأمريكية أو دوائر مخابراتها!!

ولكن، وحسب ما صرح به عدد من العسكريين الأمريكان الذين مارسوا هذه الأفعال الشنيعة بحق السجناء العراقيين، قالوا بأن طرق التعذيب التى استعملت هى ما أرادته المخابرات العسكرية وأن تلك المخابرات هى التى تسيطر على سجن أبو غريب وتديره، كما وكانت جانيس كاربنسكى، الرئيسة السابقة للسجون العسكرية الأمريكية فى العراق، تعلم بشكل مفصل عما كان يحدث فى السجن. وأن التقرير العسكرى الذى أعده الجنرال أنتونيو تاغوبا يورد بأن الإستخبارات العسكرية والسى آى إيه والمتعاقدون المدنيون مع قوات الإحتلال قد طالبوا بشكل ملح بإستعمال وسائل تعذيب جسدية ونفسية أثناء التحقيق مع السجناء العراقيين.

كما لم يكن السجناء العراقيون هم وحدهم من عوملوا بهذه الطريقة الوحشية، بل إن السجناء البريطانيين الخمسة الذين أطلق سراحهم من سجن غوانتانامو قد صرحوا أيضاً بأنهم قد تعرضوا لنفس أساليب التعذيب التى جرت للسجناء العراقيين على يد العسكريين الأمريكان. هذا وقالت جانيس كاربنسكى أن مجموعة من ضباط المخابرات فى سجن غوانتانامو قد حضرت إلى سجن أبى غريب فى الأسابيع الأخيرة من العام ٢٠٠٣ لغرض تزويد المحققين الأمريكان بطرق حديثة!!! فى التعذيب وكيفية الحصول على المعلومات من السجناء العراقيين.

إضافة لذلك، وفى شهر سبتمبر من العام نفسه أوصت مجموعة من ضباط المخابرات فى سجن غوانتانامو بإشراف الجنرال جيفرى ميللر مجموعات من البوليس العسكرى الأمريكى العاملين فى سجون الاحتلال فى العراق بأن عليهم "إفساح الطريق" أمام المحققين الأمريكان، حسبما جاء فى تقرير الجنرال أنتونيو تاغوبا.

ترى ما المقصود بعبارة "إفساح الطريق" هذه؟ هى بالتأكيد تعنى ترتيب الأجواء للمحققين الأمريكان كى يحصلوا من السجناء العراقيين على ما يريدون سماعه باستعمال كافة أساليب التعذيب المروعة كما شاهدناها. والمرعب فى الأمر هو أن الجيش الأمريكى وبعد هذه الفضيحة التى عمت العالم قد استقدموا من سجن غوانتانامو الجنرال جيفرى ميللر نفسه كمشرف على السجون العسكرية الأمريكية فى العراق، والذى ستكون مهمته بالتأكيد، وقبل كل شئ هو أن الحراس فى السجون الأمريكية أو من أسماهم "فاسحى الطريق" لا يحملون كاميرات معهم عند تأديتهم لواجباتهم الإنسانية بحق السجناء العراقيين!!!

والآن وبعد أن طفت على السطح ممارسات الأمريكان اللاأخلاقية، وغير القانونية فى السجون العراقية، فقد ظهر أن سجن أبو غريب لم يكن الأول أو الأخير من بين السجون الأمريكية التى حدثت فيها تلك الممارسات الشنيعة بل حدثت تلك الممارسات أيضاً فى سجنْ غوانتانامو وباغرام فى أفغانستان بل وحتى فى غامبيا حيث أخبر رجل أعمال بريطانى صحيفة الغارديان أنه قد تعرض للضرب والتهديد بالإغتصاب من قبل عسكريين أمريكان هناك.

لقد ثبت الآن أن قسماً من مجموعة المحققين فى سجن أبى غريب هم من السى آى ايه، حيث هناك فى سجلاتهم تأريخ مرعب للمعاملة السيئة للسجناء التى أعلنوا عنها أنها كانت وسيلة جيداً فى الماضى. فقد ورد ذلك فى كتيبين صدرا عن السى آى إيه ظهرا إلى العلن فى عام ١٩٩٧حول إستنطاق المعتقلين. وقراءة هذين الكتيبين وربط محتوياتهما بما جرى للمعتقلين العراقيين فى سجن «أبو غريب» وحوادث مشابهة جرت فى معتقل غوانتانامو تمكن القارئ أن يتأكد بأن تلك الممارسات هى ضمن النصائح التى قدمتها السى آى إيه لمن يقوم بالتحقيقات مع السجناء، والتى لاتزال تطبق حتى الآن. وقد ورد فى نصائح السى آى ايه أن إستعمال وسائل "إفساح الطريق" مهمة جداً لغرض تدمير السجين نفسياً، ويبقى على المحققين التعامل بالكيفية التى يطبقون بها تلك النصائح. ورغم كل ذلك فإن الولايات المتحدة دائماً ما تدعى بأن قواتها لا تستعمل التعذيب ضد السجناء الذين تعتقلهم فى سجونها سواء فى داخل أمريكا أو خارجها.

إن واحدة من أبشع الصور التى عرضت عن المعتقلين العراقيين هى لذلك العراقى الذى كان واقفاً على صندوق ورأسه مغطى بكيس وأطرافه مربوطة بأسلاك كهربائية حيث أخبره الأمريكان أنه سيصعق كهربائياً لو تحرك فوق الصندوق. وحسب كتيب نصائح السى آى إيه فإن "التهديد بالصعق الكهربائى سيولد حالة خوف مرعبة لدى السجين يعترف بعدها بما نريده، وإن لم يعترف فيجب تطبيق التهديد!!! لأن أى تهديد آخر سوف لن يكون فعالاً". ومن النصائح التى تقدمها السى آى إيه للمحققين مع السجناء هو استخدام الصدمة النفسية، والشلل لتدمير السجين فى العالم الذى حوله.

هذا ويبدو أن ذلك هو ما فعله ضباط المخابرات الأمريكان فى سجن أبو غريب مع المعتقلين العراقيين، حيث صرح ثلاثة منهم أن التعذيب الجسدى أو إستعمال الطرق الطبية أو الكيمياوية أو الكهربائية قد حظى مسبقاً بموافقة القيادات العليا.

وهذا الموقف الأمريكى غير الإنسانى الذى يجعل من المدنيين هدفا عسكريا مغريا ويعرضهم للتدمير

والحصار والتعذيب انسحب أيضا على الموقف القانونى الرسمى. فالولايات المتحدة من أولى الدول التى عارضت الإعلان العالمى لحقوق الإنسان عام ١٩٤٧ واتفاقيات جنيف لعام ١٩٤٩ الخاصة بحماية الأسرى والجرحى والغرقى والمدنيين فى المنازعات المسلحة وبروتوكول جنيف الاختيارى لعام ١٩٧٧ الخاص بحماية المدنيين فى المنازعات المسلحة ومعاهدة روما لعام ١٩٩٨ الخاصة بمحاكمة مجرمى الحرب. فكانت الولايات المتحدة والكيان الصهيونى من بين سبعة دول رفضت الانضمام لمعاهدة روما فى الوقت الذى وافقت عليها ١٦٧ دولة.

ولم يكتف الموقف من القضايا الإنسانية للولايات المتحدة عند هذا الحد فحسب بل انها تعمل فى الوقت الحاضر على إجبار دول العالم عن طريق مجلس الأمن بالموافقة باستثناء الأمريكيين من ملاحقة محكمة الجنايات الدولية من تهم جرائم الحرب الدولية ومن المحاكم المحلية فى الولايات المتحدة ومن المحاكم الداخلية فى العراق وافغانستان. أى انها تريد الحصانة للشعب الأمريكى من تهمة جرائم الحرب. وهذا وحده يفسر الموقف الأمريكى الرسمى من القضايا الأخلاقية والإنسانية وخاصة التعذيب. وهذا الموقف يغنينا الكلام عن الشخصية الأمريكية القائمة على القتل والتدمير والانحراف الداعر.

وما جرى فى معتقل أبى غريب يجسد الشخصية الأمريكية بشكلها الرسمى والشعبى بشكل دقيق. وبتاريخ ٢٠٠٤/٦/٢٤ نشرت الإدارة الأمريكية وثائق مفادها ان وزير الدفاع رامسفيلد أصدر أوامره لحراس قاعدة غوانتنامو بتعذيب الأسرى فى الحرب على أفغانستان وبعد مدة أمر بوقفها. وهذه الوثائق نشرتها الإدارة الأمريكية لتلقى بالتهمة على وزير الدفاع. وهذا يعنى ان الموقف الرسمى الأمريكى يقر التعذيب ويحدد وسائله. وقد شاهد الناس أنواع التعذيب التى تعرض لها المعتقلون فى سجن أبى غريب وحده. وشاهدوا ما لم يأمر به وزير الدفاع ولم يشاهدوا ما أمر به الوزير لعدم إمكانية تصويره. وهى منع الماء والغذاء والتعرض للضوء ومنع الضوء.

واستغلت وزارة الدفاع الأمريكية جهل الرئيس بوش بقوانين الحرب وطلبت منه موافقته. وبغض النظر عن القيم الإنسانية فإنه طلب من وزير العدل الأمريكى رأيه فى هذا. فأجاب الوزير إلى ما تريده وزارة الدفاع وأفتت بامكان مخالفة اتفاقيات جنيف عام ١٩٤٩ وأيدت الوزارة ضرورة مخالفة هذه الاتفاقيات بذريعة حماية أمن الولايات المتحدة. وعند ذلك ارسل الرئيس بوش المذكرة إلى وزارة الدفاع. فأصبح الموقف من التعذيب موقفا قانونيا تتخذه الدولة وتعمل بموجبها ما دام لم يعترض عليها بكونه موقفا قانونيا. وبعد الفضيحة أراد بوش ان يلقى باللوم على وزارة العدل ليخلص نفسه

ووزير دفاعه إلا ان المذكرة سرقت من البيت الأبيض وهكذا تتبادل الاتهامات.

ونضيف إلى ذلك وجود مؤسسة رسمية فى البنتاغون خاصة بالتعذيب. يطلق عليها بـ(منظومة التوتر السرية) مهمتها الوحيدة التدريب على التعذيب. كما تم التعاقد مع شركات خاصة للقيام بالتعذيب فى سجن أبى غريب. وهذه الشركات يتم التعاقد معها بشكل رسمى.

ومن الواضح أن الجندى أو الشرطى فى كل دول العالم ليس من حقه ان يقوم بإخراج سجين معتقل من زنزانته بسبب خطورة ذلك. فلا يجوز اخراج السجين من زنزانته إلا بموافقة المسؤول عن السجن وطبقا لتعليمات محددة وظروف خاصة. وهذا يعنى ان القائمين بالتعذيب فى سجن أبى غريب يحملون أوامر خاصة بإخراج أى سجين من زنزانته بهدف التعذيب ليس إلا. وقاموا بتعذيب السجناء طبقا لأوامر صادرة من الدولة كما أثبتث محاكمة بعضهم وإن كانت هذه المحاكمة مهزلة وشكلية.

وإذا نظرنا إلى الصور المتوفرة للتعذيب فنجدها جميعها حالات خارج صور التعذيب التى أمر بها وزير الدفاع الأمريكى. وعند التمعن فى صور التعذيب نجدها وضعت من قبل خبراء متخصصين عبر دراسات معينة. إذ درسوا أن تعذيب المواطن العراقى أو العربى بالطرق الاعتيادية كالتشويه والضرب وإن وصل ذلك حد الموت إنما يعزز من معنوية المعذب معتقدا بأنه قد انتصر لمبادئه أو أنه اقترب من الله تعالى. ولهذا ينبغى البحث عن ما يؤثر فى المعذب من تعذيب بحيث تحط من قيمته وكرامته وتجعله ينهار بشكل تام. فوجد هؤلاء المتخصصون أن التأثير على منظومتين هما الشرف والدين تضع المعذب فى موضع الانهيار. ومن هنا نقول إن القائمين بالتعذيب لا يفهمون هاتين المنظومتين بسبب جهلهم وقلة ثقافتهم وانما زودوا بها من قبل جهات عليا علمتهم كيف يوجه التعذيب وما هو المؤثر فيه.

فخلع الملابس والاعتداء الجنسى على المعذبين وإجبارهم على تناول الخمور والمحرمات فى رمضان إنما هى من المسائل الحساسة عند المواطن العربى المسلم. أما الأخطر من ذلك فهو تدنيس القرآن الكريم أمام أعين المعتقلين كنوع من التعذيب النفسى الشرس والذى يستهدف إيذاء المرء فى عقيدته وإيمانه الروحى، وممارسة التعذيب فى مثل هذه الأمور فى الجيش الأمريكى لا تتطلب البحث عن أشخاص فقدوا الضمير والقيم، فكل جندى أمريكى قادر على ان يقوم بهذا العمل.

ومن الصور ما شاهدناه قيام مجموعة من الجنود يقومون بالقبض على امراة من بيتها، ويقودونها إلى منطقة بعيدة عن المدينة، ويقومون بممارسة العمل الجنسى بوضع ماء فى إناء

ويغطس رأسها فى الماء مع استخدام العنف والقوة ويتجمهر عدد غير قليل عليها إنما تعبر عن وحشية شاذة لا مثيل لها فى أى مجتمع أوربى. فكيف يتحرك عامل الجنس عند هؤلاء وهم عراة مع بعضهم. فإذا كانوا لا يخجلون من المعذب فلماذا لا يخجلون من بعضهم. ألا يوجد فى هذا الرتل شريف واحد يمنع هؤلاء من القيام بهذا العمل الرذيل؟! فهؤلاء من غير المكلفين بالتعذيب فى سجن أبى غريب وإنما يعبرون عن الشخصية الأمريكية الشاذة. وتساوى فيهم الجندى البسيط مع الضابط المسؤول عن الرتل.

وإذا ما حللنا كل صورة من الصور الخاصة بالتعذيب فإننا نجد كل واحدة منها تعبر عن الانحطاط الخلقى للشخصية الأمريكية. ويبدو أن الأمر أكثر مما نراه. فما نشاهده من مرح القائمين بالتعذيب فى بهجة وسرور يجعلنا نؤمن بأن ما يقومون به من تعذيب وقتل وامتهان للكرامة كان على سبيل التسلية وقضاء وقت. ولربما ضاقت الدنيا بهم ذرعا فتوجهوا إلى المعتقلين ليتسلوا بأجسادهم وكرامتهم.

وإذا ما انتقلنا من المواقع العسكرية داخل الجدران التى تحكمها اللوائح العسكرية، وهيمنة المسؤولين فيها إلى تحرك القوات الأمريكية داخل المدن العراقية وخارجها، فإن تصرفات الجنود الأمريكيين لا تختلف عن زملائهم داخل السجون والقواعد العسكرية. فهى تصرفات مشينة ومتهورة وتدل على انهم لا يعرفون الأخلاق والقيم الإنسانية. فإذا ما تعرض رتل عسكرى إلى أطلاق من سلاح خفيف توجهت فوهات المدرعات والدبابات صوب المواطنين المدنيين وتقتل ما تستطيع قتله دون التمييز بين الطفل والشيخ الفانى والمراة المستطرقة. وإذا كان الرتل يسير فى داخل مدينة وحصل زحمة سيارات فقد يحصل ان تقوم الدبابات الأمريكية بالسير فوق السيارات دون الاهتمام بمن كان داخل هذه السيارات. وإذا ما سارت مجموعة مدرعات أمريكية فى شارع وكانت هناك سيارة متوقفة بسبب عطل فى إطارها فإنها ستحصل على قذيفة تحرقها وتحرق من فى داخلها، وإذا أراد شخص الانتقام من شخص فإنه يذهب إلى القوات الأمريكية ويقول لهم هذا مقاوم أو أن مجموعة من المقاومين تسكن هذا البيت أو الجامع، فإن هذا الهدف يعالج بمجموعة من الصواريخ من قبل الطائرات المقاتلة دون التأكد ممن كان فى هذا الهدف، وإذا ما أريد القبض على شخص واحد من داخل منزله فان الطائرات تحوم فوق داره وتطوقه عشرات المدرعات والدبابات ويقوم الجنود بضرب قنابل لخلع الأبواب والقيام بعمليات بهلوانية من سطح الدار وحديقته ومن ثم القبض على الشخص مع ترويع العائلة من الأطفال والنساء وقيادتهم مكبلين على وجوههم بدون وازع من

ضمير أو ذرة إنسانية، وهذا نزر قليل من كثير مما يعانيه المواطنون العراقيون من حالات لا يتسع المجال لذكرها.

● التعذيب بالشنيور

ففى انتهاك صريح لحقوق الإنسان فى العراق لم تقم به هذه المرة قوات التحالف ولكن الأجهزة الأمنية لحكومتها العميلة التى قامت بأبشع عمليات التعذيب ضد المعتقلين لديها من السنة باستخدام الكهرباء والنار فضلا عن عمليات تهشيم لعظام الجمجمة والساعدين.

وكشف الحزب الإسلامى هذا الوضع المأساوى واللا إنسانى بالصور وأشرطة الفيديو حيث قال عضو المكتب السياسى للحزب عمار وجيه لجريدة الحياة اللندنية: «إن الصور تُظهر آثار تعذيب على أجساد المعتقلين أحدثها استخدام المثقاب الكهربائى «الشنيور» والمكواة وأوضح أن غالبية المعتقلين من العرب السنة وأكد أن بعض هؤلاء السنة هم علماء دين.

ولفت إلى أن هناك «أدلة واضحة» على وجود نزعة طائفية داخل الأجهزة الأمنية تنعكس من خلال عمليات الدهم والاعتقال الواسعة الموجهة ضد المنطقة الغربية ذات الغالبية السنية.

كما أكد «مضر شوكت» عضو الجمعية الوطنية - وهو سنى - للحياة: «أن هناك أكثر من ١٤ ألف معتقل عراقى لدى القوات المتعددة الجنسيات و٧ آلاف لدى الحكومة العراقية» معظم هؤلاء المعتقلين من السنة يتم هذا كله على مرأى ومسمع من الحكومة وقوات التحالف دون أن يحرك ساكناً لديهم، وهذا بالطبع شىء متوقع تماماً من مثل هؤلاء محترفى أشكال وصور التعذيب الإنسانى».

● فضيحة قيام القوات البريطانية بتعذيب الأسرى العراقيين

ذكرت صحيفة "صن" البريطانية أن "فضيحة" قيام القوات البريطانية بتعذيب الأسرى العراقيين التى كشفت عنها أصبحت مثار اهتمام واسع بعد أن خرجت عن صمتها السيدة "كيلى تيلفورد" التى "حمضت" نيجاتيف فيلم الصور الذى أحضره إليها جندى بريطانى عقب مشاركته فى الحرب على العراق، وأبدت فزعها لما شاهدته فى الصور.

وقالت الصحيفة فى موقعها على الإنترنت: إن تيلفورد - ٢٢ عاماً.

التى فزعت من الصور سارعت إلى إبلاغ الشرطة أن الجندى "جارى بارتلام" -١٨ عامًا- أحضر فيلمًا يتضمن صورًا تُظهر ارتكاب القوات البريطانية فى العراق لأنواع مختلفة من التعذيب فى حق الأسرى العراقيين، خاصة ممارسة اللواط معهم.

ونقلت الصحيفة عن السيدة تيلفورد أن صاحبة محل التصويرشعرت بآلام فى معدتها فور

مشاهدتها صور تعذيب الأسرى العراقيين، ومنها صور يظهر فيها جنود بريطانيون وهم "يمارسون اللواط مع أسرى عراقيين، وصورة أخرى يظهر فيها أسير عراقى مكتوف الأيدى ومعلقا فى رافعة آلية يقودها جندى بريطانى يبدو مبتهجا بممارسته التعذيب فى الأسير العراقى.

وقالت تيلفورد: إنها لا تشعر بالندم على استدعاء الشرطة التى بدأت التحقيق مع الجندى بارتلام الذى كان ضمن القوات البريطانية فى العراق، وهو حاليا يقضى إجازة فى بريطانيا.

وأضافت أنها فى الوقت الذى تفخر فيه بجيش بلادها فإنها "تأسف لعدم التزامه بقواعد القانون الدولى بشأن معاملة الأسرى".

وفى مقال بصحيفة "صن" قال الكاتب "جون كاى": "إن هذه الفضيحة المتعلقة بممارسات تعذيب الأسرى التى ارتكبتها القوات البريطانية فى العراق ستدمر سمعة القوات البريطانية ككل، رغم أنها صادرة عن بعض جنود إحدى فرقها فى العراق".

ونقل الكاتب فى مقاله بعنوان "البقية تأتى" عن مصدر مقرب من الشرطة العسكرية الملكية التى تتولى التحقيق مع الجندى قوله: "إننا متخوفون من احتمال الكشف عن مزيد من الفضائح، إنها قد تكون بمثابة عش الدبابير الذى سيكشف عن أشياء مفزعة».

وأضاف المصدر قائلا: «أياً كانت الظروف فليس هناك عذر للجنود البريطانيين لإساءة معاملة أسرى الحرب العراقيين، ومهمتنا الآن هى معرفة عدد الجنود المتورطين».

❖ ❖ ❖

الفصل الثامن

تفاصيل الاختراق الصهيونى للعراق

- عملاء الموساد نفذوا عمليات اغتيال لـ ١٢٠ عالما عراقيا وخطفوا ٢٥ عالماً نووياً
- بريمر أصدر جوازات سفر عراقية لإسرائيليين شاركوا فى الانتخابات التشريعية
- تجار صهاينة يشترون الأراضى والعقارات فى كركوك والموصل بتنسيق مع الأكراد

لم يشعر الكيان الصهيونى بالتهديد من قِبَل أى دولة عربية كما شعر به من قبل العراق لذلك فقد صنف العراق لدى الصهاينة بأنه من الدول الخطرة على مستقبل اسرائيل، وتنامى طموحاتها الجغرافية، ففضلا عن روح العداء العميقة تجاه الصهاينة من قبل الشعوب العربية إلا ان ما يميز العراق وحدها عن سائر الدول العربية المعادية للكيان الصهيونى هو مسار النهضة التقنية والعلمية والصناعية التى باتت تدفع العراق إلى مصاف الدول القوية فى العالم، فقد استطاعت العراق أن يحقق نهضة فى مجالات مختلفة بدءاً من عام ١٩٧٢ وحتى عام ١٩٩١.

وهكذا كانت العراق تمثل لإسرائيل مصدر قلق وخطر على وجودها خاصة فى ظل العداء الذى يكنه لها العراق حكومة وشعبا، ومن هنا كان لابد من القضاء على هذا المارد العربى مع توجيه قوته وخطورته نحو عدو آخر للكيان الصهيونى وبذلك تكون قد ضربت عصفورين بحجر.

وهذا ما أكده الدكتور خير الدين حسيب الباحث والمفكر القومى فى ندوة بنقابة الصحفيين عن (جريدة العربى ١٣ مارس ٢٠٠٥) حيث أشار إلى أن الوثائق تشير إلى أنه بعد انتهاء حرب إيران كان سلاح الجو العراقى عام ١٩٨٨ يقوم بالاستطلاع على الحدود الإسرائيلية الأردنية وصور منشآت ومطارات ما دفع أمريكا للتحرك حيث عقد هنرى كيسنجر اجتماعا مع سعدون حمادى فى باريس حثه فيه على عدم تصعيد أى موقف ضد إسرائيل حيث توجد إمكانية لتسوية الأمور بينهما غير أن العراق لم يرضخ للضغوط الأميركية كما تشير وثائق أخرى إلى أن رؤوف غالى أحد أقرباء الدكتور بطرس غالى عمل وسيطاً لتسوية الصراع بين إسرائيل والعراق غير أن الرئيس صدام حسين رفض أية محاولة لتسوية الصراع.. مما دفع الإدارة الأمريكية إلى تشكيل مجموعة عمل عام ١٩٩٠ من البنتاجون لوضع استراتيجية أمريكية أبرز ما فيها- خاصة بعد انتهاء الحرب الباردة- أن أمريكا لن تسمح لأى دولة أو مجموعة من الدول بمنافستها على كونها القطب الأوحد، وبعد فشل بوش الأب فى انتخابات الرئاسة الأمريكية قدمت الاستراتيجية إلى الكونجرس فى يناير ٢٠٠٣ تضمنت الاستراتيجية كيفية منع الدول من منافسة أمريكا ودور العامل العسكرى فى هذه القضية بحيث يصبح ناتج القوى فى صالح أمريكا فلجأت إلى استخدام النفط وسيلة للسيطرة ليس بمعنى ضمان احتياجاتها لكن بمعنى أوسع وهو السيطرة على أصحاب النفط، فبدأت السيطرة فى آسيا الوسطى وراحت تتعامل مع أوروبا والصين وإيران من باب النفط لمنع منافسة الدول لها.

وانطلاقا من هذا السيناريو الصهيونى وقع العراق فى المصيدة الإيرانية ثم الكويتية فسقط النظام ورموزه وتدمرت قدراته التى بنيت فى عدة عقود. ثم جاء السقوط الأكبر عندما وقعت العراق تحت

الاحتلال الأمريكى وهنا فتحت أبوابه على مصراعيها لتسمح بدخول الصهاينة على الأرض التى طالما حلموا بها وحدثتهم اساطيرهم الدينية المزيفة عنها.

عند قيام دولة (إسرائيل) عام ١٩٤٨م كان عدد اليهود فى العراق ما يقرب من ١٢٩ألف يهودى، وعندما سقطت بغداد عام ٢٠٠٣م كان عددهم لا يتعدى ٣٤يهوديا تزيد أعمار نصفهم عن ٧٠عاما، ومنذ هذا السقوط فتحت أبواب العراق لحركة دوران مرتدة إلى العراق على جميع الحدود المتاخمة لها، فقد باتت هذه الحدود مفتوحة تقريبا لحركة التسلل اليهودى المصنف الآن ما بين خلايا للموساد وشركات من الباطن وأفراد وتجمعات تحاول الاستيلاء على ما تسميه حقوقها القديمة فى العراق بالاضافة لأعداد كبيرة تستعين بها القوات الامريكية فى نشاطها الإجرامى بشكل خفى ومستتر وخلايا للقتل تعمل لحساب اسرائيل.

ومن الأساليب الخطرة التى يتبعها الصهاينة حاليا فى العراق، لجوؤهم إلى شراء وإمتلاك أكبر قدر ممكن من العقارات والأراضى العراقية، ومع شراسة هذه الهجمة الصهيونية شراء الأراضى والعقارات أصدر رجل الدين الشيعى البارز (آية الله كاظم الحائرى)، فتوى بإهدار دم أى يهودى يشترى أى عقارات أو أراض فى العراق، كما حرم بيعها لليهود. وجدير بالذكر أنه قد تم تسلل المال اليهودى لشراء الأراضى والعقارات العراقية منذ عام ١٩٩٢م، عندما تأكد لدى الصهاينة ان النظام العراقى العدو بات إلى زوال، وتم ذلك من خلال العراقيين المغتربيين فى أوروبا وخاصة فى انجلترا هولندا وإيطاليا حيث الوجود المكثف للعراقيين.

يقول «سيد الماحى» - كاتب صحفى - فى مقال له نشر بجريدة الأهرام المسائى فى ٩/١٢/٢٠٠٤إنه: «على المستوى العسكرى فإن خلايا الموت الإسرائيلية تضع أقدامها فى العراق بحماية خونة من العراق يقومون بتجنيدهم لاغتيال العلماء والمفكرين وأساتذة الجامعات لأنهم منابع القوة التى كانت تخيف إسرائيل، وكذلك إغتيال شخصيات دينية وعمل التفجيرات بين التجمعات الشعبية بقصد إشاعة الفتنة الطائفية واشعال حرب أهلية.. كما أن أصابع الاتهام تشير إلى تورط الموساد مع المخابرات الأمريكية بالنسبة لعمليات خطف الرهائن لتشويه المقاومة العراقية واضعافها وتأليب الشعب العراقى عليها فقد أعلنت مصادر غربية إعلامية ان طائرات عسكرية امريكية وإسرائيلية مستترة العلامة نقلت العشرات من خبراء الصاعقة الإسرائيلية من تل أبيب إلى عدد من المناطق الكردية الشمالية لتدريب قوات البشمركة وقيل أن شارون نفسه زار بغداد سرا عقب القبض على صدام، وأنه ظل ساعات ينظر إليه فى شماتة وسعادة لكن لم يتأكد ذلك من مصادر محايدة أما على المستوى

التجارى المتخفى تحته النشاط السياسى والعسكرى والمخابراتى فقد بلغ عدد الشركات الاسرائيلية التى تعمل فى العراق حوالى مائة شركة وتعمل فى جميع المجالات ونشاطها يتم عن طريق الأردن والشركات الأمريكية من خلال المنطقة الصناعية الحرة بين الأردن واسرائيل فقد اصبحت هذه المنطقة مركزاً للتجارة الاسرائيلية العراقية ففيها يتم تجميع البضائع وتتم إزالة علامات المنشأ وكل الكلمات العبرية، ووضع مكانها عبارات إسلامية تناسب المنتج تنقل على شاحنات يقودها عرب للأسف.

كما يشارك فى هذا البرنامج عديد من الشركات والمؤسسات «الاسرائيلية» الخاصة التى تعمل فى مجال تصنيع الأجهزة التقنية والنظم المتطورة ونقلت الصحيفة عن أحد المسؤولين بالوفد «الإسرائيلى» قوله.

إن النشاط الحالى هو ثمرة جهود سرية وإن أول اتصال بين السلطات «الإسرائيلية» والعراقية تم خلال وساطة دولة شرق أوسطية لم يكشف عنها.

ولم تقتصر متابعة أخبار التواجد والتغلغل «الإسرائيلى» على الصحافة «الإسرائيلية» وحسب وإنما أهتمت بذلك صحافة الدول الإقلمية حيث ذكرت صحيفة«جمهوريت» التركية ١٨/١١/٢٠٠٤ تقريراً يؤكد على أن النشاطات والفعاليات «الإسرائيلية» مستمرة فى شمال العراق منذ عام ١٩٩٣.

وتريد «إسرائيل» من ذلك تأمين خط أنابيب بترول من شمال العراق إلى حيفا فى فلسطين المحتلة. وتشغيله بأسرع وقت ممكن لزيادة القوة الاقتصادية لـ«إسرائيل» ولهذا قامت بشراء أراضٍ فى مدينة كركوك بمساحة ستة الآف دونم.

إضافة لشراء خمسمائة منزل فى مدينة الموصل وألفى دونم وثلاثين مبنى فى أربيل.

ولقد حصلت «إسرائيل» على بعض المساعدات من اليهود الأتراك فى منطقة شمال العراق حسب تقرير الصحيفة التركية.

وإذا كانت العديد من الحقائق قد أكدت على الدور «الإسرائيلى» فى العراق والذى ارتدى لبوسات مختلفة فإن معركة الفلوجة الأخيرة قد كشفت الدور العسكرى للكيان بعد أن إعترفت المصادر «الإسرائيلية» أن عددا من الجنود اليهود من حملة الجنسية «الاسرائيلية» والأمريكية قد قتلوا فى الهجوم الأخير على مدينة الفلوجة.

• الصهاينة فى الفلوجة

إذ قالت صحيفة «هارتس» فى ٢٧/١١/٢٠٠٤وعلى لسان أحد كبار الحاخامات اليهود فى القوات الأمريكية فى العراق:

إن المقاومة العراقية تمكنت من قتل ضباط وجنود يهود أمريكيين فى الفلوجة.

وأكد على ذلك مراسل الصحيفة المذكورة فى نيويورك وعلى لسان الحاخام أرفتيج ألسون وهو برتبة رائد فى الجيش الأمريكى.

حيث قال الأخير: إن هناك العديد من اليهود قتلوا فى المعارك الأخيرة فى الفلوجة. ومنهم المقدم «أندى شتيرن» ويعمل فى سلاح المدفعية وجرى دفنه فى المقبرة العسكرية الأمريكية فى «أرلينغنتون» فى أمريكا و«ماك افينى» قناص يهودى وهو حفيد أحد الحاخامات الكبار فى «إسرائيل» وكشف الحاخام فى كلمته التى نشرتها صحيفة «هارتس» عن وجود عدد كبير من الجنود اليهود فى الجيش الأمريكى معظمهم يعملون فى القنص وتتراوح أعمارهم بين ٢٨ و ٢٩عاما منهم مجندات يهوديات، ودعا الحاخام عائلات الشباب اليهودى الأمريكى إلى حث أولادهم للقتال فى العراق معتبرا أن القتال ومساعدة الأمريكان فى العراق أفضل كثيرا من العمل الدينى فى المعابد اليهودية وكشف الحاخام أرفتيج عن عدد الجنود اليهود فى العراق قائلا أنهم حوالى ١٠٠٠جندى منهم بعض الضباط العاملين فى الجيش الأمريكى.

وفى أكتوبر ٢٠٠٤ بثت الإذاعة «الإسرائيلية» تقريرا جاء فيه أن حكومة أريبل شارون نجحت فى زرع أكبر وأهم مركز للاستخبارات «الإسرائيلى» للقيام بمهام أمنية ومعلوماتية تتمثل فى رصد التطورات السياسية والأمنية فى العراق، والتحقيق مع العناصر العراقية التى تعتقلها القوات الأمريكية، وتقديم المساعدات اللوجستية لأمريكا، إضافة لرصد ومراقبة التطورات فى سوريا، ورصد المنطقة العسكرية فى الجنوب التركى وحماية المصالح اليهودية الإستثمارية التى تتوجه بكثافة نحو العراق منذ الوجود الأمريكى إلى جانب حماية اليهود فى المنطقة.

وأكد مضمون التقرير الذى أوردته الإذاعة «الإسرائيلية» أن إيجاد مركز للاستخبارات «الإسرائيلية» بمزرعة «زاويته» يعد إنجازا مهما لحكومة شارون بالاشتراك مع رئيسى الموساد مائير داجان مشيرا إلى أن اختيار موقع المركز جاء عقب العديد من الدراسات التى أجريت فى المناطق العراقية منذ بدء الحرب على العراق.

• اعترافات سالم الجلبى

وفى اعترافات هى أقرب الى صحوة الضمير اعتبر المدير الإدارى السابق للمحكمة العراقية الخاصة ،سالم الجلبى، أن الحكومة العراقية عقدت العزم على إعدام الرئيس العراقى السابق صدام حسين مطالبا بمشاركة دولية فى محاكمته، وأعضاء نظامه المخلوع لأن «المحاكمة لن تكون عادلة من دونها».

وعلى صعيد النشاط الإسرائيلى فى العراق كشف ابن شقيق زعيم حزب «المؤتمر الوطنى العراقى» أحمد الجلبى أن أوساطا عراقية أبلغته بأن الحاكم المدنى السابق للعراق بول بريمر أصدر جوازات سفر عراقية لليهود من أصول عراقية.

ولدى استيضاحه عما إذا كان بين هؤلاء إسرائيليون رد بالإيجاب.

استطاع الكيان الصهيونى بمساعدة حليفه التقليدى والاستراتيجى الولايات المتحدة الأمريكية ان يتخلص من الشوكة العراقية التى كانت تؤرقه، ليبدأ لصهاينة - بسقوط بغداد وإنتهاء عهد صدام حسين - بداية جديدة مختلفة تماما عما سبق

ولايخفى على أحد وقوف الكيان الصهيونى خلف كواليس الأحداث فى العراق المحتل، فالحرب التى أشعلها صقور البيت الأبيض تخدم فى المقام الأول المصالح الصهيونية، والصهاينة أنفسهم قاموا بأدوار مهمة قبل وأثناء الحرب، وهم يقومون بأدوراهم بعد الإحتلال. ولم يعد الكيان الصهيونى نفسه يخفى فى مخططاته للنيل من العراق وقد اعترف بأن العراق الجديد - عراق ما بعد صدام - قد اضحى عراقا اسرائيلى الهوى والاتجاه، وهذا يتطلب ان يتواجد فيه بقوة سواء بشكل مباشر أوبشكل غير مباشر من خلال الإحتلال الأمريكى للبلاد.

وعن التواجد الصهيونى المباشر فى العراق، فيؤكد المراقبون بأن الكيان الصهيونى يقوم بعدة أدوار داخل الأراضى العراقية ففى الجيش قدَّر الحاخام أرفتيج عدد الجنود الصهاينة بالعراق بأنه يتراوح ما بين ٨٠٠و١٠٠٠جندى وضابط، بينما يبلغ عدد الحاخامات فى الجيش الأمريكى بالعراق نحو (٣٧) موزعين على قوات الاحتياط والقوات البحرية والقوات الجوية، وقد نقلت صحيفة (هآرتس) العبرية عن مسئولة كبيرة فى وزارة الدفاع الأميركية «إن عددا كبيرا من الجنود يخفى هويته الدينية، كما أن هناك جنودا يهودا لا يتصلون بحاخامات الجيش الأمريكى».

• الموساد يعذب المقاومين فى سجن (أبو غريب)

كشفت جانيس كابرنيسكى- برتبة جنرال- والمسئولة الأمريكية السابقة عن سجن (أبو غريب) أن لديها أدلة على أن عناصر مخابرات إسرائيلية شاركت فى التحقيق مع معتقلين عراقيين فى مراكز الاعتقال الموجودة بالعراق وأنها التقت ببعضهم، ومنهم من أشرف على عمليات استجواب وتعذيب العراقيين بنفس الأساليب التى تمارسها السلطات الإسرائيلية فى استجواب وتعذيب المعتقلين الفلسطينيين فى الأراضى المحتلة، وأن بعض المحققين الأمريكيين تلقوا دورة فى أساليب الاستجواب فى احد معسكرات التدريب الخاصة فى مكافحة الإرهاب بإسرائيل، ويتبعوا شركة (كاس

انترناشيونال) الامريكية ذات الصلات التجارية والعسكرية مع اسرائيل- وقد أكد الجنرال الامريكى (تاجوبا) هذه المعلومات عندما ذكر فى تقريره حول عمليات التعذيب ان بعضا ممن اشرف على عمليات التعذيب من مزدوجى الجنسية منهم الاسترالى (ستيفن ستافا نوفيتش) الذى يحمل أيضا الجنسية الاسرائيلية ويعمل فى شركة كاس المشار إليها.

وعن دور الحاخامات اليهود فى الجيش الأمريكى الموجود بالعراق يقول أرفتيج: «دورى كحاخام يتمحور فى القيام بزيارة الجنود اليهود الذين يقاتلون هناك لوعظهم وارشادهم فى صفوف القتال الأمامية». واعترف بان الجنود اليهود يحتفلون بأعيادهم الدينية فى العراق وأنه احتفل (١٧) مرة بعيد رأس السنة اليهودية الأخير مع جنود يهود فى عدة مدن عراقية.

وقد قام الكيان الصهيونى بتدريب مشاة أمريكيين على حرب المدن واستخدام طائرات الأباتشى والمدرعات فى المناطق المكتظة بالسكان بحكم خبراته فى التعامل مع المقاومة الفلسطينية.

وكانت صحيفة جيروزاليم بوست العبرية قد أكدت أن جنودا أمريكيين فى العراق قد تلقوا تدريبا فى مركز مكافحة الإرهاب من قاعدة عسكرية صهيونية خارج القدس، وأن أفرادا من المشاة قاموا بزيارات متكررة للكيان الصهيونى لها فى قطاع غزة.

وقد أكدت صحيفة تايمز الامريكية ما سبق، حيث أشارت إلى أن قادة عسكريين أمريكيين قاموا بدراسة وتطبيق التكتيكات العسكرية الاسرائيلية خاصة استخدام القوة الجوية والمدرعات ضد المقاومة الموجودة داخل مناطق شديدة الكثافة السكانية.

• تمزيق جثة كردى تعاون مع الموساد

وكانت قوات الحرس الوطنى العراقى عثرت فى كركوك على جثة لمواطن كردى تم تقطيع أعضاء جسمه لأكثر من خمس قطع، وتم وضعها فى كيس كبير، وكتب على الكيس عبارة (هذا هو مصير كل من يتعاون مع الموساد وقوات الاحتلال).

ويعمل القتيل، وهو من سكان كركوك مترجما فى القاعدة العسكرية الأمريكية، ويبلغ من العمر ستة وعشرين عاما.

ومن جهة أخرى كانت جماعة (أنصار السنة) أكدت أنها اصطادت فى كركوك مقرا للاستخبارات الصهيونية (الموساد) وقامت بتفجيره بسيارة مفخخة ما أدى إلى مصرع ستة من أبرز كوادر الموساد. وقالت مصادر فى الجماعة أن هناك اختراقا إسرائيليا كبيرا فى شمال العراق يتم بتعاون مع الحزبين الكرديين الكبيرين لكن جلال طالبانى نفى ذلك فى تصريحات صحفية.

وفيما يتعلق بالنشاط الاقتصادى فإن الكيان الصهيونى يقوم فيه بأدوار عدة يزيد حجمها على ٢٥مليار دولار كنشاط تجارى لشركات صهيونية تعمل فى السوق العراقية تحت لافتات اسرائيلية مباشرة أو لافتات لشركات عربية أو أمريكية ويقدر عدد هذه الشركات بـ ١٨شركة وهذه الشركات لا تعمل فى العراق بطريقة عشوائية ولكن الأمر معد له جيدا وبطريقة محكمة ومنذ فترة طويلة سبقت الهجوم على العراق فبموجب دراسة أعدتها وزارة المالية الإسرائيلية نشرت فى الصحف العبرية فإن الكيان الصهيونى سيحقق ارباحا بقيمة ١٧,٥مليار دولار كنتيجة مباشرة لغزو العراق، وذلك فى غضون الخمس السنوات المقبلة حتى ٢٠٠٨ ويوضح الاقتصادى الصهيونى سكومو معوز فى تلك الدراسة ان بإمكان دولته - ولأول مرة - تقليص من ٤٠٠ مليون إلى ٧٠٠مليون دولار من ميزانية وزارة الدفاع بعد زوال الخطر العراقى إضافة إلى الإنخفاض المتوقع بنسبة ٢٥ - ٤٠٪ فى أسعار النفط لا تخفى اسرائيل طموحها فى إعادة تشغيل أنبوب النفط بين كركوك وميناء حيفا الذى أغلق عشية قيام دولة اسرائيل ١٩٤٨م إلا ان هناك جهودا حثيثة تبذل بالتعاون مع الأردن لتفعيل هذا الخط الذى يمر عبر أراضيها.

ويقدر عدد الشركات الإسرائيلية فى العراق بأكثر من ١٥٠ شركة يتستر الموساد وراء لافتاتها الخارجية حتى إن بعض المصادر الوطنية العراقية التى تراقب الوضع ميدانيا أفادت بوجود جسر جوى مستمر بين إسرائيل والعراق يواصل نقل الكثير من الشحنات متعددة الاغراض لحساب جهات منها عسكرية، وشركات أخرى مدنية تعمل لحساب المجهود الحربى الأمريكى وقسم لحساب شركة تجارية تعمل فى القطاعات المدنية حيث تسعى اسرائيل للحصول على اكبر قدر من عقود ومشروعات اعادة بناء العراق، ويقدر حجم العقود التى حصلت عليها اسرائيل من جهات امريكية لصالح الوجود الامريكى فى العراق بحوالى مليارى دولار.

وقد أكد مقربون من مسؤول قطاع النفط فى العراق أن شركة نفط إسرائيلية ستكون من بين جملة شركات دولية ستبرم عقودا تجارية مع قطاع البترول العراقى. فيما كشف إبراهيم عبدالكريم مدير شركة النفط العراقية لحفر الآبار سابقا أن مجموعة «ديلبك» و«اسرامكوا» الاسرائيليتين ستدخلان وبقوة سوق النفط العراقى.

إن الأمر لا يتعلق فقط بالاقتصاد فلم يغفل الكيان الصهيونى فى مخططه الشامل لغزو العراق اقتصاديا وسياسيا مجال السياحة فمنذ سقوط بغداد وهناك وفود صهيونية تزور العراق تضم خبراء فى مجال السياحة لإجراء مفاوضات من أجل إتاحة الفرصة للصهاينة لزيارة العراق، خاصة وأن هناك

مليون اسرائيلى من أصل عراقى، وعليه فقد باشرت مدرسة السياحة من أجل تدريبهم لمرافقة المجموعات السياحية المتوجهة للعراق.

• الموساد خطف واغتال علماء العراق

وعن الموساد الإسرائيلى وتواجده فى العراق فإن عناصر له تنتشر فى الشمال العراقى، ويعملون تحت لافتات مضللة ويقومون بتدريب عصابات كردية على أعمال التخريب وإثارة الفتنة الطائفية وتنفيذ عمليات إرهابية فى الدول المجاورة والقيام بعمليات اختطاف الأجانب بهدف تشويه صورة المقاومة العراقية وهو ما أدى إلى حدوث صدام وفتور فى العلاقات الاستراتيجية الإسرائيلية التركية بعد أن كشفت تركيا عن قلقها من نشاط الموساد المكثف فى الشمال الكردى، حيث تقول الأرقام أن هناك أكثر من مائة مكتب للموساد فى المدن العراقية الرئيسية بخاصة فى الشمال ولذلك ليس مستبعدا تورط الموساد فى تنفيذ انشطة ارهابية داخل العراق بهدف استمرار الفوضى فى البلاد مما يمنحه الفرصة والوقت الكافيين لتحقيق أهدافه.

مختارات إيرانية، (العدد ٥٧ أبريل ٢٠٠٥)، أن صحيفة جيروزاليم بوست نشرت فى تقرير لها فى ٢٠٠٤/٨/١٨ أن الجيش الإسرائيلى يدرب قوات أمريكية منتشرة فى العراق على أساليب حرب المدن والعصابات، وذلك فى مدرسة (آدم) للقوات الخاصة الإسرائيلية قرب بلدة (مودعين) بوسط إسرائيل وبعد انتهاء كل دورة تدريبية يتم إمداد الجنود الأمريكيين بالخبرة التى اكتسبها الاسرائيليون من قتالهم فى المدن الفلسطينية لاخماد الانتفاضة فى الاراضى المحتلة، كما يتم تدريب الطيارين الأمريكيين على استخدام الهليوكوبتر (أباتشى) فى التعامل مع عناصر المقاومة، واصطياد قادة المقاومة بواسطة الطائرة بدون طيار (ابريد انور).

وقد استخدمت القوات الأمريكية فى عملياتها بهذه المدن العراقية مجموعة من المعدات الإسرائيلية التى تم تطويرها لتناسب حرب المدن مثل الطائرة بدون طيار (هنتر)، ونظام اصطياد القناصة (روبوتيك) وجهاز تحديد مواقع عالمى GPS يحمله الأفراد وأجهزة الكترونية للآليات من أجل الرصد والتعرف على الأهداف، وتحديد أماكن الكمائن المزودة بمتفجرات على أجناب طرق التحرك، والإنذار بها وعرقلة تفجيرها الكترونيا وتبلغ قيمة المشتروات الامريكية من المعدات الإسرائيلية فى عمليات الفلوجة فقط حوالى ٥٠ مليون دولار.

وقد قام الموساد أيضا بتدريب ٢٠ ألفا من الجنود المرتزقة تعاقدت معهم إحدى الشركات البريطانية ويتقاضى الواحد منهم ١٥ ألف دولار شهريا على أعمال القتل والاغتيالات والتفجيرات

ومطاردة العلماء العراقيين الذين كانوا يشاركون فى البرنامج النووى العراقى حيث شارك هؤلاء المرتزقة مع عملاء عراقيين للموساد فى اغتيال ما بين ٧٠و١٢٠عالما عراقيا وخطف ٢٥آخرين قبل ان يتمكن الباقى من الهرب خارج العراق خوفا من الاغتيال او الخطف، وللأسف فقد اضطر كثيرون للسفر إلى أميركا مستفيدين من قانون صدر لجذب هؤلاء العلماء وقد صدر فى أوائل عام ٢٠٠٤غرب قانون أمريكى يهدف لتهجير علماء العراق فقد أقر الكونجرس الأمريكى مشروع قانون حمل عنوان قانون العلماء العراقيين وينص على منح العلماء العراقيين الذين يوافقون على تقديم معلومات ذات مصداقية بشأن برامج الأسلحة العراقية تصريح إقامة دائمة فى الولايات المتحدة..

ومعلوم أن حكاية أسلحة الدمار الشامل والعلماء الذين يقومون بتطويرها كانت هى الوسيلة المقبولة للقضاء على كل نهضة العراق العلمية ومطاردة العلماء فى كل التخصصات وإبادة الوثائق والأبحاث العلمية حتى الأبحاث الطبية والتاريخية وكلها مطاردات سرية هدفها الإغتيال تقوم بها خلايا سرية من الموساد تجند خونه من العراقيين أو غيرهم وخوفا من دموية هذه الخلايا قام علماء من العراق بتسليم أنفسهم إلى قوات الإحتلال ظنا منهم بأنها أقل الأضرار مثل تسليم الفريق عامر السعدى المستشار العلمى لصدام نفسه لقوات الإحتلال الأمريكى بحضور عدسات التليفزيون فى عملية وصفت بأنها استهدفت إنقاذ نفسه من أيدى فرق الاغتيالات الإسرائيلية، وقد كشف جنرال فرنس متقاعد عن وجود ١٥٠وحدة كوماندوز إسرائيلية فى العراق مهمتهم اغتيال ٥٠٠عالم من العراق. وهم العلماء الذين وردت أسماؤهم فى قوائم مفتشى الأسلحة الدوليين للأمم المتحدة.

وذكرت بعض المصادر التركمانية أن إسرائيل تقوم بتهريب أسلحة كثيرة لهذه الخلايا عن طريق جماعات كردية ضبطت منها شاحنات متوجهة إلى الأكراد محملة بالقمح وفى داخلها بنادق وقنابل وطلقات ونظارات رؤية ليلية بهدف الاغتيالات.

ويصل تعداد علماء الأسلحة فى العراق إلى حوالى ٣٥٠٠عالم عدا علماء التخصصات الأخرى. ويمثلون عشرات الأضعاف لهذا العدد، وكلهم مستهدفون من الموساد الإسرائيلى بمساعدة قوات الإحتلال الأمريكية. وقد تم اغتيال المئات منهم حتى الآن - ورحل منهم المئات ومازالت حرب إبادة العلماء قائمة.

ومن شدة رعب هذه الحرب القذرة أرسل عدد من علماء العراق رسالة استغاثة فى أول مايو ٢٠٠٤ومنهم أساتذة فى الجامعات العراقية عبر البريد الإلكترونى، أشاروا فيها إلى أن قوات الاحتلال الأمريكى وخلايا الموت المجهولة تهدد حياتهم وقالوا: إنهم أملوا هذه الرسالة لأحد العلماء العراقيين

الشـرفـاء فـى هولندا بـالهـاتـف عن طريق القـمـر الصناعـى، وطلبـوا منه أن يرسلهـا إلـى كل الجـهـات لإنقـاذهم من عمليات المداهمـة، والتحقـيق والاعتقـال والاغتيـال التى تنفذ ضدهم وتطالبهم خـلالها بتسليم مالديهم من وثائق وأبحاث علمية خصوصا علماء الفيزياء والرياضيات والكيمياء.

وقالت الرسـالة: إن من بقى منهم على قيد الحياة تم تحديد إقامته فى بيته وتحت حراسـة مشددة، ومنعهم من الذهاب إلى الجـامعـات والمعامل الخاصـة وتحـريض رجـال المخـابرات الأمـريكية لنقلهم إلى مراكز بحثية غربية.

وأوضـحت الرسـالة أن قـوات الاحـتـلال تملك قـوائم بأسـمـاء جـمـيع العلمـاء العـراقـيين وعنـاوينهم والأبحاث التى يعملون بها، وهو ما يسهل عليهم عملية التهديد فى ظل انشغال العالم بالفوضى الموجودة بالعراق، وأضافت الرسالة.

«إن جنود الإحتلال يشجعون أعمـال السلب والنهب ويقـومـون بنقل غـوغـاء علـى عربات خـاصـة إلى المؤسسات العلمية، ومنها جامعة الموصل والجامعات والمعاهد العلمية الأخرى ثم يستغلون الفوضى التى أوجدها الاحتلال لتدمير المعامل ومصـادرة كل الوثائق وأورق المشروعات الأكاديمية لحرمان العراق من أى نواة لنهضة علمية مستقبلية.

وجـاء ذلك فى الوقت الذى صـدر فـيـه تحـذير هـام يخص مـئـات الألوف من اليـهـود تم نقلهم للمشاركة بالانتخابات وكشف مـراقب عراقى هو د. امجد الزبيدى عن اختراق إسـرائيلى جديد للحياة السيـاسية والبـرلمانية العراقية مستغلا حالة الفوضى ونهم بعض الأطراف العراقية وجشعها وحرصها على التهام التورتة السياسية، وقـال لقـد تسلم اليهود الاسـرائيليون من اصـول عـراقـيـة أوامـر مـشـددة تدعوهم للاستعداد للسفر إلى الاردن للمشاركة فى الانتخابات البرلمانية وقد وصل هذا الطلب لمئات الآلاف منهم وهناك توقعات بأن حوالى ١٠٠ ألف إسرائيلى شاركوا فى الانتخابات الصورية، وقد طلب من المشاركين احضار وثائق عراقية حتى ولو كان تاريخ إصدارها أيام الدولة العثمانية وقد هيئت عشرة مواقع تصويت سرية فى مناطق محاذية لحدود فلسطين المحتلة وقد حصل تنسيق استخبارى أمنى عـراقى إسرائيلى عالى جدا لتسهيل وصـول هؤلاء اليهود لاماكن الاقتراع وقد تم التعاقد مع شركات النقل الغـربيـة للتكفل بطريقى الذهاب والعـودة وقـد بدأت السلطات الأردنيـة التنسـيق مع الجـانب الإسرائيلى قبل أسبوعين بموضوع الأمن والنقل، وتم وضع خطة امنية شاملة شهدتها شوارع العراق وأشرف ضباط اسرائيليون على حماية مواقع التصويت، والغرض من ذلك كله ايجاد قدم صهيونية فى العراق، والانتقام من البلد العربى الأول الذى استطاع أن يطلق صواريخه على تل أبيب، وفتح المجال

فيما بعد للفدائيين الفلسطينيين وحزب الله اللبنانى لكن مصادر أردنية نفت ذلك.

• الألوسى أول زائر للكيان الصهيونى

دعا مثال الألوسى العضو السابق فى حزب (المؤتمر الوطنى) والذى أصبح معروفا بعدما زار إسرائيل (بمبادرة شخصية). البرلمان العراقى المنتخب إلى إلغاء حالة الحرب بين العراق وإسرائيل وقال لـ (الحياة) إن إجراءات نظام صدام حسين يجب أن تتغير باتجاه قبول الحكومة العراقية المقبلة التقارب مع الإسرائيليين.

وأضاف (يجب على العراقيين أن يتعاطوا مع بعض الحقائق الموجودة فى المجتمع الإسرائيلى وأبرزها وجود ٥٠٠ ألف عراقى فى إسرائيل (يقصد اليهود العراقيين) ووجود آراء ومواقف إسرائيلية جيدة عن السلام والعراق.

وكشف انه قدم تقريرا مفصلا عن زيارته لاسرائيل إلى مكتب الرئيس العراقى غازى عجيل الياور ورئيس الوزراء أياد علاوى (السابقين) وكذلك إلى وزير الخارجية هوشيار زيبارى وأفاد ان الأطراف الثلاثة اختاروا عدم الاكتراث بهذا التقرير ولم يردوا عليه.

واستغرب وجود أشخاص فى العراق لا يزالون يحفظون على طرح موضوع العلاقة الإسرائيلية) رغم تبدل الاقليم والعالم بأسره.

من جهة أخرى قال الألوسى: إنه أنشأ حزبا سياسيا سماه الديمقراطية، وزاد: هذا الحزب حصل على توقيع أكثر من ١١٥٠ شخصا وقد تقدم إلى قائمة المشاركين فى العملية الانتخابية التى جرت فى نهاية كانون الثانى «يناير» ٢٠٠٥ وأوضح أن حزبه يؤيد علاقات استراتيجية مع الولايات المتحدة ويضع المصلحة العراقية فى المقام الاول معتبرا ان هذه المصلحة تتطلب صلات مع اسرائيل، كما لفت الى ان اعضاء منشقين فى تيار الصدر والمؤتمر الوطنى العراقى «بزعامة أحمد الجلبى» انضموا إلى حزبه، ويذكر فى هذا الصدد أن «إسرائيل» سعت إلى فتح جبهته مع المثقفين العراقيين الذين كانوا فى المنافى الاختيارية أو الإجبارية بدعوى فتح صفحة جديدة للتعايش فى المنطقة بعد زوال حزب البعث.

❖ ❖ ❖

الفصل التاسع

٥٥ منظمة للمقاومة المسلحة

- خفايا عملية فندق الرشيد لاغتيال نائب وزير الدفاع الأميركى
- فدائيو صدام وكتائب الفاروق والحرس الجمهورى أبرز التشكيلات القومية المسلحة
- قاعدة الجهاد فى بلاد الرافدين وجيش محمد وكتائب المجاهدين، منظمات إسلامية فى المثلث السنى

تنقسم جماعات المقاومة فى العراق إلى ثلاث طوائف رئيسية، كل طائفة تضم عددا من المنظمات، بعضها ظلت كما هى، وبعضها الآخر اندمج فى منظمات تتشابه معها فى الفكر، وربما الأساليب. فى حين أن هناك منظمات ربما تكون قد غيرت أسماءها لأسباب أمنية.

ويمكن للمتابع، الراصد لبيانات المقاومة العراقية سواء فى أجهزة الاعلام المرئية والمقروءة أو عبر الإنترنت أن يتوقف عند الطوائف الرئيسية الثلاث لهذه المنظمات وهى:

- منظمات بعثية أو عسكرية محترفة كانت ضمن القوات المسلحة والحرس الجمهورى، وكتائب القدس وفدائيو صدام، وهى منظمات نفذت عمليات استشهادية وحرب شوارع بامتداد الطريق البرى من أم قصر حتى احتلال بغداد، ثم قادت - لا تزال - آلاف العمليات الفدائية المسلحة، وهى تمتلك مقومات عالية سواء لجهة خبرة العناصر وارتفاع مستوى تدريباتهم، أو التمويل والتسليح، والقدرة على الانتشار والاختفاء نظراً لعلاقاتهم الأصيلة مع العشائر والعائلات، وبخاصة فى ما يعرف جغرافياً بـ «مثلث الموت» و«المثلث السنى».

- منظمات إسلامية بعضها موجود أصلا فى الخارطة السياسية والاجتماعية العراقية، مثل جيش المهدى الذى أسسه السيد مقتدى الصدر بعد الغزو مباشرة، لكن العناصر والأسلحة كانت متوفرة، فضلا عن البيئة الدينية والاجتماعية الحاضنة لمثل هذه الميليشيا، والأمر نفسه ينطبق على عشرات المنظمات السنية والجهادية المسلحة التى انبثقت من حزب البعث، أو من القوات المسلحة، أو قد تكون تيارات سلفية قديمة مثل منظمة انصار السنة الكردية التى كانت فى الأصل تحمل اسم منظمة انصار الإسلام فى شمال العراق.

وأخيراً، هناك منظمات وطنية عشائرية، ولدت فى رحم المعاناة والضيق من سلوكيات القوات الأميركية والبريطانية التى كانت تداهم المنازل ليلاً وتعتدى على حرمات البيوت، وتعتقل أبناء العائلات وتسرق وتصادر الأموال والمجوهرات والأسلحة الشخصية، ومثل هذه السلوكيات فى مجتمع عشائرى محافظ لابد وان تولد رد فعل عنيف ضد الغازى الأجنبى، فضلاً عن المشاعر الوطنية المنفذة ضد الاحتلال.

ويضاف إلى ذلك كله عدد غير قليل من المجاهدين العرب، سواء تحت رايات قومية أو إسلامية وقد جاءوا إلى العراق قبل أو بعد الغزو، وشنوا عمليات فى غاية الأهمية، إذ أن هؤلاء على درجة عالية من التدريب والخبرة، فبعضهم مارس القتال فى أفغانستان، ضد القوات الروسية وبعدها ضد القوات الأميركية، فضلا عن روح استشهادية جبارة، ساهمت فى بث الرعب فى جيش الاحتلال.

وتشير التقديرات إلى وجود حوالى ٥٥ منظمة فدائية ناشطة فى المقاومة، لكن بعض هذه المنظمات، خاصة التى تحمل أسماء جهادية قد اندمجت، كما ظهرت تنظيمات جديدة صار لها وزن مهم فى ساحة القتال، وابرز هذه التنظيمات «الجيش الإسلامى» وهو مزيج من تنظيمات عسكرية يعتقد أنها من بقايا عناصر قوات فرق الحرس الجمهورى التى كانت تحرس بغداد، ومنها المدينة المنورة والنداء وحامورابى والتى لم يقبل ضباطها وجنودها الاستسلام أو الهزيمة، فاختاروا مواصلة القتال باسلوب حرب العصابات، ويعتقد أن «الجيش الإسلامى» يضم ٧ آلاف مقاتل، لديهم كفاءة عالية فى نصب الكمائن، وزرع العبوات الناسفة على الطرق، وقصف آليات العدو بالصواريخ، واسقاط الطائرات. ويمتد نشاط هذا الجيش من الموصل حتى البصرة، ولا يتركز فى نطاق محدود، ويتحرك خارج المدن، ونادراً ما ينفذ عمليات داخلها، وقد خاضت عناصر «الجيش الاسلامى» معارك شرسة فى سامراء والرمادى والفلوجة والأنبار وجهاً لوجه ضد دبابات وطائرات العدو الأميركى والمتعاونين معه من قوات عراقية. .

وفى جانب آخر، فقد بدا الأمر وكأن هناك منظمة مسلحة لكل محافظة، أو عدة منظمات تنسق مع بعضها لكن مع مراعاة الظروف العشائرية والمذهبية لكل محافظة على النحو التالى:

فى الرمادى والخالدية والى الغرب حتى الحدود السورية فى الأنبار فإن اغلب المجموعات هناك من القبائل السنية العرب الموالين لحزب البعث وصدام حسين.

أما فى محافظة "ديالى" فإن المجموعات المسلحة هناك من السنة العرب، ومن القبائل المحلية عسكريون عراقيون سابقون، وعراقيون عاديون غاضبون من الاحتلال، وبعض المقاتلين الاجانب وبعض عناصر فدائى صدام واعضاء فى حزب البعث كما ان "جيش محمد" له وجود كبير فى هذه المنطقة. وتوجد تقارير تشير الى وجود كتيبة نسائية.

- فى الفلوجة فالمقاومة قبلية أو عشائرية فى طبيعتها وبشكل أساسى مكونة من المسلمين السُنّة العرب ومع هيئة علماء المسلمين والعشائر التقليدية التى رفضت الاحتلال منذ أول لحظة، وذلك وفقا لنفس الموقع (Jihadunspun) ويوجد ايضا اعضاء بعثيون سابقون فى تلك المجموعات وكل المجموعات الموجودة هناك يقودها الشيوخ. فى الموصل كما فى الفلوجة تقريبا، بالاضافة الى ان هناك الكثير من العناصر المؤيدة لصدام وحزب البعث وعدد من القيادات العسكرية السابقة وخاصة من الحرس الجمهورى والاستخبارات.

- فى تكريت نجد أن المجموعات المسلحة هناك موالية للبعث وفى الجنوب الأعلى إلى جنوب بغداد

وحتى المناطق المحيطة "بكربلاء" و"الحلة" وهى خليط من الأكراد والسُّنة والعرب والشيعة.

- اما فى اللطيفية فهناك مقاومة سنية عربية فى الجنوب الأعلى.

- فى بغداد ثمة جماعات نشطة مسلحة، وهم خليط من قوميين وبعثيين وناصريين من سنة وعرب وأجانب ومجاهدين من جيش محمد. من خلال تلك المحافظات نشأت الجماعات المقاومة المسلحة والتى تبلغ تقريبا "٥٥" جماعة تشكلت لمقاومة الاحتلال الامريكى البريطانى رصدتها بالتفصيل دراسة عراقية مهمة وذلك من خلال العمليات التى قامت بها والبيانات التى أصدرتها فى تبنى هذه العمليات بين هذه المنظمات.

وأشارت الدراسة التى نشرها احد مواقع المقاومة العراقية على شبكة الانترنت الى نشاط مقاتلين اجانب وعرب فى كل العراق اغلبهم قدموا بشكل مستقل دفاعا عن الأراضى الإسلامية، اما ما يطلق عليهم الامريكان بالموالين لصدام فهم يشكلون نسبة كبيرة بين هذه المنظمات.

وهذه هى المجموعات التى رصدتها الدراسة وفقا لترتيب ابجدى.

- جماعة الصدر أو جيش المهدى: منظمة شيعية مسلحة تضم حوالى ٤٠ ألف شاب يدينون بالولاء للسيد مقتدى الصدر، ولكن لا يتسمون بالكفاءة القتالية العالية لأنهم غير محترفين، ولم يحصلوا على حصص تدريبية مكثفة، لذلك وقعت فى صفوفهم خسائر كبيرة خلال المواجهات التى جرت فى عام ٢٠٠٤ فى كربلاء والنجف ومدينة الصدر فى بغداد، لكن يعتقد أن عدداً من المدربين المحترفين الذين كانوا فى صفوف الجيش العراقى السابق قد التحقوا بجيش المهدى، وقاموا بتدريب ما لا يقل عن ٥ إلى ١٠ آلاف عنصر حسب تقديرات فى وزارة الداخلية العراقية، وهم يقومون بحراسة الأماكن المقدسة وبعض مقرات زعماء التيار الصدرى ومؤسساتهم الدينية والاجتماعية فى وقت السلم، وسوف نقدم عرضا تفصيليا لهذه القوات فى فصل خاص بالمقاومة الشيعية.

- كتائب الفاروق: الجناح العسكرى للحركة الاسلامية العراقية التى تم تأسيسها فى شهر يونيو ٢٠٠٣ وهم بالأساس من المسلمين السُّنة العرب ويوجد من ضمنهم بعض العناصر غير الملتزمة وعناصر عسكرية من النظام السابق وتعمل هذه الكتائب بشكل رئيسى فى الفلوجة والبصرة والرمادى، هناك تضارب فى الأخبار حول إن كان من ضمن صفوفهم مجاهدون غير عراقيين، أو أنهم فقط من العراقيين؟ والكتائب نفسها غير موالية لصدام، ولكن تضم بينها عناصر موالية لصدام حسين ومعروف عنها تعاونها مع الموالين لصدام فى العمليات، كتائب الفاروق اعلنت مسئوليتها عن العديد من العمليات والاصابات فى الجنود الامريكان، وترسل تقاريرها الى موقع "صوت العرب الحر" وهو موقع قومى

يسارى فى هذه التقارير فصلت كتائب الفاروق عملياتها العسكرية، واعلنت مسئوليتها عن هجمات محددة فى الفلوجة والرمادى وفى مرفأ مدينة البكر، قرب البصرة، قامت الكتائب بإنشاء العديد من السرايا الصغيرة المقاتلة وحددت لكل سرية اهدافها وحسب خبرتها مثل سرايا استطلاع وسرايا مقاتلة فى حين ان كتائب الفاروق لها تحالفات مع «القيادة العامة للقوات المسلحة، المقاومة والتحرير فى العراق». وان كانت تركز عملياتها فى الجنوب

- فرقة المدينة المنورة: هذه المجموعة من العسكريين العراقيين السابقين، غالبا من اعضاء فرقة «المدينة المنورة» الحرس الجمهورى السابق، وتعمل فى بغداد والفلوجة، ويعتقد انه تم انتشار وتوزيع هذه المجموعة على المجموعات سواء البعثية أو الإسلامية ولا يعرف الكثير عن فكر هذه المجموعة.

- كتائب القدس: تم تأسيس هذه المجوعة بعد الانتفاضة الفلسطينية التى بدأت فى سبتمبر ٢٠٠٠ ، هذه الكتائب من المجاهدين السُّنة العرب وموالية لحزب البعث بسبب دعمه لهم خلال الانتفاضة الفلسطينية. قائدهم، صبحى كمال تم اعتقاله من قبل الامريكان فى ٢٠ اغسطس ٢٠٠٣، ولكن لا يزالون فاعلين داخل العراق وينفذون عمليات بعد ان انتشروا فى جماعات متنوعة مثل «أسد الله» و«كتائب ثورة العشرين».

- أنصار الإسلام: الظاهر أن هذه الجماعة قد انتهت عندما هاجمتها الولايات المتحدة فى أبريل ٢٠٠٣ أثناء المعارك الرئيسية وتعرضوا لخسائر كبيرة، أما الباقى منهم فقد هربوا إلى بغداد وتبعثرت تقريبا هذه المجموعة، بعض المحاربين الباقين فى المجموعة عادوا ثانية فى جماعات صغيرة، ولاحقا وحدوا صفوفهم مع مجاهدين آخرين محليين وغير محليين واطلقوا اسم «جماعة أنصار السنة» وهم الطائفة المسلحة الأكثر ذيوعا وشهرة فى أوساط الأكراد وان كانت قد ضمت اعضاء من العرب السنة فى عام ٢٠٠٤.

- الجماعة الاسلامية المسلحة للقاعدة، فرع الفلوجة: هذه الجماعة الاسلامية مع العديد من المقاتلين الاجانب ظهرت فى يوليو ٢٠٠٣ وربما يقوم بقيادتها مخضرم الحرب الافغانية ابو اياد. اعلنوا مسئوليتهم "عن كل" عمليات المقاومة ضد الولايات المتحدة فى العراق فى شريط فيديو من اربع دقائق على قناة العربية الفضائية فى ١٣ يوليو ٢٠٠٣ . ثم اختفوا ويعتقد انهم انضموا الى تنظيم جماعة الزرقاوى.

- طلائع جيش محمد الثانى المسلحة (avmas) مركزها ربما فى الرمادى والفلوجة، هذه المجموعة من الموالين لصدام، ويعلنون أنهم من المسلمين السُّنة العرب الملتزمين بالجهاد. اول ظهورهم

كان فى ٢٢ اغسطس ٢٠٠٣ ، هذه الجماعة تحافظ على صلات اتصال مع جيش محمد الذى له صلة كبيرة بالاستخبارات العراقية السابقة. المجموعة اقسمت على "قتال جميع الاجانب حتى.. النصر والشهادة" وعلى جعل الامريكان يندمون على احتلال اراضى محمد"، ونذرت المجموعة "القيام بهجمات مماثلة ضد مجلس الحكم العميل وكل قوات التحالف"، وتهدف الى توسيع النزاع الى خارج العراق ان سمحت الظروف حسب تعليقهم، بمشيئة الله، سنصل الى امريكا وبريطانيا انفسهم".

– جيش الحق: لا يوجد الكثير من المعلومات عن هذه المجموعة سوى أنها من المسلمين السُّنة العرب مع بعض الميول الوطنية وهم غير موالين لصدام.

– منظمة الرايات السود: مجموعة من المجاهدين المسلمين السُّنة العرب وأصدرت نداء يدعو الى تدمير بنية العراق النفطية لمنع الامريكان من الاستفادة من عوائد النفط.

– سرايا الجهاد: جماعة من المجاهدين السُّنة العرب مع ميول وطنية، وضد الصهيونية، مقرهم فى الفلوجة، هذه الجماعة اقسمت على قتل اعضاء مجلس الحكم الانتقالى، قيادتهم من الرؤوس الدينية فى الفلوجة، اعلنوا ان القيادة العامة للمقاومة فى العراق تصل الى بغداد.

وقد اندمج هذا التنظيم فى تنظيم قاعدة الجهاد فى بلاد الرافدين بزعامة (أبو مصعب الزرقاوى) فى ٢٠٠٤.

– القيادة العامة للقوات المسلحة، المقاومة والتحرير فى العراق: هذه الجماعة من الموالين للبعث ظهرت فى أواخر مايو ٢٠٠٣ تحت قيادة طه ياسين رمضان، نائب الرئيس العراقى السابق، وتعمل بشكل رئيسى حول الفلوجة، أعلنت هذه المجموعة عن عدد من الهجمات ومعروف عنها تعاونها مع الجماعات الأخرى.

– السكرتارية العامة لتحرير العراق الديمقراطى: هذه الجماعة اليسارية غير موالية لصدام، رغم أنه يعتقد أنها من شباب البعث الرافض لسياسات النظام السابق ولكن لا يعرف الكثير عن هذه الجماعة أو عملياتها، باستثناء شجبهم العلنى لقوات التحالف لفشلهم فى تحقيق الامن والخدمات العامة للشعب العراقى.

– فصيل حمزة: هذه الجماعة السُّنية العربية ظهرت لاول مرة فى ١٠ اكتوبر ٢٠٠٣، فى الفلوجة وطالبت بالافراج عن شيخ محلى اسمه الشيخ جمال نضال والذى تم اعتقاله من قبل القوات الامريكية، لا يتوفر عنهم اية معلومات اخرى.

– الحزب الشيوعى العراقى-الكادر: هذه المجموعة منشقة عن الحزب الشيوعى العراقى وغاضبة

من قرار الحزب المشاركة فى مجلس الحكم، وهم من اليساريين العرب القوميين، ومعادون لصدام وضد الامبريالية، ضد الاستعمار وضد الصهيونية، هذه الجماعة تعارض تقسيم العراق الاثنى، وتحث كل الاثنيات والديانات فى العراق للانضمام الى الصراع، ضد عدو واحد هو الاحتلال قاموا بالتهديد بقتل جميع المتعاونين، واعتبروا رموز الخط الرئيسى للحزب الشيوعى خونة وادعوا ان قيادات الحزب الشيوعى من عملاء الـ "CIA" بالرغم من أن هذه الجماعة غير دينية بطبيعتها، الا انها تعترف بالشخصية الاسلامية والديانة الإسلامية فى البلاد، وترفض كل المحاولات لإخراج العراق من "الطبيعة الشرقية العربية الإسلامية" من خلال "الفكر الغربى" والأميركى تحديداً.

- جيش التحرير العراقى: أول ظهور لهذه المجموعة كان فى ١٥ يونيو ٢٠٠٣، وقامت بتحذير الدول الأجنبية من إرسال قوات إلى العراق، ووعدت بمهاجمة هذه القوات فى حال ارسالها، خصائص هذه المجموعة غير معروفة، ولكن تحمل تشابها مع جيش التحرير الوطنى العراقى، ومن الممكن ان يكونوا هم انفسهم. وهم مجموعة من ضباط الجيش والمتطوعين السابقين وقد نظموا صفوفهم وخاضوا القتال ضد الاحتلال.

- جبهة التحرير العراقية: ظهرت فى منطقة المنصور فى بغداد فى ٢٨ ابريل ٢٠٠٣ ويقال انها من الموالين لصدام، لا تتوفر اية معلومات اخرى عنها.

- منظمة التحرير العراقية: هذه الجماعة السُّنية ظهرت ابتداء من ٢٦ اغسطس ٢٠٠٣ وهددت مجلس الحكم المحلى فى شريط فيديو مع اعضاء الجهاد الاسلامى والشباب المسلم مما يوحى بميول واحدة لهم كلهم، لا تتوفر معلومات اخرى عن هذه الجماعة.

- المقاومة الإسلامية الوطنية العراقية (كتائب ثورة العشرين) هذه المجموعة من المسلمين السُّنة العرب، غير موالين لصدام، ضد الاستعمار ولهم بعض الميول الوطنية، لهم تعاون فرعى مع جماعات أخرى، وظهرت ابتداء من ١٦ يونيو ٢٠٠٣، قامت بوصف الامريكان "بالكلاب الامريكية" وحذرت الدول الاجنبية من ارسال قوات الى العراق ونفذت العديد من عمليات خطف الرهائن ثم الأفراج عنهم بعد ابلاغ رسائل سياسية إلى الرأى العام العالمى.

- جيش التحرير الوطنى العراقى: ظهرت هذه المجموعة فى بغداد فى١٤ يوليو ٢٠٠٣، ويعتقد أن أعضاءها من كل الجماعات الاثنية والديانات فى العراق، هم جماعة غير دينية، وطنية وتدعى ان حوزة النجف تدعمها مما يوحى شمولها بعض الشيعة أو هى مجموعة شيعية منشقة عن فيلق بدر.

- كتائب المقاومة العراقية: فى بلاغ رسمى على قناة الجزيرة الفضائية فى ١٦ يونيو ٢٠٠٣، وصفت

هذه الكتائب صدام حسين وأتباعه "بالأعداء الذين أسهموا فى ضياع الأرض الأم" وصفت هذه الكتائب نفسها بأنها "مجموعة من الشباب العراقيين والعرب يؤمنون بوحدة وحرية وثقافة العراق العربية". فى الشريط الذى تم بثه على الجزيرة ادعت كذلك هذه الكتائب مسئوليتها عن معظم العمليات المسلحة ضد القوات الأمريكية الغازية فى العراق حتى تلك اللحظة وقالت: "هذه العمليات خطط لها ونفذت من قبل كتائب المقاومة العراقية وبعكس ما تدعى بعض وسائل الأعلام ليس لرؤوس النظام السابق او اتباعه ولا المتطرفين الإسلاميين اى علاقة فى هذه الجماعات.

– المعارضة الوطنية العراقية: هذه الجماعة لها تاريخ طويل من التعاون مع حزب البعث فى العراق، هم الآن يقومون بدور ثقافى هام فى نشر ثقافة المقاومة سواء فى الداخل أو عن طريق الإنترنت يدعمون المقاومة المسلحة ومعظم نشاطاتهم فى جمع الاموال، وقاموا بجمع الاموال، لدعم المقاومة فى العالم وخصوصا فى ايطاليا، كتائب الامام على بن ابى طالب.

الجهادية: هذه الجماعة الشيعية ظهرت لأول مرة فى ٢١ اكتوبر ٢٠٠٣ فى الفلوجة، نذرت قتل الجنود من أى دولة ترسل قواتها لدعم قوات التحالف وهددت كذلك بنقل المعارك إلى أراضى هذه الدول فى حال ارسالها قوات، هددوا كذلك بقتل كل أعضاء مجلس الحكم المحلى وأى عراقى تعاون مع قوات التحالف، كما أعلنت هذه المجموعة أن النجف وكربلاء هى الميادين التى سوف تستهدف الأمريكان فيها.

– خلايا كتائب الجهاد: ظهرت فى ٢٢ يوليو ٢٠٠٣، من بعض العناصر السابقة فى الجيش العراقى ويعتقد أنها اندمجت فى تنظيم آخر من السنة العرب، وهم بعثيون مع بعض الميول الوطنية وقد صرحوا علانية بأن الهجوم على أعضاء النظام السابق هو مضيعة للوقت، وهددوا بقتل جميع المتعاونين مع الولايات المتحدة، هذه الجماعة ربما مقرها فى بغداد، وصفت مجلس الحكم المحلى "بالخونة" وحثت العراقيين على مقاطعتهم.

جيش التحرير العراقى: فكر هذه المجموعة غير معروف، أظهروا بعض الميول الوطنية ويستهدفون الذين يتعاونون مع الولايات المتحدة، وحذروا الدول الاجنبية من إرسال قوات إلى العراق، هم الآن نشطون فى الأنبار وحديثة وأعلنوا مسئوليتهم عن اغتيال محافظ مدينة حديثة الموالى للأمريكان وتقول وسائل الإعلام أنهم من الموالين لصدام ولكن ينقص الدليل على ذلك وخصوصا انهم ينشطون فى المناطق السنية العربية غير الوالية لصدام بشكل عام.

– كتائب خطاب الاستشاهدية: هى الجناح المسلح للجماعة السنية المجاهدة المدعوة مجاهدى

الفرق الناجية تم تسميتها تيمنا باسم خطاب قائد المجاهدين فى الشيشان الذى قتله الروس فى ٢٠٠٢، ربما يكون لهم علاقة مع المجاهدين فى الشيشان، يبدو أن هذه الجماعة تضم عناصر غير عراقية ضمن صفوفها هذه الجماعة ضد صدام حسين وتصف أعضاء النظام السابق "بجنود الطغيان وشياطين الظلام وأنهم قاموا بتسليم هذه الأرض الإسلامية الى أسيادهم الامريكان"، يوجد ادعاءات أن مخيمات تدريب هذه الجماعة موجودة فى دول مجاورة ولكن هذه الادعاء غير مؤكد.

- جيش محمد: هذه الجماعة من المجاهدين السُّنة العرب، وتتمركز فى الفلوجة وهى مع الفلسطينيين وضد الصهيونية والاستعمار تؤيد صدام مع كثير من الميول الإسلامية، هذه الجماعة تضم حوالى ٥٠٠٠ عضو فى المثلث السُّنى فى الفلوجة، الرمادى، بغداد، بلد، سامراء، بعقوبة وشمال بغداد، يقال ان معسكرات تدريبهم حول بعقوبة وتتعاون خلاياهم مع بعضها البعض، ويوجد كذلك ادعاءت بوجود كتيبة كاملة من النساء فى ديال ولكن لا يوجد ما يؤكد ذلك.

لكن الأرجح هو أن هذه الجماعة يقودها ضباط سابقون فى الاستخبارات العراقية، وكوادر فى حزب البعث، وقد شاركت فى قتال الأميركيين فى الفلوجة.

- المجاهدون: هذه المجموعة من المجاهدين السُّنة العرب تضم مجاهدين من افغانستان والشيشان والبلقان ويقال ان لها روابط مع شبكة القاعدة ولكن لم يتم تأكيد ذلكل ولا تتوفر معلومات اخرى عن هذه الجماعة.

- كتائب المجاهدين فى الجماعة السلفية فى العراق: هذه الجماعة السنية العربية تقول إن ملهمها الروحى هو الشيخ عبد الله عزام، والذى كان الملهم الروحى لأسامة بن لادن فى ١٩٨٠ ، لا تتوفر أية معلومات اخرى عن هذه الجماعة وربما تضم هذه الجماعة بعض المقاتلين العرب والأجانب ممن يعرفون باسم «الأفغان العرب».

- الشباب المسلم: هذه الجماعة سنية عربية، وهم ضد صدام ومتحالفون مع الرايات السوداء وجيش محمد، أعلنوا صراحة شجبهم تفجير السفارة الأردنية ولكن لا تتوفر عنهم أية معلومات اخرى.

- المنظمة الناصرية: الناصريون هم جماعة قومية غير بعثية، تقول هذه المنظمة إنها تشارك فى المقاومة ضد الأمريكان فى الموصل وبغداد والبصرة حذروا جميع الأغراب من البقاء فى العراق وشجبوا مجلس الحكم المحلى ووصفوهم "بالخونة" وشجبوا كذلك الانفصاليين الشيعة والأكراد والمتعاونين مع الولايات المتحدة هذه الجماعة متواجدة منذ الستينيات وان كان فى الخفاء أيام النظام السابق.

- جبهة كوماندوز العراق الوطنية: لا تتوفر معلومات عن هذه الجماعة سوى أنها ضد صدام حسين. ولا تعلن عن عملياتها ويعتقد أنها تضم بعض رجال الصاعقة من أبناء القوات المسلحة قبل حلها.

- الجبهة الوطنية لتحرير العراق: هى عبارة عن تجمع من ١٠ مجموعات مقاومة صغيرة التفت تحت راية واحدة هى الجبهة الوطنية لتحرير العراق وتم تشكيلها فى اليوم التالى لاحتلاق العراق وهذه الجبهة مؤلفة من وطنيين وإسلاميين وان قيادتها من البعثيين والاسلاميين، كذلك من أعضاء الحرس الجمهورى، تقول هذه الجبهة انها نشطة بالأخص فى اربيل وكركوك فى شمال العراق، الفلوجة وتكريت فى الوسط وكذلك فى محافظتى البصرة وبابل فى الجنوب، هذه الجبهة تضم العديد من المتطوعين العرب وسمحت لفدائيى صدام والبعثيين السابقين بالانضمام الى مجموعاتهم ، ولها متحدث رسمى فى لندن وربما لها ارتباطات مع المغتربين العراقيين وهم أعلنوا استعدادهم للتفاوض السلمى ولكن بشرط وضع جدول زمنى لرحيل الأمريكان من العراق، ويتهمون العراقيين الذين يتعاونون مع مجلس الحكم بأنهم أعضاء فى الـ "CIA" والموساد وقاموا بمحاولة اغتيال أحمد الجلبى.

- الجبهة الوطنية للفدائيين: هذه الجماعة ذات الميول الوطنية وهم ضد صدام ولا تتوفر معلومات أخرى عن هذه الجبهة.

- العودة الجديدة: هذه الجماعة من المؤيدين لصدامومن الممكن ان تكون تياراً جديداً لحزب البعث ولا تتوفر معلومات اخرى.

- منظمة كتائب الجهاد فى العراق: هذه المنظمة من المجاهدين السُّنة غير العراقيين وظهرت أواخر يوليو ٢٠٠٣ ، ونفذت عمليات ضد الاحتلال وعملائه وقد دعت الى حرب عصابات وهددت باغتيال الجواسيس والخونة.

- الجبهة الوطنية: هذه الجماعة من الموالين لصدام ولا تعرف عنهم معلومات أخرى ويعتقد انها تتعمد الظهور تحت مسميات مختلفة.

- جهاز الإعلام السياسى لحزب البعث: هذه الجماعة من الموالين لصدام واعضاء حزب البعث وتضم كوادر من الجيل الجديد للحزب ولا تمارس المقاومة المسلحة بل تنشر بيانات على الإنترنت.

• آليات عمل المقاومة

تعمل المقاومة فى مجموعات صغيرة مشكلة من ٤ - ٦ مقاتلين وتتسم أعمالها بالنظام والتخطيط والرصد الدقيق للهدف قبل اصطياده وليس من خلال الاعمال الارتجالية وتحولت من أعمال قنص

فردية لجنود أمريكيين وعملائهم إلى تنفيذ الكمائن بمستوى عال من الحرفية والمهارة وبدأت القوات الأمريكية فى العراق تواجه حرب عصابات تقليدية أو بمعنى آخر حربا غير نظامية.

• صور وأشكال المقاومة

حرب الشوارع، وهو أسلوب جربته المقاومة وهذا الأسلوب ناجح ولو بصفة مؤقتة ويتطلب هذا الأسلوب تنظيما عاليا وانضباطا شديدا لأنه يعتمد على مبدأ جر الخصم إلى أرياف عراقية تجهل فيها قوات الاحتلال طبيعة تكوينها السكانى.

❖ الكمائن بمختلف أنواعها وخصوصا ضد الأرتال الإدارية التى تكون فى مؤخرة القوات بهدف التأثير على مسرح العمليات بأكمله وتقطيع أوصال الترابط بين أماكن تواجد القوات الأمريكية إلى جانب الاستيلاء على مواد التموين التى تحملها هذه الأرتال، وهناك كمائن أخرى للدوريات سواء المترجلة أو الراكبة بهدف إحداث خسائر فى الأفراد.

❖ الإغارات ضد الأفراد والمعسكرات ونقاط التفتيش والدوريات الثابتة وتهدف بالاساس الى احداث خسائر أو الانتقام من إجراءات سابقة قامت بها الوحدات الأمريكية والبريطانية.

❖ توجيه قصفات نيرانية بهدف إحداث أكبر قدر من الخسائر والانتقام كرد فعل على العمليات الأمريكية المضادة.

ويستخدم المقاومون أسلحة متوسطة مثل الهاونات والقذائف المضادة للدبابات بأنواعها.

❖ مهاجمة القطارات والاستيلاء على الذخائر والمؤن الأمريكية وكذلك مهاجمة سيارات الامداد والتموين وحرقها أو الاستيلاء عليها.

❖ إشعال الحرائق فى خطوط نقل النفط وبما يعيق الخطط الأمريكية فى نهب ثروات البلاد أو تمويل الاحتلال من خلال نفط العراق.

❖ استخدام الألغام على الطرق والمدقات التى تتحرك عليها القوات الأمريكية وهو من أفضل الأساليب وأكثرها تحقيقاً للهدف.

ومن خلال تنفيذ هذه الأنماط فإن المقاومة العراقية تشتد يوما بعد يوم، ولا يمر يوم الا ويسقط القتلى والمصابين فى جنود الاحتلال نتيجة اعمال المقاومة من الجانب العراقى ونتيجة للاجراءات القاسية التى تمارسها القوات الأمريكية والتى تصل الى فتح النيران والقتل لمجرد الشك وبصورة عشوائية علاوة على التوسع فى عمليات التفتيش والمطاردة ومهاجمه المنازل ليلا، مما ساهم فى زيادة اعداد المواطنين الراغبين فى الانضمام للمقاومة، والانتقام من العدو الغازى.

وتمثل أعمال الكمائن النسبة الأكبر فى الخسائر الأمريكية والتى تصل إلى نحو ٦٠٪ من هذه الخسائر تليها أعمال الإغارات بنسبة تصل إلى ١٠٪ وكمائن الهليوكبترات بنسبة ١٠٪ وقصف الأفراد بنسبة نحو ٥٪.

ويصل متوسط عدد الهجمات التى تتعرض لها القوات الأميركية يوميا إلى حوالى ٢٠ هجوما ولا يقل عن ١٣، بعضهما قد لا يسفر إلا عن خسائر محدودة، وبعضها الآخر قد ينتج عنه عدد كبير من القتلى والجرحى.

وتقول التقارير إن هناك ما يقرب من ١٠٥ مستودعات ذخيرة يقوم بحراسة الجزء الرئيسى منها حوالى ٦٠٠٠ جندى والباقى منتشر بدون رقابة كافية، وبعض التقديرات تحدد كمية الذخيرة والعتاد الموجودة فى هذه الأماكن بحوالى ٩٠٠ ألف طن.

وهناك تنوع كبير فى أسلحة المقاومة فهى تستخدم بالإضافة إلى الألغام والعربات المفخخة والأسلحة الصغيرة، مدافع الهاون والصواريخ أرض - أرض وقد نجحت المقاومة فى تعديل الصواريخ جو - جو وجو - أرض لوجودها من قبل بوفرة فى المستودعات العراقية إلى صواريخ أرض - أرض وقد نجحت فى تصنيع قذائف صواريخ بدائية فى شكل دليل يساعد على توجيه الصاروخ فى اتجاه معين، حيث الدقة غير المطلوبة إذا كانوا قريبين من الهدف، وفى بعض الحالات قاموا بنصب هذه القذائف البدائية على عربة خشبية يجرها حمار.

التنسيق واختيار الهدف والتوقيت تم فى تعقد مستوى العمليات إلى مستوى التأثير البعيد باستخدام مدافع الهاون والصواريخ المضادة للطائرات.

ومع اتخاذ القوات الأمريكية لمزيد من الإجراءات الدفاعية فى حالات الحركة وفى أوضاع التمركز، اتجهت جهود المقاومة إلى الأهداف الثابتة ذات الأهمية السياسية والإستراتيجية مثل مبانى الحكومة ومراكز البوليس والفنادق والسفارات، إضافة إلى تجمعات العراقيين الذين يرغبون فى العمل فى الإدارات الحكومية أو مراكز الشرطة والجيش. وكذلك العاملين فى الشركات الأجنبية وقد وقع كثير من القتلى العراقيين نتيجة هذه العمليات، لكن المهم بالنسبة للمقاومة أن تكون الأوضاع الأمنية بشكل عام سيئة، والسلطة الأميركية فاقدة للسيطرة على حالة الأمن وتشير التقديرات إلى أن عدد القتلى العراقيين يتزايد بمعدل عشرة من العراقيين لكل أمريكى واحد وهناك أيضا ظاهرة تعقب المقاومة للعملاء والمتعاونين مع الأمريكيين من الرسميين أو المواطنين العاديين.

• أهداف المقاومة العراقية

تنوعت وتعددت هذه الأهداف ويمكن أن تتمثل فى الآتى:

◆ تكبيد القوات الأمريكية بشكل خاص والأجنبية بشكل عام خسائر مادية وبشرية ووصل حجم هذه العمليات خلال شهر واحد إلى ٨٥ عملية كما وصل إ لى ١١٧ عملية خلال خمسين يوماً استهدفت تجمعات قوات التحالف وآلياته ودورياته وطائراته.

◆ محاولة اغتيال بعض الشخصيات القيادية الأمريكية ومثال ذلك «محاولة اغتيال بول بريمر - تعرض موكب وزير الدفاع الأميركى لعمليات إطلاق النيران خلال انتقاله من مطار بغداد إلى قصر الفارس»، تعرض نائب وزير الدفاع بول وولفيتز للقتل من قصف الفندق الذى يقيم فيه بالصواريخ.

◆ تدمير خط أنابيب البترول الذى يربط العراق بتركيا لمنع تدفق وبيع البترول العراقى، وبالتالى منع تمويل قوات الاحتلال.

◆ ضرب المنشآت الحيوية فى العراق بالاضافة إلى استهداف قوات التحالف.

◆ ضرب العناصر المتعاونة من العراقيين «عناصر مدنية أو أمنية» مع القوات الأمريكية.

• تمويل المقاومة العراقية

يتم تمويل المقاومة العراقية من عدة مصادر مثل:

- من اموال الدولة فى ظل الرئيس صدام حسين الذى قام بحبس جزء كبير من أموال البنك المركزى بالدولار قبل بدء الحرب ووضعها فى أماكن سرية لكى تكون تحت تصرف المقاومة العراقية، وقد تم تخطيط هذا التمويل قبل الحرب بشهور قليلة ولا يعلم سوى نفر قليل من قادة المقاومة خارطة هذه الأموال. كما أن هناك تبرعات يقدمها تجار وشيوخ فى عشائر لتمويل العمليات التى تقع فى مناطقهم خاصة ما يعرف بالمثلث السنى أو مثلث الموت.

• أنواع الأسلحة التى تستخدمها المقاومة العراقية

- القنابل اليدوية، الألغام، العبوات الناسفة، العربات المفخخة لإحداث تفجيرات ضخمة، قذائف الهاون أعيرة ٨٢، ١٢٠م والتى يصل مداها الى نحو ٦ كيلو مترات أو أكثر.

القذائف الصاروخية المضادة للدبابات من نوع (RPJ) ويصل مداها نحو ٣٠٠ متر.

- الصاروخ المضاد للطائرات الفردى الذى يطلق من على الكتف مثل صاروخ سام ٧ ويدخل هذا الاسم طرازان هما استريلا٢ واستريلا ٢ إم المعدل ويصل أقصى مدى مؤثر الى نحو ٢٣٠٠ م وأقصى ارتفاع مؤثر إلى نحو ٢٠٠٠ وأقل ارتفاع للاشتباك ٥٠ متراً، وقد استخدم باسلوب ناجح فى الفلوجة

والانبار حيث يتم استدراج طائرات الهليكوبتر الأميركية إلى منطقة مزروعة بالمقاومين الجاهزين بصواريخ استريلا، ومن خلال هذا الاسلوب تم اسقاط او اصابة عشرات الطائرات الأميركية وقتل واصابة من على متنها .

• أماكن المقاومة العراقية

تركزت الهجمات ضد القوات الأمريكية من شمال وغرب العراق أو ما يسمى بالمثلث السنى وفى مناطق قرب البصرة بجنوب العراق وفى بعض المدن كمدينة الرمادى غرب بغداد ومدينة تكريت ومدينة بيجى شمال العراق وفى الفالوجة ومدينة بعقوبة بمحافظة ديالى كما شهدت مدينتا كركوك والموصل وسمراء فى الشمال والوسط بعض الهجمات من قبل المقاومة العراقية، اما فى الجنوب فكانت المقاومة محدودة للغاية وهو بسبب عدم مشاركة الشيعة فى هذه العمليات رغم ان مناطق الجنوب كانت هى التى تصدت للقوات الغازية فى الأيام الأولى للحرب، وقد صمدت مدن الفاو والناصرية لأكثر من عشرة أيام رغم القصف الجوى والصاروخى الرهيب.

◆ ◆ ◆

الفصل العاشر

المقاومـــة البعثيـــة

- صدام وضع خطة المقاومة قبل عامين من الغزو
- الوحدة «إم - ٢١» فى الاستخبارات العراقية تمتلك خرائط عن كل بيت فى العراق
- شروط البعث للتفاوض مع أميركا تبدأ بالإفراج عن الرئيس ومعاونيه

يوماً على صدر يوم، يثبت أن حزب البعث العربى الاشتراكى فى العراق يقود عمليات المقاومة فى عشرات المعارك التى تقع يوميّاً، بامتداد أرض العراق من البصرة إلى الموصل، وهناك شهادات بلسان أكبر قادة الولايات المتحدة، السياسيين والعسكريين وشهادات أخرى على لسان شخصيات حكومية عراقية بأن ما يسمونهم «أزلام النظام السابق» هم الذين ينفذون العمليات الفدائية، إضافة إلى عمليات أخرى تقوم بها منظمات إسلامية جهادية وسلفية، والأمر المؤكد هو أن هناك تنسيقا لا تخطئه العين المدربة على التقاط وربط المعلومات والظواهر السياسية بين عناصر حزب البعث والجماعات المقاومة الأخرى، وهو تنسيق عملياتى على أعلى مستوى، بتواجد عناصر استخباراتية بعثية داخل جماعات المقاومة الاسلامية السلفية تمدها بالمعلومات الكاملة عن كل حى، بل كل بناية فى كل أرض العراق، وعن سكانها واحوالهم المعيشية ومواقفهم السياسية، ومذاهبهم الدينية، أو تمدهم بمعلومات عن مناطق تجمع قوات الاحتلال، والقوات العراقية «شرطة - جيش» المتعاونة معهم، والتى تشكل خطراً داهماً على عناصر وقواعد المقاومة.

وفى أحيان أخرى يتم التنسيق بين عناصر المقاومة البعثية والمقاومة الإسلامية من خلال توزيع الأدوار، إذ يقدم البعثيون المعلومات عن الهدف المراد تفجيره، ويتم تجهيز وسيلة التفجير «صواريخ - سيارات مفخخة - هاون - موتوسيكلات» ثم يترك لعناصر المقاومة الإسلامية تنفيذ العملية، وقد يحدث العكس، لكن الأمر المؤكد أن حزب البعث تحول بعد أيام من دخول للقوات العراقية بغداد إلى تنظيم سرى، وفق خطة معدة سلفاً، تم التدريب عليها أكثر من مرة، والواقع أنه عندما تم إظلام بغداد لمدة ثلاثة ليال قبل غزوها مباشرة، تم ذلك فى إطار خطة التموية والتعمية لكى ينتشر البعثيون من ضباط الاستخبارات المدينة والعسكرية، وضباط الحرس الجمهورى العام والخاص، وفدائيو صدام وقوات جيش القدس فى خلايا صغيرة على امتداد العراق، استعدادا لخوض عمليات طويلة المدى، طويلة النفس.

ويؤكد القيادى الإعلامى البعثى صلاح المختار فى حديث لصحيفة «الأهالى» القاهرية أن خطة المقاومة العراقية وضعها الرئيس صدام حسين قبل غزو العراق بعامين، أى عندما تأكدت القيادة العراقية بأن العدوان آت لا محالة حتى وإن العراق قدمت - بناء على نصائح عربية - كل التنازلات لفرق التفتيش، وقتها بدأت عملية بناء العمود الفقرى للمقاومة من ضباط وقيادات بعثية غير معروفة اعلامياً، وفى لقاء لى - المؤلف - مع السيد طه ياسين رمضان نائب رئيس الجمهورية العراقى فى مارس ٢٠٠٢ «قبل الغزو بعام» اخبرنى بان القيادة استعدت لحرب شعبية طويلة تعتمد على جيش

نظامى يصد العدوان على قدر ما يستطيع، وشعب مسلح يستنزف العدو حتى يجبره على الرحيل-

وكنت لاحظت خلال زياراتى إلى بغداد قبل الحرب بعام ارتفاع موجة الوعى الدينى عند القيادات والقواعد البعثية نتيجة ما اسمته وسائل اعلامية عربية «حملات الإيمان» فقد جرى ادخال الثقافة الاسلامية فى برامج تثقيف كوادر حزب البعث، كما تم التأكيد على السلوكيات الإسلامية فى الحياة العامة، سواء بمنع الملاهى الليلية ومحلات بيع الخمور، بل ومنع تعاطى الخمور حتى فى الفنادق السياحية.

وتقول مصادر عراقية إن هذه الحملات الإيمانية بدأت بعد حرب عاصفة الصحراء عام ١٩٩١ واستمرت بكثافة طيلة عقد التسعينيات وحتى الغزو، وإن خطاب الرئيس صدام السياسى اكتسى منحى دينياً، وروحانيًا منذ المواجهات الصعبة فى الحرب ضد ما سمى قوات التحالف الدولى لتحرير الكويت.

وهذا المناخ الدينى سوف ييسر - فيما بعد - لكوادر وقادة حزب البعث الانخراط فى عشرات المنظمات السرية التى تحمل أسماء وعناوين إسلامية، بل والاندماج فى منظمة أنصار السلام، أنصار السنة الكرديتين غير ان المرجع هو أن منظمة «الجيش الإسلامى» هى منظمة بعثية شحماً ولحماً، وتضم نخبة من ضباط الحرس الجمهورى، والاستخبارات، وتنفذ عمليات عالية الكفاءة أهمها نصب الكمائن للمدرعات المعادية، واسقاط طائرات الهليوكبتر بصواريخ «ستريلا» المحمولة على الكتف وهى تحتاج الى كفاءة عالية للغاية، والأمر نفسه ينطبق على «جيش المجاهدين» بل ان بعض عناصر البعث تولوا مسئوليات تنظيمية فى منظمات اسلامية، وعلى سبيل المثال فإن قوات الجيش الأميركى والعراقى كانت قد نجحت فى قتل القيادى ابو بكر محمد نايف الجنابى ومساعده عمر الجنابى فى كمين تم نصبه فى منطقة اليوسيفية بالقرب من بغداد، وقال ناطق عسكرى عراقى إن (أبو بكر الجنابى) «٣٥ عاما» هو رئيس تنظيم أنصار السنة فى اللطيفية، وكان أحد ضباط الاستخبارات فى النظام السابق، وأشار الناطق الى ان المعلومات التى حصل عليها الجيش تؤكد أن الجنابى كان على اتصال مستمر بالجماعات المسلحة.

ولعل السؤال هنا هو: هل كان صدام حسين يقود المقاومة حتى لحظة أسره؟ وكيف تم أسره؟ وهل يقود نائبه عزة إبراهيم المقاومة البعثية حاليًا؟

• صدام أعد لحرب العصابات

كشفت صحيفة "نيو يورك تايمز" أن تقرير رئيس المفتشين الأميركيين تشارلز دولفر شمل أدلة إلى أن الرئيس العراقى المخلوع حضر لحرب عصابات ضد قوات التحالف بقيادة الولايات المتحدة قبل

شنها الحرب عليه، ويذكر التقرير أنه عشية غزو العراق فى اذار "مارس" ٢٠٠٣، أمر الرئيس العراقى المخلوع صدام حسين الوزراء الرئيسيين فى نظامه بأن: يقاوموا لمدى أسبوع وسأتولى أنا الأمر بعد ذلك فى إشارة إلى تخطيطه لحرب عصابات ضد قوات التحالف بقيادة الولايات المتحدة كما وجه صدام أمرا مشابها لجنرالاته، أى أن يقاوموا الغزو الأميركى ثمانية أيام ويتركوا على الأقل الأمر له.

وأفاد تقرير دولفر الذى كشف أن النظام المخلوع لم يملك أسلحة دمار شامل، أن بعض الذين نقلوا كلمات الرئيس العراقى وقتها كان يعتقد بأنه كان يلمح إلى امتلاكه سلاحا سريّاً كما رجح أن يكون صدام "فكر" فى نوع من التمرد ضد التحالف بقيادة الولايات المتحدة وكانت وكالات الاستخبارات الأميركية أصدرت تقارير منذ خريف ٢٠٠٢تفيد أن الخطوط العريضة للمقاومة ضد القوات الأميركية وضعتها الاستخبارات العراقية قبل الحرب.

ورأى تقرير دولفر أيضا أن فشل الأميركيين فى توقع التمرد العراقى «المقاومة» كان أحد القراءات الخاطئة لصدام ومساعديه، وعلى رغم أن التقرير لم يقدم استنتاجا نهائيا فى شأن مدى التخطيط للتمرد قبل الحرب، لكنه كشف أن القادة العسكريين فى أنحاء العراق امروا فى الفترة الممتدة من "أغسطس" عام ٢٠٠٢ «يناير» عام ٢٠٠٣ لنقل أسلحة ومعدات عسكرية أخرى واخفائها فى مواقع خارج المواقع العسكرية أى مزارع ومنازل كما أكد أن جهازاً للاستخبارات العراقية يعرف بـ "أم ١٤" وهو المسؤول عن العمليات الخاصة أشرف على برنامج شديد السرية أطلق عليه اسم مشروع التحدى ويشمل عمليات فدائية بالمتفجرات.

وكان تقرير آخر نشرته "نيويورك تايمز" أفاد أن ضباط الاستخبارات العراقية انتشروا فى أنحاء البلاد لدى اقتراب قوات التحالف من بغداد من أجل قيادة "التمرد" والتخطيط لتفجيرات وهجمات أخرى وفى هذا الإطار أشار التقرير إلى أن وحدة "أم ١٤" العراقية دربت ناشطين عراقيين على مكافحة الإرهاب واستخدام المتفجرات فى منشآتها فى منطقة سلمان باك الغربية من بغداد، لكن دولفر أقر فى تقريره بأنه فى خصوص مشروع التحدى لم تستطع مصادرنا تقديم المزيد من المعلومات.

وحسب قول صحيفة الأسبوع القاهرية (١٧/٣/٢٠٠٣) فإن المصادر الوثيقة كشفت بأن صدام حسين ترأس فى منتصف أكتوبر ٢٠٠٢ اجتماعا خطيرا جدا لقادة المقاومة.

وفى معلومات هذه المصادر أن الاجتماع تم بعد منتصف ليل يوم الخميس فى أحد منازل مدينة الرمادى وفى التفاصيل أن عناصر من الحرس الجمهورى والحرس الجمهورى الخاص ومن قيادات بعثية من الصف الثانى قدر عددهم بخمسة عشر شخصا بدأوا بالوصول تباعا إلى ذلك المنزل.

وبعد ساعة من اكتمال النصاب دخل عليهم صدام حسين وهو يرتدى زيا عربيا ولحية طويلة بحيث عجز بعضهم عن التعرف على هذا "الشيخ" إلا عندما تقدم منه أحد كبار الضباط فى الحرس الخاص وقبل يده وبدأ صدام كلامه.

• خطة تحرير العراق ليلاً

وجاء فى التقرير الذى أعد عن هذا الاجتماع أن صدام وجه إشارة لجميع أبناء العراق النشامى الذين يواجهون الاحتلال كل بطريقته وقال: ان كل شىء يسير على ما يرام حسب المخطط المرسوم لطرد المحتل وأنهم سيشهدون قريبا بإذن الله البداية الفعلية لحرب تحرير العراق واشار صدام فى كلامه الى انهم مهما حاولوا فرض جبروتهم واذلال العراقيين ودفعهم الى الخيانة والتعاون معهم الا اننا نظل نملك الالاف المؤلفة من المجاهدين ونملك من الاسلحة ما يكفى لمواجهتهم عشرات السنين.

واضاف: لكننا لن نسمح للمحتل أن يدنس أرض العراق لعشرات السنين ولا حتى لسنة أخرى لقد جئت هنا لأبلغكم باننا قررنا اعتماد تكتيك جديد لارغامهم على الرحيل والفرار بأسرع وقت.

ويبدوا أن الأميركيين لم يصدقوا صدام حسين عندما وجه لهم رسالة مسجلة قبل اسابيع دعاهم فيها إلى التفاوض وإلا فإن مصيرهم هو العودة إلى بلادهم فى أكياس البلاستيك ومواجهة ثورة الشعب العراقى المدنية والمسلحة فى آن واحد.

وهناك تشير المعلومات إلى أن صدام قدم خطة عمل للمرحلة المقبلة تدعو الى استخدام كل الوسائل لتحويل حياة المحتل الى جحيم، وقال اذا كانوا يهددون العراقيين بالفوضى فى حال مغادرتهم، فنحن سنهددهم بجهنم فى حال بقائهم، وسنمنعهم من تنفيذ اى جانب من مخططهم التآمرى وفصل صدام خطة التحرك المقبلة:

١- دعوة جميع البعثيين والعراقيين رافضى الاحتلال إلى تنظيم تظاهرات دورية وأيام عصيان مدنى تقفل فيها المحلات التجارية والمدارس والمؤسسات الرسمية والخاصة.

٢- تكليف وحدة الاغتيالات وعناصرها السرية المتواجدة فى كل المدن والأحياء وحتى الإدارات بأن توجه تحذيرات شديدة اللهجة لكل الخونة والمتعاونين مع قوات الاحتلال مهما كانت نسبة التعاون او حجم الخيانة.

فكل عراقى سواء كان سائقا أو شرطيا أو قاضيا أو مترجماً او مسئولا فى إدارات الاحتلال مطلوب منه التوبة والمقاطعة الكلية لهذه الأعمال والا وقع تحت طائلة الإعدام بتهمة الخيانة الوطنية ولن يكون هناك تهاون بعد اليوم مع اى خائن او عميل.

٣- إعداد خطة عسكرية أكثر هجومية وشمولية لإفهام قوى الإذلال والاحتلال ومن يتعاون معها انها لن تجد شبرا آمنا فى اية منطقة عراقية وتطلع صدام الى احد الضباط المسئولين عن منطقة بابل وقال له: يا رفيق على، ان شيعة الجنوب اخوة لنا فى الجهاد.

وانت تعرف اننا اعددنا عشرات من مخازن الاسلحة فى النجف وكربلاء والناصرية والعماره ولدينا مئات المجاهدين من الحزب والانصار والفدائيين. وكنت آمل ان تكون مقاومتنا هناك فى حجم مقاومة ابطال الرمادى والفلوجة وبعقوبة وابطال الموصل وكركوك وتكريت والابطال الذين يواجهون الاحتلال فى قلب بغداد.

وهنا تطلع صدام إلى ضابط وقال له: يا أخ زهير يبدو أن الأخ على فى حاجة إلى مساعدة وانا أدعوك للتنسيق معه لمده بما يلزم من مال ومجاهدين. لأن المرحلة المقبلة هى مرحلة إعلان حرب التحرير على كل الأراضى العراقية وطرد المحتل من كل شبر عراقى.

٤- فى الأسابيع المقبلة يجب أن نسجل نقلة نوعية فى أساليب القتال تكون مفاجاة جديدة للمحتل تجعله يفهم كيف يقاوم صدام حسين وما هى قدراته وقواعده الشعبية وهذا يعنى اننا لن نكتفى بعد اليوم بالكمائن والاغتيالات لقوات الاحتلال وعملائه بل سنقوم باستعادة اراضينا، وقرانا ومدننا المحتلة شبرا شبرا وحيا حيا، لن تعود عمليات المقاومة على طريقة اضرب واهرب بل سنبرهن لهم عن عزيمتنا وارادتنا للتحرير باعلان مناطق محررة. وعلى أبطال المقاومة ان يقوموا باختيار أحياء فى بعض المدن لاحتلالها فى الليل والسيطرة عليها والدفاع عنها لأطول فترة ممكنة حتى ولو سقط لنا شهداء، خطة التحرير يمكن أن تبدأ حيا حيا. وذلك عبر سيطرة المقاومة على بعض الاحياء فى الليالى، واذا نجحت المقاومة فى استعادة العراق ولو فى الليل فقط نكون قد بدأنا الانتصار والتحرير فلا يعود عراقى يجرؤ على التعامل مع الاحتلال فى النهار ويكون قد سجلنا هزيمة نفسية وعسكرية تكون نكراء تمهد لمرحلة الحسم قبل نهاية السنة. «يقصد ٢٠٠٣».

٥- هذه المرحلة يجب أن نستعد للانطلاق فى تنفيذها بتفجير اكبر وأضخم موجة عمليات ضد قوات الاحتلال فى فترة أعياد الميلاد ورأس السنة، بابا نويل لن يجلب سوى الدم والموت إلى جميع بيوت الأمريكيين ويجب الا يبقى مواطن امريكى لا يعانى كارثة احتلال العراق لن يكون فيتنام. فالعراق هذه المرة، بل اخطر بكثير وأسوأ بكثير، وسيرون كيف ستتحول احتفالاتهم بالاعياد الى جنازات يومية لابنائهم ولن تتوقف قريبا بإذن الله حتى يرحلوا عنا عن بكرة ابيهم ويدفع بوش الصغير ثمن مؤامراته على شعب العراق والعرب والمسلمين.

ونقل عن صدام قوله: إننا لا نخوض فقط حربا لتحرير العراق، بل إنها أيضا حرب لإنقاذ أمة العرب والمسلمين من الهيمنة والتسلط والجبروت والاذلال الامريكى. ونحن وايران وسوريا فى جبهة واحدة وفى خندق واحد كما ان جميع العراقيين سنة وشيعة فى خندق واحد.

وتضيف المصادر؛ أن الاجتماع لم يدم أكثر من ساعة، التقى فى نهايتها صدام حسين "قادة المقاومة" من ضباط ورموز بعثية. كل على حدة ووصف التقرير هؤلاء بأنهم يشرفون على قيادة "مناطق المقاومة" حسب خطة تقسيم جغرافى، كان صدام حسين قد اعدها قبل سقوط بغداد بالتعاون مع نجله قصى وسلم قيادتها الى رموز عسكرية وبعثية بعضها لم يكن معروفا الا من الحلقة الضيقة المحيطة بصدام واستنادا لآخر المعلومات لتوزيع مناطق المقاومة على دوائر الشمال وتشمل كركوك والموصل والسليمانية وحتى القائم وصلاح الدين وتشمل تكريت والسماوة وبعقوبة والرمادى وتضم الفلوجة وبغداد ومنطقة بابل الممتدة من النجف حتى البصرة.

وعرف من قادة هذه المناطق الذين حضروا لقاء صدام الاخير ضباط من الحرس الخاص مثل نايف محمد وزهير الرحامينى ونوفل سعد ومسئول بعثى سابقا هو على عبد الجليل. وتشير هذه المعلومات إلى أن صدام اختار شخصين لقيادة عمليات تنسيق المقاومة وهما هانى طلفاح التكريتى وزهير الرحامينى وأن الأخير يلعب دورا مهما فى تنسيق نشاطات المقاومة المنضوية تحت اسم صدام من الفدائيين والحرس الخاص وعناصر الاستخبارات السابقة والبعثيين مع الجماعات الاسلامية. خصوصا انصار الاسلام ومجاهدى "القاعدة" والمقاومين العرب الذين يتسللون الى العراق ويجرى استيعابهم فى منطقة الرمادى حيث يتم فرزهم على خلايا جهادية تعمل بتعاون وثيق مع خلية خاصة من عناصر استخبارات صدام فى تنسيق العمليات وتأمين الاسلحة والمعدات من المخابىء التى يقال انها اكثر من ٢٥٠٠٠ مخبأ موزعة على كل الاراضى العراقية.

• شهادة خبير الأسلحة «سكوت ريتر»

وثمة شهادة مهمة، وواقعية من رجل يعتد برأيه، فهو سكوت ريتر المفتش السابق ضمن فرق التفتيش على أسلحة الدمار العراقية، يؤكد بالدليل القاطع، أن التخطيط للمقاومة أو الحرب الحقيقية فى العراق بدأ فى وقت مبكر، ومن خلال الأجهزة المعاونة للرئيس صدام حسين وبتعليمات مباشرة منه، والأمر المؤكد هو أن الرئيس صدام كان يدرك جيداً أن أميركا لن تترك العراق يمر، وان الشرط الوحيد لكى يبقى نظام صدام حسين هو أن يعترف بإسرائيل كدولة، وان يعلن تأييده لجميع معاهدات السلام التى اجريت معها، بدءا من معاهدة الصلح المصرية الإسرائيلية، وانتهاء بمبادرة الامير عبدالله بن

عبدالعزيز، ولى عهد السعودية التى تقايض التطبيع العربى الكامل مع الكيان الصهيونى، مقابل دولة فلسطينية ضمن حدود ٤ حزيران «يونيو» ١٩٦٧، وهذا ما سمعته بالحرف الواحد خلال حوار لى «المؤلف» مع السيد طه ياسين رمضان نائب رئيس الجمهورية العراقى «نائب صدام» قبل الحرب بعدة شهور.

وتكتسب شهادة سكوت ريتر أهميتها من خلال خبرته بالوضع العراقى حيث تمكن من دخول المنشآت العسكرية الاستخباراتية العراقية بحكم عمله كمفتش ضمن فريق الأمم المتحدة، ومن خلال خبرته بالأعمال الحربية والأسلحة والخرائط والمتفجرات، ونعرض هنا النص الكامل كما نشرته صحيفة «الاتحاد» الإماراتية تحت عنوان:

المقاومة العراقية ليست ارتجالية ولا هى قادمة من الخارج

فى ضاحية (أبو غريب) البغدادية يقع مجمع يضم مهبطاً جوياً مهجوراً كان تابعا فى السابق لمؤسسة اسمها إم-٢١ أو مديرية العمليات الخاصة التابعة لجهاز الاستخبارات العراقى وباعتبارى مفتشا من مفتشى الأسلحة فى العراق فإننى قمت بالتفتيش على هذه المنشأة فى شهر يونيو من عام ١٩٩٦ وعلى الرغم من أننا لم نجد أسلحة دمار شامل فإننا وجدنا أمامنا مؤسسة متخصصة فى إنتاج واستخدام أجهزة متفجرة مرتجلة وهى تلك الأجهزة نفسها التى تقتل الأميركيين يوميا فى العراق الآن.

ولأننا كنا نفتش عن أسلحة الدمار الشامل، فإن العراقيين فى ذلك الوقت لم يسمحوا لنا بالاطلاع على الوثائق الخاصة بهذا النشاط، ولكننا عندما عدنا إلى سيارتنا قمنا بتسجيل كل شىء رأيناه.

كان ما شاهدناه، وما قمنا بإرساله فيما بعد لوكالات الاستخبارات الأميركية، عبارة عن مخططات للمقاومة فى مرحلة ما بعد الحرب، وهو ما تواجهه الولايات المتحدة فى العراق حاليا وهذه المخططات تتضمن حقيقتين يجب على السلطات الأميركية أن تعيهما جيداً:

أولا: إن أدوات، ووسائل القتل المستخدمة الآن فى العراق، هى من صنع النظام السابق، وليست مستوردة من الخارج.

ثانياً: إن المقاومة المضادة للأميركيين فى العراق اليوم هى عراقية بطبيعتها، وذات قاعدة أكبر نطاقا، وجذور أكثر عمقا، مما يعتقد.

إن الأجهزة المتفجرة المرتجلة، تعتبر ظاهرة مرعبة للجنود الأميركيين الذين يقومون بدوريات فى العراق، لدرجة جعلت كل واحد منهم وهو يستقل مركبة عسكرية أميركية فى بغداد اليوم، سواء كانت مدرعة من نوع همفى أو دبابة من نوع إم ١- إبرامز؛ يتساءل عما إذا كانت هذه

الدورية هى دوريته الأخيرة أم أنه سيعود سالما منها.

والهجمات التى تتم باستخدام هذا النوع من المتفجرات، يمكن تعقب مصدرها وإرجاعها إلى كل مؤسسة أو تنظيم من التنظيمات الموالية لصدام حسين فالوحدة إم٢١-، لم تكن هى الوحيدة المدربة على إنتاج واستخدام تلك المتفجرات، وإنما كانت هناك وحدات أخرى عديدة منها على سبيل المثال لا الحصر؛ أكاديمية التدريب التابعة لجهاز الاستخبارات العراقى، وذلك ما شاهدته بنفسى خلال جولة تفتيشية بالأكاديمية الواقعة فى بغداد فى أبريل ١٩٧٧

فى ذلك الشهر نفسه، قمنا بالتفتيش على موقع آخر بالقرب من ضاحية المنصور الراقية كان يضم وحدة مشتركة تضم عناصر من قوات الأمن الخاصة بصدام حسين، ومن جهاز الاستخبارات العراقى كانت مهمة هذه الوحدة، هى تعقب حركة وانشطة أى عراقى يقيم بهذه الضاحية وذلك على الطريق العمومى الذى يربط بين القصور الرئاسية ومطار صدام الدولى فى ذلك الوقت أصبنا بالذهول، عندما دخلنا حجرة بحجم صالة ألعاب رياضية لنفاجأ بخريطة ضخمة للحى مرسومة على جدران الغرفة، كانت الخريطة تبين شوارع المنطقة، وكان مثبتا عليها أكوام من الصوانى المعدنية المقسمة إلى طبقات كانت كل كومة تمثل مبنى من مبانى المنطقة، وكانت كل طبقة تمثل طابقاً من طوابق المبنى وفى كل طبقة، تم وضع دوسيهات تحتوى معلومات عن كل مواطن يعيش فى ذلك الطابق وكان فى كل حى من الأحياء وحدة مماثلة.

نفهم من هذا أن نظام صدام -وهذا ينطبق على بقاياه أيضا- على معرفة وثيقة بكل بوصة مربعة فى بغداد، ويعرف تماما من هم الموالون ومن هم المناوئون، كما يعرف مكان سكنهم والأشخاص الذين يتصلون بهم ولا يقتصر هذا على بغداد فقط، وإنما هو ينطبق على أى مدينة أخرى فى العراق، بصرف النظر عما إذا ما كانت شيعية أو كردية أو خلافه هذه المعرفة الوثيقة تسمح لمسؤولى النظام السابق بالتخفى دون حماية وسط السكان المتعاطفين معهم.

وعلى الرغم من أن إدارة بوش تقوم بشكل مستمر بتوصيف العدو فى العراق بأنه إرهابى، كما تطلق على الجناة الرئيسيين فى الهجمات التى تتم ضد القوات الأميركية لقب المقاتلين الأجانب، فإن فكرة قيام تنظيم القاعدة، أو تنظيم أنصار الإسلام باستخدام بغداد، أو أى مدينة أخرى فى العراق كقاعدة مستقلة للعمليات تعتبر فكرة بعيدة عن التصديق، فلو تصورنا إمكانية ظهور أجانب فى بغداد، فمن المرجح أن يتم هذا الظهور تحت رقابة مشددة من قبل عناصر المقاومة التابعة لصدام حسين، وحتى فى تلك الحالة فإن العناصر الأجنبية عادة ما يتم استخدامها كسلاح يستخدم لمرة واحدة، بنفس الطريقة

التى يتم بها استخدام القنابل المطلقة من قواذف صاروخية، أو الأجهزة المتفجرة المرتجلة.

إن تزايد عدد، وارتفاع مستوى، وتنوع الهجمات التى تقع ضد القوات الأميركية تشير إلى أن المقاومة العراقية تتنامى، وأنها قد أصبحت أكثر تنظيما، وهو ما يمثل دليلا واضحا على أن الولايات المتحدة يمكن أن تخسر الصراع من أجل كسب قلوب وعقول الشعب العراقى.

لكى نقوم بتقييم طبيعة المقاومة المضادة لأميركا فى العراق اليوم، يجب على المرء منا أن يتذكر أن غالبية القوات الموالية للنظام، وخصوصا الوحدات العسكرية الأكثر ولاء لصدام حسين، وكامل الأجهزة الاستخباراتيه والأمنية لم تستسلم أبدا، وأن كل ما هنالك هى أنها ذابت فلم نعد ندرى أين ذهبت، على الرغم من البيانات المتفائلة التى تذيعها الإدارة الأميركية عن تطور الوضع فى العراق، والتى تتناقض مع ما هو سائد هناك بالفعل، فإن الواقع هو أن نظام صدام حسين لم يهزم بالمعنى التقليدى للكلمة، بل إنه يظهر اليوم دلائل على أنه يقوم بإعادة تشكيل نفسه، لمواصلة الصراع ضد المحتلين الذين يقودهم الأميركيون، بطريقة تعتمد على الاستفادة من نقاط قوته، واستغلال نقاط ضعف الأميركيين.

لأسباب سياسية لم تكن إدارة بوش ، ومعها سلطة الاحتلال المؤقتة على ذلك القدر من الأمانة الذى يسمح لهما بمواجهتنا بالحاصل فعلا على أرض الواقع ربما كان ذلك خوفا من الاعتراف بأنهما قد أساءا -قبل الحرب- فى تقديراتهما الخاصة بالأحوال التى سيواجهانها فى العراق المحتل عقب انتهائها.

معنى ذلك أن الحلول التى سيتوصلان إليها ليس أمامها إلا الحد الأدنى من فرص النجاح، لأنها مستمدة من تعريف مغلوط لطبيعة المشكلة.

وما لم يتم اتخاذ تدابير ملائمة للاعتراف بأن نظام صدام لازال يمثل قوة قادرة على البقاء، وما لم يتم صياغة إجراءات العمل ضده بناء على ذلك، فإن الحاصل الآن فى العراق يهدد باستنزاف الولايات المتحدة فى صراع قد لا يكون لها فيه آمال واضحة فى تحقيق النصر، بل وتتزايد فيه بشكل مستمر إمكانيات الهزيمة.

• معركة سلمان باك

كان المشهد مثيرا للغاية فى مدينة سلمان باك التى تقع عند الطرف الشرقى لمنطقة تسمى "مثلث الموت"، وكانت أحد أهم مقرات صناعة الأسلحة والمفاعل النووى الذى قصفته طائرات صهيونية عام ١٩٨١.

لقد دارت معركة شرسة فى هذه المدينة بعد عام تقريبا من الغزو واحتلال بغداد، وفيما شاركت

دبابات أميركية مع وحدات مشاة من قوات الشرطة العراقية (الجديدة) تعززها طائرات أباتشى، نجح المقاومون المسلحون بالبنادق والمدافع المتوسطة والأر بى جى فى إيقاع ١٠٠ قتيل فى صفوف الجيش الأميركى والشرطة العراقية، لكن أكثر ما لفت انتباه القوات الأميركية والعراقية هو مشهد رجال المقاومة العراقيين الذين كانوا يرتدون زى الحرس الجمهورى، وهى الوحدات القوية فى جيش صدام، وقد رفع المقاتلون أعلام العراق وصورة الرئيس صدام حسين فوق أسطح المنازل التى كانوا يحتمون بداخلها، ويشنون عبرها عمليات حرب شوارع، الأمر الذى دفع وزير الدفاع الأميركى رامسفيلد أن يصرح بأن الحرب لم تنته، وأنه كانت هناك أخطاء كبيرة فى تقدير عدد "المسلحين المتمردين" من أنصار الرئيس صدام حسين، وتشير المعلومات المتوافرة عن مدينة سلمان باك إلى كونها تتحكم فى مدخل احد الطريقين السريعين اللذين يربطان بغداد بجنوب البلاد، وأنها معقل لأنصار الرئيس صدام، كما أن كبار ملاك المزارع فى منطقة (الصويرة) المجاورة هم من أقرباء عزة إبراهيم الدورى النائب السابق لصدام حسين، وتعتبر القوات الأميركية أن عزة إبراهيم هو الذى يقود قطاعا مهما من المقاومة المسلحة حاليا ربما من الموصل أو وسط بغداد، وشهدت سلمان بك موجة من الكمائن والاشتباكات، منذ سقوط بغداد، حتى إن قوات الاحتلال جهزت حملة قوامها ٥ آلاف جندى لاقتحام المدينة التى اشتهرت بعمليات كروفر، فعندما تقوم القوات الأميركية تدعمها وحدات من الشرطة العراقية بمحاصرة المدينة، ومحاولة اقتحامها، يقوم رجال المقاومة بالتحرك المنظم خارج المدينة، والانتشار فى مدن أخرى قبل العودة مرة أخرى إلى المدينة، والتحصن فيها، وشن عمليات فدائية على الطرق السريعة مما أوقع مئات القتلى والجرحى فى صفوف القوات الأميركية والشرطة العراقية.

وليس هناك أدنى شك فى أن حزب البعث يمثل الرقم الأهم فى خارطة المقاومة العراقية، سواء على خارطة العمليات أو التمويل أو الاجتهاد فى التعبئة السياسية والعشائرية، وقد أكد وزير العدل مالك دوهان الحسن، عضو الحكومة المؤقتة أن الحكومة العراقية حصلت على أدلة بوجود أربعة من قيادات حزب البعث والاستخبارات السابقة يقيمون فى دولة مجاورة ويتابعون ويمولون العمليات الفدائية وأضاف: هذه الشبكة انكشفت للسلطات الأمنية العراقية بعد اعتقال شخصية مهمة من النظام السابق اعترفت بشكل تفصيلى عن دور القادة الأربعة.

وتابع: "أشارت جزء من الاعترافات إلى أن رئيس النظام السابق صدام حسين أرسل هؤلاء إلى الخارج وزودهم أموالا طائلة وحدد لهم مهمة خاصة هى قيادة العمليات المسلحة بعد سقوطه. وكشف أن الحكومة تنوى إعلان أسماء القادة الأربعة فى وقت لاحق. وأفاد أن هناك اتصالات بين بغداد والدولة التى تستضيفهم.

وشدد الوزير العراقى على أن جوهر العنف فى العراق يديره القادة الأربعة بالتنسيق مع (أبو مصعب الزرقاوى). وقال إن الزرقاوى موجود بالفعل ويتحرك داخل الأرض العراقية ولديه مجموعات مسلحة وزاد: المعلومات المتوفرة الآن تؤكد أن مجموعة الزرقاوى والشبكة المسلحة التى يقودها أربعة من قادة البعث والاستخبارات العراقية السابقة بصدد التنسيق والتعاون. وأشار إلى أن الزرقاوى تحرك فى الشهور السابقة، وحده ولم تكن له صلة بالقادة المذكورين المسئولين عن معظم العمليات التى وقعت فى مناطق شتى من البلاد.

يشار هنا إلى أن أحد الناشطين فى القيادة الحالية الإعلامى السابق صلاح المختار أكد فى تصريحات للصحيفة الكردية "هاولاتى" التى تصدر فى السليمانية واستطاعت إجراء مقابلة معه عبر البريد الإلكترونى أن صدام حسين شخصيا اختار أعضاء قيادة المقاومة قبل إطاحة النظام وهو الذى جعل التكريتى يونس الأحمد مسئولا أول عنها فى حال استشهد "صدام أو أسر" وجاء فى بيان لقيادة البعث أصدرته فى ٢٩ "ديسمبر ٢٠٠٤ ما يلى:

"عبور البعث والمقاومة العراقية المسلحة للعام المنتهى إلى العام الجديد سيكون عبورا مغايرا تماما لعبور الأنظمة العربية المتآمرة وعبور الاحتلال وسلطته العميلة.

١- البعث والمقاومة سيكون عبورهما موصولا جهاديا وسياسيا مع عبور التحديات المتلاحقة فى المواجهة المستمرة والمفتوحة وغير المحسومة مع الإمبريالية الأمريكية والصهيونية منذ أخذت تلك المواجهة طابعها التصادمى مع البعث والعراق سياسيا وعسكريا منذ العام ١٩٧٢.

٢- البعث والمقاومة سيكون عبورهما فى سياق تحقيق الاستهدافات الاستراتيجية للمقاومة العراقية المسلحة كما صاغها البعث فى المنهج السياسى والاستراتيجى للمقاومة العراقية المسلحة والمتمثل بدحر الاحتلال وتحرير العراق والحفاظ عليه موحدا ووطنا لكل العراقيين.

٣- البعث والمقاومة سيكون عبورهما عبورا مقاوما نضاليًا وجديًا يتعامل مع الأهداف الوسيطة فى سياق تحقيق وإنجاز الاستهداف الاستراتيجى، حيث سيكون هدف تدمير السلطة العميلة وهياكلها وشخوصها مشروعا إذا ومستوحيا ومستمر له مشروعيته التى لا تنفصل ولا تقل عن مشروعية دحر الاحتلال.

وبالنسبة إلى حزب البعث الذى تريد أطراف عراقية مشاركة فى العملية السياسية، استرضاءه، كأن صدام حسين ولا يزال يمتلك الشرعية الدستورية والشرعية الجماهيرية والشرعية الجهادية.

شعب العراق وجماهير الأمة وأحرار الإنسانية سقطت فى أعينهم شرعية الآخرين... وسكنت

واستقرت فى قلوبهم وضمائرهم شرعية صدام حسين بحسب بيان بعث آخر صدر وفى البيان نفسه نقرأ أيضا "كان ولا يزال الرفيق صدام حسين هو المناضل البعثى المقدام والمفكر التقدمى المتمرس والمواطن العراقى المنتمى والقومى العربى الطموح والمناضل الإنسانى الحق والقائد الجماهيرى صاحب الشرعية ورجل الدولة المتميز والمخطط الاستراتيجى صاحب المشروع، ومالك الرؤية الثاقبة والمراهن الرابح على صحة عقيدته وصمود حزبه ومقاومة شعبه ورسالة أمته الخالدة".

ويفرد البيان لكل صفة من هذه الصفات فقرة لتوضيح الأسباب الداعية لإضفاء هذه الصفات على صدام.

وأشارت مصادر فى حزب البعث فى مواقع إليكترونية أن هناك مفاوضات جرت بين قيادات فى حزب البعث وشخصيات رسمية أميركية لوقف وتهدئة عمليات المقاومة، وجاء فى أحد المواقع ما يلى:

بعد أن تأكدت قوات الاحتلال الأمريكية من عدم قدرتها على قتل أو أسر عناصر أى من خلايا المقاومة الكثيرة المنتشرة فى العراق ،وبعد الفشل الكبير الذى منيت به أجهزة المخابرات الأمريكية باختراق وتفكيك خلايا المقاومة المتميزة بكثرة عددها ودقة تنظيمها واختلاف توجهاتها الفكرية والسياسية.

بعد كل هذا الفشل بدأت المخابرات الأمريكية مخططاً جديداً لتفكيك المقاومة أو توجيه ضربة قاسية لها ،لكن هذه المرة بأسلوب جديد يعتمد على إخراج بعض الفصائل ذات التوجه السياسى البعثى من المعركة.

فقد بات واضحاً فى الفترة الأخيرة أن احتلال العراق وأسر قيادات النظام السابق لم يكن كافياً لخروج البعث من الساحة العراقية كتوجه سياسى فكرى وبات واضحاً للعيان أن كوادر البعث تشارك بفاعلية فى عمليات المقاومة خاصة فى الموصل وسامراء وبعقوبة والأنبار والرمادى.

وعلى هذا الأساس بدأت قوات الاحتلال تتوجه للمفاوضات مع كوادر بعثية سابقة ،وقال قيادى بعثى كبير خارج الأسر لموقع المدار الإليكترونى إن مسؤولين أمريكيين وعراقيين من حكومة الاحتلال المؤقتة قاموا بإجراء اتصالات مع القيادات البعثية عبر وسطاء دوليين وعراقيين وأكد أن الوسطاء الدوليين أبلغوا البعثيين بـ (النوايا الحسنة) الأمريكية للتفاوض وعُرض عليهم عدة مقترحات للتوصل إلى حل مرضٍ للجانبين بهدف تهدئة الأوضاع المتفجرة فى العراق وخاصة فى مناطق يعتقد الأمريكان بأن البعثيين يلعبون دوراً كبيراً فى أعمال المقاومة فيها كالموصل وسامراء وبعقوبة والأنبار.

وأكدت قيادات بعثية كبيرة من الموصل والأنبار وبغداد للمدار أن جولة مفاوضات مضنية وطويلة

بدأت بين الأمريكان والبعثيين عبر الوسطاء الدوليين لكنها لم تصل إلى أى نتيجة لسببين رئيسيين أولهما: اقتناع الكثير من قيادات البعث المنخرطة فى المقاومة بأن النصر قادم لا محالة وخصوصاً بعد أن ارتفع عدد العمليات المقاومة فى العراق إلى ١٠٠ عملية يومياً، لذا أجلت هذه القيادات أى مفاوضات مباشرة أو غير مباشرة مع الأمريكان، أما السبب الثانى: فهو إصرار الكثير من قيادات البعث المشاركة فى المقاومة على أن صدام حسين هو الأمين العام الشرعى لحزب البعث فى العراق وبالتالى يتوجب التفاوض معه ومع مساعديه البعثيين فى الأسر بشكل مباشر.

كما وضعت القيادات البعثية ثلاثة شروط للاستمرار فى المفاوضات وهى إطلاق سراح صدام حسين وكبار مساعديه الذين أُسروا بعد احتلال العراق دون أى قيد أو شرط وتأمين سلامتهم الشخصية وتحديد تاريخ زمنى لخروج القوات الغازية من العراق ,وإلغاء كافة الإجراءات والقوانين والهيئات الناتجة عن الاحتلال.

وبعد كل هذه المفاوضات الشاقة لم تجد أمريكا بداً من محاورتها لصدام فى أسره بشكل مباشر. وعلمت «المدار» من أحد الوسطاء العراقيين رفيعى المستوى فى حكومة الاحتلال المؤقتة أن الإدارة الأمريكية قد أوفدت مسؤولاً كبيراً فى الـ CIAإلى بغداد للتفاوض مع صدام حول:

أ - وقف أعمال المقاومة وتهدئة المناطق التى يعتقد الأمريكان أن البعث يسيطر عليها.

ب - السماح للبعث بالمشاركة فى العملية السياسية ولكن بمسمى آخر.

ت - دعم قوات الاحتلال لمرشحى البعث فى الانتخابات.

ث - تبرئة صدام وإطلاق سراحه وبالمقابل إبعاده عن واجهة السلطة والاكتفاء بتسليمه مهام حزبية فقط ضمن حزب البعث الذى سيتخذ تسمية جديدة.

وقد كشف الوسيط العراقى الذى شارك فى المفاوضات غير المباشرة بين الأمريكيين والبعثيين قبل أن تتحول إلى مفاوضات مباشرة بين الـ CIAوصدام كشف للمدار أن الإدارة الأمريكية قد أوعزت إلى إياد علاوى رئيس حكومة الاحتلال المؤقتة القيام بخطوات حسن نوايا تتمثل فى :

- إلغاء قانون اجتثاث البعث.
- حلّ اللجنة التى أنشئت لهذا الغرض.
- إعادة الجيش العراقى السابق إلى العمل.

لكن يبدو أن علاوى واجه صعوبات فى تنفيذ هذه الإجراءات بسبب ضغوط من قوى شيعية وكردية ترفض عودة حزب البعث إلى الحياة السياسية مجدداً، وفى المقابل ذكرت المصادر أن قيادة حزب البعث

أعلنت تمسكها بالرئيس صدام حسين أمينا عاما للحزب، ورئيسا شرعيا للدولة، أثبت الرئيس تماسكا هائلا فى مواجهة الضغوط المفروضة عليه، وكذلك الإغراءات الكبيرة، وقد رفض الرئيس العراقى صدام حسين طلبا أمريكيا بتوجيه رسالة قصيرة إلى الشعب العراقى عبر وسائل الإعلام المختلفة يطالبه فيها بإلقاء السلاح، ووقف العمليات العسكرية وتسليم "الإرهابيين" الذين يعدون دخلاء على الشعب العراقى على حد وصف البيان الأمريكى. وأن يتكاتف الجميع من اجل عودة الاستقرار والهدوء والأمن إلى ربوع الأراضى العراقية.

أكد صدام حسين لفريق من الـ "سى. آى. إيه" التقاه أن هذا العرض يعنى اعترافا بالاحتلال وخيانة للشعب العراقى وللمقاومة البطلة التى تسعى إلى تحرير الأراضى وطرد المحتلين.

وأشارت المعلومات إلى أن فريق التحقيق الأمريكى فشل فشلا ذريعا فى الحصول على أية معلومات من الرئيس العراقى حول أسماء القيادات البعثية المقاومة رغم الضغوط التى مارسها رجال الاستخبارات الأمريكية عليه.

إلا أن الرئيس صدام حسين أكد عدم معرفته بأية معلومات تتعلق بقادة المقاومة أو أسماء أيٍّ من القادة البعثيين الهاربين.

ونفى صدام حسين أن يكون قد قام بتهريب أية أسلحة دمار شامل إلى أى من الدول المجاورة مشيرا إلى أن العراق سبق أن أكد أكثر من مرة أن برنامجه لإنتاج أسلحة دمار شامل قد توقف منذ حرب الخليج الثانية فى بداية التسعينيات.

كانت واشنطن قد طلبت إبلاغ الرئيس العراقى استعدادها لتحسين أوضاعه داخل السجن وتأجيل محاكمته. إذا ما أبدى قدرا من التعاون مع فريق التحقيق، إلا أن الرئيس العراقى رفض تقديم أية معلومات إلى الفريق رغم كافة الضغوط التى مورست عليه.

كان صمود الرئيس صدام باعثا لشخصيات قانونية عربية ودولية بادرت بإعلان استعدادها للدفاع عنه إذا جرت محاكمة عادلة له، وكانت هيئة الإسناد فى الدفاع عن الرئيس العراقى أعلنت انضمام وزير العدل الأمريكى الأسبق رمزى كلارك إلى عضويتها للدفاع عن صدام حسين ورفاقه المعتقلين.

وقال الناطق باسم الهيئة «زياد الخصاونة» إن كلارك جاء ليؤكد فى عمان أنه أحد أعضاء هيئة الدفاع عن الرئيس صدام حسين.

وقال كلارك للصحافيين: إن اهتمامى الأول هو كيفية الدفاع عن الحقوق الرئيسية لصدام حسين فى ظل عزلته التامة، وخصوصا أنه بقى فى الاعتقال لمدة تزيد عن العام من دون أن يرى محاميه إلا لمرة واحدة أخيرا.

وأضاف: أن "القانون الدولى يعطى أى متهم الحق بالمثول أمام محكمة مستقلة وغير منحازة". معتبرا أن المحكمة الجنائية الخاصة التى ستحاكم صدام حسين ورفاقه، ليس لديها أى صلاحية قانونية باعتبارها من صنيع مجلس الحكم الانتقالى وهو ليس سوى أداة شكلها الاحتلال الأميركى للعراق.

وقال: إن الإدارة الأميركية يجب أن تحاكَم على جرائم الهجوم على الفلوجة وتدمير المنازل والتعذيب فى السجون وقتل آلاف العراقيين فى الحرب.

وردا على سؤال حول ما إذا كان ينوى الذهاب إلى العراق وطلب لقاء صدام حسين.

قال كلارك: "المشكلة هى فى إمكان لقاء الرئيس العراقى لأننى لا أستطيع أن أحضر دفاعى من دون أن أقابله، وتابع: "أولويتنا اليوم إيجاد قنوات اتصال فاعلة مع صدام حسين لتحضير الدفاع عنه.

إذ من حقه كأى معتقل أن يلتقى محاميه ويتحدث إليه بحرية من دون رقابة.

من جانبه قال الحصاونة: إن الهيئة طلبت من كلارك أن يساعدنا فى فتح حساب فى أى مصرف محلى أو عربى أو دولى باعتبار أن الهيئة فشلت حتى الآن فى إقناع أى مؤسسة مصرفية بفتح حساب لها.

❖ ❖ ❖

الفصل الحادى عشر

التنظيمات السنية المسلحة

- هيئة علماء المسلمين والحزب الإسلامى فى دائرة المقاومة السلمية
- أسرار العلاقة بين تنظيم «أبو مصعب الزرقاوى» وقيادات حزب البعث
- المقاومة الكردية المسلحة ضد الاحتلال يقودها «جيش أنصار السنة»

العراقيون شعب مسلم، والعراق بلد إسلامى له أهميته التاريخية والدينية، فعاصمة أمير المؤمنين على بن أبى طالب كانت الكوفة، ومدن العراق على مدى خمسة قرون كانت عواصم للإمبراطورية الإسلامية فى عهد الدولة العباسية، ومراقد الأئمة من آل بيت الرسول فى العراق وكبريات مدارس الفكر والفقه الإسلامى بمذاهبه المختلفة نشأت ونمت فى العراق، وكبار المتصوفة وأهل الطرق مقراتهم فى العراق، ومن الطبيعى مع كل هذه المعطيات أن يكون للحركة الإسلامية حضور متميز فى العراق، وأن يكون للإسلاميين دور فى الجهاد ضد قوات الغزو والاحتلال، وأن يشارك مجاهدون من السنة وآخرون من الشيعة فى المقاومة، وأن يتردد شعار (من الفلوجة إلى النجف شعب واحد لا يرتجف) وأن يظهر الدعم الأخوى النضالى من جيش المهدى بزعامة القائد الشيعى الشاب مقتدى الصدر لمجاهدى الفلوجة السنة فى أبريل ٢٠٠٤، وأن يصل الدعم المالى والدم من الفلوجة والمثلث السنى إلى النجف وكربلاء فى يونيو فى العام نفسه حين كانت قوات جيش المهدى بقيادة الصدر تقاتل فى الشوارع ضد القوات الأميركية التى حاصرت المساجد المقدسة، ومن بينها مسجد رابع الخلفاء الراشدين على بن أبى طالب كرم الله وجهه، وحاولت اقتحامه للقبض على مقاتلى جيش المهدى.

وفى حين قاطعت أغلبية الهيئات والتنظيمات والأحزاب السنية جميع الأشكال السياسية التى تم تأليفها برعاية قوات الاحتلال، بما فى ذلك الانتخابات التشريعية فإن تيار الصدر قاطع- بالتوازى- هذه الأشكال والانتخابات، وبدا كطرف مقاوم هام على خارطة المقاومة العراقية، ما اكسبه تأييد وتعاطف الشعب العربى والاسلامى.

فى حين اهتزت صورة القيادات التقليدية للمرجعية الشيعية التى سعت الى تبنى رأى آخر هو بناء مؤسسات الدولة على أسس ديمقراطية فى ظل وجود الاحتلال وفى ظل حمايته بما يؤدى إلى تشكيل حكومة وطنية تتبنى عملية إخراج قوات الاحتلال من العراق.

يرى المفكر العراقى عبد الحسين شعبان:

لقد أفرزت كل من معركة الفلوجة والنجف اللتين دامتا أسابيع عددا من الوقائع والمعطيات أهمها (التلاحم) الذى ساد بين الطرفين السنى والشيعى وشعورهما بأن معركتهما الأساسية هى ضد الاحتلال، الثانى هو أن الاحتلال رغم جبروته لم يستطع إحراز النصر الذى يريده، صحيح ان سرايا ومنظمات المقاومة فى الفلوجة وكذلك (جيش المهدى) فى النجف وكربلاء، والكوفة ومناطق اخرى فى وسط وجنوب العراق لم تستطع هى الأخرى أن تحقق (النصر) لكن الصحيح أيضا إنها كانت إحدى المجسات لمدى قدرة قوات بدائية محدودة العدد والعدة من مواجهة أقوى جيش ودولة فى العالم.

وأظهرت المعركتان أن بالإمكان تبديد جزء ولو قليل لكنه مهم من الاحتقان الطائفى من خلال أهداف وطنية عامة ومشتركة، وهو ما ذكر بما حصل فى ثورة العشرين ١٩٢٠ حيث التحمت مدن غرب وشمال العراق بما فيها المنطقة الكردية فى حينها بوسط وجنوب العراق وخاصة مع النجف التى شكلت القيادة الفعلية والتوجيهية للثورة فى حينها.

لقد كانت نتائج المعركة نصف هزيمة للولايات المتحدة، فلم تستطع الإمساك بأى خيط يوصلها إلى مرتكبى من قتل ومثل بالجواسيس الأمريكان الأربعة فى الفلوجة، كما لم تتمكن من إلقاء القبض على السيد مقتدى الصدر وتسليمه إلى (العدالة) بعد أن وجهت اليه تهمة اغتيال السيد عبد المجيد الخوئى وقد صرح الرئيس جورج بوش أن بإمكان السيد الصدر أن يشارك فى العملية السياسية، وأن يأخذ دوره فيها كما لم تصر قوات الاحتلال الأمريكى على تسليم المرتكبين الأربعة فى الفلوجة، رغم أن المعركة واقتحام المدينة كان بسببهم كما زعمت.

• حملات تصفية عرقية ضد السنة

وقبل أن نستعرض خريطة المنظمات السنية المقاومة للاحتلال، سواء أكانت مسلحة أو مقاومة سلمية، نعرض لواقع أهل السنة فى البلاد بعد الاحتلال، ونبدأ بسؤال أجاب عليه الشيخ حارث الضارى رئيس هيئة علماء المسلمين لصحيفة «البيان» الإماراتية فى مارس ٢٠٠٥.

البيان: هل هناك تعداد رسمى للسكان فى العراق، يوضح التعداد الصحيح للطوائف المعروفة؟

هناك تعداد قد جرى قبل حوالى عقدين، وهناك ما يسمى بالبطائق التموينية التى تعدها الأمم المتحدة لكل عائلة عراقية ولكل فرد.

ثم هناك النسب التقديرية التى تعتمد على مراكز وجود أبناء الشعب من سنّة أو شيعة فى المحافظات، فهناك محافظات سنّية بحتة، تكاد أن تكون بحتة، تصل النسبة فيها إلى ٩٠٪ أو ٩٥٪، ومحافظات شيعية أيضاً تصل النسب فى بعضها إلى ٩٠٪ أو ٩٥٪، وهناك محافظات سنّية وشيعية مشتركة.

ونجد أن النسب السنّية فى المحافظات السنّية أعلى منها فى المحافظات الشيعية، ثم نجد أن الكثافة السنّية هى أكثر من الكثافة الشيعية فى المحافظات الشيعية، وعلى هذا فالمسألة هى ادعاءات متعارضة، لكن رأينا مبنى على شىء من الواقعية، وهذه النسبة فى رأينا لا تقدم ولا تؤخر، وإثارتها فى مثل هذه الظروف قد تؤدى إلى إثارة نعرات طائفية نحن نأباها، ولا نركز عليها، وندع الأمر إلى الإحصاءات المستقبلية، أو إلى صناديق الاقتراع، إذا حصلت هناك انتخابات - ديمقراطية كما يقولون -

حقيقية، وعلى أي حال فالسنَّة كمٌّ كبير، ووزنهم في البلد ثقيل، وهم من أكثر أبناء البلد تمسكاً ببلدهم وإخلاصاً له، واستعداداً للتضحية من أجله.

البيان: ما دام الأمر كما تفضلتم به؛ فما السبب في نيل الشيعة نسبة كبيرة من مجلس الحكم الانتقالي جعلتهم ضعف أهل السنَّة، مع أن نسبتهم لا تتفق وهذا التمثيل؟ وما أسباب تهميش أهل السنَّة؟

بالنسبة للشق الأول من سؤالك: لماذا جعلت نسبة الشيعة هي الأغلب في مجلس الحكم الانتقالي؟ الشيعة كما تعلم بعد سنة ١٩٩٠م خرج منهم العديد من المثقفين والعلماء إلى الخارج، وأتيحت لهم كل التسهيلات في الخارج من قِبَل دول عربية وإسلامية وغيرها من دول العالم، قدمت لهم تسهيلات، ووفرت لهم وسائل إعلام يتكلمون من خلالها على النظام وعلى ما فعله النظام بهم من مظالم، وأضافوا إلى هذا وادَّعوا أنهم الأكثر وأنهم محكمون من قِبَل الأقل، ويعنون بذلك السنّة، علماً بأن السنّة محكومون مثلهم من قِبَل هذا النظام، وأصابهم أكثر مما أصاب الشيعة، بل إن أذى النظام أول ما بدأ بأهل السنّة وبقي محصوراً فيهم ما يقرب من عقد كامل، من سنة ١٩٦٨م إلى ١٩٧٩م، ولم يتجه الأذى إلى الشيعة إلا بعد سنة ١٩٧٩م، حين علم النظام أن حزب الدعوة الشيعي يتآمر عليه أو هكذا أو كما يقول النظام، فحصل بين النظام وبين الحزب خلاف، ووقع من النظام أذى لهذا الحزب، وهو أذى مبالغ فيه، وردّ الحزب على النظام، ثم كانت الحرب بينهما سجالاً، إلا أن النظام لم ينس السنَّة، بل كان أذاه في الوقت نفسه يقع على السنَّة وعلى الشيعة.

على أي حال؛ هذه الدعوى قيلت في الخارج، وأخذت وسائل الإعلام ترددها قبل احتلال العراق بما يقرب من عشر سنوات أو تزيد، ثم لما احتُل العراق أخذ الإعلام أيضاً يكررها ويكررها كثيراً، حتى سُئل الكثير من أهل السنة: هل الشيعة هم الأكثر؟ فلم يجيبوا، ومنهم من أجاب، وترك هذا الموضوع للمستقبل لأن الكلام فيه قد يثير الضغينة.

لما حصل تشكيل المجلس يبدو أن الأجواء كانت مهيأة لقبول هذه الدعوى أو هذا الادعاء من قِبَل قادة الشيعة لدى إدارة الاحتلال في العراق، فاعتمدته لأنه هو الرائج، ولأن أهل السنّة لم يتكلموا بخلافه، هذا سبب.

والسبب الثاني في تقديري هو أن الشيعة كانوا قد رحبوا بهذا الاحتلال، وهم متعاونون معه، فلعله أراد أن يكافئهم بتحقيق ما أرادوا، وهو تكثير نسبتهم في هذا المجلس.

البيان: تلوح في الأفق بوادر ما يمكن تسميته عملية فرز عرقي جغرافي، على الأقل من جانب

الشيعة في المدن المختلطة بين الطائفتين، فما موقف السنة من ذلك؟ وهل حدثت منهم ردود فعل في هذه العملية؟

نعم أخي الكريم؛ بدأت بوادر تطهير عرقي في بعض المحافظات الجنوبية للأقلية السنّية؛ إذ هُجّرت عائلات، وطلب من عائلات أخرى أن تغادر المناطق التي تقطن فيها، مثل ما حدث في محافظة السماوة، وفي الناصرية، وفي الديوانية، والنجف، ولعل هذه الأعمال تعود إلى أعمال خاصة أو شخصية، نأمل أنها لا تكون نتيجة لقرار شيعي متفق عليه، نأمل أن يكون الأمر محدوداً ومقتصراً على بعض العوائل، ونأمل أن تنتبه المراجع الشيعية إلى خطورة هذه الأعمال فتقف ضدها وتمنعها، ويا ليتها أصدرت فتاوى وبيانات تعارض هذا التوجه، وتمنع هؤلاء الذين يقومون بمثل هذه الأعمال بمضايقة أهل السنّة والجماعة، نأمل أن يصدر من هذه المرجعيات ما يردع هؤلاء، ويكفُّهم عما يؤدي أو سيؤدي إذا استمر إلى تفجر أو إلى فتنة طائفية لا يستفيد منها الجميع، لا السنّة ولا الشيعة.

أما أهل السنة فلم يقوموا بشيء من ردود الأفعال إلى هذا الوقت، وهم سيستمرون على هذا الموقف إن شاء الله؛ آملين أن ينتبه الشيعة إلى خطورة مثل هذا العمل لو استمر؛ إذ أن هناك الكثير من الأقليات في المحافظات السنّية، ونعاهدهم على أن أهل السنّة لن يقوموا بمثل هذا العمل؛ لإدراك المسؤولية في مثل هذا الظرف الذي يمر به البلد، وتفويتاً لما يتوقعه الأعداء، أعداء هذا الوطن وهذا الشعب، من اختلاف بينهم أو إحداث فتنة بين أبناء الوطن.

البيان: ما هو تقويمكم للعلاقة بين أهل السنَّة من عرب وأكراد؟

أقول وبكل تأكيد: العلاقة بين العرب والأكراد من أهل السنَّة علاقة ودية وحميمة وأزلية، وستبقى كذلك في المستقبل إن شاء الله، وإذا كان قد حدث بين الأنظمة السابقة، ولا سيما النظام السابق، وبين بعض الفصائل السياسية الكردية خلافات؛ فإن هذه الخلافات لم تنعكس على الشعبين العربي والكردي، وما حدث من النظام السابق لإخواننا الأكراد معلوم لديهم أنه كان بفعل النظام وليس بفعل العرب، لا سنّة ولا شيعة أيضاً، وكذلك يعلم العرب أن ما أصاب العرب، ولا سيما بعد احتلال العراق، من قتل لبعض العرب في مدينتي الموصل وكركوك ليس من فعل الأكراد وانها من فعل منظمات كردية شمالية، والأكراد أبرياء من دم إخوانهم العراقيين.

● ماذا يجري في البصرة؟

اوردت جريدة (الحياة) اللندنية في عددها الصادر في السادس من ديسمبر لعام ٢٠٠٤ تحقيقاً حول أحوال السنة في جنوب العراق بعد انهيار النظام السابق ، أعده الصحفي حمد الجاسر من

الكويت وتؤكد الجريدة- فى التحقيق- بحسب معلومات استقتها أن الفترة التى أعقبت دخول القوات الأمريكية والبريطانية العراق وحتى لحظة نشر التحقيق شهدت اغتيال عشرات من وجهاء السنة من شيوخ عشائر وأئمة مساجد ومثقفين وتجار واطباء ممن لا صلة لهم بنظام صدام حسن وتمت الاغتيالات على يد فرق قتل مدربة لا تترك خلفها أى اثار، لكن بصمات الميليشيات المدعومة من ايران واضحة عليها، كذلك استولت الميليشيات على ٤٠ مسجدا سنيا فى محافظات الجنوب، وصادرت مبنى الاوقاف السنية فى البصرة، وكثيرا من وثائقه الشرعية وهيمنت هذه الميليشيات على الدوائر الرسمية كافة واقصت معظم القياديين السنة، عنها ولا سيما المدارس وصبغت مدن الجنوب بساحاتها وشوارعها ومبانيها بشعارات وأسماء وصور ذات لون مذهب وحزبى فاقع.

وقال "أبو محمد" وهو من مثقفى السنة فى البصرة لـ "الحياة" "إن هذه الممارسات لا يمكن أن تكون عشوائية أو فردية بل تبدو مخططا لها وهدفها تفريغ الجنوب من السنة واجبارهم على النزوح عنه"، واضاف: الحكومة المؤقتة فى بغداد غير مهتمة بمواجهة هذه التجاوزات ولا الحكومات العربية مدركة لهذا الوضع، ولا وسائل الاعلام منتبهة لما يحدث" وكشف عن شكوك لدى السنة فى الجنوب فى فائدة المشاركة فى أى انتخابات مقبلة "فالدوائر التى ستشرف على الانتخابات كلها فى يد الميليشيات، ولا ضمانات تذكر بسلامة تلك الانتخابات ونزاهتها خصوصا مع استمرار التوتر الأمنى.

• انحياز صدام للسنة خرافة

وعما كان يتردد عن أنه كان للسنة حظوة ومكانة فى ظل نظام صدام حسين، يقول أبو محمد: "إن هذه خرافة اختلقتها بعض أحزاب المعارضة وقال إن نظام البعث بدأ استبداده عام ١٩٦٨م بضرب التيار الإسلامى السنى، وعلى رأسه (الإخوان المسلمون) وأغلق جمعياتهم والمدارس الدينية السنية قبل الشيعية، وكان أول من أعدم من رجال الدين عالما سنيا هو الشيخ عبد العزيز البدرى عام ١٩٧٠م.

ثم وجه استبداده نحو الإخوة الأكراد خلال السبعينيات ولم يظهر قمعه للشيعة إلا بعد قيام الثورة الايرانية والحرب مع ايران أى منذ , ١٩٨٠

وتابع قائلا: "صدام حسين ليس طائفيا بل دينه الولاء فمن والاه كان على دينه ومن عارضه سحقه سواء كان شيعيا أو سنيا أو مسيحيا" ويدلل على ذلك بأنه "حتى لحظة سقوط النظام فى ابريل ٢٠٠٣م كان عديد من قيادات النظام فى الجنوب من الشيعة، فمثلا مدير أمن الزبير ويسمونه الاستاذ "سعد" كان شيعيا ومسؤولا لحزب البعث فى الزبير، أما الأستاذ "خلف" فكان شيعيا ومسؤولا عن البصرة أبان النظام واسمه "غالب كبة" بل لم يعين نظام البعث طوال حكمة أحدا من سنة البصرة فى منصب

محافظ، أو مساعد محافظ فيما عين مساعدين للمحافظ من شيعة المدينة، وكان الشيعة يمثلون ٥٨ فى المئة من الكوادر الحزبية للبعث فى المحافظات الجنوبية.

- **مسلسل الأحداث بعد السقوط**

يصف ابو عبد الله وهو تاجر من سنة البصرة، تسلسل الأحداث منذ سقوط النظام ويقول: "بعد دخول القوات البرطانية البصرة صارت الحدود مع ايران من غير رقابة وخلال اسابيع بدأت عناصر من قوات بدر، وميليشيات شيعية أخرى تتوافد من هناك الى البصرة وهى مشحونة بنفس طائفى غير موجود أساسا بين سكان البصرة، واستولت هذه الميليشيات المسلحة على الدوائر الحكومية المهجورة، وبدأت إدارتها باسم الدولة العراقية، ولكن على أساس أجندتها الطائفية والحزبية ويضرب مثالا على ذلك مقر مديرية التربية فى حى الخليج، إذا اقتحم شخص معهم قادم من إيران يدعى "احمد المالكى" مع مسلحين المقر وعين نفسه مديرا عاما للتعليم لشهور عدة، واقصى من يريد إقصاءهم من مديرى المدارس، واكثريتهم من السنة وامتنع عن تعيين أى مدرس سنى طوال فترة سيطرته على المديرية الى ان ابعد وتولى مكانه مدير آخر ينتمى لحزب الدعوة، وإن كان معتدلا الى حد ما إلا ان مسلسل التمييز استمر ضد المدرسين السنة بل ان التعيين فى الوظائف الحكومية صار يتطلب تكية من الحوزة الشيعية او من يمثلها فى المدينة.

ويضيف أبو عبد الله: "جرى تغيير أسماء المدارس إلى أسماء ذات لون مذهبى فاقع مثل مدرسة كربلاء المقدسة او الزهراء أو أسماء قيادات الأحزاب الشيعية، وكذلك الامر مع الشوارع والساحات والمرافق العامة التى غطتها جداريات وصور لقادة التيارات الشيعية، وتم احضار مقرئين ومقرئات الى المدارس لقراءة المراثى الحسينية على الطلبة مع أنه لا علاقة لها بالمنهج الدراسى.

وفيما يتعلق بالأجهزة الأمنية فكانت هدفا أول للميليشيات، فجهاز استخبارات الشرطة فى البصرة تديره الان عناصر من المجلس الاعلى للثورة الاسلامية (قوات بدر) التى اعادت بناء قوة الامن بحسب توجهاتها، ولا يزيد عدد المنتسبين لقوة الشرطة حاليا من السنة عن سبعة فى المئة، وهذه النسبة الصغيرة للسنة تحققت فقط بعدما اصبح التعيين فى الوظائف الحكومية مركزيا من بغداد بعدما آلت قيادة وادارة كل الدوائر الحكومية للميليشيات التى صارت ترتدى رداء الدولة وتنطق باسمها.

- **مسلسل اغتيالات السنة**

واللافت هو استمرار مسلسل الاغتيالات التى ينفذها ملثمون ضد شيوخ عشائر السنة، وضد بعض ضباط الشرطة والجيش السابقين، وكذلك منتسبى الأجهزة الأمنية.

ويقول أبو عبد الله- تاجر سنى فى البصرة- إن أول موجة من الاغتيالات موجهة ضد الائمة والشيوخ السنة بدون تمييز إلا السمات الشخصية الخارجية كالزى، وانتشرت عمليات الاغتيال ضد علماء المسلمين السنة ممن يطلقون لحاهم ويلبسون "دشاديش" قصيرة بعدما أصدر بعض المعممين القادمين من إيران فتوى بتكفير هؤلاء، واستحلال دمائهم ومن أول ضحايا هذه الفتوى أفراد عائلة من عشيرة بن حسين فى مدينة (أبو الخصيب) مع اقرباء لهم من عشيرتى الغانم والدواسر دخل عليهم مسلحون من الميليشيات، واعتقلوهم واقتادوهم إلى مكان مجهول وتأكدنا بعد ذلك من قتلهم، وكذلك استهدفت التصفيات بعض الشيعة الذين تحولوا الى المذهب السنى باختيارهم، وقتل شابان فى الزبير بسبب ذلك احدهما يدعى عباس والاخر محمود علما ان الانتساب المذهبى مختلط جدا فى جنوب العراق، واحيانا داخل العشيرة والعائلة الواحدة، ولم نكن نستشعر هذه المذهبية قبل ان تدخل علينا الميليشيات من ايران.

ويتابع أبو عبدالله: "بعد ذلك بدأت الاغتيالات تستهدف البعثيين السنة مع أنهم أقلية فى فروع الحزب فى الجنوب، وفى كل الأحوال كان مئات من البعثيين سنة وشيعة منتمين للحزب كرها لا عن رغبة منهم، ولم يكن هناك مبرر لاستهدافهم، ولكنها كانت حجة لقتل شخصيات سنية وان كانت التهمة انهم بعثيون، فلم يحاكموا، ثم تلت ذلك موجة استهدفت وجهاء السنة مثل عميد كلية الهندسة الدكتور الشريدة الذى كان خارجا من عمله بسيارته فارداه مجهولون، والطبيب عبد الله الفضلى الذى اقتحموا عليه عيادته فى مدينة ابو الخصيب، واطلقوا عليه النار والشيخ عبد المجيد الجناحى عضو هيئة علماء المسلمين والناشط فى العمل الخيرى، ترصدوا له وهو خارج من المسجد مع سائقه قص الدهالس بعد الغزو بتسعة شهور، وقتلوهما كما قتلوا أربعة أشخاص من عائلة الزامل فى قضاء أبى الخصيب، وكذلك الأمر مع إمام مسجد فى الناصرية والأمثلة على ذلك بالعشرات، وكل هذه الاغتيالات سجلت ضد مجهول، لكن بعض الميليشيات كانت واضحة فى تهديدها، وصرنا نعتقد ان كل سنى مشهور او يكون نشاطه الاجتماعى أو السياسى ملفتا للنظر يتم استهدافه بل لدينا معلومات عن قوائم اغتيالات جاهزة للتنفيذ عند بعض الميليشيات.

وعن فرق الاعتقالات والسجون والتى شابهت ما كان يتم فى العهد السابق فيقول أبو محمد أحد وجهاء السنة فى البصرة: "الاعتقال تعسفى وتقوم به الميليشيات باسم الشرطة والقانون، ولكن لا قانون سوى الاستفزاز والاستهداف الطائفى مثلما حدث حين دهمت الشرطة الميليشاوية فى حضور مدير الأمن الداخلى وهو من قوات بدر وجاء حديثا من إيران، عشرة منازل فى مدينة البصرة، واعتقلت

أربعين رجلا من السنة إلى معتقلات غير معلومة، ثم افرج عن بعضهم وتبين أنهم نالوا قسطا وافرا من التعذيب، وهذه الممارسات هدفها اجبار السنة على الرحيل، وترك منازلهم ومحلاتهم للميليشيات والعصابات وللأسف اقتبست بعض الميليشيات الاسلوب الصهيونى فى هدم منازل المستهدفين مثل ما حدث لعائلة الحزبة فى منطقة ابى الخصيب بعد خلاف بينهم وبين جيرانهم من الشيعة، فجاءت الميليشيات وهدمت منازل العائلة السنية لتجبرها نهائيا على ترك الارض، ويتابع ابو محمد قائلا: "انهم كثيرا ما يجعلون من قصة الانتماء للبعث او ايواء ارهابيين حجة للاعتقالات، لكنهم لم يمتنعوا مثلا عن اعتقال الشيخ عدى السعدون وهو امام مسجد ضرير فى الناصرية، ثم تعذيبه مع امام مسجد آخر، وهما لا علاقة لهما بالبعث ولا بالسياسة.

ومن التصفيات التى استهدفت وجهاء السنة قتل شيخ أكبر عشيرة سنية وهو الشيخ على السعدون".

• هيئة علماء المسلمين

وتشمل الخريطة النضالية فى العراق ضد القوات الغازية عدة تنظيمات سياسية وقتالية إسلامية، وتبرز فى الخريطة السنية هيئة دينية مرموقة، هى هيئة علماء المسلمين، كما تبرز تنظيمات سلفية مقاتلة متنوعة، لكن أكثرها حضورا فى الساحة:

- تنظيم قاعدة الجهاد فى بلاد الرافدين بزعامة (أبو مصعب الزرقاوى).
- تنظيم جيش أنصار السنة.
- تنظيمات أخرى تتخذ شعارات إسلامية وإن كانت فى الأصل بعثية وناصرية وأهمها الجيش الإسلامى.

كما هناك حزب سياسى يمثل جماعة (الإخوان المسلمين) هو الحزب الإسلامى الذى قاطع الانتخابات التشريعية فى يناير ٢٠٠٥، وقد شكلت المقاومة الإسلامية بمختلف ألوانها، ومع تفاوتها فى الأساليب والفعالية عنصرا هاما فى الضغط على قوات الاحتلال والقوات والاحزاب العراقية المتعاونة معها بعدما الحقت بها خسائر كبيرة، لذلك لم يكن صدفة أن تتفق هذه القوى على رفض الانتخابات التشريعية التى جرت تحت رماح الاحتلال، وفى ظل دباباته وجنرالاته، رغم اختلاف توجهاتها فى شأن المقاومة العسكرية، ففى حين أن الحزب الإسلامى شارك فى الحكومة المؤقتة، ولم يؤيد العمل العسكرى المناهض لوجود الاحتلال، وتبنى ما يمكن وصفه بالمقاومة السلمية، فإن هيئة علماء المسلمين نادت بالجهاد، وشرعت له، وشاركت فى بعض فعالياته، خاصة التوسط للإفراج عن بعض الرهائن،

وظل قادة الهيئة على علاقة بعناصر فى القيادة السرية للمقاومة بكافة الوان طيفها، كما ادانت مشاركة قوات عراقية متعاونة مع الاحتلال سواء بالجيش أو الشرطة العراقيين فى أى عمل ضد الشعب العراقى وبخاصة فى الفلوجة والموصل وما يطلق عليه المثلث السنى.

وقد تأسست هيئة كبار علماء المسلمين السنة في العراق بعد أسبوع واحد من الاحتلال لتقود المقاومة، وتقف أمام المخطط الخطير الذي حاول أن يحمل أهل السنة أوزار صدام وبعثه، ويستثنيهم من أي دور مستقبلي، حتى في مجلس الحكم الانتقالي مثل الشيعة بـ ١٣ عضواً من أصل ٢٥ عضوا، في حين لم يخصص للسنة سوى أربعة مقاعد مثل الأكراد تماماً...

وتصدى الشيخ الضاري لأكذوبة الأغلبية الشيعية والأقلية السنية، فلا تعداد يقول ذلك، ولا إحصاءات بل محاولات لتهميش السنة ودورهم...

فجاء تشكيل مجلس شورى أهل السنة والجماعة من علماء العراق ليكون حائط الصد عن العراقيين جميعاً، ولأهل السنة في العراق، ويكشف المخططات التي تدبر بليل لبلد عربي مسلم، وصارت هيئة علماء المسلمين المركز الذي يتهافت عليه السفراء وممثلي السفارات الغربية يطلبون الوساطة لفك الرهائن المختطفين..

لكن الهيئة لم يصدر عنها فتوى تحرم انضمام العراقيين إلى الجيش والشرطة والاستخبارات العراقية الجديدة، وبالعكس فقد صدرت تصريحات تجيز للعراقيين الانضمام إلى التشكيلات الجديدة، لكن من دون أن تشارك فى أى عمليات ضد عراقيين مقاومين، الأمر الذى عرض الهيئة لانتقادات عنيفة على لسان منظمات سلفية جهادية، وشهدت مواقع فى شبكة المعلومات (الإنترنت) تراشقا بالبيانات والفتاوى بين الهيئة والمنظمات السلفية الجهادية، خاصة تنظيم قاعدة الجهاد فى بلاد الرافدين بزعامة أبو مصعب الزرقاوى واللافت هو النفوذ الواسع الذى تتمتع به الهيئة فى أوساط المسلمين السنة إلى حد أن عددا كبيرا من جنود الجيش والشرطة العراقيين الجدد استقالوا استجابة لفتاوى الهيئة التى وصفت مشاركة هؤلاء فى عمليات ضد المقاومة بالكبائر لأنها جاءت مع قوات غازية موصوفة بالكفر.

وقد حرمت هيئة علماء المسلمين مشاركة قوات عراقية فى معركة الفلوجة "تحت راية قوات غازية موصوفة بالكفر" معتبرة أنها من "الكبائر المستوجبة لسخط الله.

وقالت الهيئة فى بيان أن "اشتراك قوات عراقية مع قوات غازية موصوفة بالكفر فى اجتياح مدينة أهلها مسلمون كالفلوجة، وغيرها يعد كبيرة من الكبائر المستوجبة لسخط الله والمفضية الى انزال

وعيده فى المشركين وهدر حرمتهم.

وأضافت «نوجه نداء إلى أبناء القوات العراقية من الحرس الوطنى وغيره ومعظمهم مسلمون نطالبهم فيه الحذر من ارتكاب هذا الخطأ الجسيم تحت راية قوات لا تحترم دينا ولا أى مبادئ انسانية».

وأكدت الهيئة "أخطأتم حين شاركتم قوات الاحتلال باجتياح النجف الأشرف وحذارى أن تكرروا الخطأ ذاته فى الفلوجة وتذكروا أن الاحتلال زائل.

وكانت النجف التى تبعد ١٦٠ كيلو مترا جنوب بغداد شهدت معارك ضارية فى "أغسطس" ٢٠٠٤ بين القوات الأميركية بمساعدة القوات العراقية من جهة و"جيش المهدى" التابع للزعيم الشيعى مقتدى الصدر.

وناشدت الهيئة "تقديم العون إلى أهل الفلوجة من نصره وإغاثة وحثت قيادات وعناصر الجيش والحرس الوطنى العراقى على ترك الخدمة، وعدم التعاون مع قوات الاحتلال مهما كانت الاغراءات أو الضغوط المادية والمعيشية، وبناء على ذلك انسحب المئات من العراقيين من الجيش والشرطة استجابة لهيئة علماء المسلمين، وأعلن قائد مسؤول فى الحرس الوطنى العراقى فى منطقة الإسحاقى فى قضاء سامراء "١٢٥ كم شمال بغداد" استقالته من منصبه مع نحو ٣٠ من عناصره تلبية لتحريم "هيئة علماء المسلمين". أبرز هيئة دينية للطائفة السنية، مساعدة القوات الأميركية بعد هجومها الأخير على الفلوجة.

وقال النقيب ضياء على خضير، آمر سرية الحرس الوطنى فى منطقة الإسحاقى استقلت من منصبى مع ٣٠ من عناصر الحرس الوطنى من بينهم ضابطان بسبب تحريم هيئة علماء المسلمين العمل مع القوات الأميركية بعد أحداث الفلوجة" وأضاف: "لن نقوم بأى عمل ابتداء من اليوم بسبب ما تتعرض له مدننا وخصوصا الفلوجة والرمادى والموصل.

يذكر أن نقيبا آخر من الحرس الوطنى استقال مع ٢٠٠ من عناصره أثر عملية واسعة النطاق للقوات الأميركية والعراقية جرت فى أواخر "سبتمبر" ٢٠٠٤ للسيطرة على سامراء أسفرت عن مقتل أكثر من ١٥٠ شخصا.

وكانت هيئة علماء المسلمين قد حرمت الهجوم على الفلوجة تحت راية قوات غازية موصوفة بالكفر". معتبرة أنها من "الكبائر المستوجبة لسخط الله.

وفى رد فعل على مواقف علماء هيئة المسلمين قامت قوات الاحتلال الاميركية المتعاونون معها

باعتقال واغتيال عدد من قيادات الهيئة.

واتهم عبد السلام الكبيسى. الرجل الثانى فى "هيئة علماء المسلمين الزعيمين الكرديين جلال طالبانى ومسعود بارزانى بالافتراء على الهيئة ومواقفها وقياداتها.

وقال لـ "الحياة" إن "طالبانى مراوغ وبارزانى استعان بصدام حسين لضرب الأكراد فى السليمانية.

وأضاف "أتحدى الرجلين أن يكشفا عن ملفاتهما وملفات رجالات الهيئة ليعلم العراقيون من كان بينهم من انصار النظام السابق ومن هو ضده. وشدد على ان هيئة علماء المسلمين "كانت على صراع مرير مع نظام صدام والكثير من قيادتها زج بهم فى السجون.

وانتقد الكبيسى تصريحات رئيس الحكومة أياد علاوى السابق ووزير العدل مالك دوهان الحسن لتحميلهما المسلحين فى الفلوجة بالمسئولية عن الدمار والقتل اللذين تعرضت لهما المدينة متهما قوات الاحتلال والقوى العراقية التى اتت بها الى البلاد مسئولية الدمار الذى يصيب المدن العراقية.

واعتبر الكبيسى أنه لولا انبثاق المقاومة العراقية لما قرر الأميركيون إنشاء مجلس حكم وتسليم السلطة إلى حكومة عراقية مؤقتة وقال ان المقاومين ساهموا فى تغيير الكثير من خطط القوات الاميركية فى العراق ورأى أن المصلحة الإستراتيجية للاميركيين تقتضى تدمير كل جماعات المقاومة العراقية ليتسنى لهم البقاء فى العراق اطول وقت ممكن.

ودافع الكبيسى عن قرار "هيئة علماء المسلمين الرافض المشاركة فى الانتخابات وقال إن الأميركيين لن يسمحوا بوصول أى جهة عراقية معارضة لهم إلى السلطة.

وأضاف: (إذا ضمن الشيعة غالبية مقاعد البرلمان، فيجب أن يقدروا تضحيات السنة العرب ضد الأميركيين، فالمقاومة كانت وراء الضغط على الأميركيين لإنشاء مجلس حكم ثم حكومة عراقية وتنظيم الانتخابات) وأكد الكبيسى انه (لو لم تكن المقاومة السنية موجودة لكان الموقف الأميركى مختلفا فى التعامل مع مجمل القضايا) وأشار إلى ان الهيئة ادارت اتصالات مع القوى السياسية الشيعية الرافضة للاحتلال وفى مقدمتها تيار مقتدى الصدر وجماعة جواد الخالصى وتيار احمد البغدادى، ومحمود الحسينى فى النجف، وقال ان هناك بلورة لجبهة سياسية تتشكل على قاعدة رفض الاحتلال، والعمل من أجل انسحاب القوات الاجنبية.

وربما من هنا جاءت عمليات اعتقال واغتيال علماء الهيئة الواحد تلو الآخر فقد لقى الشيخ موفق الدورى عضو هيئة علماء المسلمين بالعراق مصرعه بنيران أحد الجنود الأمريكيين أثناء مداهمتهم لمنزله فى حى العامرية غربى العاصمة العراقية بغداد وذكرت قناة الجزيرة الفضائية أن الحادث وقع

قبل توجه الشيخ موفق لأداء خطبة الجمعة فى جامع "أبو بكر الصديق" فى منطقة الرضوانية جنوبى بغداد.

ويعد الشيخ موفق الدورى هو واحد من ثلاثين قياديا فى هيئة علماء المسلمين تعرضوا للاغتيال أو الاعتداء البدنى المباشر، فضلا عن مسلسل اعتقال شيوخ بارزين فى الهيئة على يد القوات الأميركية، ويذكر أن جنود الحرس الوطنى العراقى رفضوا اكثر من مرة المشاركة فى حملات اعتقال ودهم واغتيال لشيوخ السنة واعتبروا ذلك من المحرمات.

إلى ذلك أكدت "هيئة علماء المسلمين" أن القوات الأميركية اعتقلت أحد أعضائها فى منطقة الفلوجة وأوضح الشيخ حسن العانى من المكتب الإعلامى للهيئة.

"إن القوات الأميركية داهمت منزل الشيخ شوكت العانى إمام وخطيب الجامع الكبير فى عامرية الفلوجة "جنوب الفلوجة" ويقع ضمن ساحة المسجد واعتقلته".

● من هو حارث الضاري؟

الشيخ حارث بن سليمان الضارى...

اختارته الهيئة التأسيسية لأهل السنة والجماعة فى العراق فى ٢٥ ديسمبر ٢٠٠٣م رئيساً لها وهو العالم العابد، وأمينا على أهل العراق، فى مرحلة لا " أمانة" ولا " شرف" ولكن " نصب" و" دجل" و" سرقة" واحتراف، من " صدام" وابنيه " قصى وعدى"إلى " جلبى" الذى جاء على دبابة الغزاة ليكون واجهة للمحتل، ولم لا واسمه " احمد"- وكم من الأسماء ممن يحملونها- وهو "الشلبى" أو "الجلبى" الذى جلبه المحتل، وجبل" على الرضاعة من ثدى الغزاة..!!

الضارى ابن منطقة " الشيخ الضارى"، ورضع حليب النوق، وتغذى على تمر العراق، وقربه من بغداد، نهل العلم على أيدى العلماء الثقات، والفقهاء الربانيين، والمفكرين الملتزمين، الذين لم يجدوا مكانا لهم بأرض العراق، فى زمن " بعث النفاق"، فمنهم من آثر الصمت والانزواء والتخندق فى بيوت الله، يعض على دينه بالنواجذ، ومنهم من هرب خارج البلاد طلباً للعلم والرزق أو بعيداً عن مخاطر الجلاد..

وسلطان علماء العراق، أو "الحارث الضارى" من مواليد " حمضاى" بمنطقة (أبو غريب)، إحدى ضواحى العاصمة العراقية، فى عام ١٩٤١م، بداياته كبداية أى عالم فى مدارس تحفيظ القرآن الكريم، حيث حفظ كتاب الله منذ نعومة أظفاره، ليعطيه الدفعة والمنعة، ثم انتقل إلى التعليم الأولى وأنهى المرحلتين الأولية ثم المتوسطة، وأتم فى (أبو غريب) المرحلة الثانوية، ليكون الأزهر الشريف بمصر

وجهته، فالتحق بالجامعة الأزهرية ويعيش فى حى الحسين العتيق، ويواكب مرحلة المد القومى الناصرى فى مصر..

ولكن «لم يتأثر بهذه الحركات الوافدة، ولا الزعامات الزائفة»، كان الدين همه الأول، وتحصيل العلم الشرعى على يد العلماء شغفه، وحصل على شهادة الإجازة «الليسانس» العالية من كلية أصول الدين فى الحديث والتفسير، والتحق بالدراسات العليا، لينال درجة الماجستير فى التفسير عام ١٩٦٩م، وينتقل إلى شعبة الحديث ليحصل على درجة ماجستير أخرى فى علوم الحديث، وليتم الدكتوراه فى الحديث عام ١٩٧٨م.

خمسة عشر عاماً قضاها فى رحاب الأزهر الجامع والجامعة، بين العلماء والمحدثين والفقهاء راقب التحولات فى مصر، ومسلسل الانقلابات فى العراق خلال عقد الستينيات حتى استقر بالبعث العراقى حاكما، وبـ "صدام" وشاهد أوضاع أمته من نكسة ١٩٦٧م، وحريق الأقصى فى ١٩٦٩م وميلاد منظمة المؤتمر الإسلامى وحرب أكتوبر ١٩٧٣م، والانفتاح الاقتصادى والاهتزاز السياسى، والغزو الثقافى، وكيف انقلب " العدو" إلى "صديق" بزيارة الرئيس السادات للقدس، وانتقال الجامعة العربية من "القاهرة" إلى " تونس"، وعبارات "التخوين" و" التشكيك"، ومسلسل الأزمات الذى دخلت فيه الأمة ولم تخرج منه..

عاد الشيخ الضارى إلى العراق، ليعمل مفتشاً فى الأوقاف، ثم ينتقل إلى جامعة بغداد بوظيفة معيد ثم مدرس، ويترقى فى الدرجات العلمية من " أستاذ مساعد" إلى "أستاذ" ٣٢ عاما قضاها فى رحاب الجامعة مدرساً ومعلماً ومربياً ومفكراً وداعية إلى الله بالحسنى، فى ظل نظام لا يعرف لا الدعوة ولا الحسنى، بل الحروب والنزاعات والمشانق والمعتقلات والسجون..

وبعد إحالته إلى التقاعد عمل فى عدة جامعات عربية منها جامعة اليرموك فى الأردن، وجامعة عجمان فى الإمارات العربية المتحدة، وكلية الدراسات الإسلامية والعربية فى دبى..

وفي يوليو ٢٠٠٣م بعد احتلال بلاده من قبل الغزاة، كان لابن الضاري قرار العودة ليكون على أرض الرافدين، ليقود حركة العلماء، صامداً مع الصامدين، مبشراً بالنصر مع المجاهدين، وهو ابن القبيلة، وسليل العائلة المعروفة بوظبتها وجهادها وعلمها وقوتها، فهو رئيس قبيلة زوبع إحدى قبائل شمر العربية العريقة..

• من على منبر المساجد

وفي الزمن الصعب يُعرف الرجال، وتشهد المواقف شهامة الأبطال، وقد كان الشيخ حارث الضاري

أحد هؤلاء، فمن على منابر المساجد بدأت خطبه تصدع بالحق، ويبين الشرع، ويفاصل بين " المقاومة" المشروعة المفروضة من الله، دفاعا عن الأرض والعرض، و" الغزاة" الذين جاءوا لنهب خيرات البلاد والسيطرة على ثروات أبناء الفرات، وتقسيم البلد الواحد إلى دويلات..

ناصب "الطابور الخامس" من أعضاء مجلس الحكم الانتقالي العداء، لأنهم أدوات في يد الاحتلال، يحتفلون بيوم" الاحتلال"، بل أرادوه عيداً لهم، فنادى الضاري بأن يكون هذا اليوم " يوم حزن" في العراق كله، فهل يفرح مواطن شريف يوم احتلال أرضه وداره.. وقال: الذين يفرحون بالاحتلال لا يمثلون الشعب العراقي، أنما يتبعون إرادة الغزاة..

الضاري.... رجل يحمل إرث مقاومة وجهاد، جده لأبيه الشيخ سليمان بن الشيخ ضاري الحمود، أبرز قادة ثورة العشرين في العراق، الرجل الذي قطع مع رجاله خط الإمداد عبر الفرات للقوات البريطانية، وأوقعها تحت الحصار، وتولى تمويل الثورة بالرجال والسلاح والمؤونة، وقد انتقم الإنجليز من الشيخ ورجاله، فاعتقلو معظم رجال القبيلة، وحاصروها اقتصاديا، وعندما صدر عفو عن رجال الثورة العشرين في عام ١٩٢٧م استثنى الجد من هذا العفو، ومات وهو في المعتقل عام ١٩٢٨م ، وكانت جنازته مهيبة، ويوماً مشهودا في تاريخ العراق..

وها هو الحفيد الشيخ سليمان الضاري يعيد مسيرة الجد بجهاده ضد المحتل الأنجلو- أمريكي، الذي يحاول الانتقام من قبيلته وعشيرته بقصف المناطق السنية...

• موقف الهيئة من المقاومة

وقد حاورته صحيفة «البيان» الإماراتية، ونعرض هنا جزءا من أقواله:

البيان: انضم بعض رموز العمل الإسلامي السنّي إلى مجلس الحكم في العراق، وهو معيّن من المحتلين؛ فهل هناك تنسيق معهم، أو أن الأمر اجتهاد منهم، حتى لا تسيطر طائفة بعينها على البلد في غيبة أهل السنة؟ وما رأيكم أنتم في ذلك؟

دخول إخواننا في الحزب الإسلامي إلى ما يسمى بـ «الحكم الانتقالي» كان أمراً اجتهادياً منهم؛ رغبة في أن يسهموا في خدمة هذا البلد، وأن يشاركوا غيرهم في جلب ما يمكن جلبه من فوائد لأهل السنَّة، ونحن على صلة دائمة بهم، وإن كنا قد عارضناهم في هذا الدخول، إلا أن المعارضة أو الخلاف - كما يقولون - لا يفسد للودّ قضية، بل نعتبر عملهم مكملاً لعملنا، وعملنا مكملاً لعملهم إن شاء الله.

البيان: الاحتلال الأمريكي للعراق - من خلال ما نشر وأذيع - يبدو أنه يريد البقاء أطول فترة ممكنة؛ لترسيخ أهدافه المرسومة تجاه العراق، حيث يعمل على أن يكون مركزاً وقاعدة ينطلق منها في

المنطقة، لكنه فوجئ بمقاومة يتعرض لها يومياً جعلته يطالب بتدويل الاحتلال، فهل تتوقعون طول إقامته أم أنه سوف يشد الرحال أمام ضربات المقاومة؟

توقعى أن الاحتلال سيشد الرحال ويرحل عن بلدنا إن عاجلاً أو آجلاً؛ لأن الشعب العراقى كغيره من شعوب العالم لا يقبل أن يُحتل بلده، وأن تداس كرامته، وأن تلغى سيادته من قِبَل أعداء محتلين ساقتهم أطماعهم وأحقادهم إلى احتلال هذا البلد، ويقينى أن هذا الاحتلال سيرحل - وإن طال مكثه - فى النهاية إن شاء الله تعالى.

البيان: فضيلة الشيخ، ما هو تقويمكم للمقاومة القائمة فى العراق ضد المحتلين؛ أهى ذات اتجاهات إسلامية محددة، أم أنها من فلول الحكم البائد، أم أنها ردود أفعال المواطنين حيال الجبروت الأمريكى ضدهم؟

المقاومة هى رد طبيعى من الشعب العراقى على من احتل أرضه، وهى خليط مما ذكرت؛ من فلول النظام، وردود أفعال.. وغير ذلك، إلا أن الغالب فيها كما يبدو هو التوجه الإسلامى والوطنى، وهذا فى تقديرى هو الدافع لجميع فئات المقاومة.

المقاومة السلمية:

• الحزب الإسلامى العراقى

حزب إسلامى (سنى) تأسس العام ١٩٦٠ على يد الدكتور نعمان السامرائى مع تسعة من زملائه يمثلون مناطق عدة من العراق، ويؤمن الحزب بتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية على مستوى الفرد والدولة، وينظر باحترام إلى جميع الطوائف والقوميات، ويعتبره المراقبون تجسيدا لفكر جماعة الإخوان المسلمين (ذات النشأة المصرية) فى العراق.

ويؤمن الحزب بأن العراق جزء من الأمة العربية التى يجب أن تتوحد على أسس المبادئ الإسلامية لتكون نواة الدولة الإسلامية الشاملة، كما جاء فى أدبيات الحزب (المادة ٣٥)، ويعتبر من ابرز التنظيمات الإسلامية السنية على الساحة العراقية، وقد تعرض بعض كوادره للسجن لمدة ستة شهور فى عهد عبد الكريم القاسم، واضطهد وقمع من قبل نظام حزب البعث، حيث تم إعدام عدد من أبرز قادة الحزب وأنصاره أمثال عبد العزيز البدرى وشقيقه عام ١٩٦٨، وكذلك عبد الستار العبوسى وعبد الغنى شنداله وناظم العاصى احد مشايخ عشيرة العبيد.

وكان الحزب جمد نشاطه التنظيمى عام ١٩٧٩ ثم عاد للنشاط فى العام ٢٠٠١ وقد شارك فى العملية السياسية بعد الاحتلال من خلال أمينه العام الدكتور محسن عبد الحميد الذى تولى منصب

رئيس مجلس الحكم الانتقالى لمدة شهر، كما شارك فى الحكومة المؤقتة قبل أن يجمد عضويته فيها احتجاجا على قيام القوات الأميركية بشن حرب إبادة ضد أهالى مدنية الفلوجة. وتعرض الدكتور محسن عبدالحميد إلى اعتقال لمدة نصف يوم بعدما داهمت قوات أميركية منزله فى الفجر، واقتادوه وأولاده وضيوفه إلى احد المعتقلات ثم عادت القوات الأميركية واعتذرت له بدعوى أن اعتقاله جاء على سبيل الخطأ وهو ما لم يقبله عبدالحميد.

ويصدر الحزب صحيفة ناطقة بلسانه، كما يمتلك إذاعة محلية تحملان اسم (دار السلام)، ويتركز أنصاره فى المناطق ذات الكثافة السنية مثل الأعظمية، سامراء، الأنبار، الموصل وغيرها.

وقد قاطع الحزب الإسلامى الانتخابات التشريعية التى جرت فى ٣٠ يناير ٢٠٠٥ بعدما كان طالب بتأجيلها حتى تتوفر الشروط الملائمة لإجرائها، ولاسيما توفر استقرار أمنى، وجاءت مقاطعة الحزب للانتخابات ضربة قاسية لإدارة الاحتلال وعملائه، إذ- بذلك- غاب قطاع هام من الشعب العربى هو السنة، واقتصرت الانتخابات على المناطق الشيعية والكردية وممثليهم، ما حرم الغازى من غطاء سياسى سنى فى الانتخابات التشريعية التى باتت ناقصة وفاقدة للمشرعية.

وكان الحزب الإسلامى العراقى "الإخوان المسلمون" أعلن انسحابه من الحكومة بسبب الهجوم على الفلوجة لكن ممثله فى الحكومة. وزير الصناعة حاجم الحسينى (صار رئيسا للبرلمان مكافأة له).

رفض ذلك، وقرر البقاء داخل التشكيلة الحكومية، وأفاد بيان صدر عن المكتب السياسى للحزب أن "الدكتور حاجم الحسينى لم تعد له أى علاقة بالحزب الإسلامى ولم يعد ممثلا له فى الوزارة.

وقال الوزير الحسينى أن "الحزب الإسلامى" اتخذ قرارا بالانسحاب من الحكومة بسبب الهجوم العسكرى على الفلوجة، لكننى لا أشاركه الرأى، وقررت تعليق عضويتى فى الحزب والبقاء فى الحكومة.

واضاف: من المهم الاستمرار فى المشاركة الحكومية فى هذه الظروف والانسحاب لا يخدم مصالح الشعب العراقى.

وقال محسن عبد الحميد المسئول البارز فى الحزب الإسلامى عضو المجلس الوطنى العراقى:

إن الحزب قرر الانسحاب من الحكومة احتجاجا على الهجوم على الفلوجة الذى أودى بحياة المدنيين مضيفا أن "الحزب حذر الحكومة مرات عدة من استخدام السياسات العنيفة ضد المدن التى تسيطر عليها المقاومة، إن الحزب أوضح موقفه فى ما يتعلق بسامراء والفلوجة لكن لا يمكنه تحمل مسئوولية هذه السياسات أكثر من ذلك.

وكانت عقدة التمثيل السنى فى الانتخابات التشريعية فى العراق شهدت اتجاها آخر مع إعلان "الحزب الاسلامى العراقى" انسحابه من الانتخابات وارتفاع أصوات ترفض صيغا خارج "المعادلة الديمقراطية لإنصاف السنة العرب".

ورد رئيس الحزب محسن عبد الحميد القرار إلى "تدهور" الأوضاع الأمنية وعدم ملاءمة الأجواء العامة فى البلاد لإجرائها وامتناع الحكومة العراقية عن الإجابة على الأسئلة التى طرحها الحزب بشأن العملية السياسية.

وقال عبد الحميد: "اعلنا الانسحاب لا المقاطعة، نحن لا ندعو بقية الأطراف إلى المقاطعة او الانسحاب لكننا نأمل من الجميع أن يدرسوا موقفنا لاتخاذ موقف موحد من أجل وحدة العراق ومصلحة العراقيين.

وانتقد عبد الحميد التقارير التى تحدثت عن احتمال إعطاء نسبة معينة من الأصوات للسنة فى حالة مقاطعتهم الانتخابات فى مناطق معينة، وقال:

"نحن نعلم بالسيناريوهات التى يمكن أن تحاك لكن الشعب العراقى وكل الأطراف التى رفضت المشاركة واعية لما حدث ولن تسمح بتمرير أى مشروع يمكن أن يمس الشعب العراقى" مؤكدا أن "الانتخابات لن تكون شاملة إلا إذا شملت كل محافظات العراق.

لا يمكن أن يناب عن محافظات معينة بانتخاب أشخاص معينين، وقال الأمين العام للحزب طارق الهاشمى لـ "الحياة" إن الحزب وجد من الضرورى إعلان موقفه النهائى بعدما طالب الحكومة العراقية مرات عدة بضرورة تأجيلها.

وإن انسحابه منها لا يعنى ترك العمل فى الساحة السياسية" وأوضح أن الحزب لا يمانع فى الاشتراك فى الانتخابات مستقبلا فى حال توافر الظروف الملائمة بعد استقرار البلاد.

- **المقاومة الكردية ضد المحتل**

قال "جيش أنصار السنة" بالعراق -الذى أعلن مؤخرا عن تنفيذه مئات الهجمات المسلحة ضد قوات الاحتلال الأمريكى فى هذا البلد: "إن العد التنازلى لهزيمة الأمريكان فى العراق قد بدأ"، وبشر "أنصار السنة العالم أجمع بتحقيق النصر فى القريب العاجل".

وأشار أبو عبد الله الحسن بن محمود الذى عرف نفسه على أنه "أمير جيش أنصار السنة بالعراق" فى بيان وزع عن طريق "المرصد الإعلامى" فى لندن ٢٨-٢-٢٠٠٤ إلى أن القوات الأمريكية "انسحبت فى الآونة الأخيرة من كثير من مواقعها الحصينة، بهدف تقليل الخسائر وسد النقص فى عدد الجنود والوحدات".

وشدد "أمير" الجيش على أن القتال الدائر فى محافظات أهل السنة بالعراق، إنما هو "جهاد فى سبيل الله تعالى"، وعلى أن جيش أنصار السنة استند فى قتاله للأمريكان على "فتوى علماء المسلمين" التى تؤكد على "أن الكفار إذا دخلوا بلاد الإسلام، فإن القتال يكون فرضا على تلك البلاد، وتتسع دائرته إن لم يستطع أهل تلك البلدة دفع ذلك الكافر".

واتهم البيان الإعلام الأمريكى والبريطانى بـ"الكذب"، مشيرا إلى أنهم "حاولوا جهدهم إبعاد اسم الإسلام والجهاد عن المقاومة، إلا أن استمرار تلك المقاومة الجهادية على مدى شهور وكونها فى تنام مستمر، حمل بوش على الاعتراف بأن القبض على صدام حسين (فى ديسمبر ٢٠٠٣) لا يعنى نهاية المقاومة".

• زيارة بوش السرية

وأكد أبو عبد الله أنهم يواجهون القوات الأمريكية بـ"أعداد قليلة وعتاد بسيط"، متهما الجنود الأمريكيين فى المقابل بـ"الضعف والجبن والتخاذل".

وأشار فى هذا الصدد إلى أن جيش "أنصار السنة" استطاع " إجبار الرئيس الأمريكى جورج بوش على زيارة العراق سرا (يوم ٢٧-١١-٢٠٠٣) والالتقاء بجنوده متخفيا، والخروج من العراق متخفيا، لعلمه أن الجيش الذى لا يستطيع حماية نفسه لا يستطيع حماية رئيسه"، بحسب نص البيان.

• حقيقة الجيش الأميركى

قال البيان بأن "واقع الجيش الأمريكى يخالف الصورة التى يرسمها له الإعلام المزيف"، مضيفا أن "مشاهداتنا العملية ومشاهدات الناس تقول إنه جيش يستمد وجوده من الإعلام أكثر من التقنيات العسكرية"، كما وصفه بالجيش الـ"كارتونى الذى يجيد أفراده البكاء أكثر من إجادتهم القتال".

وهاجم البيان أعضاء مجلس الحكم الانتقالى العراقى والأحزاب التى "ارتضت العمل فى ظل الاحتلال"، كما هاجم الشيعة متهما إياهم "بعدم إطلاق رصاصة واحدة ضد الاحتلال حتى الآن". وناشد البيان خطباء المساجد أن "يصدعوا بكلمة الحق فى وجه الاحتلال ويطالبوا الناس بالقتال ضد الأمريكان ومن عاونهم من أهل البلاد".

• من هو جيش أنصار السنة؟

كان "جيش أنصار السنة" قد أعلن عن تأسيسه فى ٢٠-٩-٢٠٠٣ عبر بيان ويعتقد خبراء أميركيون أنه يضم بين ٣ إلى ٤ آلاف مقاتل معظمهم من أكراد العراق وهم تنظيم منشق عن منظمة أنصار الإسلام.

وذكرت صحيفة "هاولاتى" الكردية المستقلة يوم ١١-٢-٢٠٠٤ أن مجموعة "أنصار السنة" انشقت بقيادة أبو عبد الله حسن بن محمود عن جماعة "أنصار الإسلام" الكردية التى تتهمها أمريكا بالتعاون مع تنظيم "القاعدة" ، واصفة أنصار السنة بأنها "أكثر تطرفا" من "أنصار الإسلام".

وجاء فى البيان التأسيسى أن "الجهاد الذى رفع لواءه أهلُ السنة والجماعة فى العراق أصبح فرض عين على كل مسلم بعد أن صال العدو الكافر فى أرض الإسلام" فى إشارة منه إلى الاحتلال الأنجلو-أمريكى.

وكان بيان التأسيس حمل أيضا عددا من الفتاوى شملت "تحريم" العمل فى أى مؤسسات يديرها الاحتلال بما فى ذلك الشرطة والجيش، معتبرا أن من "يلتحق بالعمل مع الاحتلال فى حكم المرتد عن الإسلام بما فى ذلك العمل لأغراض الترجمة أو تقديم الخدمات المباشرة أو غير المباشرة".

- **إعلان عن عمليات عسكرية**

وقام "جيش أنصار السنة" ٢٦-٢-٢٠٠٤ بتوزيع أسطوانة مدمجة بثتها قناة "إل بى بى سى" اللبنانية أعلن فيها مسئوليته عن تنفيذ ٢٨٥ عملية وقتل أكثر من ألف جندى أمريكى، وأشار إلى أن عناصره استطاعوا -حتى ذلك التاريخ- تدمير ١٣٩ سيارة من طراز "هامر" و١١ ناقلة جنود، و١٥ مدرعة، و١٥ دبابة أمريكية، وإسقاط ٤١ طائرة مروحية أمريكية.

ولم تؤكد سلطات الاحتلال الأمريكى هذه المعلومات، إلا أنها تتهم بشكل منتظم "مقاتلين أجانب"، بينهم عناصر من تنظيم "القاعدة"، بالإضافة إلى عناصر من النظام البعثى السابق فى العراق بالوقوف وراء الهجمات ضد الاحتلال.

وأوضح جيش أنصار السنة أن تلك العمليات تمت خلال الفترة من ١-٥-٢٠٠٣، تاريخ انتهاء العمليات الأساسية فى العراق بحسب واشنطن، إلى ٢/١/٢٠٠٤.

كما أعلنت مجموعة "أنصار السنة" التى تشتبه واشنطن فى علاقتها بتنظيم القاعدة عبر شبكة الإنترنت تبنيها الهجوم المزدوج فى الأول من فبراير ٢٠٠٤ الذى استهدف مقرى الاتحاد الوطنى الكردستانى والحزب الديمقراطى الكردستانى فى أربيل وأسفر عن مقتل ١٠٥ أشخاص وإصابة المئات بجروح ووصفته المجموعة بـ «غزوة اربيل» المباركة.

- **غزوة الموصل:**

غير أن أكثر عمليات المجموعة نجاحا هى اقتحام أحد الاستشهاديين قاعدة أميركية فى الموصل، وتمكن من الوصول إلى قاعة الطعام وفجر نفسه فيها وأسفر عن مقتل اكثر من ٢٤ شخصا وجرح ما

يزيد على ٦٠ آخرين بينهم جنود أميركيون وعراقيون ومقاولون من شركة «هاليبرتون» واعتبر البيت الأبيض العملية دليل «يأس» المقاتلين «أعداء الحرية».

وجاءت عملية الموصل بعد يوم واحد من تصريح بوش بأن الأميركيين بدأوا يتساءلون إذا بامكان العراقيين تسلم زمام الأمور فى بلادهم. وفيما يستعد لزيارة أسر جرحى الحرب لمناسبة عيد الميلاد.

وكان «جيش أنصار السنة» تبنى الهجوم على القاعدة.

وجاء فى بيان للجماعة بثته على الإنترنت أنها شنت عملية انتحارية موضحة أن «الله منَّ على المجاهدين بأحداث مقتلة كبيرة فى صفوف الأميركيين الصليبيين بعملية استشهادية قام به أحد مجاهدى جيش أنصار السنة فى مطعم لقوات الاحتلال الكفرة فى معسكر الغزلانى فى الموصل».

وقال الناطق باسم البيت الأبيض سكوت مكليلان فيما نمضى قدما فى مساعدة الشعب العراقى على بناء مستقبل حر وديموقراطى يسعى أعداء الحرية لاخراج هذا التحول عن مساره.

ومن المهم أن نستمر فى ملاحقة أنصار صدام والإرهابيين الذين يريدون الرجوع إلى الماضى.

وأضاف «سيهزمون إنهم يهزمون» وأدلى مكليلان بهذه التصريحات عقب ورود الأنباء عن وقوع هجوم على القاعدة الأمريكية فى الموصل وقبل أن ترد أرقام الضحايا التى بلغت أكثر من ٢٤ قتيلا و٦٠ جريحا لكن مسؤولا فى وزارة الدفاع الأميركية «البنتاغون» قال إن الهجوم كان بالصواريخ وقذائف الهاون على القاعدة.

مؤكدا مقتل أكثر من ٢٤ شخصا واصابة ٦٠ وأضاف المسئول الذى طلب عدم الافصاح عن اسمه انه لم يعرف عدد الأميركيين بين القتلى والجرحى فى الهجوم.

وبث شبكة «سى. إن. إن» الأخبارية أن القذائف أصابت قاعة الطعام فى القاعدة والتى كانت مزدحمة فى وقت الغداء.

وكانت جماعة جيش أنصار السنة العراقية عرضت شريط فيديو عن تفجير معسكر الجيش الأمريكى فى الموصل الذى أودى بحياة ٢٤ شخصا وذكرت الجماعة أن منفذ التفجيرات هو الاستشهادى أبو عمر الموصلى.

وأظهر الشريط الذى عرض على موقع الجماعة على الإنترنت ما يبدو أنه الانفجار الذى وقع بقاعة الطعام بالمعسكر وفى لقطة تالية التقطت فيما يبدو من سيارة تسير بمحاذاة أسوار القاعدة ظهرت الخيمة الممزقة التى كانت تضم قاعة الطعام.

وعرض الشريط التخطيط للهجوم على خريطة للقاعدة موضحا عليها موقع قاعة الطعام بينما راح

أحد أفراد الجماعة يشير إلى مناطق مختلفة بسكين.

وظهر المهاجم الملثم يعانق غيره من أعضاء قبل أن ينطلق لتنفيذ المهمة فى الوقت الذى أنطلق فيه صوت يدعوالله أن يتقبله مع الشهداء.

ويشير اسم المفجر الذى يرجح أن يكون اسما حركيا إلى أنه من سكان الموصل نفسها.

وجاء فى بيان تلاه رجل ملثم أن الانفجار الذى قتل ١٨ أمريكيا يهدف إلى بث الخوف فى قلوب الصليبيين وأذنابهم المرتدين.

وأوضح المتحدث الذى كان يقرأ بيانا فى الفيديو أن منفذ الهجوم تسلل إلى القاعدة عبر سياج المعسكر من احدى الثغرات مستغلاً فترة تبادل غفرات الحراسة بعد أن أمن مراقبة هذه الغفرات لفترة طويلة.

وقال الجنرال الأمريكى كارتر هام مسئول قوات التحالف فى الموصل أن الهجوم الذى أصيب فيه أيضا ٧٢ شخصا بينهم ٥١ جنديا أمريكيا نفذه رجل تنكر فى زى عسكرى عراقى.

وعن عملية جديدة نقرأ أيضا هذا النبأ:

١٢ عنصراً من «أنصار الإسلام» و«أنصار السنة» نفذوا عمليات انتحارية، الحياة الأحد ٢٠٠٥/١/٣٠

عرضت محطة تلفزيون «كردستانى تى فى التابعة للحزب» الديموقراطى الكردستانى» بزعامة مسعود بارزانى اعترافات ١٢ عنصرا من جماعتى «انصار الاسلام» و«انصار السنة» كانت قوات الأمن الكردية أوقفتهم فى وقت سابق، وأفادت المحطة خلال برنامج استغرق زهاء ساعة إن هؤلاء يمثلون شبكات إرهابية نفذت كل العمليات فى مدينتى أربيل ٣٥٠ كلم شمال بغداد ودهوك ٤٥٠ كلم شمال بغداد.

وأوضحت أن بين هذه العمليات الانفجارين الدمويين فى مكتبى الحزب الديموقراطى الكردستانى والاتحاد الوطنى الكردستانى فى اول ايام عيد الأضحى فى الاول من فبراير ٢٠٠٤ وسقط فيهما اكثر من مائة قتيل بينهم عدد من القياديين البارزين فى الحزبين وأضاف التليفزيون:

إن هؤلاء يقفون أيضا وراء عملية تفجير مقر القوات الأميركية فى حى شورش وسط أربيل بسيارة مفخخة صيف عام ٢٠٠٣ والعملية التى استهدفت وزارة الداخلية فى حكومة الأقاليم فى خريف ٢٠٠٣ بسيارة مفخخة والمحاولتين الفاشلتين لاغتيال محافظ دهوك تيجرفان أحمد».

كما أنهم يقفون وراء الاعتداء الذى استهدف محمود محمد مسؤول الفرع الثانى للحزب

الديموقراطى الكردستانى فى أربيل صيف ٢٠٠٤ والاعتداد الذى استهدف محاكمة امين النجار مسئول الفرع ١٦ للحزب الديموقراطى الكردستانى فى ١٢ ديسمبر ٢٠٠٤.

وأكدت مصادر إعلامية كردية أن عناصر «جيش أنصار السنة» فى معظمهم من الأكراد، وان عملياتهم استهدفت مقرات الحزبين الكرديين المشاركين فى السلطة بعد احتلال العراق، فضلا عن عملياتهم ضد القوات الأميركية ومعسكرات تدريب القوات العراقية، وان عناصر هذه المنظمة من السلفيين الأكراد المتشددين والجهاديين وان هناك عناصر عربية ودولية تشارك فى عملياته المسلحة.

• الجماعات الإسلامية الجهادية

جماعة الزرقاوى واحدة من مجموعات عديدة تقود «جهاداً» فى العراق، وهناك تقديرات بأن عدد هذه الجماعات يتجاوز العشرين، وبعضها صغير جداً، وينشط فى نطاق ضيق، لكن ابرزها ينحصر فى ثلاث جماعة الزرقاوى وكانت تطلق على نفسها اسم «التوحيد والجهاد» قبل أن تتحول إلى «القاعدة فى بلاد الرافدين» وتحصل على مباركة الشيخ أسامة بن لادن فى العام ٢٠٠٤، وجماعة أنصار السنة وجماعة الجيش الإسلامى فى العراق، وفى حين تشترك القاعدة وأنصار السنة فى أسلوب تنفيذ الهجمات، وتحديداً من خلال السيارات المفخخة التى يقودها انتحاريون، وعمليات خطف الرهائن وعرض عمليات قتلهم فى اشرطة فيديو تبث عبر الإنترنت، فإن «الجيش الإسلامى» يختلف عنهما اختلافا شبه جذرى، إذ أن عملياته لا تبدو عشوائية، بل مخططة، ولا يستخدم اسلوب السيارات المفخخة، كما انه عندما يخطف رهينة أجنبية لا يلجأ إلى مجرد قتل الضحية، بل يفاوض لفترات طويلة - تصل أحيانا إلى شهور - للوصول الى تحقيق مطالبه، أو حتى اثبات موقف أو توجيه «رسالة» ويعتقد على نطاق واسع أن «الجيش الاسلامى» هو نتاج النظام العراقى السابق الذى انشأ خلايا اسلامية منذ «حملة الايمان» فى السنوات الاخيرة لحكم صدام.

وفى المقابل، يعتقد أن تشابه أسلوب جماعتى «القاعدة» و«انصار السنة» مرده إلى تبنيهما الفكر السلفى - الجهادى نفسه، كونهما نشأ فى بيئة واحدة هى بيئة «أنصار الاسلام» فى كردستان العراق فى بداية الألفية الجديدة، لكن فى حين كانت جماعة الزرقاوى «ضيفا» عند «أنصار الاسلام» كون غالبية عناصرها من العرب الوافدين من أفغانستان أو الفارين من دول الجوار فإن الثانية «أنصار السنة» تعتبر نفسها «صاحبة الأرض» كونها عراقية فى المقام الأول و«الوريث» لـ «أنصار الإسلام» التى انشقت على نفسها بعد الضربة الأميركية لقواعدها فى كردستان عام ٢٠٠٣ وفى حين التحق القسم الأكبر من عناصر «أنصار الإسلام» بـ «أنصار السنة» بعد الانشقاق، فإن قسما آخر التحق بالزرقاوى،

لكن الاعتماد الأكبر للأخير بقى على العرب من غير العراقيين، وهو ما يظهر بوضوح من هوية «الانتحاريين» الذين نفذوا عمليات «القاعدة فى بلاد الرافدين».

لقد تنوعت التكهنات حول تحركات الزرقاوى بل وتعددت مصادر المعلومات حول صحته، وفى نهاية مايو ٢٠٠٥ انتشرت معلومات على شبكة الإنترنت حول إصابته فى المعارك الضارية التى شنتها القوات الأميركية والمتعاونين معها من قوات عراقية على مواقع المقاومة فى منطقة القائم على الحدود العراقية - السورية، وفيما توقعت مواقع اليكترونية أن يكون الزرقاوى على شفا الاستشهاد، فإن مواقع أخرى أكدت أن إصابته طفيفة، وأنه انتقل إلى بغداد يقود فصيله فى معركة شرسة عرفت باسم كودى هو «البراق»، ورغم أن واشنطن خصصت لاعتقاله ٢٥ مليون دولار، إلا أن الزرقاوى بحسب اعترافات معتقلين من جماعاته بات يستخدم «خطة صدام حسين» بالتخفى عن أنظار القوات الأميركية والعراقية واستخباراتهما، وكشفت مصادر فى وزارة الداخلية العراقية لصحيفة الحياة اللندنية «٢٠٠٥/٥/٢٠» أن مرافقا سابقا لصدام وأحد المشرفين السابقين على خطط التمويه والاختباء الخاصة به بات اليوم من الحلقة المحيطة بالمتشدد الأردنى ويرافقه فى كثير من تحركاته.

وأضافت أن الزرقاوى استفاد من الظروف التى أدت الى اعتقال صدام، وتعلم من مرافقه الجديد التحدث بلكنات عراقية مختلفة ومنها لكنة أهل الجنوب، اضافة إلى بعض المفردات الكردية، ليتسنى له الوجود فى الأماكن التى لا يتوقع أن يكون فيها كمحافظة الناصرية التى تؤكد المصادر أنه أقام فيها أكثر من شهر قبل أن يغادرها إلى بغداد.

ورغم استخدام وكالات الدفاع والاستخبارات الأميركية وسائل متنوعة فى جمع المعلومات عن تنظيم الزرقاوى، وباقى المنظمات المقاومة، إلا أنها فشلت فى اختراق هذه التنظيمات، وتقول مصادر أميركية أنها استخدمت أجهزة الكيترونية من بينها اجهزة تنصت عن بعد، وطائرات بدون طيار، علاوة على أساليب بشرية تقليدية إلا أنها لم تحصل على معلومات دقيقة حول تحركات قادة هذه المنظمات، وتؤكد المصادر الأميركية ان الزرقاوى يعتمد على عدد من خبراء جهاز استخبارات صدام حسين المخلصين، وهم الذين يخططون وينفذون تحركاته ووسائل التمويه الخاصة بحمانيه.

وقال الخبير فى الإرهاب فى مؤسسة «راند» الأميركية بروس هوفمان أن الاستخبارات الأميركية اعتقدت لأشهر بأن الزرقاوى لديه قدم واحدة، وأضاف «إذا كنت تبحث عن رجل بقدم واحدة وترى شخصاً بقدمين يمر أمامك فلن تعتقد أنه الزرقاوى» واعتبر أن الذكاء بالنسبة له - للزرقاوى - ليس رفاهية بل طريقة للنجاة».

- **من هو الزرقاوى؟**

أبو مصعب الزرقاوى هو أحمد فضيل الخلايلة وقد سمى بالزرقاوى نسبة إلى مدينة "زرقا" التى نشأ فيها شمال عمان. ولد عام ١٩٦٤، تربى فى أسرة فقيرة مكونة من تسعة أشقاء، عانت والدته من مرض سرطان الدم لمدة طويلة.

يؤكد أفراد اسرته أنه ترك المدرسة فى سن السابعة عشرة، ويشير أصدقاؤه إلى أنه عاش مراهقته منطويا،، وعندما بلغ سن العشرين كان مثل شباب العرب يبحث عن قضية ناظراً إلى القدس فوجد الحدود مغلقة، والسلطات العربية تعتقل كل من يفكر فى الجهاد ضد الصهاينة فاتجه إلى الشمال الشرقى ذاهباً إلى أفغانستان حيث وصل إلى مدينة فوست والتحق بسرايا الشباب العربى المنضوى فيما أسموه تنظيم القاعدة عام ١٩٨٩ م ليلتحق بالحرب المقدسة ضد الروس، ولكنه جاء متأخراً حيث انسحب الروس بعد وصوله بقليل.

وقد استعمل القلم بدلاً من السلاح لبعض الوقت حيث أصبح محرراً بمجلة صغيرة تسمى "البنيان المرصوص" كان عمره آنذاك ٢٢ عاماً، وذو بنية متوسطة وعيون سوداء لامعة كان يجوب المناطق الريفية المجاورة يلتقى بالمحاربين العرب، يتحدث معهم عن المعارك المقدسة التى لم يشاهدها وتقابل هناك مع صالح الحامى الذى شارك فى الحرب ضد الروس، وتقاربا حتى تزوج الحامى من شقيقة الزرقاوى الصغرى.

وفى عام ١٩٩٢م عاد الزرقاوى إلى مدينة الزرقا، وارتبط بالجماعة الاسلامية المسلحة المسماه "بيت الامام" أو "الولاء للامام" واعتقل عام ١٩٩٣، عندما عثرت السلطات الاردنية على قنابل ومتفجرات فى منزله، حيث ابلغ محاميه المحققين انه وجد هذه الاسلحة عندما كان سائرا فى احد الشوارع، ورحل بعدها الى سجن سواكا على اطراف الصحراء حيث كان نزيلا مع سجناء سياسيين بنفس الزنزانة، وقال عنه زملاؤه فى السجن انه كان يمكث ساعات طويلة يتلو آيات من القرآن الحكيم.

ارتدى الملابس الأفغانية والقبعة الصوف، وتعلق قلبه بالمعارك الأفغانية القديمة قال عنه أبو دومة: "إنه كان يحب الأمريكان" وأضاف: "كان أبو مصعب يقول دائما إنهم مسيحيون مؤمنون" بينما الروس العدو الأول له، ولكن هذا مثل بعض الأفكار الأخرى من الممكن أن تتغير خلف الأسوار.

مرت السنوات وتعاظم دوره داخل السجن حيث أعد جدولا للنظافة، وإحضار الوجبات الى الزنازين وزيارة الطبيب، لم يكن يتحدث كثيرا ووصفه زملاؤه فى السجن أنه "جاد".

وقالوا عنه: "إن حزمه سبب لجاذبيته وجديته مصدر قوته. وفى عام ١٩٩٨ زاره طبيب السجن

"باسل أبو صبحا" وأشار إلى أن الزرقاوى كان يأمر زملاءه بفعل شىء مًّا بتحريك عينيه فقط".

كانت أراؤه الدينية متشددة، ساعده على صياغتها فى طابع عسكرى الائمة والشيوخ الذين رافقوه فى السجن حيث كان ينهر زملاءه اذا قرءوا شيئا غير القرآن، وكتب الفقه.

فى عام ١٩٩٨ برز اسم القاعدة كتهديد خطير عندما ادينت بسبب تفجيرات السفارتين الأمريكيتين فى أفريقيا، عندها بدأ الزرقاوى يتحدث عن قتل الأمريكان، وبعدها بعام اطلق سراحه فى إطار العفو عن السجناء السياسيين، ولكن زملاءه توقعوا عودته مرة أخرى الى السجن أو السفر حيث قال السيد ربابة- أحد زملائه- (بسبب آرائه لا يوجد له مكان فى الأردن ولا داخل السجن) تطلع الزرقاوى أيضا إلى حياة طبيعية وذلك ما أكده السيد "حامى" الذى قال إن لديه طفلين على الاقل، كان يحب شراء لعب الأطفال لابنيه.

فى بداية عام ٢٠٠٠م ذهب الزرقاوى إلى مدينة بيشاور بباكستان على الحدود الافغانية حيث صبغ المقاتلون العرب تلك المدينة بالطابع العربى ونشر الأفكار الجهادية حيث قال السيد "حامى": إن الزرقاوى أشار إلى أن المسلمين يحاربون بعضهم البعض فى أفغانستان فلم يؤمن بالقضية، ولذا فضل المكوث فى بيشاور خاصة ان هواءها صحى ومناسب لوالدته المريضة.

وفى الوقت الذى كان يفكر فيه الزرقاوى فيما سيفعله، انتهت مدة تأشيرته الباكستانية، وفى نفس الوقت اعلنت الاردن انها تشتبه فى الزرقاوى للقيام بمحاولة فاشلة بهجمات إرهابية على موقع مسيحى للعبادة ولذا لم يجد مكانا للذهاب اليه.

فى يونيو عام ٢٠٠٠م عبر الزرقاوى الحدود الى افغانستان وحده، حيث توفيت والدته فى فبراير من نفس العام.

أشار مسئولون استخباريون إلى أن الزرقاوى غادر أفغانستان، ورحل إلى العراق حيث التحق بجماعة (أنصار الإسلام) فى منطقة كردستان فى التاسع من سبتمبر عام ٢٠٠٢ أوضح مسئولون أردنيون أن الزرقاوى دخل الأردن عبر احدى دول الجوار بطريقة غير شرعية وبعدها بشهر أطلق النار على الدبلوماسى الامريكى لورانس فولى وهو خارج من منزله، وألقى القبض على ثلاثة رجال أشاروا إلى أن الزرقاوى أمدهم بالمال والسلاح للقيام بهذا الهجوم.

ولم يبرز للزرقاوى أى دور فى التصدى للقوات الأميركية الغازية وحلفائها وقت المعارك التى قام بها الجيش العراقى فى الأيام العشرين الاولى من الحرب لكن اسمه برز بعد شهور من استقرار قوات الغزو فى المدن العراقية، وقد باشر نشاطه من مدينة (الفلوجة).

ويتوج أحمد فضيل نزال الخلايلة (الزرقاوى) اليوم سيرة (جهادية) وسياسية ترجع إلى ١٥ عاما، ولا تقتصر عليه، وهو يدين بمكانته بين أعيان الجهاد إلى مراحل سيرة جيله من الجهاديين، والى فصولها، فالزرقاوى- الحسنى (من بنى حسن الذين يعدون ٢٠٠ الف شخص، وينتشرون فى الأردن وجواره، ويقاسمون بنى حميدة وبنى عدوان النفوذ القبلى) المعصومى (نسبة الى الحى) يمم وجهه شطر معقل الجهاد الاول فى افغانستان وحتى رحلة الجهاد الثانية الى العراق. واعتمد فى مراحل نضاله على وسائل الاعلام، وبخاصة المحطات الفضائية والإنترنت، وراح يستخدمها لبث صوراً لعمليات تنظيمية أو لبث أفكاره أو عرض وجهات نظر التنظيم فى القضايا المختلفة.

• الزرقاوى يهاجم علماء للدين: «خذلوا المجاهدين»

انتقد ابو مصعب الزرقاوى زعيم تنظيم قاعدة الجهاد فى بلاد الرافدين فى رسالة صوتية بثها بموقع إسلامى على شبكة الإنترنت بعنف "علماء الأمة" ويتهمهم بأنهم "خذلوا المجاهدين" واسلموهم الى العدو خصوصا فى العراق وافغانستان.

وفى "رسالة من امير المجاهدين ابو مصعب الزرقاوى الى علماء الامة" قال الرجل الذى تعتبره الولايات المتحدة العدو الاول فى العراق فى التسجيل الصوتى "لقد خذلتمونا فى أحلك الظروف وأسلمتونا إلى عدونا، وتركتم المجاهدين يواجهون اعتى قوة فى العالم.

وبث الرسالة على موقع "فلوجة دوت كوم" قبل ان تنقلها مواقع إسلامية عدة.

وأكد الزرقاوى فى الرسالة التى لا يعرف تاريخها لكن يعتقد أنها فى مطلع عام ٢٠٠٤ انه يخاطب العلماء الربانيين وليس علماء السوق ومشايخ الفضائيات.

وتتزامن الرسالة مع تصريح مسئول فى الحرس الوطنى العراقى بأن قوات الامن العراقية تركز عمليات المطاردة فى شمال بغداد بعدما حصلت على معلومات تشير الى وجود الزرقاوى فى هذه المنطقة.

وأضاف الزرقاوى مخاطبا العلماء (يا من تركتم الأمة الى طواغيت المشرق والمغرب يستحلونها ويذيقونها سوء العذاب ويذبحون خيرة أبنائها المجاهدين ويستولون على خيراتها وتابع ان "مئات الآلاف من المسلمين من هذه الامة يذبحون على ايدى الكافرين بسبب صمتكم وسكوتكم عنهم، الله سائلكم عن افغانستان والعراق ماذا قدمتم لهما، الله سائلكم عن الملا عمر "زعيم طالبان" وخذلانكم له.

وقال: "أيها الناس ما لكم نسيتم دينكم أتنعمون بلذات الحياة، وإخوانكم هناك يتسربلون اللهب، يخوضون النار، وينامون على الجمر، فأن لم تكونوا من فرسان الحرب، فافتحوا الطريق للنساء) مضيفا (والله لقد أضاع الرجال رجولتهم).

لقد رصد المراقبون انعطافا فى سياسة المنظمات الجهادية (العاملة) فى العراق يعود على الارجح الى منتصف صيف ٢٠٠٤، غداة المواجهة الشرسة مع تيار من الشيعة بقيادة مقتدى الصدر فمنذ ذاك برزت لغة تآلف وصلح بين المنظمات (الجهادية) المتحالفة مع (قاعدة) ابن لادن، وعلى رأسها (قاعدة الجهاد فى بلاد الرافدين) وبين جماعات اخرى بعثية واسلامية.

وحيت رسائل بن لادن والظواهرى (مجاهدى) العراق تحية إكبار وإجلال وانزلتهم منزلة القلب من (الجهاد) الدائر فى العالم.

• علاقات بين الزرقاوى والبعث

واستحقت الجماعات العراقية الزرقاوية (أولا) وغير الزرقاوية، مكانتها الجديدة عن جدارة، فهى أفلحت فى إنجاز ٤٩ تفجيرا بواسطة السيارات المفخخة ويقود معظمها أو نصفها انتحاريون اختص بهم الزرقاوى، فى سبتمبر ٢٠٠٤ وحده، وقفز عدد السيارات هذه الى ١٠٣ فى (أكتوبر) والى ١٣٣ فى الشهر التالى، ٨٤،٢ فى (ديسمبر) بحسب نيوزويك وفى ٣٠ (يناير) ٢٠٠٥ وحده، وهو يوم الانتخابات العامة وقعت سبع عمليات انتحارية فى بغداد، وينتسب معظم الانتحاريين وهم شبان فى أوائل العقد الثالث (أو العشرين) من عمرهم، إلى شعب العراق أو متطوعين مسلمين من دول أخرى.

وبعضهم جاء من شبكات الزرقاوى والقاعدة أو فروعها (الأفقية) وغير المنظمة على نظام هرمى البعض الآخر جاء من بلدان بعيدة، أوروبية، مثل فرنسا وبريطانيا وألمانيا وإيطاليا وإسبانيا. وسرعان ما شكل تنظيم الزرقاوى شبكة علاقات واسعة مع قيادات حزب البعث والحرس الجمهورى والجيش الاسلامى حيث تعتقد دوائر أميركية ان العلاقة بدأت قبل الحرب بعام، وقد اكد العاهل الأردنى الملك عبدالله الثانى أن السلطات العراقية قبل الحرب رفضت طلبا رسمياً تقدمت به الأردن لتسليم الزرقاوى الذى كان موجوداً فى شمال العراق، بينما نفت شخصيات عراقية ذلك، وعلى أى حال فالحلف بين الزرقاوى وفريقه، وبين بعض قادة حزب البعث السابقين وعناصره القتالية، يحل موضوعيا ومحليا مشكلة تكامل التعبئة والتمويل والتموين (العسكرى) والرصد، فشبكات التعبئة وتجييش الانصار واعدادهم تحتاج الى (بنية تحتية) معقدة وان حقيقة ولا يؤتى إعداد الانصار وجهودهم ثمرة عملية ناجحة، تدميراً وقتلاً وتخويفا وردعا،» اذا لم تصلهم الذخيرة والارصاد والملاذات والتنسيق، وهذه يتولاها اهل البلد، وتتولاها علاقاتهم وعشائرهم وولاءاتهم.

• أبرز الانتقادات على جماعة الزرقاوى

وعلى رغم أن تنظيم «قاعدة الجهاد فى بلاد الرافدين» بزعامة الزرقاوى قد خاض معارك شرسة

ضد القوات الأميركية وحلفائها، كما حقق نجاحاً فى تقليص مساحة المتعاونين مع الاحتلال، من خلال تهديد أو ضرب وخطف وإعدام المترجمين والسائقين والمخبرين، إلا أن هناك عدة اعتراضات بارزة ضد منهج وأسلوب عمل هذه الجماعة، وقد تفجرت الاعتراضات بشدة فى أعقاب إعدام السفير المصرى إيهاب الشريف فى يوليو ٢٠٠٥ بعد اختطافه ليلاً من الشارع، هذه الانتقادات والاعتراضات وضعتها فى قائمة «الإرهاب» ودفعت شخصيات ومنظمات مستقلة «غير رسمية» إلى إدانة عملياتها، فمن هذه الانتقادات،

١- الدخول فى حرب تصفية ضد رموز الشيعة، وبخاصة فى حزب المجلس الأعلى للثورة الاسلامية بزعامة بيت الحكيم، وكذلك جناحه العسكرى المسمى «فيلق بدر» وهناك فتاوى بالجملة صدرت على لسان تنظيم الزرقاوى تصف الشيعة بـ «الرافضة»، وتتهم قيادات الشيعة بالتحالف مع الاحتلال، وبالتالى قام التنظيم بتنفيذ عدة عمليات تصفية أبرزها: اغتيال السيد محمد باقر حكيم رئيس المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية بعد صلاة الجمعة فى مجزرة أسفرت عن مصرع واصابة ما لا يقل عن ٤٠٠ شخص، واستخدام التنظيم (٤) سيارات مفخخة انفجرت فى أعقاب خروج السيد الحكيم من المسجد، وإضافة إلى محاولة اغتيال خلفه السيد عبدالعزيز الحكيم وعشرات قيادات الشيعة، خاصة من اعضاء وممثلى مكتب المرجع الأعلى السيستانى.

وصحيح أن تنظيم الزرقاوى ذكر فى أحد بياناته أنه لم يكن البادئ بقتال رموز فئة من الشيعة بأمر الهجوم على مساجدهم، وأن فئة من الشيعة هم الذين بادروا إلى اغتيال أئمة وعلماء السنة، وهاجموا مساجدهم واغتصبوا بعض المساجد، بل واتهم تنظيم الزرقاوى بعض الشيعة باغتصاب نساء السنة فى بعض القرى، وارتكاب مذابح ضد عشائر سنية، إلا أن الصحيح أيضا هو ان المسلم - خاصة إذا كان مجاهداً - ينبغى أن لا ينجر إلى استفزازات مسلم آخر، بل إن أول الجهاد هو جهاد النفس، وذلك بالصبر والحوار قبل اللجوء إلى العنف، فضلاً عن أن المهمة المقدسة هى الجهاد ضد العدو وليس قتل المسلمين حتى وإن بادر بعض المسلمين بالقتال.

٢- ارتكب تنظيم الزرقاوى عدة عمليات إعدام لبعض الذين جرى اختطافهم بعد محاكمة وصفها التنظيم بأنها «شرعية» فى حين أنها افتقرت قواعد المحاكمة من حيث توفر الأدلة والبراهين، وقدرة المتهم فى الدفاع عن نفسه، وأغلب الظن أن المحاكمات لم تكن حيادية وقد شابها الكثير من التسرع، مثلما حصل مع السفير المصرى إيهاب الشريف الذى جرى إعدامه بعد أربعة أيام فقط من اختطافه وبدون إمهاله أو إمهال ذويه وحكومته فرصة التفاوض أو حتى الدفاع عنه.

وربما كان مفيداً هنا أن نعود إلى رأى الدكتور أحمد كمال أبو المجد الأمين العام للمجلس القومى

لحقوق الإنسان، وهو أحد علماء المسلمين المستقلين، فقد وجه رسالة إلى جماعة الزرقاوى «الأهرام ٢٠٠٥/٧/١٢» تحت عنوان «رسالة مفتوحة إلى الذين قتلوا السفير»، وبعد أن أكد أن رسالته موجهة إلى مجهولين سموا أنفسهم «فرعاً من تنظيم القاعدة»، وأعلنوا أنهم حاكموا السفير أمام محكمة شرعية، وأنه ثبت لديهم أنه مرتد، وأنه ينتمى إلى دولة كافرة، ولذلك أصدروا عليه حكماً بالإعدام تم تنفيذه فعلاً.

وتقع الرسالة فى حدود ١٠٠٠ كلمة لذا صعب تلخيصها، لكن نشير هنا إلى نقاط ثلاث ذكرها أبو المجد وهى:

أولاً: ألم يعلمكم دينكم أن دم المسلم معصوم وحرام، وأن شهادة لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، كفيلة بإقرار هذه العصمة وتثبيتها، وان المسلم لو جاء ربه يوم القيامة بقراب الأرض ذنوباً فإنه يظل على إسلامه، ويجيئه الرحمن الرحيم يوم القيامة بقرابها مغفرة، وأين تذهبون إذا لقيتم - يوم القيامة - هذا الشهيد آخذاً بتلابيبكم متعلقا باعناقكم يحاجكم أمام الله بكتاب الله، وهل نسيتم جميعاً قول النبى صلى الله عليه وسلم «والذى نفسى بيده لتؤدون الحقوق إلى اهلها يوم القيامة حتى ليقاد للشاة الجماء «غير ذات القرون» من الشاة القرناء.

ثانيا: ألم تتعلموا - فى الإسلام - أن المسؤولية فردية، وأن التبعة عن الأعمال شخصية، وأن أحداً لا يسأل عن أهله وأمته وذويه؟!

ثالثا: ما هذه المحكمة الشرعية التى تزعمون أنكم أقمتموها وأنها خلال يومين أو ثلاثة اصدرتم ما تسمونه «حكماً» وما نسميه نحن اغتيالا لا سند له فى شرائع الدين، وقوانين الدنيا؟!

والأمر المؤكد أن بعض عمليات تنظيم الزرقاوى خاصة الموجهة ضد المدنيين العزل قد أساءت إلى صورة المقاومة الباسلة، بل وإلى منظمة الزرقاوى تحديداً، والأكثر من ذلك انها أعطت انطباعاً غير إيجابى لدى الرأى العام العالمى عن المقاومة الإسلامية وجعلت من السهل الخلط بين المقاومة والإرهاب، وأثرت على تعاطف الشعب العربى - وبخاصة فى مصر - مع المقاومة فى العراق، فقد أصابت عملية إعدام السفير إيهاب الشريف الشعب المصرى بالصدمة الشديدة، وظهرت اتجاهات عدة فى التفاعل مع هذه العملية، إذ انتقد البعض لاسيما فى أحزاب المعارضة الحكومة والنظام وحملوهما المسؤولية عن دم السفير، ولكن هناك اتجاه آخر لم يجد أى مبرر دينى أو شرعى يؤدى إلى إعدام السفير، فهو فى نهاية الأمر موظف ينفذ تعليمات قادته.

❖ ❖ ❖

الفصل الثانى عشر

حروب الاستنزاف فى المثلث السنى

- نصف خسائر الجيش الأمريكى وقعت فى الفلوجة
- كيف فشلت حملة «النهر الخاطفة» فى الأنبار
- معركة «البرق» فى بغداد رحلة إلى مثلث الموت

«هل تعرف يا فونتان ما يدهشنى أكثر من أى شىء آخر؟ عجز العنف فى الحفاظ على أى شىء، ثمة قوتان فقط فى العالم، السيف والروح لقد خضت حروبا عديدة لقد ثبت لى أنه فى النهاية ينهزم السيف أمام الروح». **«نابليون»**

من يكسب المعركة فى العراق السيف أم التاريخ؟ الدبابة أم الروح، القوة أم الحق؟

لا تستطيع الإجابة على هذا السؤال قبل أن تذهب إلى التاريخ حقا حيث تطالعك وجوه المدن العريقة، الفلوجة، وحديثة، والخالدية وهيت، وحيث القبائل العربية والفارسية القديمة، فقد تصادفك رواية عن فتوحات بوخذ نصر الذى سبى اليهود ونقلهم من بيت المقدس الى بابل وحبسهم فى الأنبار، وقد تطالع قصة الأنبار فى تاريخ اليونان حيث كان اسمها «بيرا سابورا»، وفى كل الأحوال فان ما عرف إعلامياً باسم «المثلث السنى» الذى له ضلعان هما بعقوبة وتكريت وله محور هو الأنبار ظل بؤرة المقاومة العراقية الباسلة منذ لحظة دخول جيش الغزاة الأنجلو أميركى بغداد فى ٩ نيسان «ابريل» ٢٠٠٣، وشهد المثلث السنى معارك دامية - ولا يزال - أسفرت حسب تقديرات الخبراء الأميركيين عن سقوط نصف القتلى والجرحى الأميركيين فى هذا المثلث الهام، وقد اشتهرت - من مدنه - مدينة الفلوجة، والتى شهدت حربين بكل معنى الكلمة خاضتهما القوات الأمريكية المدعومة من قوات عراقية متعاونة معها ضد المقاومة، واشتركت فيها طائرات ودبابات وعربات مدرعة فى جيش الغزاة، بينما امتلك رجال المقاومة عناصر مهمة فى القتال أبرزها تأييد الشارع السنى فى هذه المنطقة لهم، وتأييد قطاعات مهمة من الشيعة فى مناطق أخرى فى بغداد والكوفة والنجف.

وهناك ثلاث معارك مهمة جرت عامى ٢٠٠٤ و٢٠٠٥ فى المثلث السنى وهى:

١- معركة الفلوجة الأولى أبريل ٢٠٠٤ والثانية نوفمبر ٢٠٠٥ واستمرت الأخيرة حوالى شهرين دون أن تتمكن القوات الأميركية من حسمها.

٢- معركة النهر الخاطف فى الأنبار بغية القضاء على خلايا المقاومة وتفكيك قواعدها، وضرب مصادر تموينها وتمويلها والعثور على مخازن الأسلحة والذخائر، وجرت فى فبراير ٢٠٠٥ وشاركت فيها فرقتان إحداهما مدرعة.

٣- معركة البرق فى محيط بغداد فى اتجاه مدن الجنوب لمواجهة المقاومة فى المنطقة التى تعرف باسم «مثلث الموت» وتضم اللطيفية واليوسفية والمدائن، وشارك فيها ٤٠ ألف مقاتل أميركى وعراقى ضد عناصر المقاومة.

● عشائر الدليم والضارى

أكبر عشائر الأنبار الدليم، واسم وجبة مشهورة بين العراقيين «دليمية» ولقب متداول بكثرة يستخدم

أهل الأنبار لقب الأنبارى أو الفلوجى مثلما يستخدم لقب الحديثى والعانى والراوى والألوسى والكبيسى والهيتى والدليمى.

لا خلاف فى عروبة الدليم لكن الخلاف حول أصلها العشائرى فهل هى من زبيد أم من حمير أم نسبة إلى جد الصحابى سعد بن عبادة بن دليم أو نسبة إلى دليم الحميرى الجيشانى «الاستيعاب فى معرفة الأصحاب».

ينقل أن فخذا من عشيرة الدليم هم البو علوان يقطنون المحاويل قريبا من الحلة وهم سنة بين أغلبية شيعية، لعب هؤلاء دورا فى تداعيات حرب تحرير الكويت فقد ظهر فى مرابعهم مقابر جماعية نفذها مسؤول بعثى منهم يدعى جواد عنيفص.

وهناك عشيرة زويع وهى إحدى عشائر الدليم وتشكل أيضا موقعا مهما فى الخريطة السكانية لمحافظة الأنبار التى كانت تسمى قبل ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ بلواء «أى محافظة» الدليم، وهى عشائر لها تاريخ وطنى كبير.

وحيث يتصدر - رجالها الشيخ حارث الضارى - هيئة علماء المسلمين، فهذه العشائر العريقة المنتشرة فى الأنبار لا تقبل أبدا بوجود قوات أجنبية على أراضيها، لذلك انتشرت المقاومة فيما يعرف بالمثلث السنى فى أضلاعه بعقوبة وتكريت بينما الأنبار محوره، وقد تأسست الأنبار على جهة الفرات اليمنى من مدينة بابل، بدأ أمرها كمحطة لخزن الحبوب ومخيم لأسرى حروب الملك البابلى «بختنصر» وقد حرقها الرومان فى عام ٢٦٣م، وحسب دراسة للباحث العراقى فى التراث الاسلامى د. رشيد الخيون فى مجلة الديمقراطية العدد ١٥ يوليو ٢٠٠٤ فان الملك الفارسى المعروف بذى الاكتاف اعاد اعمارها، واطلق عليها اسم فيروز سابور أى فيروزة الملك، وبما أن معنى فيروز «المبارك» فتكون الأنبار مباركة الملك.

واحتلت هذه المحافظة مكانة عريقة فى التاريخ الإسلامى، فقد دخلها خالد بن الوليد «سيف الله المسلول» عام ١٢ هـ، وأول أمير مسلم يتولى أمرها وما حولها هو الزرقان بن بدر عام ١٢ هـ، بعدها ذكرت الأنبار كساحة كر وفر بين جيش الامام على بن ابى طالب رضى الله عنه وجيش معاوية بن أبى سفيان، وحالف الأنبار حظ كبير وسمعة تاريخية، فقد صارت عاصمة للدولة العباسية فترة من خلافة أبى العباس السفاح «١٣٤ - ١٣٦» لقد اشترى الخليفة ارضا ودورا لينشىء عليها دار حكمه وقصره الذى دفن فيه، ولولا قرار الخليفة ابى جعفر المنصور باتخاذ بغداد عاصمة له، لكانت الأنبار عاصمة لدولة عظمى امتدت من حدود الروم حتى حدود الصين، ثم عاصمة للعراق منذ العهد العثمانى حتى وطأتها دبابات جورج بوش.

وبطبيعة الحال، فقد استنفرت مدن وقرى المثلث السنى العامرة بعشائر عربية أصيلة، شعرت بوطأة الاحتلال ومخططات المتعاونين معه لتهميش السنة، واللعب على الوتر الطائفى، ورسم نظام سياسى جديد فى العراق لا يراعى التركيبة الديموغرافية بقدر ما يوفر أطرا تخدم المصالح الأجنبية وتحقق طموحات الأكراد أو الشيعة على حساب السنة، لذلك هبت النخبة السنية منذ اللحظة الأولى للاحتلال مطالبة بجلاء القوات الغازية وفق جدول زمنى، وهذا ما رفضه المحتل، فكانت المقاومة..

معركة الفلوجة

من عبدالناصر إلى الشيخ أحمد ياسين

الفلوجة هى كلمة السر عند جمال عبدالناصر الذى كان محاصراً فى فلسطين ١٩٤٨بفعل تآمر الملك والإنجليز على الجيش المصرى، وعندها أدرك ناصر أن المعركة الحقيقية هى فى مصر قبل أن تكون فى فلسطين.

ستة وخمسون عاماً مضت قبل أن يعود الضوء إلى الفلوجة، مرة أخرى، ولكن فى أرض الرافدين، فى العراق، حيث خاض شعبها معركتين شرستين مع العدو الأميركى الأولى فى أبريل ٢٠٠٤والثانية فى نوفمبر من العام نفسه، معركتان شرستان فى عام واحد، لم تستطع فيهما آلة الحرب الأميركية بكل قسوتها أن تهزم إرادة المواطن العراقى والمقاتل العربى، لقد قدم لنا المشهد العراقى الساخن، منذ انتهاء معركة الفلوجة الأولى فى أبريل، صورة بالغة الوضوح، رأينا فيها أميركا كلها، وليس جيوشها فقط تقف مذهولة، حائرة، وقد أصابها مس من رعب، لم تصب به من قبل اسمه (كابوس العراق) بعد ان لجأت إلى خيار (القوة الأعلى) MAXiMUM FORCE اللجوء إلى كافة الوسائل العسكرية المتاحة بما فى ذلك المحرمة دولياً لحسم معركة ضد عشرات أو مئات المقاتلين المدعومين من أبناء المدينة.

لقد فوجئت إدارة الشر فى واشنطن أن العراقى الذى تبيده فى هذه المدينة أو تلك، فى النجف الأشرف أو الموصل أو بعقوبة سرعان ما ينبت من وراء دمه الطاهر مائة عراقى يحملون السلاح، وقد قرروا النصر أو الإستشهاد، وربما هذه هئ المرة الأولى التى يثبت فيها الدم أنه أقوى من الحديد (الفولاذ) وأن القلب أقدر من الدبابة، ولم يواجه أى استعمار فى العالم على الاطلاق تدفق الاستشهاديين للقتال ضده، كما يجرى فى العراق، لقد جاء إلى الفلوجة مقاتلون من كل الجنسيات، عراقيون، عرب، مسلمون من بلاد الله الواسعة، لهم هدف واحد هو هزيمة الإمبراطور الأميركى.

لقد بدأت أحداث الفلوجة بجريمة أميركية هى إطلاق النار على تظاهرة شعبية سلمية، أين هى ديمقراطية واشنطن، وأين حماية حق المواطن فى التعبير؟ لقد انكشف مجدداً الأكذوبة، وها هو شعب الفلوجة ينقض على أربعة من جواسيس أميركا، ويلقنهم الدرس البليغ، بأن يعلق جثثهم على جسر كى

يشاهدهم العالم أجمع، وبخاصة أولياء أمور الجنود الأميركيين، هذه العملية كانت هدية من شعب الفلوجة (العراق) إلى شعب الفلوجة (فلسطين) لأنها تزامنت مع قيام العدو الصهيونى باغتيال الشيخ أحمد ياسين قائد حركة المقاومة الإسلامية (حماس)، فقام أبناء الفلوجة بالرد على جرائم الصهاينة والأميركيين على النحو التالى:

«إنها هدية يقدمها شعب الفلوجة إلى شعب فلسطين وإلى عائلة شيخ المجاهدين أحمد ياسين. الذى تم اغتياله من قبل المجرمين الصهاينة عديمى الإنسانية والأخلاق.

بتلك الكلمات أعلنت جماعة تطلق على نفسها «كتائب الشهيد أحمد ياسين» تبنيها لعمليات قتل جنود الاحتلال الأميركى فى مدينة الفلوجة وفى بيان وزعته الجماعة تعليقاً منها على قتل الأميركيين بالمدينة وصفت الجماعة عملية سحل الجثث بأنها جاءت بسبب الكره المتعاظم للأميركيين، ورداً على الاعتداءات والمداهمات على المساجد والمنازل واعتقال وتعذيب العلماء والشيوخ وترويع النساء والأطفال ناصحاً قوات الأحتلال الأميركية بالإنسحاب من العراق وكذلك ناصحاً أسر الجنود الأميركيين وأصحاب الشركات بعدم القدوم إلى العراق.

وبتلك الكلمات الوجيزة البليغة استطاعت المقاومة الشعبية العراقية الباسلة أن تصب الرعب صباً فى رؤوس وقلوب قوات الاحتلال ليس على المستوى العسكرى فحسب بل على أعلى المستويات السياسية أيضاً. حيث بدت صقور الإدارة الأميركية أكثر فزعاً كما لم تبد من قبل وخرجت تصريحاتهم مذبذبة تتطاير منها روائح الهزيمة والفزع رافضين أن تصبح العراق بالنسبة للقوات الأميركية «صومال جديد» وهو تشبيه حتى وإن لم يقبله القابعون خلف جدران البيت الأبيض الملوث بدماء أطفال العراق. يطرح مزيداً من علامات الاستفهام حول حجم الخسائر البشرية بين صفوف جنود الإحتلال الأميركى فى تلك العملية وهو الرقم الذى لم يتعد. حسبما أعلنت تلك الإدارة فى كل العمليات التى تم إعلانها بتلك المنطقة - تسعة قتلى بينهم بعض المتعاونين مع قوات الاحتلال فيما تشير الروايات الأكثر تداولاً أن ثلاثة «مجاهدين»، كما تطلق عليهم أغلبية الشعب العراقى، أوقفوا سيارتين تابعتين لقوات الإحتلال الأميركية وسط الفلوجة فى كمين أعدوه ببراعة فائقة، وعند توقف السيارتين أطلقوا النار ما ادى إلى مقتل من فيهما.

ثم أخرجوا جثتين من إحدى السيارتين ورفعوا أيديهم بعلامة النصر. وهو ما أثار لدى سكان المدينة فرحة عارمة جعلتهم يهللون، وذاب منفذو العملية بين طرقات الفلوجة.

ورغم أن العملية حسب هذه الرواية تؤكد فكرة أن المهاجمين لم يكن بين خططهم «سحل» جثث القتلى الأميركيين وأن أهالى المدينة هم من نفذوا تلك المهمة.

إلا أن تلك النتيجة فيما يبدو تثير خوف وذعر الإدارة الأميركية أكثر من أن يكون منفذو الهجوم هم من قاموا بذلك بحيث أن القوات الأميركية المحتلة فى هذه الحالة تحارب حوالى ٢٦مليون عراقى باستثناء العملاء والخونة حتى وإن لم يكن المقاومون العراقيون يقصدون «سحل» القتلى الأميركيين أو التمثيل بجثثهم إلا أن هذه العملية أعادت إلى أذهان الإدارة الأميركية وكذلك الإعلام والشعب الأميركى ما يسمى بعقده «فيتنام» وكذلك عقدة «مقديشيو» حيث كان يقتل جنود الاحتلال الأميركيون ويسحلون ويمثل بهم باعتبارهم معتدين ومدنسين لحرمة الأراضى الحرة. وإمكانية أن يتحول العراق بالفعل إلى «فيتام» أو «صومال» جديد بالنسبة للقوات الأميركية وما يعينه ذلك بالنسبة للشعب الأميركى خاصة وقد بثت بعض المحطات التليفزيونية الأميركية لقطات لهذه المشاهد «بحيث يبدو مقصوداً» فى حين كان مسئول فى مكافحة الإرهاب بوزارة الخارجية الأميركية يؤكد أن المهاجمين الذين قتلوا الأميركيين فى الفلوجة ليسوا على علاقة مباشرة بتنظيم القاعدة على ما يبدو «لكن البعض منهم تلقى تدريباً محدداً على العمليات الفدائية، ونصب الكمائن للسيارات.

وبعد أن تابع المقاومون العراقيون مدى الذعر الذى أصاب القوات الأميركية نتيجة لعمليات السحل ربما يتخذون من السحل أسلوباً فى المقاومة مع القوة الأميركية العمياء التى لا تفهم سوى لغة الدماء، ولذلك خسرت فى فيتنام والصومال بعد أن عادت إليها الجثث الأميركية التى تم سحلها، ولعل أيضاً من أكثر الأشياء التى أصابت الإدارة الأميركية بالفزع تحول لغة الحديث فى الشارع العراقى عن المقاومين ووصفهم بكلمة (فدائى) وبالتأكيد فإن أكبر هذه الضغوط متمثل فى الإدارة الأميركية وهو ربما ما قد يسبب اتجاه الشعوب للعمل فى مقاومة النفوذ الأجنبى منفردة بعيدة عن وجهات نظر ومواقف الحكومات ومن ثم تعرض كل المصالح الأميركية بالمنطقة للخطر خاصة إذا انتقلت تلك العدوى من الفلوجة إلى باقى المدن العراقية ومنها إلى باقى أرجاء الوطن العربى فى ظل وحدة المصير للشعب العربى.

• جريمة إبادة جماعية

فى الفلوجة: العراق وفلسطين

تذكروا

تذكروا دائما

بأن أميركا - بعلو شأنها- ليست هى الله العزيز القدير

وأن أميركا- على بأسها- لن تمنع الطيور من أن تطير

قد تقتل الكبير بارودة صغيرة

فى يد طفل صغير.

هذه أبيات- نبوءات - للشاعر العربى نزار قبانى، تقفز إلى واجهة الأحداث مع الأخبار المتواترة من «الفلوجة» العراقية، حيث اضطر جيش اكبر دولة فى العالم، جيش الإمبراطورية العظمى، إلى الدخول فى مفاوضات مع رجالات المقاومة فى (الفلوجة)، ولم يفلح الحصار الذى نصبه المحتلون حول المدينة الصغيرة، ولم تنفع الاباتشى أو الـ أف -١٦ أو الدبابات من كل صنف ولون، أو حتى القناصة الذين احتلوا المستشفيات والبنايات، لم ينفع ذلك كله فى كسر إرادة المقاومة، وحين أراد شعب (الفلوجة) المقاومة فلابد أن يستجيب القدر، ولابد لقوات الاحتلال أن تنصاع، وأن تبحث عن وسيلة لإنقاذ جنودها، خاصة أن أميركا خسرت فى الفلوجة أرقاماً فلكية من جنودها المرتزقة.

وقد شرح الدكتور أحمد عمر عضو مجلس نقابة الصيادلة فى مصر أن وفداً يمثل زملاءه ذهب إلى الرمادى والفلوجة- وشاهد الوفد بأم العين جثث عشرات القتلى الأميركيين فى شوارع المدينتين، فضلاً عن عشرات الجرحى الذين لم تستطع قوات الاحتلال ترحيلهم إلا بعد تدخل وساطات عراقية من الحزب الإسلامى الذى قاد عملية الوساطة بين المقاومة وقوات الاحتلال، وقال الدكتور عمر إن إدارة الاحتلال لا تعترف بعدد القتلى الحقيقى لسبب أساسى هو أن عدداً كبيراً من القتلى هم مرتزقة يريدون الحصول على الجنسية الأميركية، ولا تعترف هذه الإدارة إلا بالجندى الأميركى شحماً ولحماً، ومعروف أنه قد تم تغيير قوانين الخدمة العسكرية فى أميركا عام ١٩٧٥، أى بعد حرب فيتنام لجهة الغاء التجنيد الاجبارى مقابل تنشيط عملية التجنيد عن طريق التطوع، وبالتالى هناك آلاف المرتزقة من جنسيات غربية ولاتينية وأسيوية ذهبوا إلى أميركا، ولم يحصلوا على الجنسية ولا على فرصة عمل، فوجدوا فى العمل بالجيش الأميركى فرصة لاستمرار الحياة، هؤلاء لا تحصيهم واشنطن ضمن قتلاها فى العراق، وبالتالى لا تتخذ أى مراسم لهم فى الجنازات، ومعروف أيضاً أن الرئيس بوش كان قد قرر عدم اتخاذ إجراءات الجنازات المعتادة مع الجنود القتلى فى حرب العراق وحث الصحف على منع نشر صور الجنود القتلى وكذل محطات التلفزة حتى لا تهتز الروح المعنوية للشعب الأميركى.

• مقاومة شيوخ العشائر

والمهم هنا هو أن معركة المقاومة فى الفلوجة، والتى وصلت ذروة انتصار القوى الشعبية العراقية فيها يوم توقيع اتفاق الهدنة، قد كرست عدة مفاهيم اساسية ينبغى أن تستفيد منها المقاومة فى فلسطين على وجه الخصوص.

أولاً: لم تقتصر المقاومة فى الفلوجة على المقاتلين أو المسلحين والذين تراوح عددهم بين ٦٠٠ إلى ٨٠٠ مسلح، وإنما- وهذا هو الأهم- امتدت لتشمل كل قطاعات المدينة من شيوخ العشائر، والشباب والفتيات، وحتى الشيوخ شاركوا فى عمليات المقاومة، وقد رفضت المدينة التسليم رغم القصف الجوى

العشوائى الذى حصد حوالى ٧٠٠ شهيد عراقى، بينهم ٢٠٠ طفل وامرأة، ورغم احتلال القوات الغازية للمستشفى الرئيسى، وقد حصل تحالف شعبى من كل التيارات السياسية والاجتماعية، بل إن اللافت هو أن قوات شرطة الفلوجة شاركت فى المقاومة، وانحازت بشكل طبيعى إلى الجماهير. ولعل هذا الدرس الهام يفيد إخواننا فى فلسطين المحتلة، إذ ينبغى أن تتسع الانتفاضة لتشمل كل الشعب بكل فئاته وأجياله، وأن تعود عمليات قصف وقذف العدو بالحجارة، وأن تعود عمليات العصيان المدنى، وأن تشارك جميع شرائح المجتمع فى المقاومة وليس بعض المقاتلين فقط، إننا مع عظيم تقديرنا للعمليات الاستشهادية النبيلة إلا أننا نرى أهمية استمرارها مع وجود اشكال أخرى ضد المستوطنات، ونرى ضرورة تحويل حياة المستوطنين إلى جحيم بكل الأشكال حتى يرحلوا عن أرض فلسطين، ومن الخطأ عزل الجماهير عن المقاومة، أو انتداب فصائل مسلحة لكى تمارس المقاومة نيابة عن الشعب، فدرس الفلوجة يمكن اختصاره فى عبارة واحدة هى (ازرع كل الأرض مقاومة).

ثانيا: إن المقاومة فى الفلوجة أعادت رسم الخارطة السياسية فى العراق من جديد، بحيث بدا هناك فصائل تقاوم وأخرى متحالفة مع العدو الأميركى، والأكثر من ذلك هو صدى هذه المقاومة فى صفوف الشيعة، حيث حصل انقسام بين شيعة مقاومة بزعامة مقتدى الصدر وشيعة صامتة بزعامة السيستانى والنجفى ومن كان على شاكلتهما، لكن إلى ذلك، حدث فرز تاريخى فى الساحة العراقية حتى فى أوساط مجلس الصم والبكم المسمى مجلس الحكم العراقى، الذى اضطر بعض اعضائه إلى المجاهرة برأى معارض للاحتلال، ومعارض لسياسة القمع والعقاب الجماعى فى الفلوجة.

لقد كان الصمود الأسطورى لأبناء الفلوجة دافعاً للكتيبة ٣٦ العراقية التى تم تكوينها برعاية الاحتلال وبأموال من البنتاجون والتى رفضت المشاركة فى القتال ضد المقاومة، فرسمت خطوطاً وحروفاً من نور تحسب للجيش العراقى العظيم الذى ظل يقاتل من أم قصر حتى بغداد لمدة عشرين يوماً كاملة، تحت القصف والجوع والحصار والصمت العربى الرسمى المهين، فالواقع أن فى صفوف المقاومة العراقية اليوم ضباط فى الحرس الجمهورى، وشباب من فدائيى صدام، وكوادر إسلامية وقومية ووطنية، كل هذا المزيج الوطنى فرض على الجميع بدءاً من ضباط الجيش العراقى الجديد وانتهاء باعضاء فى مجلس حكم إلى رفض العدوان الاميركى على الفالوجة، والتمسك بانهاء الحصار على المدينة.

ثالثاً: أن المقاومة فى الفلوجة لم تكن محلية فقط، ولا هى ضمت كل فئات الشعب والمجتمع فقط، بل كانت مقاومة عربية وإعلامية، فقد شارك فيها فدائيون من بعض الدول العربية جنباً إلى جنب مع ابناء المدينة، وحصل تلاحم رائع بين ما يسميه العدو الأميركى (الإرهابيين الأجانب) وبين المقاومة

المحلية، لأن الإرهابى الأجنبى الحقيقى هو الجيش الأميركى الذى قطع آلاف الأميال لكى يحتل دولة مستقلة لها مقعد فى الأمم المتحدة، والإرهابى هو بوش وشارون اللذان يشكلان معاً (محور الشر)، وقد رفض قادة المقاومة فى الفلوجة تسليم المقاتلين العرب فى نفس الوقت الذى رفضوا فيه تسليم أسلحتهم الخفيفة، أما الأسلحة الثقيلة فقد ارتضوا تسليمها إلى الشرطة العراقية، أو بالأحرى قد تمكنوا من اخفائها بعيداً عن الجيش الأميركى واعوانه.

والدرس الذى يمكن الاستفادة منه هنا هو (عروبة) المعارك فى فلسطين والعراق، وتخطئ أى حركة مقاومة إذا ظنت أنها يمكن أن تظل قطرية أو محلية، فقومية المعركة أحد أهم شروط نجاحها، ويقول القادمون من الفلوجة أن المقاتلين العرب ابلوا بلاء حسناً فى المعارك، وكانوا - بحق- ابطالاً، وقد اشار مواطن عربى فى حديث لصحيفة (الحياة) اللندنية إلى أن شقيقه استشهد فى معارك جرت بالفلوجة، وأن شقيقه ملتزم بالايديولوجيا الإسلامية، بل إن اسم المدينة نفسه، أى الفلوجة هو اسم عربى- فلسطينى- ما يعكس حقيقة الارتباط القومى، وأن قضية فلسطين لابد وأن تظل هى قضية العرب الأولى.

• الجيش الأميركى يقتل المتظاهرين

رابعاً: ويبقى أن أهم درس جاء من معارك الفلوجة هو أن إرادة القتال هى التى تحسم المعارك، وتحقق لأصحابها النصر، وهذا ليس كلاماً أيديولوجياً ولا مجرد شعارات، بل حقائق سطرها بالدم شعب الفلوجة الذى رفض الاستسلام، بل قاوم بشجاعة، واستطاع أن يمنع جيش أكبر دولة فى العالم من دخول قلب المدينة، وباءت كل محاولات اختراق أحياء الجولان وجنين وغيرهما بالفشل رغم القصف الجوى الضارى، ورغم المدفعية الثقيلة والحصار المطبق على المدينة إلا أن أهلها، ونساءها قبل رجالها رفضوا الإذعان لأى شروط أميركية، وكانت إدارة الاحتلال قد طالبت بتسليم المتهمين بالتمثيل بجثث أربعة من عناصر الاستخبارات الأميركية كانوا قد لقوا مصرعهم على يد المقاومة، وتعمد بعض رجال المقاومة تعليق جثث اثنين منهم فى جسر تعبيراً عن غضبهم من الإرهاب الأميركى الذى حصد عشرات الأسر فى الفلوجة، ويكفى أنه فى يوليو ٢٠٠٣، أى بعد عدة شهور من غزو بغداد، قامت القوات الأميركية بقتل ١٧ متظاهراً فى الفلوجة، عندما أطلق جنود الاحتلال النار على تظاهرة كانت احتجت على انتهاكات قوات الغزو لمشاعر المواطنين، حتى أنها قصفت أحد المساجد فى المدينة.

واقتحمت المنازل واعتدت على النساء وسرقت المجوهرات كما تم تدنيس المصحف الشريف على يد الطغاة.

والواقع أن شجاعة أبناء الفلوجة بكل عشائرهم واتجاهاتهم هى العامل الأساسى فى قدرتهم على

مواجهة الجيش الإمبراطورى الأميركى، وإجباره على البقاء خارج أسوار المدينة، وقد جرت معارك فى الشوارع بالرشاشات والآر. بى. جى نجح فيها المقاومون فى تدمير عدة آليات أميركية، وقتلت وجرحت من فيها، واثبت العراقيون انهم - بارادتهم - أقوى من أسلحة أميركا الحديثة، فقد لجأ الجيش الأميركى إلى استعمال القنابل الذكية، زنة الواحدة ألف طن لضرب ٤٠ مقاتلاً احتموا بالأسوار الخارجية لمسجد، ولم تتورع القوات الأميركية من قصف المسجد والمستشفى والمدارس، وهى التى تدعى أنها جاءت لتحرير العراق.

إن انتصار المقاومة فى الفلوجة هو رسالة من شعب عربى إلى حكومات القمة العربية، بأنه من الممكن هزيمة الفيل الأميركى إذا امتلكنا إرادة القتال، وان الذى سوف يتعامل مع أميركا باعتبارها أسطورة القوة سوف ينهزم قبل أن يخوض المعركة، وابن المقفع رحمه الله كان يقول (امتلك الشجاعة أولاً حتى تستطيع أن تهزم الأسد) فيا حكام العرب الأفاضل، قليل من الشجاعة فى مواجهة بوش تكفى للنصر، وإذا شككتم فى هذه الحقيقة راجعوا دروس الفلوجة.

• احتلال مستشفى واعتقال الجرحى

فى نوفمبر ٢٠٠٤ قرر الجيش الأميركى أن يسترد بعضا من كرامته المهدرة على يد الاستشهاديين العراقيين والعرب، قرر أن يدفع بأعز ما لديه من قوات وسلاح لخوض معركة تطهير الفلوجة من المقاومة على حد قولهم، ومرة أخرى لجأ الجيش الأميركى إلى استخدام خيار «أعلى قوة» أو القوة الساحقة، فسحب قوات ووحدات من بغداد، وطلب من القوات البريطانية أن تحل محلها، وعلى مدى سبعة أيام ظل يدك مواقع المقاومة فى الفلوجة بالطائرات والصواريخ، وأقام ستارا من الدبابات والمدرعات حول المدينة بغية تحويلها إلى مدينة أشباح بعد أن يشن حرب إبادة بكل معنى الكلمة، وجرى تقسيم أحياء المدينة، وبدأت عملية أبشع حصار يمارسه إنسان ضد إنسان، وظل ١٠ آلاف جندى أميركى مدعومين بـ ٤ آلاف جندى عراقى من الجيش العميل الجديد يحاصرون المدينة بغية القضاء على ٥٠٠ أو ٧٠٠ مقاتل «فدائى» فيها، إنها المعادلة الصعبة لجيش لا يحترم أبسط قواعد القتال، ولا يلتفت إلى تاريخ معمد بالدم يصنعه فى تلك اللحظة، انها جريمة حرب يتحملها رئيس الولايات المتحدة وحليفه تونى بلير، اذ ما هى الشجاعة التى سوف يطوق بها جنود أميركا اعناقهم وهم يقاتلون مئات الفدائيين المحاصرين، هذا اذا انتصروا، لكن الواقع أن جيش واشنطن الجرار لم يتمكن من فرض سيطرته على المدينة، وحسب بيان مجلس شورى مجاهدى الفلوجة الصادر فى ٢٠٠٥/١/٣، فان انسحاب المقاومة من بعض الاحياء «الحى الشمالى - حى العسكرى» كان جزءاً من خطة عسكرية محكمة تهدف الى سحب قوات الاحتلال إلى داخل أزقة وشوارع المدينة، ومن ثم حصار الدبابات

والمدرعات داخل الفلوجة، وأشار البيان إلى أن الغرض من وراء هذه الخطة هو تجنب قصف الطيران الأميركى، حيث إن بقاء المقاومة فى اراض مفتوحة على حدود المدينة غير مجد بسبب قصف الطائرات، كما أن وجود الدبابات والمدرعات الأميركية داخل المدن يسهل من مهاجمتها وقنصها.

• شهادة ناعوم تشومسكى

وأكد البيان أن رجال المقاومة لم يتركوا ساحة القتال أبدا، رغم جرائم حرب الإبادة التى شنها الجيش الأميركى، وبما فى ذلك قيام الجنود الأميركين بقتل الجرحى والأسرى من المقاتلين العراقيين، واقتحام مستشفى المدينة واحتلاله، وننقل هنا شهادة للكاتب الأميركى المعروف ناعوم تشومسكى الذى وصف الهجوم بأنه يمثل إحدى جرائم الحرب الكبرى،" وقال: "الرئيس جورج بوش مؤهل تماماً أن يكون عرضة لعقوبة الموت بموجب معاهدات جنيف والقانون الأمريكى بسبب تلك الجريمة وحدها."

ورفض تشومسكى، فى مقابلة صحفية نشرتها صحيفة (لفت هووك Left Hook الأمريكية)، تشبيه ما جرى فى الفلوجة بالأحداث التى شهدتها مدينة سيربيرنجا، البوسنية وقال: "سيربيرنجا قطعة أرض صغيرة ارتكب فيها الصرب أعمالاً انتقامية... خلال انتقامهم نقلوا كافة النساء والأطفال إلى خارج المنطقة، احتفظوا بالرجال داخل المدينة، وقاموا بنحرهم... لكن ما يتعلق بالفلوجة، لم تقم الولايات المتحدة بنقل النساء والأطفال إلى خارج المنطقة، لقد قصفتهم... كان هناك ما يقرب من شهر كامل من القصف، كان قصفاً شاملاً للمدينة، وإذا كان هناك من تمكن أن يخرج بطريقة ما، فهم ليسوا أكثر من مائتى ألف شخص فرّوا، أو خرجوا بطريقة ما، لا نعرف ماذا حصل داخل المدينة... حتى نحن أنفسنا لم نقدّم تقديرات عن عدد الضحايا الذين قمنا بقتلهم."

وقال: إذا عرفنا أن الخطوة الرئيسية الأولى للهجوم تمثّلت أساسا بالاستيلاء على المستشفى العام فى الفلوجة يمكننا أن نخمّن ماذا حصل فى المدينة... لقد أخذ الجنود الأمريكان مرضى من أسرّة المرض، وتم إجبار مرضى وأطباء على الانبطاح على الأرض وقد غُلّت أيديهم بالقيود وهم تحت أقدام الجنود.

وأضاف: "رئيس الولايات المتحدة الأمريكية مؤهل أن يكون عرضة لعقوبة الموت بموجب القانون الأمريكى بسبب تلك الجريمة وحدها." وأضاف: "هناك خرق خطير لمعاهدات جنيف التى تقول من دون لبس أن المستشفيات وكادرها الطبى والمرضى ينبغى أن يكونوا جميعهم من دون استثناء محميين من قبل الأطراف المتحاربة فى أى نزاع كان... لا يمكننا أن نعثر على خرق لمعاهدات جنيف أكثر خطورة من هذا الخرق،" على حد تعبيره.

وأوضح أنه يوجد قانون فى الولايات المتحدة خاص بجرائم الحرب تم إقراره عام ١٩٩٦ من

الكونغرس ذات الأغلبية الجمهورية يقول إن عقوبة ارتكاب خروقات خطيرة لمعاهدات جنيف هي الإعدام. "هذا لا يعني أن الجندي هو من يخرق المعاهدات، ذلك يعني القادة... عن القانون يقول: إن المشرعين لم يضعوا الولايات المتحدة نصب أعينهم بوضعهم هذا التشريع، لكن إذا ما أخذنا النص التشريعي حرفيا، كلمة بكلمة فستجد أنه يشمل الولايات المتحدة."

يستغرب تشومسكي في مقال نشرته صحيفة نيويورك تايمز حول تبرير اقتحام مستشفى الفلوجة قائلا: الأكثر من هذا، أنهم ذهبوا ليشرحوا لنا لماذا ارتكبوا جريمة الحرب في المستشفى العام بالفلوجة. شرحت النيويورك تايمز الأمر بهدوء بقولها جرى اقتحام المستشفى لأن القيادة العليا للقوات المسلحة الأمريكية وصفته بأنه متنفس دعائي للمقاتلين، لأن المستشفى يَذكر عدد القتلى والإصابات. يضيف: "أنا شخصياً لا أعرف إذا كان النازيون قد عملوا أعمالا مشابهة لتلك."

ثم انتقد الرئيس بوش قائلاً: "رئيسنا قال إن أرقام الإصابات كانت منفوخة.. كيف يمكننا أن نعرف أنها كانت منفوخة؟ وما هي الأرقام الحقيقية؟.. هذا يعني أننا أصبحنا مثل كوريا الشمالية، نخفي الحقائق أو لا نعلنها كي يأتي آخرون يضخمونها... ولنفترض جدلاً أنها كانت كذلك، فهذا يعني ضمناً أننا ننفّذ جريمة حرب كبرى لأن المستشفى كان بمثابة سلاح دعائي.. في الحقيقة ينبغي عليّ أن أبذل مجهودا كبيراً كيّ أعثر على تفسير منطقي لكلام الرئيس هذا."

وأضاف: "مضت القوات الأمريكية تُدمِّر المدينة، وبعد أن انتهت من تدميرها كليّاً خلصت إلى القول: إن قوات (المارينز) ستواجه تحديات خطيرة في إعادة كسب ثقة سكان الفلوجة. ثم وصفت القوات كيف سيواجه المارينز هذه التحديات، إنهم يتحدثون الآن عن تأسيس دولة بوليسية: لن يُسمح لأي شخص الدخول للفلوجة حتى يخضع لمسح خاص بشبكية العين، وطبعات الأصابع، وسيتم إعطاء علامات للسكان، وتحديد هوياتهم. ستعمل القوات أي شيء باستثناء زرع رقائق إلكترونية بأجساد سكان المدينة، ربما سيقومون بهذه الخطوة في المرة القادمة... يتم تنظيم السكان حسب مجموعات عمل يتم بموجبها إجبارهم قسريا على إعادة بناء ما دمرته الولايات المتحدة. لن نجد نظيرا لمثل هذا... وكل هذا ليس سوى جريمة حرب واحدة، وجزء صغير من مجازر عامة أكبر." على حد تعبير تشومسكي.

يقول: "ربما كان هناك من يُحاجج أن هذه الانتهاكات ليست كبيرة وغير جديرة بالاعتبار... لكن طبقاً لمبادئ محكمة نورمبرغ، التي أطلقتها الولايات المتحدة ومَضت بها، فقد خلصت المحاكمات إلى نتيجة بأن الجريمة الدولية العظمى هي الغزو، والعدوان. وأن الجريمة العظمى تتضمن أيضا كل الانتهاكات والأعمال الفظيعة التي تعقب الغزو. وعليه فإن تضاعف معدلات سوء التغذية، وأعداد القتلى التي ربما تصل إلى ١٠٠,٠٠٠ ضحية، وجرائم الحرب الخطيرة في الفلوجة، كلها مجرد حاشية، أو مجرد هامش في كتاب الجرائم الدولية الكبرى، هذا يعني أن أي عمل شرير ارتُكِبَ عقب الغزو يقع

تحت طائلة الجريمة الدولية الكبرى."

يضيف: "فى نورمبرغ لم يُحاكموا الجنود، ولم يحاكموا قادة الفصائل والسرايا العسكرية، إنهم حاكموا وأعدموا من كانوا فى أعلى هرم القيادة. مثل وزير الخارجية الألمانى الذى تم إعدامه. بسبب المشاركة فى الجريمة الدولية الكبرى التى تشمل كافة الفظاعات التى تعقب الغزو."

ويتناول تشومسكى ما أسماه بـ ١١ سبتمبر الآخر ويقول: "هو ١١ سبتمبر ١٩٧٣، الذى تورّطت فيه الولايات المتحدة بقصف قصر الرئاسة فى سانتياغو بشيلى، والانقلاب العسكرى، وموت الرئيس سلفادور الليندى، وتدمير الديمقراطية الرائدة، وهى أقدم ديمقراطية فى أميركا اللاتينية." يضيف: العدد الرسمى لقتلى ١١ سبتمبر ١٩٧٣ يتجاوز ٣٠٠٠، والرقم لا يضم سوى الجثث التى تم إحصاؤها فعلاً. أعداد القتلى ربما تتجاوز ضعف هذا الرقم. يضيف إذا قارنا عدد القتلى مع عدد السكان، فسيعادل الرقم مقتل حوالى ٥٠ إلى ١٠٠,٠٠٠ شخص فى الولايات المتحدة. أما الذين خضعوا للتعذيب فهم بحدود ٣٠,٠٠٠، هذا يعنى ٧٠٠,٠٠٠ فى الولايات المتحدة، الآلاف من حالات الاغتصاب والإساءات الأخرى، الكثير من الناس اختفوا، هكذا بكل بساطة، لا أحد يعرف ماذا حلّ بهم.

• مقارنة بين العراق ونيكارجوا

يجرى تشومسكى مقارنة بين التدخل الأمريكى فى العراق ونيكاراجوا، يقول: فى بداية الثمانينيات، عندما بدأت الولايات المتحدة الحرب على نيكاراغوا، كانت هذه البلاد قد تلقت تثمينا من المنظمات الدولية وحتى من البنك الدولى للتقدم الجوهرى الذى حقّقته، لقد فازت بجوائز لتطورها من صندوق الأمم المتحدة للأمومة والطفولة (يونسيف) للتحسن الذى حقّقته فى صحة الأطفال والتنمية عموما. الآن هى على النقيض تماما لقد دمَّرت البلاد وهى اليوم، ثانى أفقر بلد فى نصف الكرة الأرضية. وبعد أن استحوذت الولايات المتحدة عليها ثانية فى ١٩٩٠، انحدَرَت البلاد نحو الجحيم أكثر فأكثر. والآن تشير التقديرات إلى أن أكثر من نصف الأطفال دون سن الثانية يعانون من سوء تغذية حاد، يعنى احتمالات حدوث تلف بالدماغ.

أما عن فيتنام، فيقول:"ما جرى هناك عدوان مباشر... لا يمكننا أن نسميه إرهاباً مع مقتل أربعة ملايين شخص أو أكثر، الفيتناميون مازالوا يموتون من تأثيرات حرب كيميائية واسعة النطاق بدأت منذ عهد جون كندى." يقول: هذا مجرد مثال للولايات المتحدة وحدها... هناك دول غربية أخرى، ليست قوية كقوة الولايات المتحدة، لكن العنف الذى استخدمته فاقَ التصوّر، مثل فرنسا فى أفريقيا، وبريطانيا فى كينيا وأماكن أخرى، إن ما قامت به هذه الدول يتجاوز بمسافة بعيدة جدا نطاق أى نشاط إرهابى آخر.

يقول تشومسكى: الأمر يتجاوز إطار "المدنية" ضد "البربرية." إنها بربرية من جانبنا نحن. ويضيف: ألمانيا كانت قمة الحضارة الغربية، كانت تمثل المجتمع الأكثر تقدماً فى العالم الغربى، فى العلوم، فى الفنون، فى الآداب. كانت ألمانيا بمثابة النجم الساطع للحضارة الغربية، لقد وُصِفَت من قبل العلماء السياسيين الأمريكان بأنها نموذج للديمقراطية، إنها قمة الحضارة الغربية. لكن فى الوقت نفسه أرى أن هناك حالة منافية للعقل... فقمة الحضارة الغربية الآن ترتكب مجازر ضد البشرية جمعاء... لقد ارتكبت أسوأ بربرية منذ الغزو المغولى لبغداد... نعم إنها أسوأ بربرية منذ الغزو المغولى.

يطرح تشومسكى فى آخر المقابلة سؤالا ليتركه بدون جواب: أى نوع من العلاقة يمكن للمرء أن يؤسس بين دول تسمو إلى قمة الحضارة لكنها ترتكب أعمالاً هى فى قمة البربرية؟!!

• رائحة الموت فى كل مكان

واللافت للنظر هو أن القوات الأميركية منعت المحطات الفضائية العربية من دخول مدينة الفلوجة أثناء المعارك، وبخاصة قناة الجزيرة القطرية حتى لا تنقل صورا لجرائم الإبادة التى ارتكبت ضد المدنيين، والمساجد، والمصحات، والمدارس، واقتصرت التغطية الإعلامية على محطات أميركية وعربية قبلت أن تعمل وفق التوجيهات الصادرة عن مسؤولى الإعلام فى القوات الأميركية، وهى بطبيعة الحال تحدد أماكن التصوير بما يخدم المخطط الأميركى.

وقد بلغ الحقد الامريكى لأن يمسح ثلثى المدينة مدمراً المساكن والمساجد والمدارس والعيادات الطبية، وتجاهلت وسائل الإعلام العربية والأجنبية ما حدث فى الفلوجة، حتى أن بريطانيا منعت نشر شهادة للدكتور العراقى سلام إسماعيل حول ما حدث فى الفلوجة، لكن موقعاً على الإنترنت مُو هَيِّفمَّك يُفَنِّى نشر تقرير هذا الطبيب بعد انتهاء جريمة الفلوجة بتاريخ ٢٠٠٥/٢/١٧.

يقول الدكتور سلام "أول ما جابهنى هو الرائحة، الرائحة التى من الصعب ان أصفها، وهى رائحة لا يمكن لها أن تتركنى أبداً، إنها رائحة الموت مئات من الجثث كانت داخل البيوت والحدائق وشوارع الفلوجة الأجساد كانت متعفنة فى مكانها، أجساد لرجال وأطفال ونساء، وكثير منها أُكل نصفها من قبل الكلاب الضالة".

ويكمل الدكتور قائلاً: بأن تفاصيل الاحداث التى سمعتها خلال الايام التى قضيتها هناك ستعيش معى ما حييت وربما تعتقدون بأنكم تعرفون ما جرى فى الفلوجة، لكن الحقيقة هى أسوأ بكثير مما تتصورون

ويروى قصة الفتاة هدى من مخيم للاجئين فى الصقلاوية، وهى قصة مؤلمة بعد ان قتل الجنود الأمريكيون كل أهلها واستطاعت الهروب، وقد التقى الطبيب كذلك بأحياء نجوا من الموت من حى

الجولان حيث قالوا بأنه فى الأسبوع الثانى من الحصار دخلت القوات الامريكية الى الجولان، وقد استعمل الحرس الوطنى العراقى مكبرات الصوت مطالبين الاهالى مغادرة منازلهم رافعين الأعلام البيضاء وكذلك كل حاجياتهم، وامروا الناس بالتجمع امام مسجد الفرقان فى قلب المدينة فى الثانى عشر من تشرين الثانى نوفمبر، قام إياد ناجى لطيف وأفراد عائلته، أحدهم طفل فى الشهر السادس من عمره بالتوجه فرادى نحو المسجد حاملين أمتعتهم، وحين وصلوا الى الطريق الرئيسى سمعوا صراخاً لم يدركوا مصدره، يقول الطبيب: "وقد أخبرنى إياد لاحقا بأن الصرخة كانت بالانجليزية وتعنى (الآن)، عندها بدأ إطلاق النار على الأهالى من قبل الجنود الأمريكيين المتمركزين على أسطح المنازل المجاورة للمنزل"، ويروى الطبيب تفاصيل الجريمة البشعة التى ارتكبت ضد أناس أبرياء كما رواها له إياد.

أما الذين نجوا من هذه المذبحة، فلقد أخبروا الطبيب بأن الشارع كان مغسولاً بالدم، وأن أعداداً كبيرة من العائلات قتلت فى منازلها وجرحى سيقوا إلى الشوارع لتسير فوقهم الدبابات وتهرسهم هرساً، وكما تحدثوا عن حاوية كبيرة تحوى جثث ١٨٤ من المدنيين أنها فعلا جريمة وحشية مخطط لها مسبقاً.

ويقول الطبيب: كنت قد عملت فى الفلوجة كطبيب فى شهر أبريل ٢٠٠٤ خلال الحصار الاول، لكننى حين جئت بعد المجزرة للتحقيق، لم أستطع أن اتعرف على المكان، وكان الناس يتجولون كالاشباح فى المدينة المدمرة!!

وينهى الدكتور سلام إسماعيل تقريره بالقول: إن ما حدث فى الفلوجة هو عمل بربرى، ويجب أن يعرف العالم بأسره هذه الحقيقة.

لقد استفرد الغزاة بهذه المدينة الباسلة، مرتكبين كل جرائمهم الفظيعة، بعيداً عن وسائل الاعلام، من اجل نشر الحرية والديمقراطية فى العراق، وها قد تحرر العراق بعد الانتخابات وتدمقرط ويحكمه أزلام الغزاة ليكملوا تدمير ما لم يدمره الغزاة، فهنيئاً لكل من ابتهج بهذه الانتخابات، لكن دماء الشهداء الذين قامت على جثمانيهم هذه الانتخابات، لن يغسلها الا ثورة دجلة والفرات، وهذا ما يقوم به رجال المقاومة الابطال فى العراق.

وعن الحصيلة النهائية لخسائر الاحتلال فى المعارك حتى ٢٠٠٥/١/٢، ذكر البيان أن خسائر الاحتلال كانت كالآتى:

١- مقتل أكثر من ٦٥٠٠ جندى أمريكى وجرح ٧٠٠ آخرين.

٢- مقتل أكثر من ٤٢٥ جنديا بريطانيا وجرح حوالى ٢٢٥ آخرين.

٣- أسر عدد كبير من الجنود الأمريكيين والبريطانيين قتل بعضهم أثناء محاولة الهروب.

٤- تدمير أكثر من ١٣٥٠ آلية ما بين دبابة ومدرعة.

٥- تدمير قرابة ٨٠٠ آلية همر وناقلة جند.

٦- إسقاط ٤١ طائرة منها ثلاث مقاتلات.

٧- الاستيلاء على ٢٠٠ قطعة سلاح أمريكية خفيفة ومتوسطة مع مئات النظارات والحراب والبوصلات والسترات الواقية وبعض الخرائط الخاصة بمواقع الاحتلال فى الأنبار.

أما بخصوص المقاومة فقد ذكر البيان: أن ٧٢١ من عناصر المقاومة قد قضوا نحبهم بينهم عرب، كما أصيب ٢١٥ آخرين أغلبهم بصحة جيدة ويمكنهم حمل السلاح مرة ثانية.

معركة المطعم فى الموصل

يرى فريق من الخبراء أن معركة الفلوجة الثانية كانت ضربة للمقاومة العراقية، خسرت خلالها عددا مهما من كوادرها، ومركزا رئيسيا من مراكز عملياتها.

وبدا للوهلة الأولى أن المقاومة تراجعت لبعض الوقت إذ انخفض عدد العمليات التى تستهدف القوات الأميركية إلى حد كبير، غير أن العمليات المنظمة والكثيفة سرعان ما عادت ما أدى إلى بروز تساؤلات حول تأثير معركة الفلوجة على المقاومة من حيث الأساليب والتكتيكات.

يقول الضابط فى الجيش السابق محمد تركى إن (معركة الفلوجة نبهت المقاومة إلى نقاط ضعف كثيرة منها لجوؤها إلى التورط فى معركة مواجهة مكشوفة مع القوات الأميركية وعملائها من جيش البشمركة وما يسمى الحرس الوطنى العراقى فى معركة غير متكافئة ما أدى إلى تدمير المدينة وانهاك مقاومتها وهذا ما كانت قوات الاحتلال تسعى إليه.

وأضاف.. (صحيح أن المعركة أربكت المقاومة فى العراق ككل، وسُجِّل تراجع عام فى أدائها إلا أنها من جهة أخرى أدت إلى عملية فرز بين المقاومة الحقيقية والتى تستهدف العراقيين).

وأكد أن.. المقاومة على ما يبدو دخلت بعد معركة الفلوجة فى مرحلة إعادة تنظيم ما وإعادة ترتيب الأهداف والأولويات ويبدو هذا واضحا من خلال العمليات التى شنتها على جنود الاحتلال بعد شهرين من المعركة خاصة عملية ضرب وحدات الحراسة الأميركية فى سجن أبو غريب ما أدى إلى مصرع وإصابة ٤٤ جندياً أميركيا فى معركة واحدة، فضلا عن نجاح المقاومة فى توجيه ضربات، أخرى للقوات الأميركية فى الأنبار والموصل حيث لقى ٢٢ جندياً أميركيا مصرعهم فى عملية واحدة نتيجة عن عملية اقتحام لاستشهادى أحد المطاعم الأميركية داخل قاعدة عسكرية وفجر نفسه واعلنت منظمة انصار السنة أنها هى التى نفذت العملية واكدت أنها تضمنت أسلوبين، أولاً عملية اقتحام من احد

استشهادييها وثانيا قصف صاروخى للمعسكر وبالتركيز على المطعم.

وكانت عمليات مكثفة ما يدل على وجود نوع من التنسيق بينها، كما أن المقاومة عدلت بعد معركة الفلوجة عن اتباع أسلوب المواجهة المباشرة، مع قوات الاحتلال والسيطرة على المدن وعادت إلى أسلوب حرب العصابات (اضرب واهرب) والعمل السرى والذى هو أساس نجاح كل مقاومة)، وتابع: إن (المحتلين يتمتعون بقوة نار تمنحهم التفوق فى أى معركة مكشوفة) لكن قوات الاحتلال تصبح هدفا سهلا عندما تكمن لها المقاومة، وتنقض عليه.

أما المحامى سرور الهيناوى فقال:- (إن المقاومة فى الفلوجة وقعت فى أخطاء كثيرة أدت فى النهاية إلى تورطها فى معركة غير متكافئة، دفع ثمنها المدينة وأهلها مثلما دفعت المقاومة الشريفة ثمنها من دماء مقاتليها، وأهم هذه الأخطاء هو هشاشة بنية تنظيماتها وسهولة الانضواء تحتها، ما أتاح للمندسين التسلل إلى صفوفها خصوصا بعد ظهورها إلى العلن، ما جعلها تتحول من حرب العصابات وهو الأسلوب الذى اتسم بالنجاح حتى المعركة إلى مواجهة بين أعظم قوة عسكرية ومجموعات ذات تسليح بسيط، فكانت النتيجة استشهاد عدد كبير من رجال المقاومة بفعل قوة الطيران والمدفعية الأميركية.

وأضاف الهيناوى: (لقد استدرجت المقاومة إلى معركة الفلوجة استدراجا، والحقيقة أن ما حدث كشف الكثير من مفردات المقاومة بعموم العراق، وجعلها بعد سقوط الفلوجة فى موقف دفاعى انعكس فى التراجع الملحوظ فى عملياتها) واستدرك: (لكن على رغم كل الآثار السلبية التى أفرزتها معركة الفلوجة إلا أنها أفادت المقاومة أكثر مما أضرت بها لأنها دفعتها إلى مراجعة مسيرتها وتتبع أخطائها والسعى إلى تلافيها، وهذا بدا جليا من خلال تراجع العمليات التى تستهدف الجيش العراقى الجديد بالقياس إلى تلك التى تستهدف القوات الأجنبية).

وزاد: إن (معركة الفلوجة صقلت المقاومة الوليدة وجعلتها أكثر مناعة ضد الفخاخ الأميركية، وكانت بمثابة درس مؤلم ولكنها أفادتها بحيث صارت أكثر سرية وتنظيما وأعادت ترتيب أولوياتها وأصبح استهداف جنود الاحتلال هو الأساس فى نشاطها).

◆ **وخلاصة الآراء السابقة هى:**

١- أن المقاومة حالة شعبية لا تستطيع أن تعمل بمعزل عن الجماهير، لذلك فإن قيام القوات الأميركية والقوات العراقية الموالية لها بمحاصرة الفلوجة لنحو شهر قبل بدء المعارك كان هدفه الأساسى هو إجبار مواطنى المدينة على مغادرتها بحيث لا يبقى فيها إلا المقاتلون الفدائيون ما يسهل ضربهم وإبادتهم، ولذلك كان طبيعيا أن تقرر المقاومة الانسحاب التدريجى من المدينة، مع خوض حروب

صغيرة لإيقاف تقدم القوات لحين خروج المقاتلين إلى مدن وقرى مجاورة للفلوجة.

٢- اتبعت المقاومة أسلوب الخروج من المدينة عبر نهر الفرات ليلا ثم العودة فى الصباح للقيام بعمليات فدائية سريعة ما يعنى عدم ترك الفرصة للقوات الأميركية فى شن عمليات شاملة لسحق المقاومة ليلا من خلال القصف الجوى الصاروخى بطريقة (الأرض المحروقة) فى الأحياء السكنية، لذلك ظلت المدينة فى حالة حرب لمدة شهر تقريبا، لا تستطيع القوات الأميركية أن تقول إنها فرضت السيطرة على جميع الاحياء، على رغم وجود الدبابات فى الشوارع الرئيسية لكن المقاومة كانت تسيطر على الشوارع الجانبية، وتشن عمليات ثم تغادر المدينة.

٣- ليس عيبا أن تستفيد المقاومة من أخطائها، فالمقاومة بشر فى الأساس، وبالتالى هناك احتمالات الخطأ والصواب، والحركة التى لا تستفيد من اخطائها لا تستطيع التقدم صوب اهدافها، ووفقا لشهادات خبراء فى الشؤون العسكرية العراقية فإن المقاومة عدلت من خططها، وقررت أن لا تخوض حروبا مكشوفة، أو حروب تقليدية، وان لا تتمركز فى منطقة واحدة، ومن الواضح ان المقاومة وحدت فصائلها خلال معركة الفلوجة، ووزعت قواتها وعملياتها، ففى الوقت الذى شنت فيه القوات الأميركية معركة الفلوجة بغية كسر إرادة المقاومة، قامت المقاومة بفتح معركة موازية فى الموصل والرمادى، وكبدت القوات الأميركية خسائر بشرية ومادية.

٤- لقد كان الفشل الأميركى الذريع فى كسر إرادة المقاومة فى الفلوجة بدليل عودة العمليات إليها بسرعة، دافعا لبعض كبار المسؤولين الأميركيين السابقين، وبعض مسؤوليها الحاليين وجنرالاتها المحاربين، وخبرائها اللامعين وقد أخذوا يتسابقون فى طرح سيناريوهات الخروج من المأزق العراقى، ومن الأسماء التى برزت فى هذا السباق: هنرى كيسنجر، وزبنيجو بريجنسكى، وبرنت سكوكرفت، أنتونى كوردزمان، أنتونى زينى، إلخ، ناهيك عن صرخات الفزع التى أطلقها، ولازالت تطلق من أفواه أعضاء فى الكونجرس مثل السيناتور كيندى، وأصوات أخرى لجنرالات يقودون الحرب فى العراق، مثل جونى أبو زيد الذى عبر عن اعتقاده بأنه من المستحيل سحب القوات الأميركية من العراق بينما لا يزال معدل العمليات الفدائية (أسماها الإرهابية) لا تزال كبيرة.

ورغم أن القوات الأميركية مدعومة بوحدات من الجيش العراقى الجديد المتعاون معها حاولت تجفيف منابع المقاومة من خلال عمليات هجوم بالدبابات والطائرات على قواعدها إلا أنها حققت فشلا ذريعاً، وسنعرض لعمليتين حشدت لهما القوات الأميركية العدة والعتاد ومع ذلك لم تنجح فى القضاء على المقاومة لأن الأخيرة تتسم بالمرونة وعدم الثبات فى موقع محدد، ولا تعتمد على أسلوب واحد.

رحلة إلى مثلث الموت
عملية (البرق) فى محيط بغداد؟

٤٠ ألف جندى عراقى وأميركى نفذوا اكبر عملية هجوم على مواقع المقاومة فى المنطقة التى تعرف إعلاميا باسم (مثلث الموت) وهو الطريق الذى يربط بين بغداد ومدن الجنوب وذلك خلال الاسبوعين، الأخير من مايو والأول من يونيو ٢٠٠٥، وتم الاستعانة بالدبابات وعربات همفى المدرعة وطائرات الهليكوبتر فى العملية التى حملت اسم (البرق)، وتزامنت مع اعتقال رئيس الحزب الإسلامى محسن عبدالحميد ما أوحى بأن العملية تستهدف الطائفة السنية بروافدها من المقاتلين والفدائيين وزعماء عشائر، هذه المنطقة التى نفذت مئات من العمليات التى كبدت القوات الغازية وملحقاتها من القوات العراقية الجديدة مئات القتلى وآلاف الجرحى فى اللطيفية وجرف الصخر واليوسفية وسدة الهندية والاسكندرية والمدائن والصويرة.

لقد فشلت عملية (البرق) فى السيطرة على (طرق المجاهدين) والمنتشرة حول بغداد، ويصل عددها إلى أكثر من ٧٠ طريقا فى مختلف الاتجاهات، ويتشعب إلى عشرات الممرات الصغيرة التى ينتشر فيها المقاتلون ويصعب على القوات الأميركية والعراقية المتعاونة معها اقتحامها، لذلك فإن اعتقال ٧٠٠ مشتبه فى انتمائهم للمقاومة فى عملية (البرق) لا يعنى نجاحها، فالواقع أن المقاتلين الفدائيين انتشروا بعيدا عن منطقة العمليات عندما شعروا باقتراب القوات المهاجمة ولذلك لجأت الأخيرة إلى اعتقال كل الشباب الموجودين فى القرى والمزارع الصغيرة بغض النظر عن انتمائهم للمقاومة من عدمه.

يقول أبو عامر الجنابى (أحد شيوخ كبرى عشائر مثلث الموت) (القوات الأميركية اعتقلت خمسة من أبنائى فى منزلى فى جرف الصخر) واضاف: (ان المحقق الاميركى هددنى بتسليمى الى الشرطة فى بابل اذا لم ادل بمعلومات عن رجال المقاومة) ويكشف الجنابى عن ان شرطة بابل تقوم بقطع اصابع من تشتبه فى انتمائهم الى المقاومة، ووصل الامر بأهالى مثلث الموت الى تفضيل السجون التى يشرف عليها الاميركيون ومنها ابو غريب وبوكا على سجون يشرف عليها عراقيون ينتمون إلى منظمة بدر الشيعية فى بابل والحلة وكربلاء والنجف حيث يتم التعامل مع المعتقلين وبخاصة رجال المقاومة بأسلوب دموى بشع.

وسبب فشل عملية البرق ومن قبلها الفلوجة والأنبار يعزوه الحزب الإسلامى فى بيان له الى (عجز الخيار العسكرى فى معالجة الأزمة الأمنية الأعاقية، وأن الخيار السياسى الذى يتضمن فتح قنوات حوار مع مجموعات المقاومة هو الاكثر ملاءمة لتسوية القضية) فى حين يجد محللون عسكريون عراقيون، ومنهم اللواء السابق عبدالعزيز العزاوى الذى عمل فى مجال الاستخبارات العسكرية فى عهد

صدام حسين، إن السيطرة على الامن فى بغداد ومحيطها امر صعب، وقد يكون مستحيلا على رغم انتشار اكثر من ٤٠ الف عسكرى فى عملية البرق وغيرها من العمليات التى سبقتها، ويؤكد ان الرئيس صدام حسين كان يعول كثيرا على سلطة زعماء القبائل لحماية هذه المناطق، وهى التى أنقذت النظام عام ١٩٩٠ من انتقام انتفاضتى (التمرد) الشيعة فى الجنوب والأكراد فى الشمال، بعد أن شكلت عشائر محيط بغداد جوارا أمنيا ساهم إلى حد كبير فى منع مد المنتفضين من الوصول إلى بغداد، ويضيف أن التعامل بطريقة قمعية بحتة مع تلك العشائر لن يقود إلا إلى المزيد من العنف، وربما كان ذلك وراء اعلان ٥٠٠ عضوا فى الجمعية الوطنية (البرلمان) الجديد، من مختلف الكتل تشكيل كتلة العشائر فى الجمعية لتفعيل دور القبيلة فى العملية السياسية والامنية، ويقول أحد شيوخ العشائر المعروفة فى منطقة المدائن بسخرية لصحيفة (الحياة اللندنية ٢٠٠٥/٦/٥): (فى زمن صدام كان هناك من يستقبلنا للتوسط لحل مشاكل الناس أو إطلاق سراح معتقلين، أما اليوم فلا نسمع من الأميركى سوى كلمة Go!

• فرق تسير بين السنة والشيعة

والواقع أن العمليات التى استهدفت المناطق السنية فى الفلوجة والرمادى وبغداد ساهمت فى زيادة أعداد المنضمين للمقاومة العراقية بعدما استفزت علماء الدين والحزب الاسلامى وهيئة علماء المسلمين وأئمة المساجد، وانطلقت تظاهرات فى مساجد السنة فى بغداد احتجاجا على عملية البرق واعتقال زعيم الحزب الإسلامى السنى محسن عبد المجيد، وتزامن ذلك مع تظاهرات مماثلة فى مدينة الصدر حيث رفع المتظاهرون الشيعة من انصار السيد مقتدى الصدر الشعارات نفسها التى تطالب بجلاء قوات الاحتلال، وحمل المتظاهرون شعارات مناهضة للاميركيين، وندد العضو فى المكتب السياسى للحزب الاسلامى الشيخ اياد العزمى من مسجد أبو حنيفة النعمان شمال بغداد بخطة البرق، وقال (هى برق على ابنائنا وعلى مدننا قاصدين شبابنا يعتقلون على الهوية) وهى اشارة الى ان الاعتقالات تطاول السنة، وتابع محذرا: (لا وحدة وطنية فى هذا البلد من دون أهل السنة، ولا عراق واحد بتغييبنا وتهميشنا وإقصائنا، وليعلم من يفعل ذلك انما ينفذ المخططات الأجنبية.

كما كان موضوع تهميش السنة وعملية البرق محور خطبة الشيخ محمود الصميدعى فى مسجد أم القرى مقر هيئة علماء المسلمين، وناشد الصميدعى أصحاب القرار والحكومة اطلاق آلاف الابرياء الذين لا ذنب لهم وعشرات الأئمة وخطباء المساجد والتوقف عن إذلال الناس) واضاف (لا ينبغى أن تهمش طائفة لحساب أخرى، أو تغيب طائفة لحساب اخرى فمثل هذا الأسلوب لن يحقق الاستقرار فى هذا البلد).

وتطرق الشيخ صلاح العبيدى من تيار السيد مقتدى الصدر إلى الموضوع نفسه محذرا فى خطبة ألقاها فى الكوفة قرب النجف من اخطار تقسيم البلاد بسبب التصعيد بين الطوائف وقال (هناك أسلوبان فى التعامل السياسى: الأول هو أسلوب المحاصصة ومعناه التنابذ والتخالف، والثانى المشاركة السياسية ومعناه حسن الظن من أجل توحيد الجهود ووحدة الكلمة).

الغرق فى عملية (النهر الخاطفة) بالأنبار

بعد أن انتهت معركة الفلوجة الثانية بأسابيع باشرت القوات الأميركية فى تجهيز حملة أخرى لمهاجمة محافظة الأنبار والمنطقة الغربية بغية القضاء على خلايا المقاومة التى تردد انها انتقلت عبر نهر الفرات من الفلوجة، وتسللت الى عدة مدن فى الانبار، فضلا عن تدمير قواعد التموين اللوجستى للمقاومة، ومراكز تدريب انشاتها المقاومة فى بعض الحقول، فضلا عن مخازن الذخيرة والاسلحة التى تتوقع الاستخبارات الاميركية ان تكون منتشرة فى نطاق واسع فى هذه المحافظة التى قفزت واجهة الانبار مرتبطة بتنامى المقاومة خاصة فى مدينتى الفلوجة والرمادى، وتعتبر الانبار اكبر محافظات العراق حجما، ولم يشهد تحركا بارزا ضد السلطات منذ العهد العثمانى والعهود الذى تلته حتى ابريل ٢٠٠٣ ولانسجام المذاهب دور هام فى معايشة الدولة ضمن قبيلة الجميلات ذات الأصول الانبارية ومنها جاء الرئيسان عبدالسلام عارف وعبدالرحمن عارف وهما شقيقان وكذلك اعتمد نظام البعث ١٩٦٨ على الانبار والغربية، ودأبت العشائر فى هذه المحافظة على تقديم الزعماء وقادة الجيش، واعتمد الرئيس صدام حسين على ابناء عشائر الانبار فى اختيار ضباط الحرس الجمهورى، والاستخبارات واجهزة الامن، ومن هذه المحافظة انطلقت عمليات المقاومة، ففيها ما لا يقل عن ١٥٠ مخزنا للسلاح مدفونة داخل منازل مأهولة بالسكان، ومزارع مما يصعب عملية رصدها، وفيها انسجام إنسانى مستند الى تماسك العشائر العربية ومعظمها له فروع فى دول الجوار مما يسهل عملية تحرك العناصر الناشطة فى صفوف المقاومة بين الدول المجاورة، وهى مقاومة عراقية الاصل والمنشأ وليست وافدة من الجوار، وبعد انتهاء معركة الفلوجة الثانية فى فبراير ٢٠٠٥ نظمت القوات الأميريكة ومعها وحدات من القوات العراقية الجديدة الموالية حملة للهجوم على قواعد المقاومة فى الأنبار أطلقت عليها اسم (حرب النهر الخاطفة)، استخدمت فيها فرقتين إحديهما مدرعة والاخرى مشاة من الجيش الأميركى والعراقى لمطاردة عناصر المقاومة التى تحركت من الفلوجة الى باقى مدن الأنبار، ووقعت معارك شرسة بين الفدائيين والقوات الغازية، نترك لرئيس اركان الجيش العراقى المتعاون مع الاحتلال بابكير زيبارى يروى بعض وقائعها، ففى تصريحات لصحيفة (الحياة اللندنية ٢٠٠٥/٣/١) قال:

إن العمليات العسكرية فى مدن محافظة الأنبار تنفذ بالتنسيق بين وزارة الدفاع العراقية وقيادة

القوات الاميركية (خطوة بخطوة).

وأضاف: (لدينا انتشار عسكرى بحجم فرقتين فى مدن هيت وعانة وحديثة ورواه والقائم والرمادى. وهذه القوات تتحمل المسئولية الاكبر فى ملاحقة الجماعات (الارهابية) فى مدن الانبار.

وافاد: إن مناطق الانبار تضم مجموعات كبيرة من المسلحين وان عمليات القوات العراقية- الاميركية (ستتواصل فى عمليات امنية منسقة وسريعة) وزاد (فى حوزتنا معلومات عن وجود كثيرين من العناصر العربية الاتية من خارج العراق فى مدن هيت ورواه وعانة. وذلك بحماية جماعات مسلحة عراقية.

وأشار إلى أن (أبا مصعب الزرقاوى)، زعيم تنظيم قاعدة الجهاد فى بلاد الرافدين موجود فى مناطق الانبار واعتقال احد مساعديه فى هيت مؤشر او خيط ربما يقود الى تحديد مسار تحرك هذا الزعيم الارهابى فى المنطقة.

وأفادت معلومات من الفلوجة ان عمليات الدهم التى نفذتها قوات عراقية واميركية فى مناطق العامرية والكرامة (المحاذية للمدينة) ثم حديثه ركزت على البحث عن زعيم (مجلس شورى المجاهدين) عبدالله الجنابى ورئيس وفد الفلوجة الذى فاوض حكومة اياد علاوى خالد محمود الجميلى علما أن الأخير بات مطلوبا لدى الحكومة العراقية والأميركيين اعتقادا بأنه على صلة بالمقاومة.

إلى ذلك قال خالد فخرى الجميلى احد وجهاء مدينة الفلوجة لـ (الحياة) إن المنطقة تشهد تحركات عسكرية واسعة للقوات الاميركية- العراقية باتجاه الرمادى ومناطق هيت وحديثة ورواه وعانة. واضاف:

(ما نشهده من تحركات وعمليات مدمرة تنبئ بحدوث فلوجة ثانية وثالثة ورابعة فى هذه المناطق) وأشار إلى مزيد من عمليات الدهم التى تنفذها القوات الاميريكة والعراقية داخل الفلوجة. فى مؤشر الى وجود حالات مهمة من المقاومة وانتقد الحكومة برئاسة علاوى لاستمرارها فى اسلوب الحل العسكرى للازمات فى المناطق السنية واعتبر ان العمليات العسكرية ضد مدن محافظة الانبار محاولة اميريكة ومن بعض الاطراف العراقية لاجهاض تحرك السنة العرب، باتجاه المشاركة فى العملية السياسية.

وتعتبر عشائر الأنبار هى الاكثر تفريخا لعناصر المقاومة كما أن لها دورا هاما فى صياغة الموقف السياسى للمقاومة نظرا لان عددا كبيرا من قادة هيئة علماء المسلمين ينتمون الى هذه المحافظة العريقة، فضلا عن كبار ضباط الجيش والاستخبارات فى عصر الرئيس صدام حسين وما قبله، وتشير التقديرات إلى أن من ٥٠ الى ٦٠ الف فدائى منتشرون فى محافظة الانبار وتكريت وبعقوبة بشكل

طبيعى بين الناس، ثم ينقضون على الهدف فى لحظة، وبعدها يعودون إلى الانتشار فى الأسواق أو المقاهى وكأن شيئا لم يحدث.

• مقرات القيادة المقاومة تحت الأرض

والأمر المؤكد هو أن حزب البعث كان قد خطط للمقاومة قبل احتلال بغداد، وأن محافظة الأنبار تم تجهيزها لتكون أحد معاقل المقاومة، من خلال بناء تحصينات تحت الارض لايواء رجال المقاومة ولتخزين الاسلحة، ما يؤكد ذلك هو البيان الصادر عن الجيش الاميركى فى ٢٠٠٥/٦/٥ وجاء فيه أن القوات الأميركية والعراقية اكتشفت تحصينات ومخابئ، وأسلحة تحت الأرض فى محافظة الأنبار، وإن المسلحين «المقاومة» كانوا يستخدمون هذه التحصينات لأن القوات الأميركية عثرت على غرف مفروشة ومطبخ ملىء بالطعام الطازج وحمامات وجهاز مكيف الهواء، وأن التحصينات تحت الأرض بطول ٢٧٢ مترا وعرض ١٧٠ مترا فى شمال مدينة الكرامة على بعد ٦٠ كيلو متراً من بغداد، ويعتقد أنها تخص قيادة المقاومة فى محافظة الأنبار.

وفيها كانت تتخذ القرارات بتنفيذ عمليات مسلحة ضد القوات الغازية، وأن رجال المقاومة هجروها عندما شعروا باقتراب القوات الأميركية منها لكن قيادة الجيش الأميركى قالت إنها عثرت على ٥٠ موقعا محصنا للمقاومة فى الأنبار، وافادت مصادر ان ما لا يقل عن ٢٠٠ أو ٣٠٠ موقع آخر تستخدمها المقاومة لا تزال فى طور السرية.

وبطبيعة الحال فان الكشف عن هذه التحصينات التى تم شقها فى مناطق حجرية تشير إلى ان نظام الرئيس صدام حسين هو الذى كان قد حفرها وشيدها لأنها تحتاج إلى امكانات هندسية عالية فضلا عن المعدات والرجال مما يتوفر للدولة وليس للمقاومة التى بحكم طبيعتها هى عمل سرى.

• لا مفر من الحوار مع المقاومة

الأمر الذى دفع نائب الرئيس العراقى غازى عجيل الياور «الحياة - ٢٠٠٥/٤/١٤» إلى طلب الاجتماع بالشيخ حارث الضارى رئيس هيئة علماء المسلمين للتدخل لدى قيادات المقاومة لتهدئة العمليات بناء على طلب من جلال طالبانى.

وقال عضو كتلة الائتلاف فى العراق الموحد مضر شوكت إن اتجاه الرئيس جلال طالبانى للحوار مع القوى المناهضة للاحتلال والنظام الجديد مؤشر على أن الرئاسة ستكون اقوى تأثيرا فى القرار من رئاسة الحكومة، وأضاف: «طالبانى شخصية قوية للغاية وبراجماتى من الطراز الأول».

لذلك فإن العلاقة بين الرئاسة ستكون مختلفة مقارنة بفترة حكومة إياد علاوى التى كانت صاحبة القرار.

ورأى شوكت أن المقاومة ضد الاحتلال خدمت برامج بعض السياسيين لكنها أخرت برامج البعض الآخر»، واعتبر أن تحرك طالبانى - الياور للحوار مع المقاومة «لا يعنى بأى حال استبعاد رئيس الحكومة المكلف إبراهيم الجعفرى أو نائب رئيس الجمهورية عادل عبدالمهدى عن هذا الملف». وانتقد المقاومة ضد الاحتلال «لأنها قادت الى اوضاع امنية واقتصادية سيئة جدا» لكنه عاد وامتدحها بسبب دورها فى تعزيز التوجهات السياسية للوصول إلى سيادة العراق واستقلاله».

وقال عضو المكتب السياسى فى الحزب الإسلامى العراقى علاء مكى لـ «الحياة» إن طالبانى - الياور طلب الكثير من الأوساط السنية العربية للوصول إلى قيادات المقاومة، مشيرا الى أنه «إن عاجلاً أم آجلا سيحاور الرجلان قيادات المقاومة التى لها تأثير ملموس فى تطبيع الأوضاع الأمنية».

وأضاف: «لا يقبل جميع أطراف المقاومة بالحوار لكن المؤكد أن طالبانى - الياور يستطيعان التحدث وسينجحان فى الاتصال مع القيادات المهمة وتحقيق نتائج إيجابية».

وأشار مكى إلى أن الحوار بين الرئاسة وبين المقاومة «يجب أن يرافقه حوار بين سياسى العرب السنة وبين قيادات هذه المقاومة للاتفاق على مشروع سياسى». وقال إن الحوار الرئاسى مع المقاومة عندما يتبلور «سيؤدى إلى تعزيز مكانة ودور الأحزاب السياسية فى الساحة السنية العربية بخلاف ما يعتقد البعض ان «الحوار» ربما يسهم فى تجاهل السياسيين العرب السنة وارتفاع أهمية قيادات المقاومة فى العمل السياسى.

وكشف مكى عن تهديدات وجهتها المقاومة إلى أطراف سياسية سنية وحضتها على الكف عن الاشتراك فى العملية السياسية. وأفادت تقارير الحزب الإسلامى العراقى أن هناك قوى بعثية ترفض الحوار مع الرئاسة العراقية طالما ان الاحتلال موجود فى البلاد.

من جهته، قال الناطق باسم تيار الصدر عبدالهادى الدراجى لـ «الحياة» إن على القوى المعارضة للاحتلال القبول بالحوار مع الرئاسة العراقية بغض النظر عن الظروف المحيطة بالاحتلال.

❖ ❖ ❖

الفصل الثالث عشر

المقاومة الشيعية

- قائمة طويلة من شهداء المرجعيات الدينية على يد البعث
- لماذا صمت السيستانى على الاحتلال ولماذا قاد مقتدى الصدر المقاومة؟
- ما هو دور أميركا وإسرائيل فى تغذية فتنة طائفية بين السنة والشيعة؟

لأسباب متنوعة، بعضها اقتصادى، تعود أصول العشائر العراقية التى ينحدر منها معظم أبناء الشعب العراقى، وبخاصة الشيعة إلى الجزيرة العربية وبلاد الشام، ومن الطبيعى أن نجد العشيرة الواحدة وقد توزعت بين العراق والسعودية وسوريا والأردن، بل هناك عشائر توزعت بين السنة والشيعة، وهناك عشائر شيعية تحول بعض أفرادها إلى المذهب السنى، فى حين هناك عشائر سنية تحولت بعض بطونها إلى المذهب الشيعى، وليس هناك أدنى شك فى عروبة شيعة العراق، فهم- مثل السنة- فى الأصل عراقيون بغض النظر عن المذهب، ومن الطبيعى ان يقاتل شيعة العراق ضمن صفوف الجيش العراقى أثناء الحرب العراقية- الإيرانية، ورغم رفضنا- المؤلف- لهذه الحرب شكلا وموضوعا، إلا أن اللافت هو عدم انحياز الجنود الشيعة فى صفوف الجيش العراقى الى الجانب الايرانى على ارضية مذهبية، بل ظل الانتماء للوطن اعلى من الانتساب الى المذهب، وقد ظل الانتماء العربى فى تاريخ العراق الحديث قويا لدى العراقيين الشيعة- حسبما يقول الكاتب والباحث العراقى عبد الكريم العلوجى- فقد أنتجت الأحداث التى أعقبت اجتياح الاستعمار البريطانى للأراضى العراقية، وما أعقبها من اندلاع ثورة العشرين فى ٣٠ يونيو ١٩٢٠ فى وجه القوات البريطانية فى الفرات الأوسط الشيعى العربى، إقرار حكومة عربية، رشح لها أمير عربى سنى، وهو ما يعكس عمق العلاقة بين أبناء الشعب الواحد فى العراق، غير أن ما حصل بعد ذلك لجهة إحساس قطاعات من الشيعة بأن نظم الحكم المتعاقبة فى العراق قد ظلمتهم، وأقصتهم عن مواقع النفوذ والسيطرة والثروة، وان نظام الرئيس صدام حسين سعى إلى (تخويف) الحكومات العربية من الخطر الشيعى، والأكثر من ذلك هو ما يشعر به بعض الشيعة العرب فى العراق من تعاطف الحركات الإسلامية مع النظام البعثى أو على الأقل سكوتها على جرائم وقعت فى حق رموز الشيعة، والذى وصل حد اغتيال أئمة الشيعة الكبار.

• خلافات الحوزة الصامتة مع الحوزة الناطقة

وما يهمنا هنا هو موقف المرجعية الشيعية من ظاهرة المقاومة بكل أشكالها السلمية والعسكرية أو القتالية، ونتوقف عند المرجعية الدينية التى كان- ولا يزال- لها اليد الطولى فى الشأن السياسى لشيعة العراق، وللمرجعية تاريخ طويل، وحضور متميز، وكانت هناك مرجعيات معروفة فى الوطن العربى، ومنتشرة كأسماء بارزة حتى فى أوساط السنة العرب، هكذا يخبرنا التاريخ العراقى المعاصر عن أدوار السيد محمد حسن الشيرازى الكبير، والمجاهد السيد محمد سعيد الحبوبى والميرزا محمد تقى

الشيرازى، والشيخ محمد جواد الجزوائرى، والشيخ محمد مهدى الخالصى والشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، والامام محسن الحكيم والامام الصابر ابو القاسم الخوئى، والسيد محمد باقر الصدر والسيد محمد صادق الصدر، وما بينهم من مئات العلماء والملايين من اتباع المرجعية تضعنا امام عامل مهم فى السياسة العراقية، فمن اهم عوامل الحراك السياسى فى العراق بعد الغزو الاجنبى هو موقف المرجعية الدينية العليا ممثلة بآية الله العظمى السيد على السيستانى وقاعدته الواسعة من ملايين الشيعة، ولها مواقف واضحة ومشخصنة من الاحتلال والوضع السياسى بعامة، ومن رموز هذا الخط كذلك آيات الله العظام السيد محمد سعيد الحكيم والشيخ اسحق فياض والشيخ بشير النجفى.

والمرجعية الدينية اكتسبت هذه المكانة الرفيعة، والتأثير الكبير بحكم موقعها الشرعى وهو رعاية شؤون المسلمين ومصالحهم وهدايتهم لما تعتقد بتطابقه مع الموقف الشرعى الاسلامى، وعلى الرغم من وجود التصنيفات المختلفة لطبيعة الفهم المرجعى للشأن السياسى عند الشيعة تبقى للمرجعية كلمة عالية ومسموعة عند المسلمين الشيعة وقد تتعداهم الى عموم المسلمين وكان لهذه المرجعية تصوراتها فى ما يتعلق بأوضاع العراق بعد الاحتلال.

وكانت تؤكد على ضرورة أن يكتب الدستور بأيد عراقية وأن يصوبه الشعب العراقى كما انها كانت تؤكد على طول الخط على ضرورة وحدة الشعب العراقى وتحذر من الفتن الطائفية التى يبذل البعض كل ما فى وسعه لاذكائها.

لقد ظهر فى الساحة العراقية تياران رئيسيان أولهما بقيادة آية الله العظمى السيستانى، والتيار الثانى بزعامة السيد مقتدى الصدر، ووصف المراقبون التيار الأول بالمهادن أو (بالحوزة الصامتة) التى ترى إمكانية تشكيل حكومة وطنية، وبرلمان وطنى فى ظل الاحتلال استنادا إلى تجارب عدد من الشعوب، ومن بينها الشعب المصرى الذى دخل فى مفاوضات مع الاحتلال منذ ثورة ١٩ تحت شعار المطالبة بالجلاء والدستور فى آن واحد وحتى اندلاع ثورة يوليو ١٩٥٢ بقيادة الزعيم جمال عبد الناصر، وقد نالت هذه الرواية قبولا واسعا بين الأحزاب والمواطنين الشيعة، ونالت بشكل أساسى قبولا فى الحزبين الشيعيين الكبيرين، المجلس الاعلى للثورة الإسلامية وحزب الدعوة.

لكن الواقع بين مصر والعراق مختلف تماماً فقادة ثورة ١٩ فى مصر لم يأتوا مع المحتل على دباباته، بل كانوا مصريين شحماً ولحماً بعكس المجلس الأعلى للثورة الإسلامية الذى كان مقره إيران وله علاقات غير خفية مع وكالة الاستخبارات الأميركية، وكذلك حزب الدعوة، فزعيمه إبراهيم

الجعفرى ينحدر من أصول افغانية وله علاقات وثيقة مع ادارة الاحتلال الأنجلو أميركى.

وفى المقابل فإن التيار الذى يقوده السيد مقتدى الصدر وصف بـ (الوريث الشرعى) لـ(الحوزة الناطقة) والتى كان يمثلها والده السيد محمد صادق الصدر، والذى جاهر برفض الاحتلال منذ أول لحظة، وشارك فى عمليات المقاومة فى النجف وكربلاء ومدينة الصدر فى بغداد، وقد وقف فى الضفة الاخرى لنهر الحياة السياسية العراقية لكنه لم يخرج عن مرجعية السيد السيستانى، وإن كان أعلن أكثر من مرة- وبالسلاح- اختلافه فى الرؤية مع المرجعية الشيعية ممثلة فى السيستانى، وقد فسر البعض سفر السيستانى للعلاج فى لندن اثناء احتدام المعارك بين قوات جيش المهدى الموالية للصدر وقوات الاحتلال الاميركية فى النجف بأنه (مرض سياسى) و(سفر سياسى)، حيث كان السيستانى يرى تفريغ النجف والعتبات المقدسة من الميليشيات وأيضا من قوات الاحتلال، بدعوى وجود مقاومة مسلحة فى المناطق المقدسة سيؤدى إلى تدميرها واشاعة الفوضى فى الشوارع المحيطة بها، فى حين أن الصدر كان يرى أن مقاومة الاحتلال جائزة فى كل وقت وكل مكان.

ويمكن القول أن تيار السيستانى يتمتع بشعبية واسعة فى أوساط النخب السياسية التقليدية التى شاركت فى الصيغ السياسية التى تمت فى ظل وجود القوات الغازية، ولم يصدر عنها أى رأى يحرض على قتال القوات الغازية، بل على العكس فقد تنوعت فى اطلاق تعبيرات متخاذلة عن المقاومة العسكرية بدءا من وصفها بانهم من (أزلام صدام) أو (إرهابيون قادمون من الخارج لتصفية حسابات مع الولايات المتحدة وحلفائها)، فى حين ان تيار الصدر تمتع بتأييد واسع فى اوساط الطبقات الاجتماعية المهمشة والفقيرة، والتى تعرف بداية ان ليس لها نصيب فى طبق أو كعكة السلطة والثروة، وأن انحيازها الطبقى والاجتماعى سيكون فى خندق المقاومة، وبالتالى تمكن الصدر من بناء جيش المهدى بسرعة بعد احتلال العراق فى حين ان قوات بدر، وهى الذراع العسكرى للمجلس الأعلى للثورة الاسلامية جرى تشكيلها قبل عقد من الزمان، فى إيران واستفادت من الدعم اللوجستى والخبرة الإيرانية.

• انتفاضة مقتدى الصدر

مقتدى الصدر من مواليد السبعينيات فى القرن العشرين وهو فى التقاليد العلمية للحوزة (طالب بحث خارجى) وهو ليس مرجعية وإنما يعتبر نفسه وكيل المرجع السيد كاظم الحائرى حسب وصية والده.

هو ابن السيد محمد صادق الصدر الذى قتل واثنان من ابنائه فى النجف عام ١٩٩٩م على أيدى مجهولين واتهم النظام السابق بتصفيته، وهو صهر محمد باقر الصدر الذى أعدم فى ابريل ١٩٨٠م.

فى يونيو ٢٠٠٣ قام مقتدى الصدر بتأسيس جيش المهدى على أساس أنها قوات غير مسلحة، ثم أعلن تأسيس (حكومة ظل) منافسة لمجلس الحكم العراقى غير أن الخطوة باءت بالفشل، وأنشأ صحيفة "الحوزة الناطقة" الأسبوعية التى أغلقتها قوات الاحتلال فى ٢٠٠٤/٣/٢٨ بتهمة التحريض ضد القوات الأميركية وحلفائها، والدعوة إلى مقاتلة الغزاة.

وقد خرج انصاره فى مسيرة سلمية طافت بغداد والمدن الشيعية فى كربلاء والنجف والكوفة وواجهها الاحتلال بالنار، جرى اعتقال مساعد الصدر ثم اتهام الصدر نفسه بقتل السيد عبد المجيد الخوئى وهو ابن المرجع الشيعى الراحل ابو القاسم الخوئى، وقاد الصدر بنفسه عمليات مقاومة القوات الاميركية واشتعلت المعارك فيما سميت بانتفاضة ابريل ٢٠٠٤، والتى تواكبت مع تصاعد المقاومة فى الفلوجة وما جاورها وقصفت الفلوجة قصف ابادة.

ومنذ ظهوره السياسى أعطى الصدر للمراقبين إشارات مضللة ومشتتة عن حقيقة مقاصده واهدافه فمرة يجنح للحرب ومرة للسلم ومرة يؤيد الحكومة المعينة ومرة يقف ضدها وهكذا حتى لم يأخذه البعض مأخذ الجد، فى حين يرى آخرون انه يعرف بدقة خطواته وفق تصور يبدأ برفض الوجود الاجنبى، وينتهى عند بناء عراق ديمقراطى حديث لا مكان فيه لعملاء CIA والبنتاجون.

والسؤال هو من أين يستمد مقتدى الصدر شعبيته؟ والإجابة تكمن فى النقاط التالية:

أولا: إرثه العائلى وبالتالى مكانته الدينية والاجتماعية ووجوده عكس الذين هربوا وتمتعوا برعاية اجنبية وظل كثير منهم على ولائه بالجهات الخارجية.

ثانيا: تطلع الجماهير العراقية إلى شخصية قائدة تبرز فى الساحة بعد غياب الرئيس الاسير صدام حسين، ولذا علق الكثيرون حتى بين السنة وغيرهم من العراقيين أملا كبيرا على مواصلة الصدر مواقفه وجهاده ضد المحتل.

ثالثا: إن الشيعة الذين قادوا الثورات منذ العشرينات من القرن الماضى ليسوا كما صورهم أحمد الجلبى للإدارة الاميركية من أنهم سوف يرحبون بالمحتلين، ويستقبلونهم بالورود والرياحين فرحا لتخليصهم من القهر والظلم، بل إنهم جزء لا يتجزأ من هذا الشعب، وهم حماة عروبته ودينه، وهكذا فهم يتطلعون الى السيد مقتدى الصدر ليكون معادلا للمقاومة السنية.

رابعا: تختلف المقاومة التى يقودها الصدر عن تلك التى ظهرت فى الفلوجة والانبار وبقية المناطق السنية التى قادت المقاومة العراقية الباسلة فى شيئ اساسى وهو أن مقاومته هنا واضحة، ولها معالم ولها صوت يتكلم عنها ولها زعيم معروف له وكلاء فى المدن والمحافظات العراقية أى انها مقاومة علنية سياسية وعسكرية ومن ناحية استقطاب الجماهير فهذه النقطة لصالح مقتدى الصدر رغم ان المقاومة السنية التى ترمز لها الفلوجة اكثر تطورا فى العمليات واكثر ايلاما للعدو.

وفيما يتعلق بمشاركة الصدر فى الانتخابات ذكرت جريدة الحياة فى السابع من ديسمبر لعام ٢٠٠٤ مسؤول المكتب السياسى فى تيار الصدر الشيخ على سميسم قال: إن التيار ثابت على موقفه لتعليق المشاركة فى الانتخابات المقررة نهاية يناير من عام ٢٠٠٥ واضاف "نحن لا ندعم أى قائمة سياسية لاننا محاصرون وممنوعون من اقامة صلاة الجمعة فى جامع الكوفة واغلقوا مكاتبنا كما اعتقلوا الكثير من قيادات التيار، وقبل يومين اعتقلت قوات الشرطة العراقية فى مدينة المشخاب شمال النجف امام الجمعة وتساءل: كيف نشارك فى ظل هذه الاجواء القمعية، وعندما سئل عن موقف تيار الصدر من فتوى السيد السيستانى بضرورة المشاركة فى الانتخابات قال: كيف نرضخ لمطالب السيد السيستانى ونحن محاصرون واجهزة الامن تعتقل كل من تشتبه بأنه من التيار الصدرى؟! هذا الامر كما تعلمون مخالف لشروط اتفاق الهدنة المبرم مع السيستانى".

وأشار إلى أنه قبل ايام قليلة أردنا اقامة صلاة الجمعة فى جامع الزهراء فى النجف الا ان الشرطة منعتنا، وشدد على ان التيار ثابت على موقفه بتعليق مشاركته فى الانتخابات إلا إذا غيرت الحكومة سياستها إزاءه وعندها سندعم القائمة التى نرى انها تمثل ارادة الشعب، وحول ما يشاع عن دعم التيار شخصيات فى قائمة السيستانى قال: "إن هذا الخبر كاذب، نحن لا ندعم أحدا فى قائمة السيد السيستانى فبعض الاحزاب التى فى القائمة أرادت أن تستغل التيار الصدرى باعتباره التيار الجماهيرى والعقائدى الذى يمثل أكثرية الشعب لمصلحتها فى الانتخابات".

من جانبه أكد الشيخ عبد الهادى الدراجى، الناطق باسم التيار الصدرى لـ (الحياة) ٢٠٠٥/٢/٩ أن التيار يرحب بالمصالحة، على رغم أنه كان يفضل الدعوة إليها قبل الانتخابات وأوضح أنه (يشترط ان تكون الدعوة لعقد مؤتمر المصالحة بين القوى السياسية والدينية التى عارضت العملية السياسية وقاطعت الانتخابات لفتح الابواب امام جميع المعارضين للمشاركة).

وقال إن التيار ربط الدعوة للمصالحة الوطنية بجدولة انسحاب القوات المتعددة الجنسية) ونفى

موافقة قيادات التيار على المشاركة فى كتابة الدستور حيث لا يختلف عن موقفنا من المشاركة فى الانتخابات فكلاهما رهن بوضع جدول زمنى للانسحاب) واشار إلى أن التيار رفض المشاركة فى الانتخابات، الا انه لم يفرض على انصاره مقاطعتها استجابة لدعوة المرجعية العليا فى النجف، وايمانا منه بأنها الوسيلة السليمة المتوافرة لاخراج المحتل.

وزاد إن إصرار بعض المسئولين العراقيين، فى تصريحاتهم أخيرا على أن الدعوة لاخراج القوات المتعددة الجنسية من العراق فى هذه المرحلة خطر كبير بحجة ضعف الاجهزة الامنية ولا يخدم العراق.

• المقاومة الشيعية

يعتقد البعض أن الشيعة فى العراق يشكلون الأكثرية من شعبه العربى، وهم يؤلفون نصف أو أكثر من نصف بغداد، والأغلبية العظمى من البصرة ومدن الوسط والجنوب ويعتقدون أيضا أن الشيعة كانوا مضطهدين فى العهود العثمانية، وأبواب الوظائف الحكومية مغلقة أمامهم، وبدأ التململ فى أواخر العهد العثمانى الأخير بإنشاء المدرسة الجعفرية فى بغداد وسياسيّاً بإنشاء حزب حرس الاستقلال السرى (شيعة وسنة) قبل ثورة العشرين.

وعند تأسيس الدولة العراقية الحديثة لعب علماء الشيعة وعشائر الفرات الأوسط دوراً رئيسيّاً فيها، لكن مقاليد السلطة ظلت بأيدى طاقم الضباط المنخرطين فى الجيش العثمانى وما حملوه من نعرات طائفية انعكست بوجه خاص فى قانون الجنسية المصادق عليه سنة ١٩٢٥، والذى طبق بصورة ظالمة على عشرات الآلاف من شيعة العراق: عرباً وأكراداً ولاسيما فى سنوات ١٩٧٠ - ١٩٧١ و١٩٨٠ حيث تم تهجير أكثر من ٤٠٠ ألف عراقى قسراً إلى إيران، لكن هناك من يشكك فى هذه الوقائع، يقول المفكر العراقى د.عبدالقادر الدليمى أن الذين هجروا هم فقط من ذوى الأصول الإيرانية الذين لم يحبذوا الحصول على الجنسية العراقية لعدم رغبتهم بخدمة العلم «العسكرية».

لقد ظل المجتمع العراقى والساحة السياسية متحصنين ضد المؤامرات الطائفية بالرغم من بعض مظاهر التميز لدى الحكام لاسيما عند القبول فى الكلية العسكرية والتعيين لوظائف مهمة. واتحدت جماهير الشيعة والسنة عام ١٩٤١من وراء حركة رشيد عالى الكيلانى، وفى كانون الثانى ١٩٣٦ ضد مشروع معاهد بورتسموث وفى الانتفاضات التالية وثورة ١٤تموز ١٩٥٨.

إن نزعات التمييز الطائفى للحكام، والهواجس الطائفية لدى بعض مثقفى الشيعة وساستهم لم تستطع تقسيم المجتمع طائفيّاً، وذلك بالعكس من لبنان، مثلاً. وفى ١٩٤٧ عُين شيعى بمركز رئيس

الوزراء وهو صالح جبر، وكان ذلك حدثاً يقع لأول مرة.. وأعقبه الشيعي محمد الصدر وفي ١٩٥٣الشيعي أيضاً محمد فاضل الجمالي. غير أنه باستثناء هذه المرات الثلاث فإن رئاسات الوزراء كانت دوماً في أيدي ساسة من السنة. وأما عبدالكريم قاسم فكان نصفه هنا من أبيه ونصفه هناك من والدته وقد إتصف بالتسامح الطائفي والديني.

ولابد من ذكر أن المشتغلين بالسياسة من أبناء المذهب الشيعي في العراق لم ينتموا في تلك العهود إلى أحزاب طائفية لم تكن موجودة أصلاً. وحتى حزب الأمة الإشتراكي لصالح جبر المؤسس في أواخر ١٩٤٩، والمتهم بالطائفية الشيعية كان يضم في لجنته القيادية شيعة وسنة، وكانت شعاراته وبرنامجه ومطالباته عراقية عامة وليست طائفية.

وتوزع الساسة من الشيعة على كل الأحزاب الوطنية تقريباً، ومنهم زعيم حزب الاستقلال محمد مهدي كبة، وزعيم البعث فؤاد الركابي، والزعيم الشيوعي سلام عادل والآخرون.. أي ان الانتساب المذهبي لم يكن هو العامل الحاسم في الخيارات السياسية لهؤلاء وغيرهم، وحتى اليوم، فإن من الضلال والخطأ الفادحين محاولة البعض إحتكار تمثيل الشيعة العراقيين، غير إنه نشأت ولأول مرة في تاريخ العراق، تنظيمات سياسية شيعية إبتداء من نواة حزب الدعوة الإسلامية (١٩٥٧).

فالمواطنة العراقية هي الجامع الأكبر بين مسلمي العراق، وإن كان ذلك لا ينفي ويناقض، تمايز المعتقدات والهوية الثقافية. والمشكلة أن الشرائح الطائفية من حكام العراق المتعاقبين ربطوا التشيع العراقي بإيران، ولاسيما في أوقات التوتر، والأزمات بين البلدين، علماً بأن التشيع نشأ عربياً، وأن الحرب الإيرانية - العراقية برهنت على أن الوطنية العراقية هي الأصل، وهي الأمر الحاسم في هوية الشيعة العراقية.

يضاف لذلك أن المراقد الشيعية المقدسة الأساسية موجودة في العراق، وهذا ما جعل المرجعيات الشيعية هي الأصل في أوساط الشيعة جميعاً في العالم الإسلامي وإن كانت أصول بعض تلك المرجعيات إيرانية، ومنذ انتصار ثورة الخميني نشأت حساسيات، معينة بين علماء الشيعة في البلدين وهناك من اعتبروا المرجع العراقي الأعلى، الإمام الخوئي، منافساً للإمام الخميني نفسه، فضلاً عن حجج الإسلام الإيرانية لآخرين.

ولم يتحرك الجمهور الشيعي كتلة مسيسة إلا في صفر عام ١٩٧٧ ولكن باسم ممارسة الحق في زيارة كربلاء في أربيعينية الإمام الحسين وحدثت إصطدامات دموية واسعة مع قوات الدولة، وأخمدت

الحركة بالحديد والنار ولم ترفع تلك الحركة شعارات طائفية سافرة بل نادت بإسقاط سلطة تمنعها من ممارسة بعض مراسيمها. وهذا الموقف، أى التحرك السياسى بعناوين غير طائفية، تقليد فى كل التحركات الشيعية المسيسة منذ تأسيس الدولة العراقية الحديثة، وذلك خوفاً من الاتهام بالطائفية، وبمحاولة تقسيم البلد وبرغم أن بعض العناصر والكتل السياسية الشيعية تعانى فعليا من الطائفية، فإنها تطرح نفسها فى إطار إسلامى وعراقى عام.

وكان النظام العراقى ومنذ تسلمه السلطة فى ١٧ تموز/يوليو ١٩٦٨ يسمح بممارسة المراسيم والتقاليد الشيعية، منها العرض المسرحى الذى يقدم حول واقعة الطف ومقتل سيدنا الحسين «عليه السلام» وعائلته، «والذى يطلق عليه بالتشابيه» وكذلك استخدام السلاسل الحديدية التى تستخدمها المواكب وطَبّر الرؤوس بواسطة «القامات» وهى عبارة عن سكاكين كبيرة وصغيرة يستخدمها المشاركون فى المواكب حليقى الرؤوس لضرب رؤوسهم حتى تدفق الدم وهم مرتدى «الكفن الأبيض».

إلا أن النظام قد منع هذه المظاهر المؤلمة والتى تؤذى الأنفس بداية عام ١٩٧٧، إلا أن زيارات المراقد والأئمة أستمرت حتى اليوم ولم يمنعها النظام.

• المرجعية الشيعية لماذا دائما مع المعارضة؟

منذ قيام المرجعية الشيعية فى النجف قبل حوالى الألف عام على يد المجتهد الكبير الطوسى، سعت إلى ضمان استقلالها عن الدولة، وكانت فى كثير من الأحيان فى صف المعارضة، بهذا الشكل أو ذاك. ولعبت خلال المئة عام المنصرمة أدواراً مشهورة من خلال عدد من المراجع الكبار. فبفضل فتوى منها، جرى إحباط إمتياز إحتكار (التبباك) الذى منحه شاه إيران القاجارى إلى شركة إنكليزية، وذلك عن طريق تحريم التعامل مع الشركة وبوم ثار النقاش، أوائل القرن الماضى، بل الصراع بين ما سمى بـ(المستبده والمشروطة) فى نظم الحكم كان الإمام المجتهد النائينى إلى جانب (المشروطة) أى تقييد الحاكم ومنع الاستبداد. وفى أعقاب الحرب العالمية الأولى وإحتلال العراق من جانب القوات الانكليزية، كان لموقف آية الله محمد تقى الشيرازى وفتواه بحق الشعب فى الثورة، الأثر الأكبر فى اندلاع ثورة العشرين فى العراق على عكس موقف السيد محمد كاظم اليزدى الذى كان يتولى المرجعية قبله وتوفى قبل قيام ثورة العشرين.

وهكذا، أيضاً، كان موقف شيخ الشريعة الذى ساهم فى الثورة وأعقب الشيخ محمد تقى الشيرازى فى تولى المرجعية لفترة قصيرة توفى بعدها، وكان مناهضاً للإحتلال البريطانى بقوة. وبسبب من ذلك،

أجبرت سلطات الانتداب البريطانى فى العراق عدداً من علماء الدين الكبار على مغادرة العراق، وفى مقدمهم آية الله السيد أبوالحسن الأصفهانى، ولم تسمح لهم بالعودة إلى النجف إلا بعد التعهد بعدم التدخل فى الأمور السياسية.

وحافظ السيد أبو الحسن، الذى توفى فى النصف الثانى من أربعينيات القرن الماضى، على استقلالية المرجعية، ورفض الطلب الذى تقدمت به بعض الجهات ذات الصلة بالنظام الملكى الحمائى لبريطانيا، بالإفتاء ضد الشيوعية وتكفير الشيوعيين، لمعرفته بعدم نزاهة الطلب ومن وراءه. فى حين أقدم مرجع آخر بعده على ذلك، مع الأسف.

وسار آية الله العظمى أبوالقاسم الخوئى على النهج ذاته فى الحفاظ على إستقلالية المرجعية. ولم يستجب لضغوط نظام صدام حسين الذى أراد منه موقفاً داعما للنظام ضد انتفاضة آذار (مارس) ١٩٩١ التى أعقبت حرب تحرير الكويت وجرى قمعها بوحشية بالغة بعد ما حررت أربع عشرة محافظة من محافظات العراق الثمانى عشرة على حد قول مصادر شيعية متنوعة.

• **السلطة تتصدى لنشاط المرجعية:**

يقول الدكتور الشيخ محمد حسين الصغير الذى عاصر خصوصيات فترة مرجعية الإمام الحكيم، إن الإمام «نصح الحكومات المتعاقبة على العراق وأكد على إشاعة العدل والمساواة وحرم سفك الدماء وأحكام الإعدام ودعا إلى الحرية واستنكر الممارسات اللا انسانية وشجب الاساليب الطائفية وحارب الظلم والطغيان وناصر القضية الفلسطينية ودعم حركات التحرر والاستقلال فى العالم العربى، ووقف ضد الاستعمار بكل مظاهره وجعل الاحتفالات فى المناسبات الدينية منبراً حراً للمطالبة بالحقوق وإشاعة السلام.

واستمرت الحوزة العلمية ومرجعيتها العليا بعد وفاته على الأصعدة كافة، وإن ضيقت عليها أجهزة الدولة ما استطاعت. وشاركت الحوزة العلمية فى انتفاضة صفر العام ١٩٧٧م. وقد تصدى الجيش بآلياته الثقيلة ودباباته ومدرعاته وصواريخه وفرق مشاته للانتفاضة التى وصفتها الحكومة وقتها بـ «التمرد» ما أدى إلى إعتقال العديد من افراد الحوزة العلمية واعدمت السلطات عشرة من ابناء النجف الاشرف وحكمت على الباقين بالسجن المؤبد

• **معاناة المرجعية:**

أورد المقرر الخاص للأمم المتحدة للجنة حقوق الإنسان فى العراق ماكس فان دير شتويل فى تقريره

خلال زيارته لمدينة النجف الأشرف يناير ١٩٩٢ «أن الحوزة العلمية وهى الجامعة الشيعية التى نشأت منذ الف عام قد أغلقت مع مدارس أخرى وكذلك هدمت المكتبات الدينية العامة والخاصة وأتلفت المخطوطات التى هى جزء من التراث الإسلامى...، لقد تقلص عدد رجال الدين فى النجف من ثمانية آلاف قبل عشرين عاما مضت إلى ٢٠٠٠ قبل عشر سنوات وإلى ٨٠٠قبل الانتفاضة. ومن الناحية العملية فهم إما معتقلون أو مختفون كما يقال وإن النظام البعثى يريد تحطيم الثقافة الشيعية وذلك بإنهاء القيادة التقليدية لطبقة العلماء»

- **شهداء المرجعيات والأسر الشيعية**

وبعد فشل الانتفاضة الجماهيرية الكبرى فى العام ١٩٩١م، اقتحمت قوات النظام السابق مدينة الأشرف واقتادت سماحة المرجع الأعلى فى عصره، سماحة آية الله العظمى السيد أبوالقاسم الخوئى وقد ناهز الخامسة والتسعين من العمر، تحت تهديد السلاح من بيت نجله الشهيد السيد محمد تقى فى النجف الأشرف الذى كان مقراً للقيادة الدينية والعسكرية للانتفاضة إلى بغداد بصحبة ولديه الكريمين السيد محمد تقى الذى اغتيل فى حادث مدبر والسيد إبراهيم مع جميع مساعدى السيد المرجع ومعهم العشرات من أفضل العلماء والاساتذة فى الحوزة العلمية النجفية.

فعلى سبيل المثال لا الحصر، قدمت أسرة دينية واحدة هى اسرة آل الحكيم من الشهداء على مذبح العقيدة والفداء فى الثلاثين سنة الأخيرة وحدها ٦٤ شهيداً وشهيدة، وأسرة آل بحر العلوم قدمت ١٦شهيداً وشهيدة. وغيرهم الكثير مثل آل الصدر وآل الخوئى وآل الخلخالى وآل الميلانى.

وبعد وفاة (أبوالقاسم الخوئى) تصدى لتولى المرجعية الشهيد محمد محمد صادق الصدر الذى رأى فيه صدام حسين مشروع معارضة تستقطب جماهير واسعة، فأقدم على اغتياله وولديه فى عملية إجرامية مشهودة عام ١٩٩٩، ويذكر للسيد على السيستانى سعيه للحفاظ على إستقلالية المرجعية، سواء كان ذلك فى التعامل مع نظام صدام حسين، قبل سقوطه، أو قوات الاحتلال الأميركية، إذ رفض استقبال بول بريمر عندما طلب هذا الأخير مقابلته والتحادث معه فى شأن الوضع فى العراق. وظل يطالب بحق الشعب العراقى فى تقرير مصيره. ودعا إلى إجراء الانتخابات فى وقت مبكر.

لكن هناك انتقادات عنيفة وجهت إلى السيد السيستانى مرتين:

الأولى: عندما صمت ولم ينتقد قيام القوات الأميركية بشن هجوم على قوات جيش المهدى الموالية للصدر فى كربلاء والنجف، وساوى بين المحتل الغازى وبين المقاوم الوطنى، ودعا إلى سحب جميع

المسلحين بعيداً عن مسجد الإمام على رضى الله عنه، وقد ظل السيد السيستانى صامتاً لوقت طويل بينما كانت القوات الأميركية تحصد بالطائرات والدبابات مئات الشباب من جيش المهدى بينما كان المواطنون الشيعة ينتظرون أن يصدر لهم فتوى شرعية بمقاومة المحتل لكى يفتكوا به لكنه لم يفعل.

والمرة الثانية: غاب السيد السيستانى عن العراق، وذهب فى رحلة علاج إلى لندن فى وقت اشتعلت فيه المعارك بين القوات الأميركية التى حاصرت النجف، وصارت على مقربة من مسجد الإمام على رضى الله عنه، وفى داخله أكثر من ٣٠٠مقاتل من جيش المهدى، بل كان السيد مقتدى الصدر نفسه محاصراً داخله. مصمماً على مواصلة القتال، الأمر الذى تم تفسيره على أن السيد السيستانى غادر العراق لكى يهرب من إصدار فتوى شرعية تجيز لجميع الشيعة مقاتلة الأميركيين والاجهاز عليهم، وفك الحصار عن جيش المهدى الذى هو الجناح العسكرى لفريق هام من الشيعة، ولم يبد السيستانى اى تعاطف مع الشهداء الشيعة الذين سقطوا فى مدينة الصدر ببغداد أو كربلاء والنجف وهم يقاومون الاحتلال الأميركى، ولم يوجه أبناء الطائفة الشيعية إلى تبنى أسر هؤلاء الشهداء والإنفاق عليهم. بل تجاهل الأمر برمته. ولم يسع إلى مقابلة السيد مقتدى الصدر واعتباره أحد الأطراف الفاعلة فى القرار الشيعى رغم حرص السيد مقتدى وإعرابه غير مرة عن أنه يوافق على ما يصدر من فتوى بلسان السيد السيستانى، ويرى مراقبون للشأن الشيعى أن السيد السيستانى لم يكن مهتماً بحركة مقتدى الصدر ولا قراراته السياسية رغم تأثيرها على الساحة الشيعية.

• من هو السيستانى؟

ولد السيد السيستانى فى العام ١٩٣١فى مدينة مشهد الإيرانية التى تضم مرقد الإمام الثامن للشيعة الإمامية على بن موسى الرضا الذى قتل فى عهد الخليفة المأمون ابن هارون، وكانت عائلة السيستانى ذات مستوى دينى وفقهى عال، درس العلوم الدينية فى مشهد ثم انتقل إلى قم العام ١٩٤٩حيث درس تحت إشراف المرجع الدينى الكبير آية الله حسين البرجودى، غادر قم إلى النجف العام ١٩٥٢ ودرس تحت إشراف أكبر المراجع الشيعية مثل آية الله محمد الحكيم وآية أبوالقاسم الخوئى والأخير منه أكبر المراجع الشيعية فى تاريخ العراق وأكثرهم نفوذاً، والذى إعتقله صدام حسين بعد فشل إنتفاضة العام ١٩٩١.

درس السيستانى تحت إشراف الإمام الخوئى عشر سنوات. ثم اشتغل بالبحث والتدريس وبدأ بإلقاء محاضراته العام ١٩٦٢فى الفقه، ثم فى الأصول العام ١٩٦٥ وكان بحسب تقارير أساتذته،

متفوقاً على أقرانه فى حل الإشكالات وفى سرعة البديهة ومواصلة النشاط العلمى ومعرفته بكثير من النظريات العلمية فى ميادين مختلفة.

وبعد اغتيال آية الله محمد صادق الصدر ١٩٩٩، احتج السيستانى وفرض على نفسه إقامة إختيارية فى منزله حتى وقع الغزو ٢٠٠٣.

يعتبر السيستانى من المعتدلين ضمن المراجع الشيعية الكبار سواء فى العراق أو إيران كما يعتبر من الواقعيين الذين يكيفون المواقف الدينية مع الوقائع السياسية على الأرض، فهو لم يتعامل مع قوات الإحتلال ورفض لقاءات الحاكم المدنى بول بريمر على رغم إلحاح الأخير وتوسيط عدد كبير من السياسيين العراقيين وبينهم مسعود البارزانى زعيم الحزب الديمقراطى الكردستانى، وفى الوقت نفسه لم يدع إلى مقاومة الاحتلال بالسلاح، وإنما اكتفى بموقف سياسى لا يضعف العملية السياسية، التى جرت فى العراق بتشكيل مجلس الحكم فى ١٣ - يوليو ٢٠٠٣ولكى يتناغم مع شعار أميركا فى العراق لإقامة الديمقراطية دعا إلى انتخابات عامة ففى أولى زياراته للعراق بعد الاحتلال قام رامسفليد وزير الدفاع الأميركى بزيارة للسيستانى كما دعا إلى دور أكبر للأمم المتحدة فى العملية السياسية فى العراق. وإثباتاً لقوة هذا الخطاب نزلت إلى الشارع تظاهرات سلمية حاشدة، وأوصلت رسالة إلى المعنيين بنفوذ المرجعية فى الشارع العراقى، ودعت إلى عدم تجاوزها فى الإجراءات السياسية ومنها إعداد الدستور.

• مدرسة عريقة

ينتمى السيستانى إلى مدرسة عريقة فى المرجعية الشيعية فى العراق وإيران، ترى أن دورها ينحصر فى مراقبة التطورات السياسية والتدخل الحاسم حيثما كانت هناك ضرورة شرعية. غير أن السيستانى يختلف جذرياً عن المرجعية الرسمية الإيرانية منذ الثورة الإسلامية فى إيران، التى كرست مبدأ ولاية الفقيه بمثابة المرجعية الأخيرة والحاسمة لأى قرار لأن ولاية الفقيه هى - وفق تصور الإمام الخمينى - امتداد للإمام الغائب الثانى عشر والأخير من أئمة الشيعة الإمامية والذى غاب فى القرن العاشر وينتظر الشيعة عودته لإقامة العدل فى العالم وهذا المبدأ يتيح للحاكم، كما أتاح للسيد الخمينى من قبل، ومرشد الثورة الإيرانية حالياً، أية الله السيد على خامنئى، أن يكون أعلى سلطة سياسية ودينية تأخذ قراراتها فوق البرلمان وفوق الدستور.

ولا يعتقد السيستانى أن تدخل المرجعية الشيعية فى السياسة يجب أن يكون مباشراً، بحيث تتسلم

المرجعية الدور السياسى لإدارة الدولة، وهو بهذا الموقف يختلف مع مبدأ ولاية الفقيه المطلقة الذى قامت عليه الثورة الإسلامية فى إيران، لكنه يعتقد أن المرجعية معنية بشكل مباشر فى أن لا يكون الدستور العراقى مناقضاً للمبادئ الإسلامية العامة، غير أن من الواضح أن هناك إدراكاً من السيستانى أن العراق المسلم بلد متعدد الأديان، وقد أكد على هذا الإدراك فى بيانه الذى أدان تفجير الكنائس المسيحية فى العراق فى يوليو ٢٠٠٤.

كان السيستانى واحداً من ستة أشخاص شيعوا الإمام الخوئى إلى مثواه الأخير ليلاً وسرّاً العام ١٩٩٢، وهو الذى صلى على جثمانه وأصبح بعده المرجع الأكبر للشيعة فى العراق.

وكان نظام صدام حسين يسعى للقضاء على استقلالية المرجعية الشيعية وإنهاء دورها ونفوذها على الأغلبية السكانية فى العراق فقام بتهجير ملايين الشيعة.

وخلال الحرب العراقية – الإيرانية هجر النظام البعثى الآلاف من طلبة الحوزة وفى العام ١٩٩٧ وبعد أن قضى صدام على الانتفاضة اعتقل السيد السيستانى مع مجموعة من رجال الدين وتعرض للتعذيب فى معسكر الرزازة ومعسكر الرضوانية الشهير وبعد أن خرج من السجن أغلق النظام البعثى جامع الخضراء ومنعه من الصلاة فيه فاحتج وبقى مقيماً فى داره حتى سقوط صدام وتقول المعارضة إن وثائق المخابرات التى عثر عليها بعد انهيار النظام كشفت خططاً لاغتياله، ولكن فى المقابل فان هناك اتهامات موجهة للسيد السيستانى لجهة احتفاظه بالجنسية الإيرانية وميله إلى المجلس الأعلى للثورة الإسلامية بزعامة عبدالعزيز الحكيم وهو أيضاً موال لإيران أوله صلات وثيقة بها.

- **المقاومة الشيعية المسلحة**

لقد برز زعيم شاب فى أوساط النخبة الشيعية له موقف مختلف تماما من الاحتلال إنه «مقتدى محمد صادق الصدر» ذلك الشاب المولود فى سبعينيات القرن الماضى. والذى عرف فى التقاليد العلمية للحوزة بأنه «طالب بحث خارجى» ذلك الشاب المعمم ذو الملابس السوداء مثل أغلب علماء الدين الشيعة ولكنه يتميز عنهم بصوت ينطلق بلا رقابة وبلا حسابات ليعلن عن كل ما فى قلبه بلا حاجب.

وكذلك يتميز عنهم بتلك القطعة من القماش الأبيض التى يحملها على كتفيه وتحيط برقبته، وهى ملابس ورثها عن والده السيد محمد صادق الصدر الذى اشتهر بلبس كفنه، استعداداً للموت أو الانتقام من الأعداء قبل أن يقتل هو واثنان من أبنائه عام ١٩٩٩م فى ظروف غامضة احتارت فيها أصابع الاتهام. ليظل «مقتدى الصدر» وحده على قيد الحياة من عائلة محمد صادق الصدر» والذى كان يراه الكثيرون منقذا للعراق.

استمد سلطته ونفوذه من أولئك البسطاء المعدمين عندما عاش بينهم فى بيت متواضع مثل مؤيديه ليعبر عن آلامهم ومعاناتهم.

كان محمد صادق الصدر والد مقتدى مرجعا شيعيا يحمل صفة «آية الله»، كما كان أول مرجع شيعى يؤم الجمعة ويخطبها فى مسجد الكوفة، خلافا للمراجع الأخرى ممن يرون أن الجمعة لا تصح إلا بوجود الإمام العادل.

ولذلك استشعر بعض المراجع خطر الصدر على نفوذهم فى النجف. واتهموه بأنه موالٍ للنظام العراقى الذى أراد أن يضعف دور النجف عبر خطبة الكوفة.

لكنها تهمة سرعان ما لقيت حتفها بعد اغتيال الصدر وولديه فى ظل اتهام النظام العراقى بتدبير تلك العملية.

بينما انعكست خلافات المرجعيات فيما بعد على دور مقتدى نظرا لأنه سليل عائلة عربية عراقية عريقة. تؤمن بأهمية بقاء المرجعية الشيعية فى العراق خلافا لمرجعيات أخرى تريد نقلها لإيران نظرا لانحدار أصول هؤلاء المرجعيات الشيعية من إيران الفارسية ولذلك ربما ظلت عائلة الصدر دائما على طرف وباقى الحوزات الشيعية الأخرى على طرف آخر لكونهم عرباً.

أما «محمد باقر الصدر» عم مقتدى الصدر فقد ثارت كثير من الأقاويل حول قصة استشهاده عام ١٩٨٠م.

فقد أشارت أصابع الاتهام ربما بحكم العادة إلى النظام العراقى.

وقد كان محمد باقر الصدر هو المؤسس لحزب الدعوة الإسلامية أقدم أحزاب الشيعة بالعراق.

وعلى يديه تتلمذ قادة الحزب إلا أنه سرعان ما انسحب من الحزب للتفرغ لشئون المرجعية. ولعل هذا ما أعطى لعائلة الصدر دوراً هاماً فى قيادات ومرجعيات الشيعة فى كل ارجاء العالم.

فالمرجع الشيعى الأعلى فى لبنان مثلا محمد حسين فضل الله كان من كوادر هذا الحزب قبل أن يتفرغ هو الآخر لشئون المرجعية، وكذلك الشيخ صبحى الطفيلى وكوكبة من مؤسسى حزب الله اللبنانى، والشيخ محمد مهدى شمس الدين.

وعلى رأس العائلة الإمام موسى الصدر الذى اختفى فى ليبيا فى ظروف غامضة.

وقد واجه محمد صادق الصدر والد مقتدى النعرات الطائفية فيما تعرف العائلة ببعدها عن إثارة المذهبية أو الاعتماد على إثارتها كوسيلة فى التحرك السياسى.

وهو ما تؤكده أيضا المراحل التأسيسية الأولى لحزب الدعوة حيث كان الحزب على علاقة قوية بتنظيم الاخوان المسلمين فى العراق والعالم ولذلك فقد انطلقت شهرة الصدر فى الشارع العراقى اعتماداً على اكثر من زاوية تلقى صدى بالشارع العراقى، منها إرث هذه العائلة العراقية المشهورة بالوقوف فى وجه الظلم.

وكذلك طبيعة الخطاب الذى تتعلق به الفئات المسحوقة فى المجتمع العراقى بعيدا عن الطائفية التى لا تعترف بها هذه العائلة والتى ترى هموم العراقيين واحدة ولا تتجزأ.

اما مقتدى فيؤكد دائما أنه ليس مرجعية مقلدة بل هو وكيل المرجع السيد كاظم الحائرى حسب وصية الوالد.

ويؤكد أن الخلاف بينه وبين آية الله السيستانى؛ أن السيستانى مرجع التقليد وأتباعه مقلدون.

وهم فى كل حال ليس لهم اهتمام بالأمور السياسية أو التفاعل مع قضايا المجتمع اليومية.

كما يوجد بينه وبين باقى المرجعيات الأخرى خلاف يرى أنه لا يوجب التنازع فيما يعتبر إيران دولة إسلامية ولكنه يتحفظ على دورها فى العراق.

وهو تحفظ يلقى بظلاله على خلفيات الانتماء العراقى.

إذ أن الصدر هو ابن مرجعية عراقية عربية بينما ينحدر السيستانى من مرجعية إيرانية فارسية.

وبعيدا عن هذا الميراث الثقيل الذى يبدو واضحا فى كلمات مقتدى الصدر الذى يؤكد دوما وفى كل مناسبة أنه طالب شهادة. يبدو أن كلمات الرجل صارت رمزاً لعهد جديد من المقاومة الشعبية العراقية بجناحيها الشيعى والسنى فى العراق أو الثورة ربما لن تتوقف حتى يزول الاحتلال واتباعه نهائياً عن أرض تأبى أن ترعى العملاء.

ولذلك صار لا يخلو شارع أو زقاق فى بغداد بقسميها الكرخ والرصافة من لافتات لأنصار الزعيم الصدر ترفرف فوق البيوت أو على السوارى أو السيارات. حيث صار مقتدى الصدر جزءاً اساسيّاً يصعب تهميشه من أى معادلة سياسية بالعراق، وذلك بالمعايير الطبقية الاجتماعية اضافة الى التاريخية، إذ يعتمد على القطاع الأوسع من الطائفة الشيعية كما تتركز شعبيته فى احياء فقيرة ومن طبقات توصف بالمهمشة.

ولذلك فقد نجح فى أن يقود حربا جنده فيها من الفقراء والعاطلين عن العمل والمحبطين الراغبين فى الاستشهاد من أجل وطن حر.

• أميركا وإسرائيل والفتنة الطائفية

ربما لم يتخيل الأمريكيون حجم نفوذ الزعيم الشاب «مقتدى الصدر» وربما لم يضعوا تقديراً جيداً لحجم تأثيره الشعبى والروحى فى نفوس العراقيين المهمشين وهم يضعون خططهم العرجاء للسيطرة على العراق، وكما قاموا بتهميش فئات كبيرة من أعماق المجتمع العراقى. فقد همشوا أيضا من أسماهم الصدر «الحوزة الصامتة»!!

ولعل أقرب الأمثلة لذلك تجاهلهم التام لانتقادات الصدر لقانون إدارة الدولة المؤقت.

والذى اعتبره الصدر وثيقة غير شرعية كتبت فى غفلة من الزمن ولا تمثل طموحات الشعب العراقى. ولم تنبثق عن ارادته بكامل بنوده وفقراته، ابتداء من تلك التى تحجم دور الاسلام وتصادر ارادة غالبية الشعب العراقى المسلم.

وقد جاهر مقتدى برفض الاحتلال منذ البداية، ولكنه رفض قتاله، وقال إنه ينتظر موقف الإمام الشرعى وهو هنا السيد الحائرى.

كما أنه رفض نهائيا الاعتراف بمجلس الحكم الانتقالى بل وصفه بالكفر وينطبق الأمر على قانون ادارة الدولة المؤقت الذى أصدره الحاكم الأمريكى للعراق بول بريمر باقتراح من مجلس الحكم.

إلا أن الأمر تطور بعدما أكد المرجع الذى يعتمده الصدر الشاب وهو المرجع الشيعى السيد كاظم الحسينى الحائرى أن القانون لا يمثل الحد الأدنى من مطالب الشعب العراقى.

موضحا أن هذا القانون غير شرعى ويعتبر طعنة فى ظهر هذا الشعب وعقب هذين الإعلانين بدأت الصورة تتغير فى الساحة العراقية.

حيث تحفظ أعضاء الجبهة الوطنية لعشائر العراق خلال المؤتمر التأسيسى لجبهتهم موعد، وتسليم السلطة للعراقيين مؤكدين على وحدة الشعب العراقى ونبذ الطائفية.

وهو ما طرح علامات استفهام عن القيادة القادمة لهؤلاء الحانقين على الطائفية.

ولعل «مقتدى الصدر» بما يحمله من إرث غير طائفى، كان النموذج الجاهز اللامع لتلك المطالب الشعبية العراقية.

وقد كان، مما صعد من لهجة الصدر تجاه الاحتلال، وهو يدرك أن كلماته ستلقى صدى عند هؤلاء الناقمين على الطائفية، ومحاولات تقسيم العراق.

فظل يتكلم ويتكلم ويتكلم فى وقت ربما كان فيه هو المتكلم الوحيد فى مقابل حوزة أخرى تتفاوض

مع الاحتلال فى صمت بدا للشارع العراقى مريباً.

واتهم الزعيم الشيعى مقتدى الصدر إسرائيل والولايات المتحدة وبريطانيا بالوقوف وراء الهجمات الدامية على مدينتى النجف وكربلاء المقدستين لدى المسلمين الشيعة بهدف اشعال فتنة طائفية.

وذكر راديو مونت كارلو أن الصدر طالب فى خطبة الجمعة بحضور جلسات محاكمة الرئيس العراقى السابق صدام حسين.

يذكر أن مدينتى النجف وكربلاء شهدتا سلسلة انفجارات لسيارات مفخخة باستخدام ٥٠٠ كيلو جرام من المتفجرات لكل سيارة مما أسفر عن سقوط أكثر من ٣٠٠ قتيل وإصابة نحو الف شخص آخرين.

وفى إحداها سقط السيد محمد باقر الحكيم زعيم المجلس الأعلى للثورة الاسلامية شهيداً، وتولى بعده شقيقه السيد عبدالعزيز الحكيم، وأكد السيد مقتدى الصدر عدم اقتناعه بوجود أياد سنية وراء عمليات التفجير، كما توسط فى مطلع يونيو ٢٠٠٥ لإجراء مصالحة بين هيئة علماء المسلمين «السنة» والمجلس الأعلى للثورة الإسلامية «الشيعة» بعدما اتهم الشيخ حارث الضارى رئيس الهيئة قوات فيلق بدر التابع للمجلس الأعلى بتنفيذ عمليات إرهابية تتضمن قتل مزارعين سنة، وشيوخ وائمة مساجد، وتعذيب معتقلين سنة فى سجون تشرف عليها عناصر من فيلق بدر، وهو الأمر الذى استفز قيادات المجلس الأعلى وفيلق بدر، ودخلوا فى حرب اتهامات متبادلة حتى تدخل السيد مقتدى الصدر لوأد الفتنة الطائفية التى تغذيها جهات صهيونية وأميركية.

◆ ◆ ◆

الفصل الرابع عشر

المقاومة العراقية وأسلوب حرب البراغيث فى استنزاف العدو

- المقاومة بدأت بأسلوب « اضرب واهرب » ثم صارت « اضرب واصمد » وصولاً إلى تحرير العراق مدينة.. مدينة
- سر « الكراسة » التى حصلت عليها القوات العراقية من أميركا واستخدمت ما فيها لقتل جيش أميركا
- لماذا نجحت المقاومة فى شارع « حيفا » فى اصطياد جنود الاحتلال

ما هى طبيعة الحرب الدائرة فى العراق؟ هل هى «حرب براغيث» كما وصفها الخبير الاستراتيجى أمين هويدى، وتقوم على إيذاء العدو ثم الهرب بسرعة؟

هل هى حرب تحرير شعبية، هل هى حرب عصابات مدن، ومن أين جاءت فكرة هذه الحرب، والأساليب القتالية، وما هى التكتيكات الميدانية؟

ربما كان مفيداً أن نعود إلى الوراء قليلاً، لكى نستطيع أن نتعرف أكثر على طبيعة المقاومة العراقية الحالية، وكيف ولدت، وكيف تطورت.

فى ٢ أغسطس عام ١٩٩٠ قامت القوات العراقية بدخول الأراضى الكويتية بعد أزمة سياسية - نفطية - لم ينجح القادة العرب فى احتوائها، وباعتبار أن النفط شريان حياة للاقتصاد الأميركى، فقد هبت إدارة الرئيس جورج بوش «الأب» دفاعاً عن الكويت وحشدت خلفها ٢٨ دولة من بينها دول عربية فى حرب عاصفة الصحراء أو حرب تحرير الكويت.

فى ذلك الحين، وعندما بدا أن الإدارة الأميركية ومعها بعض أقرب حلفائها - بريطانيا لن تكتفيَ بتحرير الكويت، وإنما سيمتد نشاطها إلى غزو العراق، قرر الرئيس صدام حسين وأركان حكمه الاستعداد لخوض حرب مدن ضد القوات الأميركية، وخلال الفترة من سبتمبر ١٩٩٠ حتى فبراير ١٩٩١ كانت تشكلت إدارة خاصة لعمليات حرب المدن، وتشكلت عدة منظمات شبه عسكرية، تضم كوادر من حزب البعث، ومتطوعين مستقلين، وجرى تدريبها بشكل مكثف لمواجهة القوات الأجنبية فى حال دخولها الأراضى العراقية، وتم توزيع أسلحة متوسطة وثقيلة على أفراد تلك التنظيمات، وتم تقسيم المهام والمسؤوليات بين كوادر الحزب والدولة، وعلى أساس أن الحزب هو قائد الدولة، وقدرت بعض الأوساط العراقية قوة هذا الجيش الشعبى حينذاك بنصف مليون انسان.

والواقع أنه تم تهيئة بعض الوحدات فى داخل الجيش العراقى بجميع صفوفه، بما فى ذلك القيادات الأكثر احترافية فى الحرس الجمهورى لخوض عمليات حرب عصابات حتى أثناء خوض الحرب النظامية، وتم نشر الوحدات القتالية فى محافظات الجنوب، ومعها - فى داخل المدن - ميليشيات شعبية جاهزة للمواجهة، وقد نشرت صحيفة «الأهالى» القاهرية فى ٢٠٠٤/٨/٢٥ ما يدعم هذه الوقائع على لسان الباحث العراقى صلاح المختار الذى أكد ان اعلان الرئيس الأميركى جورج بوش «الأب» إيقاف إطلاق النار من جانب واحد يوم ١٩٩١/٢/٢٨ لم يتح الفرصة لحصول حرب عصابات مدن فى العراق.

وفى هذا السياق يجب أن نذكر أن أول من اعترف بلجوء العراق إلى استراتيجية حرب عصابات

المدن هو بوش «الأب» إذ أنه تعرض لانتقادات كثيرة من الديمقراطيين بعد خسارته الانتخابات واستلام بيل كلينتون الإدارة، وقال أثناء مقابلة مع قناة السى إن إن عام ١٩٩٤: لقد أوقفت إطلاق النار من جانب واحد، لأننى أدركت أن صدام حسين كان قد أعد لخوض حرب عصابات مدن ضد جيشنا فى مدن العراق لو غزوناها، لذلك قررت إنقاذ «أولادنا» من القتال فى مدن العراق بإيقاف إطلاق النار.

وفى عام ٢٠٠١ وبالتحديد بعد وصول جورج بوش الابن لسدة الحكم واعتماده على المحافظين الجدد توصلت القيادة العراقية إلى قناعة واضحة وتامة بأن غزو العراق قادم ولهذا أطلق " " صدام حسين مقولته الشهيرة «ستغزو أمريكا العراق وسنبدأ حربنا بعد ذلك» وثمة أسباب وراء الوصول إلى هذه القناعة، فقد قدمت القيادة العراقية تنازلات مهمة وجوهرية من أجل توفير المناخات الضرورية لرفع الحصار، ومع ذلك أجرت الإدارة الأمريكية على إبقائه رغم آثاره الكارثية، والتى تمثلت أسوأها على الإطلاق، فى موت ١,٨ مليون عراقى نتيجة سوء التغذية ونقص الدواء والتلوث الناجم عن تدمير البيئة التحتية والخدمات أو عن استخدام أسلحة محرمة مثل اليورانيوم المنضب.

وكان الإصرار على حرمان العراق من شراء أى شيء خارج نطاق بعض الدواء والغذاء، مؤشرا خطيرا إلى نية كانت واضحة وهى استنزاف طاقات العراق المادية والعسكرية، والمعنوية ثم الإجهاز عليه وتدميره بأقل الخسائر الأميركية بعد أن يفقد العراق مقومات الصمود الأساسية.

وحينما وقعت أحداث «١١ سبتمبر ٢٠٠١» تعززت قناعة القيادة العراقية، بأن الغزو قادم لا محالة، وجاءت الدراسة الاستراتيجية التى أعدتها المخابرات المركزية الأمريكية حول توقعاتها لربع القرن القادم لتؤكد أن الغزو حتمى، لأن الدراسة عبرت بوضوح تام عن وجود مشكلة خطيرة وهى أن حاجة أمريكا للطاقة ستتضاعف، فى حين أن موارد الطاقة النفطية تنضب والآبار العملاقة تشيخ وزاد القلق الأمركى بملاحظة أن ربع القرن القادم بين «٢٠٠٢ - ٢٠٢٥» سيشهد صعود الصين والهند المقترن بجوع نفطى هائل لهما لن تشبعه إلا منطقة الخليج العربى، وهكذا أصبح موضوع النفط من بين أهم وأخطر تحديات الأمن القومى الأمريكى، وهنا برزت «عقدة العراق» فمقابل تراجع قدرة دول الخليج الإنتاجية «نتيجة وصولها الحد الأقصى» على تغطية الاحتياجات الدولية المتزايدة وهى المصدر الأهم للنفط، برز العراق بصفته الحل الوحيد لهذه المشكلة المركبة والمعقدة، لأنه ليس مالك ثانى أكبر احتياطى نفطى بعد السعودية التى يبلغ احتياطيها النفطى ٢٢٠ مليار برميل، بل هو الأول طبقا لتقنيات ومسوحات أجرتها وزارة النفط العراقية فى النصف الأول من التسعينيات حيث تبين أن احتياطى العراق المقدر يتراوح بين ٢٥٠ - ٣٠٠ مليار برميل وهناك مناطق لم تستكشف بعد مثل

المناطق الغربية، لذلك أصبح حل أزمة الطاقة المدمرة والأقوى والأصعب مرهوناً بالعراق وبمن يمسك بالعراق.

يضاف إلى ذلك أن ارتفاع تكلفة استخراج النفط فى الدول المنتجة له، مقابل انخفاضها الهائل فى العراق قد شجع أمريكا على حل مشكلة ارتفاع تكاليف الطاقة عبر غزو العراق، ففى العراق يكلف برميل النفط نصف دولار وفى السعودية دولارين، أما فى باقى الدول الأخرى فيكلف ما بين ١٠ - ٢٥ دولارا للبرميل الواحد. وإذا بحثنا فى الدوافع السياسية والأيديولوجية الأميركية لغزو العراق لا يمكن أبدا اغفال حقيقة أن مواقف العراق القومية تجاه فلسطين بقيت أصيلة وثابتة، ورفضت القيادة العراقية مرارا عقد صفقة برفع الحصار بموجبها عن العراق مقابل تخليه عن معارضة ما يسمى بـ «الحل السلمى» للصراع العربى - الصهيونى واعترافه الرسمى، أو الواقعى على الأقل بإسرائيل وتخليه عن العمل من أجل الوحدة العربية، هذه المواقف العراقية والرفض الأمريكى المطلق لها وتشديد العداء بسببها للقيادة العراقية أدى إلى اقناع الأخيرة بأن الغزو الأمريكى للعراق قادم لا محالة، لذلك بدأت الاستعدادات الجدية لمواجهته منذ العام ٢٠٠١ لتتخذ طابع وضع استراتيجية عسكرية جديدة؛ هى حرب عصابات المدن.

وعندما دخلت القوات الأميركية الى بغداد بدأت بالفعل الحرب على حد قول الرئيس صدام حسين، إن الحرب ستبدأ بعد الغزو، وخاض مسلحون عرب معركة شرسة فى حى الأعظمية والكاظمية ضد وحدة أميركية، واضطرت الأخيرة إلى الاستعانة بالطائرات التى قصفت مأذنة أحد المساجد التاريخية، فدشنت تلك المعركة الشرسة التى خسر فيها الأميركيون أربعة جنود مقابل ١٥ شهيداً عربيا بدء المقاومة الشعبية المسلحة ضد الاحتلال، والتى تطورت بشكل لافت، فصارت أكثر تنظيما، اكثر عدداً، كما امتدت عملياتها من بغداد «المركز» الى الأطراف «البصرة» و«الموصل» وبتركيز أكثر فيما يعرف بالمثلث السنى، وكان شارع حيفا فى قلب بغداد هو عنوان المرحلة الأولى للمقاومة التى يصفها د. خير الدين حسيب بمرحلة «اضرب واهرب» وقبل أن تدخل المقاومة إلى المرحلة الثانية وهى «اضرب واصمد» فى حين أن المقاومة لم تدخل بعد فى مرحلة تحرير المدن العراقية، مدينة تلو مدينة، ورفع العلم العراقى وليس العلم الطائفى أو العرقى عليها.

• جبهة شارع حيفا فى قلب بغداد

أصبح شارع حيفا فى قلب بغداد يشكل جبهة مفتوحة بين القوات العراقية والأميركية من جهة والمقاومة من جهة أخرى، ويتوسط شارع حيفا جسران وئيسيان يربطان مع جسور أخرى جانب

الرصافة بجانب الكرخ وهما «المنطقتان المكونتان للعاصمة بغداد».

والحى ينقسم إلى منطقتين متوترين: عمارات حيفا وحى الرحمانية المعروف بأزقته الضيقة ومواطنيه الذين يعيشون أوضاعا اقتصادية قاسية، يذكر أن نظام «البعث» السابق خصص العديد من الشقق فى البنايات والمنازل فى شارع حيفا لعرب أعضاء فى حزب «البعث» أو متعاطفين معه. وتقول معلومات وزارة الداخلية أن مقاتلين عراقيين يأتون من الأعظمية فى بغداد أو فى الفلوجة أو اللطيفية بواسطة سيارات نقل عام أو مركبات زراعية أو يزعمون أنهم سائقو أجرة ليدخلوا منطقة شارع حيفا وينفذوا فيها عمليات عسكرية بين وقت وآخر.

وتشير المعلومات ذاتها إلى أن لهذه العناصر القادمة من خارج المنطقة مواقع معينة لتخزين السلاح ومتعاونين داخل عمارات حيفا، وحى الرحمانية ما يساعدهم فى تنفيذ عملياتهم العسكرية

يذكر أن عدداً كبيرا من الشخصيات العربية التى كانت تعيش فى العراق غادروا بغداد قبيل الحرب الأميركية سنة ٢٠٠٣ أو خلالها، وبعدها باتجاه دول الجوار ويعتقد أن عناصراً من الاستخبارات العراقية السابقة أو من منظمات حزب البعث المنحل استولوا على شقق هؤلاء واتخذوها «مواقع» لشن هجمات على القوات الأميركية والشرطة العراقية، ولا يزال هناك مقاتلون عرب يقيمون فى عمارات حيفا بسبب زواجهم من عراقيات، ويعيشون حياة عادية، بينما تشير معلومات إلى التحاق بعض المقيمين العرب بالمقاومة العراقية أما حى الرحمانية فهو الأكثر سخونة فى منطقة شارع حيفا وقال أبومصطفى «أحد سكان الحى البالغ من العمر ٥٧عاما» لـ «الحياة اللندنية» إن بعض الغرباء يأتون إلى الحى ويوزعون أموالا على الشباب ويزودونهم بالأسلحة، ويطلبون منهم تصعيد الوضع الأمنى فى المنطقة.

وتعتقد وزارة الداخلية العراقية أن حى الرحمانية يضم معظم مخازن الأسلحة والمسلحين باعتباره حصينا مناسبا للتحرك والاختفاء على خلفية شوارعه الضيقة. كما يصعب على الدبابات والآليات الأميركية دخوله.

وتعترف الإدارة الأميركية بأن بغداد خارج إطار السيطرة الأمنية، وأن ضواحى العاصمة أو ما يعرف بمثلث الموت، وهى سلسلة القرى المنتشرة جنوب بغداد شكلت - ولاتزال - بؤرة المقاومة السرية المسلحة، والمزودة بامكانات رهيبة، إما على صعيد البشر المدربين أو الأسلحة، فقد ثبت أن مئات المهندسين الذين كانوا يعملون فى الصناعات الحربية العراقية - قبل الغزو - وهى صناعة متقدمة للغاية، قد انضموا إلى المقاومة بعد وقت قليل من الغزو، ووفق تهيئة سياسية وثقافية تمت لهم من قبل،

بحيث صاروا جاهزين ذهنياً لتشغيل مصانع صغيرة لانتاج الذخائر والصواريخ موجودة فى عمق الأرض فى مزارع مترامية الأطراف أو فى بطون الجبال، وبخاصة فى المثلث السنى، حيث عثرت القوات الأميركية على مخازن ومقرات كاملة محفورة فى بطون الجبال، ومزودة بأجهزة تكييف مركزية، كما عثروا على آثار فواكه وأطعمة تثبت أن المقاومة كانت تستخدم هذه المقرات قبل أيام من ضبطها.

مدير الاستخبارات العراقية المعين:
المقاومة أكثر عدداً من جيش أميركا

وقد نشرت صحيفة ميدل إيست ٢٠٠٥/١/٤ تقريرا من بغداد يشير بأن عدد المقاومين يفوق عدد العسكريين فى العراق، ويقدر النواة الصلبة للمقاومة بـ٤٠ ألف مقاتل.

قدر مدير جهاز الاستخبارات العراقية عدد مقاتلى حركة التمرد العراقية ومناصريها بأكثر من ٢٠٠ ألف، راسما صورة قاتمة عن الوضع الأمنى فى البلاد قبل أقل من أربعة اسابيع على الانتخابات العامة «يناير ٢٠٠٥».

وقال اللواء محمد عبدالله الشهوانى "أعتقد أن عدد المقاومين يفوق عدد العسكريين فى العراق. أظن أن المقاومة تضم أكثر من مئتى الف شخص".

وبحسب قول المسؤول، فإن النواة الصلبة للمقاتلين تضم نحو اربعين الف شخص، فى حين أن الآخرين مقاتلون "بصورة غير دائمة" أو مؤيدون يقدمون معلومات ودعما لوجستيا وملاجئ للمقاتلين.

وتفوق هذه الأرقام تقديرات الجيش الأميركى فى العراق الذى يسعى للقضاء على حركة المقاومة منذ إطاحة الرئيس العراقى صدام حسين فى أبريل ٢٠٠٣ وينتشر ١٥٠ ألف جندى أميركى فى البلاد.

ورفض مسؤول عسكرى أميركى كبير طلب عدم ذكر اسمه تأكيد أو نفى أرقام اللواء شهوانى، مشيرا إلى أن الجيش "لا يملك تقديرات محددة حول عدد المتمردين".

وراجع الجيش الاميركى تقديراته فى اكتوبر ٢٠٠٤ فرفعها الى عشرين الف متمرد بينما كان يتكلم قبلا عن خمسة آلاف.

ومن المستحيل بحسب خبراء عسكريين تحديد عدد المقاومين، غير انهم يعتبرون الرقم الذى اعلنه اللواء شهوانى "معقولا" واكثر مصداقية من التقديرات الاميركية.

وقال المحلل بروس هوفمان المستشار السابق للجيش الاميركى فى العراق "بما انه يضم الناشطين والانصار والمتمردين الدائمين وغير الدائمين، فان هذا الرقم يبدو قريبا من الحقيقة". من جهته، افاد المحلل انتونى كوردسمان اختصاصى شؤون العراق فى مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية فى

واشنطن ان ارقام اللواء شهوانى "تعترف بالدعم الكبير الذى تحظى به المقاومة فى المناطق السنية، فيما يقلل الاميركيون من شأن هذا الدعم الى حد نفيه".

ويتركز الدعم بصورة خاصة فى محافظات بغداد وبابل وصلاح الدين وديالى ونينوى والتأميم والأنبار، وهى معاقل للسنة المهمشين فى العملية السياسية الجارية منذ الاجتياح الأميركى.

وتعززت حركة المقاومة بفعل الروابط العشائرية والعلاقات الوثيقة القائمة مع الجيش السابق (٤٠٠ ألف عنصر) الذى حله الأميركيون فى مايو ٢٠٠٣.

وقال اللواء شهوانى "إن العراقيين سئموا انعدام الأمن وانقطاع الكهرباء. يشعرون بالحاجة إلى التصرف. علينا أن نتوقع انضمام قدامى الجيش وأقرباء لهم إلى المقاومة.

وذكر أن العديد من مدن وسط العراق وبعض أحياء بغداد باتت مناطق ينتفى فيه القانون بسبب انتشار حركة المقاومة.

من جهة أخرى، قلل من شأن نجاح الهجوم الاميركى على مدينة الفلوجة (غرب) فى نوفمبر ٢٠٠٤، فيما اعتبرتها القوات الاميركية انتصارا كبيرا على المتمردين.

وقال "إن معظم متمردى (الفلوجة) ما زالوا طليقين وتوجهوا الى الموصل او الى بغداد أو مناطق أخرى".

ووصف حزب البعث السابق بأنه عنصر أساسى فى التمرد «المقاومة» مشيرا الى انه انقسم الى ثلاث مجموعات اشدها عنفا المجموعة التى لا تزال موالية لصدام حسين. وقدر عدد عناصر هذه المجموعة باكثر من عشرين ألفا.

واوضح أن سبعاوى إبراهيم الحسن الأخ غير الشقيق لصدام حسين «القى القبض عليه فى مارس ٢٠٠٥» ومساعده محمد يونس الاحمد يمولان التمرد ويستخدمان علاقاتهما مع الجيش السابق ولا سيما فى الموصل وسامراء وبعقوبة وكركوك وتكريت، معتبرا ان عزة ابراهيم الدورى الرجل الثانى فى النظام العراقى السابق يساهم ايضا فى الحركة.

وحين سئل اللواء شهوانى إن كان المتمردون يسجلون انتصارات فى العراق، أجاب "اقول انهم لا يخسرون".

• شهادة أميركية على كفاءة المقاومة العراقية

والأمر المؤكد هو أن الجيش الأميركى لن يخرج سالماً من العراق، وهذه ليست أمنية فحسب، بل هى نتيجة رشحتها معطيات فى الواقع، اكدت نجاح المقاومة فى اسقاط ثلاث طائرات هليوكبتر فى اسبوع

واحد، منها طائرتان اميركيتان وواحدة ايطالية ما أسفر عن مصرع وإصابة حوالى ١٥ كانوا على متن الطائرات، أو بلوغ عدد القتلى الأميركيين فى يوم واحد ٨ جنود فى عمليات عسكرية مختلفة، عدا إسقاط طائرة هليوكبتر واحدة أسفرت عن مصرع ٣٥ ضابطا وجنديا اميركيا أو هجوم المقومة على مطعم فى مطار بالموصل أسفر عن مصرع ٢١ جنديا أميركياً، فهذه مؤشرات فقط على كفاءة المقاومة العراقية، وقدرتها وامتلاكها للأسلحة والتدريب، والأهم من ذلك هو الوعاء الشعبى الحاضن والحامى لها، وهذا ما رصده تقرير أميركى عن المقاومة فى العراق نشره موقع «السبيل» الاليكترونى فى ٢٠٠٥/٢/١ نقلا عن موقع مجلة «نايت ريدر» جاء فيه:

إن الولايات المتحدة الأميركية باتت تخسر بشكل مضطرد فى العراق بفعل ضربات المقاومة العراقية وذلك وفق كل الموازين العسكرية المعتمدة.

ويظهر تحليل عسكرى نشر على الموقع وهو مستقى من احصائيات اميركية رسمية ان كافة نقاط التحول الرئيسية التى انعشت آمالا بامكان تحقيق الاهداف الامريكية فى العراق بما فى ذلك اسر الرئيس العراقى السابق صدام حسين جعلت من المقاومة العراقية بقيادتها السنية اكثر فتكا وفاعلية.

ويشير التحليل إلى أنه ما لم تحدث تغيرات دراماتيكية - مثل تحول مفاجئ جديد من العراقيين برفض المقاومة أو مثلا تصعيد ضخم وكبير فى حجم القوات الأميركية فإن الولايات المتحدة لن تكسب الحرب.

ويقول التقرير بأن من الصعوبة بمكان إلحاق الهزيمة بالمقاومة العراقية، لأن هدف المقاومة ليس كسب حرب بالمعنى التقليدى، ولكن مجرد الاستمرار حتى يتم قهر إرادة قوات الاحتلال.

وتورد مجلة «نايت ريدير» على موقعها ارقاما واحصائيات غاية فى الاهمية حول المقاومة العراقية وهى كالاتى:

- ارتفاع نسبة القتلى فى صفوف العسكريين الأميركيين من ١٧ عسكريا فى الشهر الذى تلا إعلان الرئيس جورج بوش انتهاء العمليات الحربية الأميركية فى العراق رسميا فى أول مايو ٢٠٠٣ إلى «٧١» عسكريا فى الشهر حسب الإحصاءات الأميركية

- صعود معدل أعداد الجنود الأميركيين الذين جرحوا نتيجة عمليات المقاومة من ١٤٢ عسكريا إلى ٧٠٨ خلال نفس الفترة معظمهم اصابات حرجة أو صعبة.

- ارتفاع عدد الهجمات التى تشن ضد قوات التحالف الذى تقوده أميركا من ٧٣٥ هجوما فى الشهر فى نوفمبر ٢٠٠٣ عندما توفرت احصائيات رسمية لأول مرة إلى ٢٤٠٠ هجوم فى نوفمبر ٢٠٠٤.

- ارتفع معدل عدد القصف المكثف من صفر خلال الاشهر الاربعة الاولى من الاحتلال الاميركى الى معدل ١٣,٣ عملية قصف فى الشهر الواحد.

- يضخ العراق حاليا حوالى ٥٠٠ ألف برميل يوميا نزولا من (٢,٥) مليون برميل يوميا قبل الحرب وذلك كنتيجة للهجمات استنادا إلى قول وزارة الخارجية الأميركية.

وهنا يقول مايكل اوهانلون من معهد بروكينغز للابحاث فى واشنطن: «إن كافة خطوط الاتجاه التى نستطيع تفريقها هى فى الاتجاه الخطأ، ونحن لن ننتصر، وكل خطوط الاتجاه الامنى يمكن تقريبا ان تقودك الى الاعتقاد باننا منهزمون». وتستند هذه الارقام والاحصائيات بشكل رئيسى الى نشرات لوزارة الدفاع الاميركية.

ومع نهاية عام ٢٠٠٣ قدر قادة عسكريون أميركيون عدد رجال المقاومة بـ٥٠٠٠ وفى وقت لاحق قال محمد عبدالله شهوانى مدير الاستخبارات العراقية أنه يوجد حالياً حوالى ٢٠٠ الف رجل بمن فيهم ٤٠ الف مقاتل متمرس، الأمر الذى يدل على ان المقاومة العراقية بشهادة اعدائها وخصومها تتسع وتشتد وتلاقى تعاطفا لدى قدر كبير من العراقيين بدليل انضمام عدد كبير من العراقيين الى صفوفها بل وانسحاب عدد من افراد الشرطة والانضمام اليها.

أما المقاتلون الآخرون العرب والأجانب بحسب ق.ل مدير الاستخبارات العراقية فهم مقاتلون جزئيون أو مؤيدون يقدمون طعاما وملاذا وأموالا ومعلومات استخباراتية.

وقال العريف غلين الدويتش - ٣٥ - من هيوستن وله ١٦ سنة خدمة فى الجيش بعد أن نزل إلى الشارع فى بغداد «إن رجال المقاومة أذكياء فى كل الأوقات. ولقد شاهدنا الكثير من التغييرات فى أساليبهم التى يقول البعض إنهم يتلقون مساعدة من الخارج.. وهم يتعلمون».

وبحسب مجلة «نايت ريدر» فإنه قد اشتد عود المقاومة بالرغم من تلقيها ضربات قاسية بسبب كثافة النيران الاميركية، على الرغم من عدم عرض احصاءات اميركية دقيقة.

وتسهب المجلة أكثر فى وصف تحولات المقاومة العراقية فتقول إن هجمات المقاومة تحولت من مجموعات صغيرة من الرجال تطلق النار من بنادق كلاشينكوف، الى القنابل والسيارات المفخخة والعبوات الناسفة على الطرقات وهجمات مخططة بشكل جيد وعمليات خطف واغتيالات.

وتضيف إن الجنود الاميركيين استطاعوا بالفعل ان يخمدوا المناطق السنية الساخنة مثل الفلوجة وسامراء. لكن هذه الانتصارات العسكرية لم تضعف المقاومة العراقية بل زادت من قوتها.

وتستشهد المجلة على ذلك بالقول «يترك مقاتلو المقاومة خلفهم قوة حراسة للقتال بينما يحركون

جل مقاتليهم وقيادتهم الى مكان اخر. فخلال معركة الفلوجة وبعدها على سبيل المثال اصبحت الموصل وعدة ضواحى سنية فى بغداد اكثر عنفاً».

• معركة عقول أم معركة سلاح؟!

وفى وصف أكثر مأساوية لحال الآلة الأمريكية المهزومة فى العراق يقول جيفرى وايت وهو محلل سابق فى وكالة استخبارات الدفاع فى مركز واشنطن لسياسة الشرق الأدنى «نستطيع فقط أن نسيطر على الأرض التى نقف عليها وعندما نغادر تسقط». بينما تتندر تقارير لصحف أمريكية وغربية بالقول: فى أواخر عام ٢٠٠٣ تم دفع مجندين عراقيين العديد منهم من الشباب الذين كانوا يتطلعون للارتزاق إلى أسبوع أو نحو ذلك من التدريب وأعطوا رشاشات وملابس عسكرية، ثم أعلن أنهم تخرجوا ولم يلبثوا أن توجهوا لمعركتهم الأولى فى الفلوجة... هرب العديد منهم. وفى مواجهة الفلوجة الثانية حاربوا خلف الخطوط الرئيسية للجبهة وكانوا يصوبون أسلحتهم ويطلقون النار منها بشكل خاطئ ودون سابق تحذير وهذه المرة أيضا هرب عدد منهم.

كما أن فرقة للحرس الوطنى بكاملها فى الموصل تغيبت دون أن تأخذ إجازة فى نوفمبر. والعديد من قوة رجال الشرطة فى الموصل انهار ببساطة تحت وطأة النار.

التحدى الذى تواجهه القوات الامريكية والعراقية فى مقابل المقاومة هو ان تمتلك ذات المهارة فى القتال وذات الروح القتالية العالية فالمقاومون يقاتلون ويستميتون من اجل هدفهم اما المرتزقة الامريكيون والعراقيون فهم يقاتلون بدون أى هدف!.

وذكرت صحيفة «واشنطن بوست» تقريراً مهما عن الأساليب القتالية الذكية التى تستخدمها المقاومة العراقية، وهو ما يؤكد أن الحرب الدائرة فى العراق هى حرب عقول وليست فحسب حرب أسلحة وتكنولوجية متقدمة، مع الاعتراف بأهمية التكنولوجيا لحاجة العقل البشرى فى توظيفها وفق اهدافه وابداعاته، وقد استخدمت المقاومة العراقية اساليب حرب الشوارع التقليدية أو حروب الاستنزاف كما صاغها المفكر الاستراتيجى الالمانى كلاوز فيتز والجنرال الفيتنامى جياب والكابتن ليدل هارت، وغيرها من مؤلفات كانت المكتبة العسكرية عامرة بها، فضلاً عن خبرات العراقيين القتالية الهائلة، فهم خاضوا ثلاثة حروب ضد إيران «٧٩ - ١٩٨٨» وأميركا وحلفائها «١٩٩١» ثم الغزو «٢٠٠٣» ما اكسبهم مهارات وخبرات، وتم دمج هذه القراءات والخبرات فى آتون معركة حرب المدن الشيعية، بما فى ذلك استخدام الأساليب الأميركية نفسها فى صناعة وزراعة المتفجرات على الطرق، وتفجيرها عن بعد.

• «الكراسة» التى هزمت دبابات أميركا

فى عام ١٩٦٥ أصدر الجيش الأميركى كراسة حول طرق صنع وإخفاء الأفخاخ المتفجرة، تضمنت خططا تفصيلية توضح الوسائل المختلفة لربط جهاز التفجير بالمتفجرات، وتقدم النصائح حول أفضل المواقع لإخفاء القنابل القاتلة على امتداد الطرق والأماكن الأخرى.

وبعد عقدين من الزمن قدم الجيش العراقى لأفراد من قواته نسخة عربية من الكراسة ذاتها، وقد احتوت على النص الأصلى مترجما والكثير من الرسوم أيضا. وضمت الكراسة التى صدرت فى مارس (اذار) ١٩٨٧ وختمت بعبارة «سرى»، على رسالة من صدام حسين تؤكد أهمية التعلم الدائم.

ويلقى وجود النسخة العراقية الأضواء على الدرجة التى وجدت فيها الأساليب والتقنية العسكرية الأميركية طريقها الى جيش صدام، على الرغم من تدهور العلاقات بين الرئيس العراقى السابق وواشنطن فى نهاية المطاف. وارتباطا بقيادة أنصار النظام السابق وأفراد مؤسساته الأمنية الكثير من اعمال التمرد فى العراق، تجد القوات الأميركية نفسها فى مواجهة عدو مدرب، جزئيا على الأقل، وفق المناهج العسكرية الأميركية.

والقلق من أن المتمردين العراقيين ربما يعتمدون على أساليب صنع القنابل الأميركية، حفز المحققين الأميركيين على مراجعة جميع الكراسات التى ربما كان العراقيون قد حصلوا عليها. ويمكن ان تؤدى تلك المراجعة إلى منفعة للقوات الأميركية، وفقا لمتخصصى الإلكترونيات والأسلحة فى هذه القاعدة الواقعة فى نيوجيرسى حيث يجرى الكثير من البحث فى مجال مجابهة القنابل المزروعة على الطرق.

وقال أحد كبار المسؤولين المدنيين هنا إنه «إذا ما عرف المرء كراسات تدريبهم، فإنه يعرف بالتالى ما الذى يمكن أن يقوم به ضدهم. إن استخدامهم تكتيكاتنا وأساليبنا واجراءاتنا ليس بالضرورة أمرا سيئا». واضاف المسؤول الذى درس فى البداية الكراسة الأميركية حول صنع القنابل عندما كان مجندا شابا فى عهد حرب فيتنام، انها ذات سمة عملية محدودة فى النزاع الحالى فى العراق. وأضاف ان المتمردين العراقيين يطبقون طرقا أحدث، خصوصا فى اختيارهم اجهزة التفجير الإلكترونية التى تمكنهم من التفجير عن بعد. غير انه قدر ان ١٠٪ من القنابل المزروعة على الطرق فى العراق تستخدم الأساليب الواردة تفاصيلها فى الكراسة الأميركية.

وكان الجيش الأميركى قد أوقف فى عام ١٩٨٦ نشر كراسة عام ١٩٦٥ وفقا لما قاله متحدث باسم قيادة التدريب فى الجيش، غير أن الوثيقة التى حملت عنوان «المفخخات» لا تزال تباع فى المحلات التجارية.

واعتبر باتريك لانغ، الخبير السابق فى وكالة الاستخبارات بوزارة الدفاع، أن وجود النسخة العراقية لا يثير الدهشة. وقال «سأخبركم كيف حصلوا عليها. فقد كان لديهم طلاب فى مدارسنا العسكرية حتى اندلاع الحرب العربية الإسرائيلية عام ١٩٦٧، وقد أخذوا الكراسات معهم».

وفى سنوات الثمانينيات حيث كان العراق يخوض حربا مع إيران زودت الولايات المتحدة العراق بمساعدة محدودة فى شكل تصوير عبر الأقمار الصناعية يظهر مواقع القوات الإيرانية. وقال لانغ «ما أن تنقل هذه المنهجية الأساسية فإنها تبقى ويعتمد الناس عليها. وهذه إحدى الحجج التى تتحفظ على عملية النقل فى المقام الأول». وما تزال قنابل الطرق اداة القتل الأولى ضد القوات الأميركية فى العراق، وفقا لارقام وزارة الدفاع، حيث ينسب اليها ما يقرب من نصف الحوادث. وباتت مجابهتها من أهم أولويات وزارة الدفاع. وفى قيادة الاتصالات الإلكترونية فى الجيش هنا ينشغل ما يزيد على ٨٠ من المهندسين والمتخصصين الآخرين فى هذا الجهد. وفى مؤسسات الجيش الأخرى يعمل العشرات فى هذا المجال، حيث تخصص مئات ملايين الدولارات لهذا المشروع وفقا لمسؤولين فى مجال الدفاع.

وأبلغ غوردن انغلاند هيئة فى مجلس الشيوخ فى جلسة ترشيحه مساعدا لوزير الدفاع قائلا إن «هذا تهديد بعيد المدى ليس لقواتنا المسلحة فحسب وانما أيضا لمواطنينا. وإذا كان هناك هجوم فى أميركا، فإنه سيكون من هذا النوع أغلب الظن».

وفى الأشهر الأخيرة استخدم الجيش الأميركى أجهزة تشويش أرضية وجوية حققت بعض النجاح فى مقاومة القنابل المزروعة على الطرق. ووفقا لأرقام الجيش فإن ما يتراوح بين ٣٠ الى ٤٠٪ من متفجرات الطرق يجرى اكتشافها وابطال مفعولها، أما تلك التى تنفجر فلا تسبب الكثير من الضحايا، ولكن حوادث التفجير من هذا النوع قد تزايدت وتتجاوز فى الوقت الحالى الثلاثين يوميا وفقا للجيش. وأصبحت الأجهزة متطورة على نحو متزايد، ويجد المتخصصون الأميركيون سبلا لمواجهتها. والنماذج القديمة التى تعتمد على أجهزة تفجير، مثل مفاتيح أبواب الكراجات وأجراس الأبواب اللاسلكية وأجهزة إنذار السيارات، أخلت المكان لنماذج تفجر بواسطة الهواتف الجوالة ووسائل أخرى أكثر تطورا وتعقيدا.

ويعترف التقرير الاستراتيجى العربى «٢٠٠٣ - ٢٠٠٤» أن حصيلة سنة كاملة من المقاومة أثبتت أن الشق العراقى هو الغالب فى تكوين المقاومة، برغم المحاولات الاميركية لنفى ذلك، والادعاء بأن المقاتلين العرب هم الذين يقودون المعارك أو بمعنى ادق المتشددين الإسلاميين من أنصار بن لادن أو الزرقاوى، وقال التقرير إن المقاومة فى أكثر الاحتمالات تعتمد على خبرة الأجهزة الأمنية فى عهد

صدام، كما توجد العديد من الشواهد التى اثبتت وجود «خطة» لاختفاء تلك الأجهزة عندما بدت الهزيمة العسكرية حتمية ولا يمكن تجنبها بسبب الفرق الهائل فى تكنولوجيا الحرب بين أميركا وحلفائها من جهة والعراق من جهة أخرى، ويشير التقرير إلى ان خطة المقاومة قد وضعت بواسطة القيادة العراقية من قبل أن تبدأ العمليات العسكرية، ويستشهد التقرير بمفتش الأسلحة السابق فى العراق سكوت رايتر «سوف نعرض لشهادته كاملة فى فصل المقاومة البعثية» الذى أكد أن رجال الاستخبارات فى عهد صدام اختفوا مثل فص ملح وسط المواطنين، وسوف يظهرون بعد حين.

• شهادة ألمانية: بوش لا يريد أن يعرف ما يجرى

بالمقابل نشرت مجلة «دير شبيجل» الأسبوعية تحقيقاً أعده موفدها إلى العراق «رالف هوبة» كذب فيه الادعادات الأميركية بأن منظمة القاعدة هى المسئولة عما يحدث مشيرا إلى أن المقاومة العراقية منتشرة فى جميع أنحاء البلاد وتعمل بطزيقة حرب العصابات.

حيث تتسلح بأسلحة خفيفة فى خلايا منفصلة ويصل عددهم إلى ما يزيد على ٢٠٠ ألف شخص وانهم عراقيون فخورون بما يفعلونه.

بل ويستهزئون بمدى ضعف القوات الأميركية التى تزعم أنها القوة العظمى الوحيدة برغم تفوقها التكنولوجى الهائل.

وبأن المتطوعين العرب والأجانب لا تزيد أعدادهم على المئات إلا أنهم غير فعالين لجهلهم بطبيعة وجغرافية البلاد حتى إنهم يبدون كالسائحين هناك وأكد «هوبه» أن المقاومة تشمل المناطق السنية والشيعية وليست مقتصرة كما يشاع على المثلث السنى.

وأشار فى النهاية إلى أن تزايد عدد القتلى الأميركيين أدى إلى حالة هائلة من الخوف فى صفوف الجنود لدرجة أصبح فيها التواجد العسكرى الأميركى فى العراق يمثل عبئاً حقيقياً على الادارة الأميركية.

وهو ما أشارت له عديد من التقارير والتحليلات، ذكر أحدها أنه لا أحد بعد الآن من القوات الأميركية سيشعر بالأمن فى العراق، فلا حماية لهم على الأرض. ولا حتى فى الجو فالعدو الذى لا يستطيعون رؤيته يقاتلهم على كافة الجبهات ويضع الجميع فى مرمى الهدف.

من ناحية أخرى أشارت المحللة الشهيرة «مارتينا دورنج» فى عدة تحليلات لها فى صحيفة «برلين تساتيونج» Barliner zeitung إلى أن رجال المقاومة بدوا أكثر ذكاء ومهارة من الإدارة الأميركية وأن استراتيجيتهم اكثر نجاحا حيث استهدفوا وولفويتز بالذات فى عملية غاية فى الدقة والاحتراف

والمهارة ولعلنا لا ننسى أن وولفويتز أحد أهم مخططى الحرب وصاحب نظرية فرض الديمقراطية بالقوة على الشرق الأوسط كما أن رسالة عملياتهم كانت استهداف كل شخص أو مؤسسة تريد اعادة الأمور إلى طبيعتها فى العراق وبالتالى مساعدة قوات الاحتلال الأميركى بصورة غير مباشرة.

ونجحوا فى ذلك حيث بدأت الأمم المتحدة ومنظمات المساعدة والاغاثة فى الانسحاب من هناك.

هذا فى الوقت الذى شكك فيه البعض فى أن تكون العمليات الانتحارية على السفارة الأردنية أو مقر الأمم المتحدة أو ضد باقر الحكيم والصليب الأحمر من تنظيم المقاومة العراقية.

مشيرين إلى أن هذه العمليات تحمل «توقيعات» مختلفة تماما دون أن يذكروا صراحة من هو صاحب هذه التوقيعات من جهة أخرى استمر التهكم على أقطاب الإدارة الأميركية بصورة مثيرة للسخرية سواء لنائب وزير الدفاع وولفويتز الذى أراد بزيارته للعراق إثبات حدوث تقدم فى الحالة الأمنية ثم فوجىء بأنه هو نفسه أصبح هدفا للاعتداء أو وزير الدفاع رامسفليد الذى أطلق عليه «رولانهاين» فى صحيفة «برلين تسايتونج» اسم رئيس القتلى وسخر منه بقوله «إن هناك بعض الأيام السيئة لقوات الاحتلال» ورد عليه بأن من سخريات زعيم البنتاجون أن قوات الاحتلال لم تر فى العراق يوماً واحداً جيداً أو انتقاد «كارل جروبه» فى صحيفة «فرانكفورتر روندشاو» بالقول: إن ما حدث فى العراق فى رمضان يذكرنا بيوم جمعة فى ليلة قمرية عام ١٩٦٨ فى فيتنام نافيا أن يكون هناك دور لأى بلد مجاور فيما يحدث فى العراق ومشيرا إلى خداع الإدارة الأميركية للرأى العام الأميركى تماما كفيتنام قائلا: الرئيس بوش يعلن أنه لا يقرأ أى صحف بل يستمع فقط لكونداليزا رايس، وأيضا كان ريتشارد نيكسون لم يكن يريد أن يقرأ أو يرى أو يتعلم.

وقد ترددت كثيراً فى الصحف العالمية صلات ربط بين ما يجرى فى العراق وما جرى من قبل فى فيتنام أو «العقدة الفيتنامية» وتحت عنوان: العمليات فى الفرات تذكر جنود

المارينز بفيتنام، نشرت «ديرشبيجل» أن صفوف الزوارق السريعة لمشاة البحرية الأميركية «مارينز» فى نهر الفرات فى غارة صباحية أعادت أذهان بعض الجنود إلى حرب أخرى خسرتها الولايات المتحدة قبل ٣٠عاما فى فيتنام، حيث كان ينفذ الجنود عمليات فى الأنهار على متن زوارق مموهة.

فيما يتفحص بعضهم ضفافها بحثا عن العدو.

نادرا ما يذكر الجنود الأميركيون فى العراق «الهزيمة».

إذ لم يكن الكثير منهم ولد بعد، عندما انسحبت آخر وحدة قتالية أميركية من فيتنام قبل ٣٠عام.

كما تعتبر تلك الحرب نذير شؤم فى صفوف الجيش الأمركى الذى يقر جنوده بمخاوفهم من إمكان

الهزيمة فى العراق.

فيما غرق القمر البرتقالى تحت الأعشاب المائية كان من الصعب على الجنود تجنب التفكير فى فيتنام ساروا إلى الشاطىء على أقدامهم عبر الوحول التى جعلت بعضهم يغوص فى الماء إلى خصره. فيما بندقيات «إم ١٦» مصوبة عاليا فى الهواء لتجنب المياه.

وبدأ الجنود بعدها جولة دامت خمس ساعات عبر غابات النخيل الصغيرة وممرات فيها قنوات رى عميقة.

ودارت بين جنود «المارينز» أثناء جولتهم فى المنطقة. حوارات متقطعة عن فيلم «القيامة الآن» فيما أطلق جندى نكتة سودا شبه فيها المكان بـ «منتزه ذكرى فيتنام».

لكن خلف هذا المزاح يكمن أمر أكثر جدية. وهو الاحساس الذى يعبر عنه الكثير من الجنود، فى ما يجولون فى هذه المنطقة. أن هذه الحرب أيضا «كفيتنام» يتمتع المقاتلون بميزة دخولهم مواجهة جنود تلقوا تدريبا عاليا ويملكون وسائل تكنولوجية متقدمة وموازنة بمليارات الدولارات وكانت وحدة الاستطلاع التابعة لـ «المارينز» نفذت هذه الغارة فى النهر. فى إطار هجوم يستغرق أسبوعا لاستكمال عملية الفلوجة التى استعادت القوات الأميركية السيطرة عليها بعد مقتل اكثر من ٥٠جنديا وفى دلالة أخرى إلى أوجه الشبه بين الحربين.

استخدمت الوحدة الأميركية زوارق «سورك» النهرية المتطورة التى يبلغ طولها ٤٠قدما وتعتبر نموذجا متطورا لزوارق سريعة استخدمت فى حرب فيتنام، لكن كل هذه الاساليب لم يكن لها جدوى.

• أمين هويدى يحلل حرب البراغيث

فى صحيفة الأهالى القاهرية وصف وزير حربية مصر الأسبق أمين هويدى الوضع فى العراق فقال: إنها حرب دموية بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، تدور بين طرفين: القوات المحتلة غالبيتها أمريكية وبريطانية مؤيدة من الحكومة المؤقتة فى جانب، والمقاومة بكل أشكالها فى الجانب الآخر.

يعتمد الطرف الأول على التفوق فى ميزان القوى بإستخدام الأسلحة التقليدية وبعض الأسلحة الممنوعة. مثل القنابل العنقودية وبالتخطيط لإستخدام قوات خاصة للإغتيالات نقلا عن التكتيكات الإسرائيلية فى فلسطين.

أما الطرف الثانى فيحاول أن يعوض النقص فى ميزان الرعب بالعربات المفخخة والحرائق فى آبار وانابيب البترول وقتل المتعاونين مع قوات الإحتلال من رجال الأمن والموظفين المدنين الكبار.

وفى تقديرى لن يتم حسم الأمور إلا بعد فترة ليست بالقصيرة.

وبالرغم من خسائر الفادحة فى الجانبين. فالقوات الأمريكية تواجه هجمات أكثر خطورة وفتكا مما تعلنه وقد أكد ذلك تقرير أنتونى كوردسمان فى مركز الدراسات الاستراتيجية والدولية بواشنطن، وكاعتراف أخير لرامسفيلد فى أثناء إحدى زياراته الأخيرة إلى العراق.

ومما يزيد من صعوبة الموقف بالنسبة لقوات الاحتلال. أنها مجبرة على الانتشار على جبهة واسعة لمواجهة هجمات المقاومة فى كل أنحاء العراق.

مما أجبرها على طلب تعزيزات ليصل حجمها إلى ١٥٠,٠٠٠ ألف مقاتل، وما يتطلبه ذلك من إعتمادات مالية إضافية ولجوئها إلى استخدام المرتزقة التى يطلق عليها شركات المقاولات العسكرية الخاصة، وفى تقديرنا أنه لو استمرت المقاومة سنوات أخرى لازداد الموقف حرجا وسوف تتعرض أميركا إلى هزيمة سياسية وعسكرية ماحقة بشرط ان تطور المقاومة من اساليبها، ومداها الجغرافى لأن القوات المقاومة تتبع أساليب حرب العصابات أو حرب البراغيث لتضرب وتجرى أو تقتل وهى تتحمل بدورها خسائر فادحة كما حدث فى معركة الفلوجة التى آراها برغم شجاعتها إلا أنها كانت خطأ استراتيجيا سوف يؤثر على مستقبل الأوضاع. إذ دخلت المقاومة بأرجلها إلى المصيدة لتحارب حربا دفاعية ثابتة فى المدن أمام قوات متفوقة ومن الغريب أنها تحاول تكرار ذلك فى الموصل لتصبح هدفا سهلا لقوات الاحتلال بينما ان اسلوب تحركها الدائم فى وحدات صغيرة لتنقض فجأة ثم الهروب بسرعة هو الوسيلة الوحيدة الإيجابية التى تكبد العدو الخسائر المطلوبة وتقلل من خسائرها وتطيل أمر القتال.. إلى هنا أنتهى كلام واحد من أهم خبراء الاستراتيجية العسكرية فى العالم، أمين هويدى ليفتح المجال أمام السؤال الهام:

• ما هى تكتيكات المقاومة عسكريا وسياسيا؟

عن السؤال، أجاب المحلل السياسى طلعت رميح فى رؤية له على الإنترنت «٢٠٠٥/٤/٤» على النحو التالى:

المتابع لعمليات المقاومة العراقية .أو عبر عملياتها يلحظ أنها تتعامل بدقه شديدة فى اختيارها لأهدافها .وفى توقيتات عملياتها .وفى الوسائل العسكرية التى تستخدمها فى عملياتها .وهى من خلال هذا التدقيق الشديد والكفاءة نجحت فى تحقيق أهداف هامه بل فى غاية الأهمية .فهى نجحت بالفعل فى إثارة الذعر فى صفوف قوات الاحتلال الأمريكى .. وأثرت على معنويات هذه القوات إلى درجة لم تعترف بها هذه القوات الموجودة على الأرض العراقية فقط بل إلى درجة أن وزارة الدفاع الأمريكية اضطرت مع اتساع الحالة لإرسال أساتذة فى الطب النفسى لدراسة الوضع النفسى للجنود

تحت ضغط ما أعلن عن حالات فرار للجنود وهرب عبر الحدود.ومن حدوث حالات وفاه للجنود فى أسرتهم، بعيدا عن ميادين القتال وكذلك فى ضوء عدم عوده بعض الجنود إلى وحداتهم القتالية فى العراق والبقاء فى الولايات المتحدة بعد انقضاء إجازاتهم فى الولايات المتحدة.وأيضا فى ضوء ما أعلنه إحصاء واستطلاع أمريكى من أن ٥٠٪ من الجنود يفكرون فى عدم تجديد عقود عملهم فى الجيش الأمريكى بسبب عمليات المقاومة.

وكشفت إحصائيات أميركية رسمية ان الجيش الأميركى يواجه نقصا كبيرا فى عدد المتطوعين المتقدمين للتجنيد فى الجيش بسبب حرب العراق وخوفهم من المشاركة فيها، أكدت إحصائيات وزارة الدفاع الأميركية «البنتاجون» ان الجيش النظامى يعانى نقصا فى عدد المجندين الجدد بنسبة ١٧٪ وجيش الاحتياط ٢٠٪ وجيش الحرس الوطنى ٢٤٪ وكشفت الاحصائيات ان البنتاجون يدرس حاليا منح حوافز جديدة للمتطوعين لاقناعهم بالتجنيد فى الجيش الأميركى.

واكد الكولونيل توماس كولينز المتحدث باسم الجيش الأميركى إن البنتاجون يبحث رفع الحد الأقصى للحوافز إلى ٤٠ الف دولار ومنح المتطوع قرضا لشراء مسكن بقيمة ٥٠ ألف دولار.

- **عمليات ضد آبار النفط**

والمتابع لعمليات المقاومة يجد أيضا أن المقاومة نجحت فى عدم تمكين قوات الاحتلال الأمريكية وأجهزة الإعلام من إخفاء حالة استمرار الفوضى وعدم قدرتها على فرض الأمن فى العراق لا لنفسها، ولا للسكان الذين أعلنت أنها جاءت لتحريرهم وتحسين ظروف حياتهم(!!)..وذلك.حتى فى عدم تمكين الجيش الأمريكى من التعتيم على خسائره رغم كل ما اتخذه من إجراءات ضد وسائل الإعلام، وذلك بفعل نشاط المقاومة ليلا ونهارا وبفعل عملها المكثف داخل العاصمة.وكذا لتعدد عملياتها وانتشارها فى اليوم الواحد. والمتابع يجد أن المقاومة العراقية نجحت أيضا فى منع القوات التركية من الحضور إلى العراق رغم اتخاذ مجلس الوزراء والبرلمان التركى لقرار بإرسال هذه القوات.وقد كان بإمكان القوات التركية لو وصلت فعلا للعراق –وقد كان مخططا لها أن تنتشر فى وسط العراق –أن تنقذ قوات الاحتلال الأمريكية من المأزق الذى تعيشه الآن ولتحول الصراع إلى صراع إسلامى –إسلامى...كما نجحت المقاومة فى حسم تردد دول أخرى كانت تفكر فى إرسال قواتها إلى العراق فعدلت عن قرارها أو تفكيرها خوفا على جنودها أو سمعتها السياسية ومصالحها..كما أن المقاومة أعطت مبررا لدول من نوع ثالث لعدم إرسال قواتها وان تتفلت من الضغوط الأمريكية عليها ..بحجة المقاومة. والمتابع يلحظ أيضا أن المقاومة العراقية نجحت على أكثر من صعيد فى تعطيل حركة تصدير البترول العراقى

للخارج، وفى تكبيد قوات الاحتلال خسائر مالية شديدة فى هذا الجانب سواء لان البترول والسيطرة عليه كان أحد أسباب الغزو أو لأنه المشغل لآلة الحرب الأمريكية الدائمة الحركة أو بسبب تكاليف الإطفاء والسيطرة على النيران أو لتكاليف الإصلاح أو للآثار الخطيرة على دول الجوار التى يعتبر وصول النفط العراقى لها احد عوامل السيطرة على قرارها السياسى.. وإذا كان أكبر الخاسرين من قضية الاحتلال الأمريكى للعراق فى مجال النفط هو العراق نفسه فان أكبر المتضررين بعدها هو تركيا...لكن ما لا يدركه الكثيرون أن ضرب أنابيب النفط جعل من احتلال العراق حتى الآن عامل استنزاف للخزانة الأمريكية على عكس ما خطط اليمين الصهيونى لهذه الحرب العدوانية.

- **خفايا عملية فندق الرشيد**

والمتابع لعمليات المقاومة لاشك انه يجد نفسه ينظر بدهشة إلى قدرتها على نقل المعركة إلى الداخل الأمريكى..فالمقاومة نجحت على المستوى التكتيكى أيضا فى الانتقال بالتأثير السياسى إلى داخل الولايات المتحدة، فقد كانت السبب وراء سحب ملف العراق من وزير الدفاع الأمريكى رامسفيلد وكانت هى من أعطت الفرصة لكولن باول وزير الخارجية الأمريكى ومن بعده كوندليزا رايس، لكى يعيد الاعتبار إلى رؤيته القاضية بعدم تجاهل الوضع القانونى الدولى، وأطماع الدول الكبرى المنافسة.وهو ما ظهر فى العودة الأمريكية إلى مجلس الأمن المرة تلو المرة..كما إنها تمكنت من إثارة مصاعب يبدو أنها متصاعدة للإدارة الجمهورية وللرئيس بوش تحديدا بما أعطته من هدايا للديمقراطيين لتصعيد ضغوطهم على البيت الأبيض وإثارة قدر متصاعد من الإحراج له.بما خفض من شعبيه بوش بشكل متواتر. وأخيرا فالمتابع والمحلل لهذه النجاحات التكتيكية للمقاومة العراقية يجد أنها تحققت من خلال اعتماد المقاومة العراقية على نمط من الربط الدقيق واللحظى والمباشر بين التطور والتغير فى الأحداث السياسية وبين توقيتات العمليات..وكذلك من خلال اعتماد ترابط بين ظروف كل عملية و القدر المطلوب والمؤثر من القوة وباستخدام الوسائل العسكرية المناسبة تحديدا لكل هدف من الأهداف.. ففى خلال حضور نائب وزير الدفاع الأمريكى فى العراق جاءت العملية -عملية فندق الرشيد -فى توقيت جعل المراقبين يتحدثون عن قدرة تكتيكية عالية فى التعامل مع عنصر الوقت الأمر الذى حاول المتحدث العسكرى نفيه بصورة غير مباشرة بالإعلان عن أن العملية خطط لها منذ وقت طويل.ومن ناحية الأهداف العسكرية سعت العملية لإظهار فشل القوات الأمريكية حتى فى حماية نائب وزير الدفاع وولفوفيتز نفسه فكيف بحمايتها لنفسها.. كما استهدفت العملية هز أركان قيادة القوات الأمريكية فى العراق أمام قادتها المباشرين، واختارت لهذا أن تقصف الفندق الذى يقيم به نائب

الوزير وهى لو نجحت فى مسعاها بإصابته أو قتله لكان الأمر تطور وأصبح ذا تأثير خطير على وجود قوات الاحتلال..ومن ناحية الوسائل المستخدمة اعتمدت المقاومة على نمط من العمليات والأسلحة مناسب لطبيعة الهدف من العملية..حيث لم تجر العملية بسيارة مفخخة..أو من خلال مقاوم يفجر نفسه.. هذا الأسلوب أو ذلك سبق استخدامه ولا يحقق مهمة هدم الفندق كاملا، وإنما اختارت المقاومة القصف الصاروخى لطابق محدد الذى كان بإمكانه هدم الفندق كاملا..بما يعزز هدفها فى قتل نائب الوزير الأمريكى والقادة الأمريكيين الموجودين بطبيعة الحال معه.

• يوم القيامة.. عمليات اغتيال الشرطة العميلة

وفى مواجهة تنامى أعداد وقوة ونفوذ الشرطة العراقية -وهى ذات خطر شديد على أفراد المقاومة لمعرفتها بالأرض والبشر-كان توقيت وحجم الضربات والوسائل العسكرية المستخدمة فى هذا النمط من العمليات مخططا ومحددا بدقة..فمن ناحية التوقيت كان قد اختير لبعض العمليات أن تتم فى يوم تخريج دفعة من هذه القوات أو الهجوم على معسكرات تدريبهم أو داخل أقسام الشرطة والأكاديميات وذلك فى رسالة موجهه لأفراد الشرطة بأن المتعاون مع المحتل يعامل معاملة المحتل وأن المقاومة تحذرهم وهم فى بداية الطريق وقد استخدمت المقاومة فى ذلك أسلوب الهجوم المباشر والاشتباك والسيارات المفخخة ..وتابعت العمليات سيرها فى هذا الاتجاه إلى أن وصلنا إلى اليوم الذى أطلقت عليه أجهزة الإعلام الأمريكية «يوم القيامة» وهو يوم تكرر كثيراً حيث تجرى أربع عمليات فى يوم واحد ضد أقسام الشرطة...لإصابة وقتل اكبر عدد ممكن من أفرادها خاصة ان هذه الشرطة مذهبية التكوين والولاء، ولإظهار عدم قدرة الشرطة -ومن خلفها قوات الاحتلال-على تحقيق الأمن لنفسها بما هز فكرة الأمن والاستقرار التى كانت أجهزة الإعلام والمسئولين الأمريكيين قد بدأوا الحديث عنها.

ففى البصرة صرح اللواء حسن السادة مدير الشرطة بأنه من الناحية العملية فقد السيطرة تماما على ثلاثة أرباع قوة الشرطة التى يقودها، وإن الميليشيات الطائفية قد استطاعت التغلغل فى صفوف هذه القوات واستغلال أفرادها فى عمليات اغتيال معارضيها.

وقال إن نصف القوة وعددها ١٣٧٥٠ شرطيا يعملون سرا لحساب الأحزاب السياسية وان بعضهم يشارك فى نصب كمائن طائفية لحساب هذه الأحزاب.

وأكد أن الميليشيات التابعة للاحزاب الشيعية «جيش المهدى وفيلق بدر» هما القوة الحقيقية فى ثانى أكبر المدن العراقية.

أكد فى حديث لصحيفة الجارديان البريطانية انه يشترى الهدوء فى المدينة بالتنازل عن سلطاته

للأحزاب الاسلامية المحافظة وغض الطرف عن تصرفات الميليشيات التابعة لها.

وقال إن سلطة الدولة الضعيفة وعدم قدرتها على دعمه حولته إلى قائد لا حول له ولا قوة ويضطر لتجنيد قواته من ميليشيات جيش المهدى وفيلق بدر.

والمقاومة اتبعت ذلك بالإعلان عن يوم للمقاومة، جاء كاختبار للتأثير النفسى لعملياتها السابقة ولإظهار مدى سيطرتها على الأرض والبشر..حيث أعلنت عن يوم لا يذهب فيه الناس لأعمالهم، مما أوقف الحياة كاملة تقريبا فى بغداد .ولما حققت هدفها هذا.. فهى لم تقم بأية عملية .وقد كان ذلك فى حد ذاته رسالة قوية من المقاومة ودرسا من دروس الحرب النفسية تلجأ إليه المقاومة الشعبية إذ تجعل عدوها مستنفرا وقلقا يتوقع الضربة من كل اتجاه وفى تلك الحالة لا تضربه .وحينما تخف يقظته وتقل درجة استنفاره تعاجله بضربه من حيث لا يتوقع. وكانت الضربة غير المتوقعة هذه فى اليوم التالى هى الأخطر من كل ما سبق من عمليات لها ..كانت العملية هذه المرة بإسقاط مروحيه تقل عدداً من العسكريين الأمريكيين .وإضافة إلى أن المقاومة دشنت بذلك قدرتها على ضرب ما يطير وليس فقط ما يسير .ودشنت قدرتها على بداية شل السلاح الوحيد الباقى للاستخدام بحرية ودون مقاومه أى الطائرات الهليكوبتر-لا يمكن استخدام الدبابات فى المواجهة مع المقاومة .وكذلك الطائرات ثابتة الجناح- فإنها أيضا أصابت العدد الأكبر من جنود قوات الاحتلال فى ضربة واحدة ، وهو أمر ذو تأثير حاسم ،إذ لم يعد يبقى أية وسيله لم تستخدمها المقاومة بما يجعل قوات الاحتلال فى حاله دائمة من التوتر والقلق ودون أية وسيله مؤمنه لتنقلاتها القريبة، ويبدو أن احد أهداف العملية هو بدء العمل من اجل إخراج سلاح الهليكوبتر من المواجهة بالفاعلية السابقة لتحقيق مزيد من الفاعلية فى العمل على الأرض، وربما للتحضير لأشكال من الانتفاضة المسلحة ضد كل أشكال الحكم التى أقامتها قوات الاحتلال، ثم راحت المقاومة العراقية تستهدف بصفة يومية ما يسمى بالمنطقة الخضراء التى تعتبرها قوات الاحتلال المنطقة الأكثر أمنا فى بغداد ..حيث تجرى عمليات قصف الهاون . والقصد من كل ما ذكرنا هو أن العمليات التى تقوم بها المقاومة العراقية، ليست مجرد عمليات هنا وهناك، حيث يخرج المقاوم قاصدا ضرب أى هدف فى أى توقيت .وإنما هى عمليات مخططة على الأقل فى مواجهة استراتيجية القوات المحتلة .تكتيكا بتكتيك وخطوة بخطوة، استراتيجيتان .وتكتيكات متقاتلة ماذا تفعل قوات الاحتلال بالدقة الآن؟ أو ما هى استراتيجيتها تحديدا؟ هذا هو السؤال الأول والاهم للتعرف على استراتيجية المقاومة العراقية. ذلك إن ما يمكن قوله حتى الآن -فى ضوء عدم إعلان استراتيجية المقاومة العراقية.

• استراتيجية إحباط استراتيجية العدو

وفى ضوء القراءة والتفسير والاستنتاج من عملياتها وهو الظاهر من هذه الاستراتيجية حتى الآن أى العمليات التكتيكية -هو أن استراتيجية المقاومة تستهدف إفشال الاستراتيجية المعتمدة من قوات الاحتلال، أى أن قراءة استراتيجية المقاومة العراقية حتى الآن لا يتوفر إلا من خلال متابعة وفهم استراتيجية القوات الأمريكية وتكتيكات المقاومة العراقية المواجهة لها.

والمتابع لكل ما تتخذه قوات الاحتلال من إجراءات ومواقف وقرارات .يصل إلى استنتاج رئيسى واحد هو أن هذه القوات، تعيد بناء جهاز الدولة العراقية وفق نمط جديد هو نمط الدولة المحتلة التابعة بحكم بنيانها ومفاهيم وأسس تشكيلها، ليكون جهاز الدولة هذا هو الضامن لاستمرار حالة الاحتلال حتى لو انسحبت القوات الأمريكية من العراق كلها أو لو اكتفت بمجرد التواجد فى قواعد عسكريه فى الصحراء -خارج المدن-وفقاً للنمط الموجود فى افغانستان، فبعد أن انتهت قوات الاحتلال خلال عملياتها العسكرية الرئيسية الأولى من تفكيك الدولة العراقية القديمة من جيش وشرطه وحزب ومخابرات وخلافه

ولم يكن ذلك عملا عفويا أو متسرعا وإنما هو المرحلة الأولى من خطة محددة نجدها شرعت بعد ذلك فى تشكيل أشكال انتقالية للدولة الجديدة، فبدأت بإعلان المجلس الانتقالى -التسمية لقوات الاحتلال وتعكس فهمها له ولدوره-ثم شكلت مجلسا للوزراء فى العراق هو الأكثر إظهارا لطابع المرحلية من الجوهر فهو مجلس للوزراء دون وزارات .وبجانب كل وزير هناك مستشار أمريكى -هو الوزير الفعلى -وهى وزارات بلا ميزانيات أو قرارات ..الهدف من تشكيلها هو وضع خطط إنشاء الوزارات فى عراق الاحتلال الدائم ومن ثم انتقلت قوات الاحتلال بعد ذلك إلى إعادة بناء شرطة عراقية، ثم دخلت مرحلة بناء جيش عراقى جديد -قال بريمر إن تعداده سيبلغ ٢٠٠ ألف جندى وضابط- مع إعلان تشكيل لجنه لصياغة دستور عراقى جديد وبمتابعة كل ذلك يمكن القول إن المرحلة الثانية من استراتيجية الاحتلال تقوم على تشكيل هياكل انتقالية للحكم لتعقبها المرحلة الثالثة والأخيرة وهى بناء جهاز دوله عراقية متعاون مع الاحتلال .ومن هنا وفى مقابل هذه الاستراتيجية ...تقوم خطة المقاومة العراقية على إفشال هذه الخطوات التكتيكية والمرحلية خطوة بعد خطوة ..ففى مواجهة بناء مجلس الحكم الانتقالى جرت عمليات اغتيال ومطاردة أفراد مجلس الحكم الانتقالى والوزراء... وفى مواجهة تشكيل جهاز شرطة عراقى جرت عمليات تصفية عناصر الشرطة العراقية وضرب مقراتها بل ومن هنا جرت عملية الإعلان عن يوم لا يسير احد فيه فى الطرقات والشوارع لتأكيد سيطرة المقاومة على

الأرض، واستنزاف معنويات الجيش الأمريكى ..والى جانب هذه الاستراتيجية وعلى خط مواز لها تجرى عملية الانتقال بالمقاومة من أساليب أبسط إلى أساليب أكثر تعقيدا ومن الضربات على الأرض إلى الضربات فى الجو.. وعلى نفس الخط يجرى تحطيم معنويات الجنود الأمريكيين خطوة خطوة إلى أن تجد قوات الاحتلال أن ليس أمامها مفر سوى الهروب بجلدها على الأقل من المدن العراقية . وتلك هى أبرز مؤشرات استراتيجية المقاومة العراقية خلال المرحلة الراهنة..والتى لا يظهر فيها حتى الآن أى مؤشر على شكل العراق القادم بعد إنهاء الاحتلال..وهو أمر لاشك أنه يلعب دورًا فى تقليل الاندماج معها من بعض القوى .. وإن كان هناك مؤشر على الوعى بأهمية هذا الأمر فهو حتى الآن فى حدود بدء الإعلان عن بدء توحيد جماعات المقاومة تحت رايات عامة أو تشكيل لجنة عامة لقيادة المقاومة.

❖ ❖ ❖

الفصل الخامس عشر

تأثير عمليات المقاومة على جنود أميركا

- أكثر من ٤٠ ألف جندى أميركى تعرضوا لإصابات متفاوتة الدرجات
- سدس جيش أميركا فى العراق يعانى من أمراض نفسية ورغبة فى الهروب
- ٤ مليارات دولار تخسرها أميركا شهرياً بسبب المقاومة فى العراق

بلغ عدد القتلى فى صفوف الجنود الأميركين فى العراق ١٧٠٠ قتيل، فى حين تجاوز عدد الجرحى ١٣٥٠٠ بحسب إحصائيات أميركية رسمية حتى نهاية يونيو ٢٠٠٥ كشفت عنها وزارة الدفاع الأميركية.

وعلى الرغم من الحجم الكبير للخسائر المعلنة فى صفوف جيش الاحتلال الأميركى فى العراق، غير أن كثيراً من المراقبين يعتقدون أن الخسائر أكبر من ذلك بكثير. وإذا كان البنتاغون كشف عن أن حوالى نصف المصابين من الجيش الأميركى استطاعوا استئناف نشاطهم، فإن مراقبين يقدرون أن ٦٧فى المائة من الجنود المصابين غير قادرين على العودة لمهامهم وان ٤٠٪ منهم إصابتهم شملت عمليات بتر أو عجز جزئى.

وعلى الرغم من أن وزارة الدفاع الأميركية تعتبر أن تطور الدروع والواقيات، التى يرتديها الجندى الأميركى، كان لها الفضل فى حماية أرواح العديد منهم، إلا أن القنابل المزروعة على الطرق تؤرق الأميركيين، على اعتبار أنها لا تزال تلحق أضرارا بليغة بالمصابين من الجنود، تصل فى كثر من الأحيان إلى فقدان البصر، أو الإصابة بعاهات مستديمة، محدثة إعاقات من الدرجة الأولى.

تقول «الين موتاجان» مراسلة صحيفة «التايمز» البريطانية فى واشنطن إن الجيش الأميركى يتعرض لنزيف يصل إلى ذروته فى صفوف غير المحترفين الذين تم انتزاعهم من الحياة المدنية وشحنهم إلى العراق وأفغانستان.

وتؤكد المراسلة أنه لأول مرة يعجز الحرس الوطنى الأميركى عن تجنيد العدد الذى كان قد حدده «كهدف».

كان المطلوب ٥٦ألف شخص ولم يتم العثور سوى على ٥١ألفاً لا يمارسون الخدمة العسكرية كل الوقت.

وهم الذين أطلقنا عليهم صفة «غير المحترفين» وتواجه هذه القوات أعباء ثقيلة نتيجة انتشارها على امتداد عدة دول مما يحملها بواجبات مرهقة. الأمر الذى يهدد بعرقلة تنفيذ أهداف سياسة بوش.

• هروب الجنود إلى كندا

يقول لورنس كورت - مساعد وزير الدفاع الأميركى فى عهد الرئيس الأسبق رونالد ريجان:-

إن بوش وحكومته يجب أن يشعروا بالقلق بسبب هذه المتاعب التى تواجه الجهاز العسكرى الأميركى.

ومن علامات الضيق.... اضطرار القوات المسلحة الأميركية هذا العام إلى تعبئة ٥٦٠٠من الجنود السابقين الذين لا يتقرر استدعاؤهم إلا فى حالة الطوارئ على الصعيد القومى.

كما يلاحظ الخبراء أن أربعين فى المائة من الجنود الأميركين المحاربين لم يتوقعوا مطلقاً الزج بهم فى الخط الأمامى للقتال وتقول صحيفة «التايمز» إن متوسط الإصابات التى تلحق بالجنود الأميركيين القتلى والجراحى يتزايد منذ تولى ما يسمى بالحكومة المنتخبة الإدارة فى بغداد ويبلغ هذا المتوسط ٧٤٧شهرياً بالمقارنة برقم ٤٨٢أثناء الغزو و٤١٥قبل تشكيل هذه الحكومة.

والزيادة المخيفة فى عدد المصابين والمعاقين تصل إلى ضعف ما تعرضت له القوات الأميركية فى الحروب السابقة بما فى ذلك حرب فيتنام، مما يكشف مدى العنف فى ساحات المعارك.

ويفقد المصابون الأميركيون- فى حالات كثيرة - أطرافهم ويتعرضون لعمليات بتر متعددة.

والغريب أن مسؤلين أميركيين يتفاخرون بأن وسائل الطب الحديثة ساعدت على بقاء الكثير من الجرحى على قيد الحياة ويتجاهل هؤلاء أن العدد الأكبر من هؤلاء الجرحى أصبحوا فى حالة صعبة لا تتيح لهم مواصلة الحياة العادية.

وهناك من يتوقعون فى واشنطن تدفق أعداد كبيرة من المعاقين الذين تجاوز عددهم عشرة الآف شخص، وربما هذا ما يفسر وجود جيل كامل من الهاربين من الخدمة العسكرية فى الجيش الأميركى سبقهم إلى كندا والآن يلحق بهم جيل جديد من الجنود.

هؤلاء الذين خالفوا الأوامر وانتهكوا القواعد... كيف يدافعون عن أنفسهم؟

لقد صرحوا لمراسل شبكة «سى. بى. إس» الإخبارية التليفزيونية الأميركية بأن الخوف من القتال أو الجبن ليس السبب فى قرارهم بالهرب من الخدمة ولكنه... الضمير.

يقول «دان فليوشكو ٢٤سنة» لقد كنت مقاتلا أنت تعرف.. لقد كنت كذلك دائماً، وظل الشعور الذى يحركنى دائماً هو أنه إذا كان هناك بشر لا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم فان مسؤليتى تفرض على أن أفعل ذلك» كان المفترض أن يتوجه فليوشكو ضمن قوات مشاة البحرية إلى الكويت فى يناير ٢٠٠٣ للإعداد لغزو العراق. ولكنه قرر - بدلاً من ذلك. أن يتجه إلى كندا.

ويؤكد فليوشكو لمراسل «سى. بى. إس» سكون بيلى؛ إن ما يزعجه ليس القتال فى حد ذاته فقد بدأ يتدرب على فنون الحرب بعد أسابيع من هجوم تنظيم «القاعدة» على نيويورك وواشنطن.

بل كان مستعداً للذهاب إلى أفغانستان بعد ١١سبتمبر. غير أنه لا يرى علاقة بين اعتداءات ١١سبتمبر وبين العراق.

وعلى سبيل المثال. يواجه الجندى الأميركى براندون هافى مهمة إقناع هيئة الهجرة الكندية بأنه وزملاءه لاجئون.

كان براندون هافى قد تطوع فى الجيش وتخرج فى مدرسة سان إنجليو العليا فى تكساس بعد شهرين من إعلان الرئيس الأميركى بوش الحرب على العراق.

كيف يفكر هافى فى موضوع الحرب ضد العراق؟

يقول: شعرت بأنها ضرورية إذا كان العراقيون يملكون بالفعل تلك الأسلحة. «أسلحة الدمار الشامل» التى يمكن أن تصل إلى مدننا وتهدد أماننا. فى البداية كنت مؤيداً للحرب، ولم أطرح تساؤلات بشأنها، وصدقت الحكومة، وكنت مستعداً للموت من أجل الحفاظ على سلامة وأمن أميركا، أثناء التدريب، لم يتابع هافى الأخبا، عندما أنهى تدريبه الأساسى شرع متابعة أخر المعلومات والأخبار.

وهنا يقول: علمت أنهم لم يجدوا « أسلحة للدمار الشامل وبدأوا يقولون إنه من المستبعد العثور على هذه الأسلحة، ثم بدأت كشف كذب المزاعم عن علاقة العراق بتنظيم القاعدة فى عراق قبل الغزو. ويقول هافى: إنه شعر بالغضب بعد أن وجد هذا الإستخفاف لدى المسؤلين. بأرواح الجنود، حيث الدفع بهم الى مهمة وهمية.

ويعرب الجندى عن أسفه بسبب «كل هذه الكراهية» التى تجتاح بلاده. ويقول: إن الصورة التى كانت تستطع فى ذهنه عن بلاد بأنها «البلد الطيب» الذى يحارب من أجل قضايا عادلة قد تحطمت، ويؤكد أن عينيه أصبحت مفتوحتين، وأن عقله صار لا يتقبل الدعاية التليفزيونية، وأنه تعلم الا يأخذ الأمور بسطحية.

• حقيقة الخسائر فى الجيش الأميركى

ونقلاً عن: بول كريم روبرتس زميل فى معهد الاقتصاد السياسى، بأنه حسبما ذكرت مصادر المستشفى العسكرى الأميركى فى لاندستول فى ألمانيا، عالج المستشفى حتى نهاية ٢٠٠٤ ٢٠٨٠٢من جنود القوات الأميركية المصابين فى العراق. وحسب أرقام (البنتاغون) فإن ٥٤بالمئة من الجرحى جراحهم بليغة وتحول دون عودتهم إلى وحداتهم، فإذا صحت تلك النسبة فسوف تعنى أن المقاومة قد أخرجوا ١١٢٣٣جندياً أميركيّاً من الخدمة العسكرية.

يشير تقرير إلى أنه فى نوفمبر ٢٠٠٣صرح جراح فى المركز الطبى فى رامستان فى ألمانيا (وهى المستشفى العسكرى الرئيسى فى القاعدة الأميركية هناك الذى ينقل إليه الجرحى) بأن ذلك المركز الطبى قد استقبل ٩٥٠٠ إصابة من العراق تتطلب جراحة، ومنهم أكثر من ٣٠٠٠حالة بتر، وأنه فى الشهر نفسه صرح الإدارى الرئيسى «الأميركى» فى مطار بغداد بأنه قد شحن إلى الخارج حوالى ٢٢٠٠٠جريح من الرجال والنساء فى الخدمة.

عند نهاية مايو ٢٠٠٥ قفز عدد قتلى القوات الأميركية الرسمية إلى ٧٧ قتيلا فى شهر واحد، وهو أعلى عدد قتلى منذ أن قتل ١٠٧ جنود فى يناير من العام نفسه. وقال الناطق العسكرى الكولونيل ستيف بويلان ان المسلحين «المقاومة» يشنون حوالى ٧٠ هجوماً يومياً، وتشير احدث ارقام لوزارة الدفاع الاميركية «البنتاجون» الى ان ١٦٥٨ عسكريا قتلوا منذ بدء الحرب فيما اصيب ١٢٦٣٠ جنديا اميركيا، ومعروف ان هذا الرصد لا يشمل الا الجنود فى الوحدات العسكرية النظامية الاميركية، وهذا غير عدد آخر من الأميركيين الناشطين فى مجالات استخباراتية وأمنية واقتصادية لا تقوم وزارة الدفاع الأميركية - عادة - برصدهم أو اضافتهم الى رصيد القتلى، وقد اعترف الرئيس الأميركى جورج بوش غير مرة بضراوة المقاومة العسكرية المسلحة.

وفى أبريل ٢٠٠٤، ذكرت صحيفة المحاربين القدماء (فى الولايات المتحدة) أنها قد استلمت ٢٦٦٣٣ طلبا عجز من أفراد الخدمة العائدين من العراق وبعد شهرين (أى فى يونيو ٢٠٠٤) وفى برنامج ماك كلوشلن السياسى الذى تقدمه محطة CNN فإن النقاش حول أرقام الإصابات دارت حول ٢٧٠٠٠سبعة وعشرين ألف. وهذا بحد ذاته يؤكد الإحصاءات المشار إليها أعلاه، على حد قول التقرير.

ومنذ أبريل ٢٠٠٤ وحتى يناير ٢٠٠٥، خلال عشرة أشهر، يقدر التقرير أن عدد الإصابات (بما فيها إصابات النجف والفلوجة) تقدر بحوالى واحد وعشرون ألفا (٢١٠٠٠) منذ ابريل ٢٠٠٤حتى الوقت الحاضر. وإذا أضيف هذا الرقم إلى رقم جمعية المحاربين القدماء البالغ ٢٦٦٣٣ إصابة لما قبل نيسان/أبريل ٢٠٠٤، ويكون المجموع الكلى للإصابات ثمانية وأربعون ألفاً (٤٨٠٠٠) وبإستعمال مؤشر عام بمعدل واحد من القتلى لكل ثمانية جرحوا، فإن ذلك يعطينا عدد القتلى بحوالى ستة الآف قتيل (٦٠٠٠).

وفى رأى التقرير أن الأرقام الصحيحة للإصابات هى حوالى ستة الآف قتيل (٦٠٠٠) وثمانية وأربعين ألفاً من الجرحى (٤٨٠٠٠)، أى ما مجموعه أربعة وخمسون ألفاً (٥٤٠٠٠) ويضيف التقرير ليقول: (أنه إذا كانت هذه الأرقام دقيقة فإن البنتاغون يبلغ علناً عن ٢٠بالمئة من تلك الإصابات). ثم يقول: (إن العديد من الناس سيقولون إن هذا لا يمكن ممكنا، وإنهم لا يمكنهم أن يخففوا كل هذه الأرقام) ولكنه يرد قائلاً (إن فيتنام كانت مثالا جيداً، فقد قيل إبتداء أن ٦٠٠٠ستة الآف قتلوا فى المعارك وقد إرتفع الرقم فيما بعد إلى ثمانية وخمسين ألفاً (٥٨٠٠٠) وفيما بعد أضيف إليه أربعون أيضاً (٤٠٠٠٠) الذين اعتبروا مفقودين. لذلك فإذا كانت فيتنام مثالاً يحتذى، كذلك فإن من المؤكد أن أرقام الإصابات يتم التلاعب بها لأغراض استهلاك الرأى العام، ثم يلخص بالقول (إن هذه هى بعض صور الهزيمة).

وبالنسبة إلى عدد ضحايا القوات البريطانية فى العراق التى قدرت فى أواخر شهر تشرين الثانى/نوفمبر ٢٠٠٤، فإنه كان هناك ٧٤قتيلاً أعلنت وزارة الدفاع عنهم، ولكن كان هناك ٣٠٠٠جريح تم إجلاؤهم من العراق لأسباب طبية منذ بدء العمليات فى العراق فى السنة الأولى (٢٠٠٣)، والتى لم يعلن عنها للرأى العام البريطانى.

• انسحاب قوات الحلفاء

والواقع أن أمريكا تواجه معضلة حقيقية، فقوات ما يسمى بالائتلاف عدا البريطانية انسحب من العراق، وهناك البرتغال وهولندا من المفروض أن تنسحب إحداها فى نهاية (٢٠٠٥)، بينما انسحبت القوات البرتغالية فعلاً فى ١٠ فبراير وقبل يومين من الموعد. وقد أعلن الرئيس الأوكرانى الجديد بأن سحب جنوده من العراق يمثل قمة جدول الأعمال للمؤسسة العسكرية التى تفتقر إلى المال وهو يمثل أولوية له وقد فقدت أوكرانيا (١٧) من جنودها، ولديها (١٦٥٠) من قواتها فى العراق تعمل تحت القيادة البولندية فى وسط وجنوب العراق. كما سوف تسحب بولندا قواتها فى العراق.

أما بريطانيا التى جاءت بقوات الحرس (المراقب الأسوار) فقدسحبتها من بغداد ولكنها لم تعدها إلى البصرة إلى مقرها السابق وإنما إلى بريطانيا. لقد ذكرت لك أرقام القتلى والجرحى الأميركيين، فهم يحاولون أن يأخذوا من الاحتياط. صحيفة الهيرالدتريبيون ذكرت أنه من مجموع (٤٠٠٠) تمت دعوتهم لخدمة الاحتياط، فإن أكثر من (١٨٠٠) منهم طلبوا التأجيل لسبب أو آخر، وأن من مجموع (٢٥٠٠) مجند كان يفترض أن يلتحقوا فى ٧ نوفمبر ٢٠٠٤ بقواعدهم العسكرية للتدريب أولاً قبل أن يرسلوهم إلى العراق، فإن (٧٣٣) لم يلتحقوا بقواعدهم. كما أن هناك حوالى (٥٠٠٠) خمسة الآف فرد من الجيش الأميركى هربوا إلى كندا وطلبوا اللجوء. وأميركا تواجه أزمة فى إعداد القوات اللازمة لأن تحل محل من يترك.

هذا إضافة إلى أن معظم الأسلحة الأميركية فى العراق قد تقادمت وتجاوزت العمر الإفتراضى وأن معظم الدبابات وطائرات الهليوكوبتر قد إشتريت فى الثمانينات، وأنها قد إستعملت بمعدل أربعة الآف ميل سنوياً على مدار السنة فى العراق، وهو خمسة أضعاف عمرها الإفتراضى.

هذا إضافة إلى الأصوات ذات الثقل السياسى فى أميركا وبريطانيا والتى تدعو إلى انسحاب أميركا وبريطانيا من العراق.

وفى تحرك نيابى يعد مسابقة من الحزبين الجمهورى والديمقراطى فى الكونجرس الأميركى، طرحت مجموعة نواب مشروع قرار بعنوان «انسحاب القوات الأميركية فى العراق - العودة الى الوطن»

وهو يدعو الى تحديد جدول زمنى بالانسحاب على أن يكون الجدول جاهزاً قبل نهاية السنة، ليبدأ الانسحاب من العراق مطلع تشرين الأول ٢٠٠٦.

وتبنى المشروع الذى حصلت «الحياة» على نسخة عنه، ستة نواب مناصفة من الحزبين، اثنان منهم «والتر جونز ورون بول» من الحزب الجمهورى، عضوان فى لجنة التسلح فى الكونجرس ومن المؤيدين لقرار التدخل العسكرى فى العراق. ويحدد المشروع فى قسمة الثالث السياسة المرجوة من البيت الأبيض، والتى تفرض إعلانا رسميا عن الانسحاب قبل ٣١ كانون الاول «ديسمبر» المقبل والبدء فى اسرع وقت ممكن بنقل السلطة العسكرية الى الحكومة العراقية المنتخبة ثم البدء بسحب القوات الأميركية فى موعد أقصاه تشرين الأول ٢٠٠٦.

ويشير النص إلى خطوات لضمان وسلامة القوات الأميركية خلال فترة الانسحاب، ويتعلق البند الثالث بوضع خطة لنقل والنشاطات الأمنية الداخلية» الى الحكومة العراقية على ان يسبق الانسحاب تقديم جدول باعداد المفقودين من الجيش الأميركى أو المدنيين الاميركيين فى العراق منذ بدء الحرب فى إذار مارس ٢٠٠٣ وسيطرح النواب المشروع للتصويت، ورغم ضعف احتمالات الموافقة عليه إلا أنهيمثل تحولاً سياسياً فى الكونجرس ومجموعات فى الحزب الجمهورى إزاء مسألة العراق، ويعكس تزايد استياء الرأى العام الأميركى.

وقد تسربت معلومات عن أن القوات الأميركية تفضل قتل جنودها بدلاً من جرحهم، وقد عملت القوات الأميركية على دفن جنودها من القتلى فى مناطق متعددة فى بغداد بدلاً من إرسال طرود الجثث يوميّاً إلى أميركا وهذا ما زاد فى ذعر الجنود الأميركيين وهم يشاهدون زملاءهم يدفنون أمامهم بشكل علنى.

كما أسهمت هذه الحالة فى حالة رعب عند جنود آخرين لم يكونوا قد اشتبكوا بعد فى عمليات ضد المقاومة.

ولهذا فقد احتارت القيادات الميدانية الأميركية بمشكلة التخلص من الجنود القتلى، وخاصة أولئك الجنود الذين يحملون الجنسية الأميركية او الذين لا يوجد من ينتظرهم وقد ابتكرت القوات الأميركية فى العراق طريقة للتخلص من الأميركيين القتلى، وذلك بتجريدهم من ملابسهم العسكرية ووضعهم فى أكياس من النايلون ورميهم فى مناطق غير مأهولة فى الأراضى العراقية.

فقد أفاد العديد من شهود العيان فى منطقة بحيرة العظيم ومنطقة الحويجة الواقعتين فى محافظة كركوك «٢٥٠كم» شمالى بغداد أن الطائرات المروحية الأميركية تقوم ليلاً برمى الجنود

الأميركيين القتلى فى البحيرة والأراضى غير المأهولة القريبة من الحويجة، والحديث أصبح فى هذه المناطق عن هذه الحالات عملا مألوفاً ومعروفاً للجميع.

وتبقى مشكلة الجرحى من الجنود الأميركيين التى لم تجد الأدارة الأميركية حلاً لها فلا يزال مستشفى المطار الدولى فى بغداد، ومستشفيات القواعد الأميركية فى المنطقة مليئة بأعداد كبيرة من الجرحى الأميركيين وإذا كانت صحيفة «الأويزبرقر» البريطانية قد ذكرت أن عدد هؤلاء يزيد على ستة الآف جندى حتى بداية أغسطس ٢٠٠٣وأن ألفاً وخمسمائة منهم فى حالة خطر فإن عددهم فيما بعد قد تضاعف إلى حد كبير.

فبالاضافة إلى أن هؤلاء الجرحى يحتاجون العناية الطبية، وما يترتب على ذلك من نواح إدارية ومالية، فان عملية إخفائهم تشكل عبئاً كبيراً على الأدارة الأميركية، كما أن عملية التخلص منهم تشكل حالة إنسانية صعبة جداً.

ويحتفظ مشاة القوات الأميركية المتمركزون فى الرمادى. أحد معاقل المقاومة السنية فى غرب بغداد بمعنويات عالية رغم الخسائر المتعددة التى يلحقها بصفوفهم المقاتلون المناهضون للوجود الأجنبى.

بغضب يقول جندى من كتيبة المشاة ٥٠٣ «إنها حرب لعينة» وهو ينظر إلى رفيق له يتلوى من الألم ممدداً على نقالة بسبب إصابته برصاصة أطلقها قناص قبل دقائق قليلة، وفى اليوم التالى ينسى الجنود هذا الحادث الذى يتحول إلى مجرد محطة فى حياة هؤلاء الشبان الذين يتراوح معدل أعمارهم بين ١٩ و٢١ عاما، والذى يخوض معظمهم اولى تجاربه الحربية.

ويلفت السرجنت دانيال مونغر إلى أن رجال المقاومة «المتمردين» يرتدون ثيابا مدنية تجعلهم لا يختلفون عن المدنيين المحيطين بهم. ويضيف «لو توصلنا فعلا إلى احصاء قتلاهم لتحسنت معنوياتنا».

لكن يصعب الحفاظ على المعنويات عندما ترتفع الاصابات بسبب رصاص القناصة أو انفجار عبوات ناسفة أو رشق سلاح رشاش ينطلق من زاوية جدار. فى كل الحالات لا يكشف المهاجم عن وجهه فهو يضرب ويختفى فى الحال.

لكن السرجنت وبلكوس منير «أصله لبنانى» فى الثالثة والعشرين من عمره، يجد دوما الدوافع الضرورية لمتابعة تحمل مسؤولياته ويقول: «هذا محبط نوعا ما. تشعر بالتعب ويصاب رفاقك ويبدو أنك لن تجد العدو، وعلى أن اكون متحمساً من أجل رجالى».

• الاستخبارات لا تجيد قراءة الفنجان

وأعدت شبكة «سى. إن. إن» الإخبارية تقريرا مهما حول ارتفاع معدلات انتحار الجنود الأمريكيين فى العراق على وقع ضربات المقاومة العراقية وبشاعة الجرائم التى يرتكبها جنود الاحتلال ضد الشعب العراقى الأعزل، وفى هذا الإطار كشف دكتور ويليام ويتكيفويرد مساعد وزير الدفاع الأمريكى لشئون الصحة عن وجود حوالى ١٢٠٠ جندى فى القواعد الأمريكية يعانون من أمراض نفسية نتيجة الحرب.

مشيرا إلى معاناة اكثر من ٤٠٠ جندى آخر من اضطرابات عقلية من بين ١٠ آلاف جندى تم اجلاؤهم من الأراضى العراقية بسبب الاصابات، وأشار المسئول الأميركى الى وقوع ٢١ حالة انتحار بين الجنود الذين شاركوا فى حرب العراق عام ٢٠٠٣ فقط.

وكان جيش الاحتلال الأمريكى لجأ الى تقديم عون طبى مكثف للجنود العائدين من الخدمة فى افغانستان بعد ارتفاع ظاهرة قيام العديد منهم بقتل زوجاتهم والانتحار.

وكان موقع «جنود من أجل الحقيقة» الذى أنشاه أهالى المقاتلين الأمريكين فى العراق قد نشر تحقيقا مهماً عن عدد الضحايا الأمريكين فى الحرب سواء القتلى أو المصابون جاء فيه:

نسمع كل يوم أن جندّياً أمريكيّاً لقى حتفه أو فقد أحد أعضائه فى العمليات العسكرية، فإذا لم ير البعض منا العلم الأمريكى بنجومه الزرقاء، يظن أن تقارير الاصابات الحادثة فى العراق وكأنها نشرة تليفزيونية عن الطقس فى بغداد، لقد شعرت بالصدمة عندما أعطانى أحد مصادر البنتاجون نسخة من تقرير ٣٠ نوفمبر ٢٠٠٣ جاء فيه:

إنه منذ إعلان جورج دبليو بوش الحرب، أصيب نحو ١٤ ألف جندى من قواتنا المسلحة فى العراق، وهو ما يعادل عدد الجنود الذين يخدمون فى سلاح المدرعات، وبلغ عدد الجنود المنتشرين على مسرح العمليات ١٣٥ ألف جندى أى ما يعادل خمس فرق قتال بالإضافة إلى قوات أخرى تدعمها.

وهذا يعنى أننا فقدنا ما يساوى فرقة قتال فى ٦ شهور حيث غادر ١٠٪ من اجمالى العدد المخصص لقيادة القتال أو دعم قوات التحالف فى العراق عائدين إلى الولايات المتحدة وهم مصابون.

وأكد لى سكوت دى روس قائد سلاح المواصلات والنقل العسكرى الأمريكى أن أجهزة النقل قامت بترحيل ٣٢٥٥ مصابا فى المعركة و١٨ ألفا و٧١٧ آخرين يخدمون خارج ساحات القتال الى الولايات المتحدة الأمريكية.

وحتى ٢٣ ديسمبر ٢٠٠٣ لقى ٤٧٣ جنديا مصرعهم متأثرين بجروحهم وأصيب ٢٢٥٥ آخرون بنيران معادية.

ويؤكد مدير النقل العسكرى الأمريكى أن إجمالى عدد الجنود الذين تم ترحيلهم من العراق حوالى ٢١ ألفا و٩٧٢ جنديا حتى نهاية ٢٠٠٤ فربما يكون هذا الرقم أعلى من الأرقام المسجلة فى تقارير أخرى لأنه فى بعض الحالات ربما يصاب الجندى اكثر من مرة فى المعركة فيسجل كل مرة يصاب فيها.

إذن لم يحصل البنتاجون مرة واحدة على جائزة الدقة بشأن إعداد تقاريره المتضاربة حيث يمكن القول بثقة أن هناك ما بين ١٤ ألفا و٢٢ ألف جندى غادروا العراق لأسباب طبية حتى فى نهاية عام ٢٠٠٣ وهنا لابد أن نسأل أنفسنا: هل تستحق نتائج هذه الحرب دماء جنودنا المحاربين؟ وهل أصبحنا اكثر أمناً بعد غزونا للاراضى العراقية؟

فبالرغم من أسر صدام حسين وتدمير رابع أكبر جيوش العالم، الم نقض كريسماس عام ٢٠٠٣ فى حالة من اقصى درجات الاستعداد وصل الى حد تعميم اللون الأصفر اى قبل رفع حالة الاستعداد القصوى بدرجة وهذا ما تكرر أيضا عام ٢٠٠٤ وربما الحال أسوأ بكثير فيما بعد.

يجب أن يكون أول قرار لنا هذا العام أن نكتشف إذا ما كانت الأسباب المعلنة للحرب وهى أن العراق يطور أسلحة دمار شامل وأن صدام له علاقة بالقاعدة يمثلان تهديدا لأمننا القومى حقا، فالدلائل جميعها تشير إلى العكس، وهو ما أدركه الرأى العام فحتى الآن لم تقدم الإدارة الأمريكية الحالية دليلاً على علاقة صدام بالقاعدة وتمويله لهجمات ١١ سبتمبر!!

ونريد أن نعرف أيضا، لماذا يخصص للمخابرات الأمريكية مبلغ ٣٠ مليون دولار سنوياً وعلى الرغم من ذلك لم تستطع أن تقرأ الفنجان جيداً، لابد أن يطوى البنتاجون صفحة من صفحات الجيش الأمريكى ويتعلم من اخطاء العملية العسكرية التى قام بها.

كشفت صحيفة أمريكية شهيرة عن حقيقة أن الحرب التى خاضتها الولايات المتحدة فى العراق ثم احتلالها لذلك البلد بعد ذلك قد تسبب فى إلحاق نوعيات بالغة الخطورة من الإصابات والجروح فى صفوف جنود الجيش الأمريكى، لم تكن معروفة فيما سبق للقوات الأمريكية.

وذكرت صحيفة يو إس إيه توداى إن الخدمات الصحية الملحقة بالجيش الأمريكى تعتبر أنه حتى الجنود الأمريكيين الذين أصيبوا خلال معارك فى العراق أو بفعل هجمات المقاومة وتم إنقاذ حياتهم سيظلون يعانون من هلاوس واعباء نفسية فترة طويلة للغاية قبل أن تكون هناك فرصة لإعادة تأهيلهم مرة أخرى.

وأكدت الصحيفة أن طبيعة الجراح والإصابات التى تلحق بجنود الاحتلال الأمريكى فى العراق يوميًا تثير الخوف والقلق لأنها تعتبر أعظم وأخطر من مثيلاتها التى كانت تلحق بالجنود الأمريكيين إبان حرب فيتنام أو حتى الحرب العالمية الثانية.

وفى هذا الصدد تقل يو إس إيه توداى عن تونى برينسيبى مستشار لجنة شؤون المحاربين القدماء خلال الولاية الأولى للرئيس الأمريكى قوله: "الإصابات التى تلحق بجنودنا فى العراق تتسم بالعمق والخطورة إلى أبعد حد، وصحيح أن العربات المدرّعة والستر الواقية يكون لها فى بعض الأحيان دور فى حماية الأعضاء والأماكن الحساسة فى أجساد الجنود الأمريكيين؛ إلا أن الكمائن التفجيرية التى ينصبها المسلحون العراقيون والهجمات بالسيارات المفخخة تسفر فى غالب الأحيان عن إصابات خطيرة تستدعى إجراء عمليات بتر لأعضاء هامة فى أجساد الجنود، هذا فضلاً عن الصدمات الدماغية والأزمات النفسية".

كما يقول إستيفان فيهن نائب مدير لجنة شئون المحاربين القدماء: "طبيعة إصابات جنود الجيش الأمريكى فى العراق مختلفة إلى حد كبير عن الإصابات التى اعتدناها فى الصراعات والحروب السابقة، وهى إصابات ستجعلنا نتعامل مع جنود مجبرين على البقاء على قيد الحياة وهم فاقدو الأهلية لتعرضهم لعمليات البتر، وما شابهها من التدخلات الجراحية التى تصعب بشدة مهام إعادة تأهيلهم".

وشدد فيهن على أن أبرز أوجه الخلاف فى إصابات الجنود الأمريكيين فى العراق عن مثيلاتها فى الحروب السابقة يتمثل فى عمليات البتر والصدمات الدماغية والانهيارات النفسية التى تحدث حتميًا إثر وقوع هجمات تفجيرية، على خلاف الحروب السابقة التى كانت الجراح فيها تنجم عن إصابات بالرصاص فى الصدر أو ما إلى ذلك.

وتستعرض الصحيفة حالة جندى أمريكى تعرض لعملية البتر كنموذج للجنود الأمريكيين المصابين بسبب خدمتهم فى العراق، وتذكر أن الجندى إريك كاسترو الذى يتم اليوم عامه الخامس والعشرين فقد ساقه اليسرى بعد أن تعرض لهجوم بسلاح مضاد للدبابات يوم الخامس والعشرين من شهر أغسطس عام ٢٠٠٣ فى منطقة تقع بين مدينتى الرمادى والفلوجة.

ويقول الجندى الأمريكى كاسترو: "لن أعود كما كنت فى السابق أبدًا، لم أعد أستطيع الجرى أو حتى النهوض من مكانى والذهاب إلى مكان آخر".

سدس جيش أميركا معقد نفسيًا

وانتشرت فى أرجاء الولايات المتحدة الأمريكية عشرات المصحات النفسية المتخصصة فى علاج آلاف الجنود العائدين من العراق وأفغانستان الذين يعانون من أمراض نفسية خطيرة نتيجة ما واجهوه فى الحرب على هاتين الدولتين.

ووصلت نسبتهم بالعراق وحده إلى سدس إجمالى القوات التى شاركت بالحرب، وجاء فى تقرير نشر على موقع صحيفة نيويورك تايمز الامريكية على الإنترنت أن طول أمد الحرب بالعراق، وتصاعد حدة المقاومة التى يواجهها الجنود هناك ضاعفا من حالات الإصابة بالامراض النفسية بينهم، مما أثار قلق الاطباء النفسيين بشأن خطورة الحالات القادمة.

ونقلت الصحيفة الأمريكية عن إيفان كانتر الأخصائى النفسى بمصحة «باجيت ساوند» للمحاربين القدامى بمدينة سياتل الامريكية قوله إن مصحته تستقبل اعدادا متزايدة من الجنود المرضى الذين تظهر عليهم الأعراض المعروفة لضغوط ما بعد الصدمة وقال:

ونحن نترقب فى قلق وصول طوفان آخر من العراق وافغانستان ممن يعانون من نفس الحالة.

وأشارت مصادر طبية بالجيش الامريكى: أن نظام الرعاية الصحية فى الولايات المتحدة يتوقع استقبال عشرات الآلاف من الجنود العائدين فى العراق وافغانستان ممن يعانون من مشاكل صحية نفسية نتيجة للضغوط التى تعرضوا لها وخلال المعارك القاسية التى شهدوها، ومما لاشك فيه ان المقاومة العراقية كبدت الاحتلال الأمريكى خسائر فادحة فى الأرواح والمعدات

من هنا وبعد ارتفاع وتيرة قتلاهم وجرحاهم فى العراق، أصبح الشىء الطبيعى امتناع سلطات الاحتلال عن التصريح بحقيقة أعداد ضحاياهم رغم وجود شهادات موثقة عن سقوط قتلى من الأمريكيين وغيرهم فى حين أكد مراسل الاندبندت فى لوس انجلوس الأمريكية ان البيت الأبيض اصبح يواجه موجة من الانتقادات من المؤسسة العسكرية الأمريكية بسبب سقوط عدد كبير من الجنود الأمريكيين.

وفى رسالة لجندى أمريكى عامل فى الوحدة ١٠١ المحمولة جوا نشرت فى صحيفة الجارديان البريطانية أكد فيها أن غزو الولايات المتحدة للعراق هو حرب صليبية جديدة.

وقال نيت بريجمور الجندى العامل فى الموصل أن الحرب التى خاضتها بلاده تبدو كصيغة معاصرة للحرب الصليبية، وهى لا تهدف إلى تحرير العراق وتخليص العالم من ديكتاتور شرير هو صدام حسين، وإنما جاءت للسيطرة على مقدرات شعب آخر وبخاصة النفط والذهب، وأعرب عن اعتقاده بأن النفط يبدو على الأقل هو سبب الوجود الأمريكى فى العراق.

وقال إن هناك حقيقة واحدة وهى أن الأمريكيين يموتون حيث يقع أكثر من ١٤٠ عملية هجومية على الأمريكيين.

وقال إنه مع ارتفاع عدد الجثث التى يجرى إحصاؤها يبدو أن ليس ثمة نهاية لهذا الأمر قريبا، فكل

يوم يقتل واحد أو اثنان من زملائى دون أن اعرف السبب، وقال الجندى الأمريكى: لقد اعتقدت فى الماضى وبفعل تأثير التليفزيون اننى اخدم قضية دعم وحماية دستور الولايات المتحدة، لكننى لم أعد أؤمن بذلك إطلاقا، لقد تلاشت لدى هذه القناعة ولم أعد قادراً على تبرير خدمتى على أساس أنصاف الحقائق والأكاذيب.

• نتيجة الحرب.. موت وخراب اقتصادى

مع توقع تجاوز التكاليف العسكرية منذ هجوم ١١ سبتمبر ٢٠٠١ حدود ٣٠٠ بليون دولار، تنفق وزارة الدفاع الأمريكية «البنتاغون» على كل جندى فى العراق وأفغانستان أكثر مما أنفقته فى حروب سابقة.

ويقول الخبراء إن التكنولوجيا المتطورة وراتب جندى حديث وكلفة حمايته و«طبيعة» الحرب الدولية على الارهاب تقف جميعها وراء ارتفاع التكاليف العسكرية.

ويرى الخبير العسكرى فى معهد «ليكسنتو» لورين تومبسون إن «كل أوجه الانفاق العسكرى ارتفعت بقوة منذ حرب الخليج الأولى ١٩٩١».

ويضيف «يكمن السبب فى أن قطاع الصناعات العسكرية أصبح أكثر فاكثر نموذجا مصغرا من الاقتصاد الأوسع وأن قانون التطوع الذى حل محل التجنيد الالزامى فى الولايات المتحدة عام ١٩٧٣ أرغم الجيش الأمركى على التنافس مع القطاع الخاص من خلال زيادة رواتب الجنود.

وتظهر أرقام الحكومة الأميركية أن الحرب على العراق تكلف نحو ٤٠٣ بلايين دولار شهريا. فى حين تكلف الحرب فى أفغانستان الخزانة الأمريكية ٨٠٠ مليون دولار شهريا وكانت الادارة الأمريكية أنفقت مبالغ مماثلة تقريبا على حرب فيتنام بين عامى ١٩٦٧و١٩٧٠.

وقد خصصت الميزانية الأميركية لعام ٢٠٠٥ مبلغ ٥٠٠ بليون دولار لوزارة الدفاع «البنتاجون» عدا ما يستجد، إضافة لحوالى ٣٧ بليون دولار لنفقات الدفاع الداخلى للدولة.

كما تبلغ النفقات الشهرية للقوات الأمريكية فى العراق من حوالى ٥-٧ بلايين دولار «أى ٦٠ - ٨٤ بليون دولار سنوياً» وبذا تصل نفقات حالة اقليمية واحدة الى ٨٤ بليون دولار سنوياً يمكن أن تزيد الى ما اجماليه حوالى ١٠٠ - ١٢٠ بليون دولار كمجرد نفقات للحملة. فما بالكم لو دخلت الولايات المتحدة فى عدة حروب اقليمية فى نفس الوقت.

ورغم ان الاقتصاد الأمريكى مازال قادرا حتى الآن على تحمل تكلفة الحرب والذى هو أقل مما كان يتحمله خلال الحرب الباردة، إلا ان الظروف السياسية مختلفة، ووضع الولايات المتحدة حاليا مختلف،

خاصة ان قضايا الانفاق العسكرى يقع على كاهلها بمفردها دون دعم من تجمعات دولية أو أحلاف.

وأخطاء التخطيط الاستراتيجية وثقل أعباء الحملات العسكرية على الاقتصاد الأمريكى يؤثران على قدرة الولايات المتحدة على تحمل المزيد من الامداد بالقوات العاملة والاحتياط لمداومة دعم الحملات العسكرية، وهو امر يضع ضغوطا اضافية على عاتق الولايات المتحدة.

وهذا يوضح خطورة تأثير هذا العنصر «الإمداد بالأسلحة والمعدات وهذا يتعلق بالوقت وتوفير التمويل وبعيدا عن ما يتعلق بالبشر والتى يؤثر على الكفاءة القتالية على قدرة الولايات المتحدة على الكسب النهائى للحرب وعلى قدرتها القيام بعمليات اخرى مماثلة فى مناطق أخرى من العالم.

ويعتبر خطأ تقدير حجم القوات المستخدمة ونوعيتها من الأمور الهامة فى هذا السياق، ومن السهل القول بأن حل مشاكل القوات الأميركية فى العراق هو بدفع مزيد من القوات، ولكن لشن الحرب بخطط واستراتيجيات خاطئة، فان معظم اخطاء الولايات المتحدة يتمثل فى فشل الانتقال من افكار الحرب الباردة الى الامور التى تتعلق بضرورة استخدام القوات اليوم، وهو أمر يعود اليه جزء كبير من فشل القوات الأميركية فى تحقيق مهامها فى العراق.

كما يؤكد تحليل أن أى حرب تدخلها القوات الاميركية فى الفترة المقبلة دون ان يكون لها «هدف قومى» واضح على يلقى التأييد من الشعب الامريكى، كما سيؤثر تأثيرا بالغا على قدرة القيادة الامريكية لعى حشد العنصر البشرى اللازم لادارة العملية.

• هروب الأمريكيين

وقد أكد هذا المعنى وثيقة رسمية جديدة للبنتاجون برز فيها بشكل واضح هروب الاميركيين من الانضمام للقوات المسلحة الأمريكية، كما أشارت الوثيقة إلى أنه فى الوقت الذى تواجه فيه الولايات المتحدة مأزقا حقيقيا فى العراق بعد تخطى قتلى الجيش الأمريكى حاجز الـ ١٥٠٠ قتيل منذ بداية العملية فى مارس ٢٠٠٣، فقد اعترفت وزارة «البنتاجون» بأن الحرب فى افغانستان والعراق قللت من القدرات الأمريكية فى مواجهة الاخطار الخارجية.

كما كشفت صحيفة «الواشنطن بوست» تراجع أعداد المتقدمين للالتحاق بالجيش الأمريكى بنسبة كبيرة منذ الحرب على العراق حيث وصلت نسبة عدد المتقدمين إلى ٦٠٪ فقط من النسبة المطلوبة.

دبلوماسى أمريكى سابق:
بوش خسر بالفعل الحرب فى العراق

أكد جيمس دوبنز المبعوث السابق للرئيس الأمريكى جورج دبليو بوش إلى افغانستان أن بوش قد خسر بالفعل الحرب فى العراق.

وقال دوبنز فى مقال له نقلت شبكة «سى. إن. إن» الأمريكية مقتطفات منه:

إن إدارة الرئيس الأمريكى جورج بوش قد خسرت ثقة الشعب العراقى.

مشيرا إلى أنه يمكن لمن وصفهم بالعراقيين المعتدلين أن يكسبوا الحرب القائمة فى العراق ضد المسلحين إذا ما قاموا بالتقليل من اعتمادهم على واشنطن وحصلوا على دعم خارجى من جهة أخرى.

وأضاف دوبنز أن سوء التقديرات والحسابات والتخطيط والإعداد غير الكافى للحرب هى الأسباب التى تقف وراء تشاؤمه هذا.

وأشارت شبكة «سى. إن. إن» الى إن جيمس دوبنز الذى يعد من أبرز الدبلوماسيين الأمريكيين السابقين يشغل حاليا منصب مدير المركز الدولى للسياسات الأمنية والدفاعية وهو أحد المراكز البحثية التى لها علاقات وثيقة وممتدة مع وزارة الدفاع الأمريكية «البنتاجون».

وسجلت قناة العربية الفضائية فيلماً للجنود البريطانيين القائمين فى العراق معربين فيه عما بداخلهم من يأس وحزن وفزع لما يرونه من أجساد محروقة وقتلى ودخان الجثث ورائحة الموتى قائلين:

فوجئنا هنا لمحو أسلحة الدمار الشامل، وللأسف لم نجد أى أثر لهذه الأسلحة ولا حتى رأينا إرهابيا واحدا فى المنطقة.

فقد كذب علينا «بوش» و«بلير» وتلاعبا بالرأى العام، كما أنهما لم يأخذا القرار الصحيح.

إننا لا نؤيد الحرب ضد العراق، كما إننا لا نعتقد فى فكرة اعادة بناء العراق فهى بالنسبة لنا مجرد حجج واهية للرئيس بوش، إن كثيراً منا فى المستشفيات يعانون من الفزع والرعب بسبب ما نراه هنا.

تعتقد أين يذهب النفط العراقى؟

أعتقد ان النفط العراقى يذهب مباشرة إلى المستهلك الأمريكى، وهذا على ما أعتقد ليس له علاقة بوجودنا هنا لمحو أسلحة الدمار الشامل.

إن ما يحدث من بوش هو دمج للسياسة بالأعمال وليس له علاقة بأحد البلاد أو إعادة إعمار للعراق.

ماذا سيحدث إذا أعيد انتخاب جورج بوش للرئاسة؟

- سنقبع هنا إلى الأبد.

هل تعلم، لماذا أنتم قائمون هنا؟

- إن سبب وجودنا هنا هو أسلحة الدمار الشامل وإقالة صدام حسين ومكافحة الارهاب. ونحن لا نرى أية شىء من الذى جئنا بسببه.

«جون» جندى بريطانى يتحدث من العراق فى غاية الفزع والتوتر، فهو لا ينام خوفا من أن يرى فى أحلامه جثثا محروقة وأطفالا مشوهة ينظرون إليه بعيون مليئة بالحزن والظلم.

إن معنوياتنا فى الحضيض لبعدى عن عائلتى وأيضا بسبب قذائف الهاون والصواريخ التى يرميها علينا رجال المقاومة، نحن نعيش فى كابوس هنا ولا نحتمل الحياة هنا.

بعض الأشخاص منا يحاولون جرحهم عمداً أو إصابتهم، ليس رغبة فى الانتحار وإنما ليعودوا إلى عائلاتهم.

وقال «جون» كلمة أخيرة وهو يرتعد من الخوف وتنتابه رعشة لم تتركه طوال اللقاء.

«يجب أن نترك هذه البلاد ونرحل».

◆ ◆ ◆

الفصل السادس عشر

مستقبل المقاومة بين تحرير المدن والتفاوض والعصيان المدني

- رامسفليد يعترف: البنتاجون تفاوض سراً مع المقاومة المسلحة
- الانتفاضة الشعبية بمقاطعة الحكومة العميلة والبضائع الأميركية
- قيادات أميركية تخطط للبقاء في العراق لعام ٢٠٢٠

أكد الرئيس جورج بوش «٢٠٠٥/٦/٢٦» أن مهمة الجيش الأميركى فى العراق «صعبة»، وتوقع معارك شرسة للغاية وقال «إن القتلة - يقصد المقاومة - الذين نرى مذابحهم على شاشات التليفزيون يضمون أعضاءً من نظام صدام وعناصر إجرامية وارهابيين اجانب، وانهم يعرفون ان العراق هو جبهة مركزية فى الحرب على الإرهاب».

هذا الاعتراف الواضح والصريح من بوش هو - فى جانب منه - تهيئة للشعب الأميركى لقبول لحظات صعبة، سيرتفع فيها معدل «النعوش» التى تصل - سراً - الى المطارات الأميركية وكذلك اعداد الجرحى من الجنود والمجندات الذين يحملون فى اجسادهم عاهات لن تمكنهم من مواصلة الحياة بشكل طبيعى، لكن هناك جانباً آخر فى تصريح بوش هو الرد - بشكل ضمنى - على ما جاء فى تصريح لنائبه تشينى حاول خلاله ان يطمئن الشعب الأميركى بزاول المقاومة او هزيمتها، عندما زعم أن المقاومة تلفظ انفاسها، وقد شبهها بهجمات النازين واليابانيين - اليائسة - فى نهاية الحرب العالمية الثانية.

والواقع أن تصريحات تشينى المرتبكة والمتناقضة تعكس حالة اضطراب فى القيادة الأميركية التى فوجئت - مثلا - بعملية استشهادية فى الفلوجة بعد خمسة اشهر على اقتحامها «٢٠٠٥/٦/٢٣» أدت إلى مصرع ٦ جنود واصابة ١٣ آخرين فى وقت ظن فيه القادة الأميركيون أن الفلوجة صارت تحت السيطرة، وتم إنهاء المقاومة فيها، وأدرك هؤلاء ان المقاومة تتحرك من موقع لآخر، وهى تدخل الفلوجة ثم تخرج حسب ظروف وسير المعارك، وكذلك وفقا لخطط وتكتيكات القادة الميدانيين للمقاومة وهم محترفون، وقد أشار إلى ذلك قائد القوات المركزية الأمريكية بالعراق الجنرال جونى أبوزيد الذى قال «إن قوة المسلحين لم تتقلص».

ومن الواضح أن الإدارة الأميركية انقسمت إلى اتجاهين أحدهما يرى أن ما يجرى فى العراق هو «المستنقع الصعب» على حد وصف السيناتور الديمقراطى إدوارد كيندى الذى دعا مع عدد من النواب فى الكونجرس إلى وضع جدول زمنى لانسحاب القوات الامريكية من العراق، وتزامن ذلك مع طلب ٨٣ نائبا فى البرلمان العراقى الجديد من الحكومة العراقية السعى لاخراج الاحتلال من البلاد وفق جدول زمنى.

فى الجانب الآخر هناك اتجاه يرى استمرار الاحتلال والمعارك مهما كانت الخسائر ويضم صقور الحرب رامسفليد وتشينى وريتشارد مايرز. وأعرب رامسفليد خلال شهادته أمام لجنة القوات المسلحة بمجلس الشيوخ «٢٠٠٥/٦/٢٣» وضع جدول زمنى للانسحاب من العراق مؤكدا ان الطريق لا يزال

طويلا، لكن القوات الأميركية تحقق التقدم، وأن من يطالب بوضع جدول زمنى للانسحاب يصب فى مصلحة من أسماهم المتمردين «المقاومة»، وقد أيده فى ذلك رئيس الوزراء العراقى ابراهيم الجعفرى بعد لقائه مع بوش فى واشنطن، مشيرا إلى أن تردى الأوضاع الأمنية يستدعى بقاء القوات الأجنبية وقد رد عليه الزعيم الشيعى مقتدى الصدر فانتقد خلال خطبة صلاة الجمعة والتى تلاها نيابة عنه مساعده الشيخ صلاح العبيدى فى مسجد الكوفة، حكومة ابراهيم الجعفرى قائلا: «جاءنا قوم يعكفون على عبادة هذا الصنم أى الاحتلال، ويسوغون للعراقيين عبادته وباشروا حملة على المقاومة اذ يتحججون بانها ليست شرعية».

وزاد إن «المطالبة بخروج الاحتلال مسألة فطرية وشرعية، وكل الاديان تدعو اليها.. بل ان الاميركيين انفسهم وقعوا فى تناقض حين وصفوا القوات السورية التى كانت فى لبنان بأنها تراث احتلال»واضاف ان «الحكومة العراقية لم تصمت بل طالبت ببقاء المحتل».

واعتبر الصدر أن تسمية القوات «المحتلة» قوات متعددة الجنسية «من المهازل لتشريع الاحتلال»، وأورد مثالا تهكم به على الحكومة والقوات الأميركية قائلا «لو جئنا بحمار ووصفنا عليه اسم بقرة حلوب هل يغير هذا من حقيقة الحمار؟! وانتقد أيضا الذين وصفوا القوات الأجنبية ولو كانت متعددة الجنسية بأنها تعمل بإمرة الحكومة وقال: أسألكم من يعمل بإمرة الحكومة؟! هناك بعض الاماكن فى عراقنا الجريح لا يدخلها إلا الاميركى، حتى رئيس الجمهورية العراقى لا يدخلها إلا بعد التفتيش».

وأشار إلى أن «القوات المحتلة هى سبب إضعاف الجيش والشرطة» وحين حل الجيش العراقى بيعت طائراته ودباباته فى أسواق الخردة على مرأى من الاحتلال».

وقال الشيخ ناصر الساعدى خطيب مسجد الحكمة فى مدينة الصدر ذات الغالبية الشيعية أمام مئات المصلين فى خطبة الجمعة «٢٠٠٥/٣/١١» «مثلما تطالب أميركا سورية الشقيقة بالخروج من الجمهورية اللبنانية، فعليها الخروج من العراق فوراً وبلا شروط».

واعترفت الإدارة الأمريكية بأن العمليات العسكرية التى يقوم بها الجيش الأمريكى فى العراق وافغانستان ربما تقيد قدرته على الرد بشكل سريع على نزاعات أخرى محتملة فى مناطق مختلفة من العالم وربما أثرت على تجنيد المزيد من الجنود المطلوبين لدعم قدرات الجيش.

وقال نائب الرئيس الأمريكى ديك تشينى إنه يتفق مع ما توصل إليه الجنرال «ريتشارد مايرز» رئيس أركان القوات المسلحة الأمريكية فى تقرير قدمه مؤخرا للكونجرس قال فيه بأن الضغط على القوة البشرية والمعدات قد يقيد القدرة على كسب حرب أخرى محتملة بالسرعة التى توقعها البنتاجون فى السابق.

وقال تشينى للصحفيين «ربما يستغرق الأمر وقتا اطول قليلا مثلما أشار الجنرال مايرز».

واوضح تشينى ان واشنطن جاهزة لحماية مصالحها حيث تواجه تحديا وذلك لم يتغيرلكن الامر يتعلق بالكفاءة والسرعة فى حين قال مايرز فى التقرير ان القوات المسلحة الامريكية ستنجح فى اى صراع مهم فى المستقبل لكن ربما تكون غير قادرة على تحقيق التوقعات فيما يتعلق «بالسرعة والدقة».

وقال تشينى «أنا أعتبر النصيحة التى تلقيناها الآن من هيئة الأركان ورئيس الأركان صحيحة».

وقال تشينى إنهم لا يصدرون حكما بأننا لا يمكن أن نباشر صراعا فى جزء آخر من العالم ولكن الحال سيكون مختلفا لو أننا لم نكن منهكين مثلما نحن اليوم فى العراق.

وأظهر استطلاع جديد للرأى أجراه معهد جالوب أن نسبة قياسية بلغت نحو ٦٠٪ من المواطنين الامريكيين يقولون إنه ينبغى أن تسحب الولايات المتحدة كل أو بعض جنودها من العراق فى ارتفاع عن نسبة مؤيدى الانسحاب السابقة التى كانت ٤٩٪ فى استطلاع أجرى فى فبراير الماضى.

ويظهر الاستطلاع أن حوالى ستة من بين كل عشرة أمريكيين يؤيدون الانسحاب الكلى أو الجزئى للقوات الامريكية من العراق.

واعتبر ٥٦٪ من المستطلعين أن حرب العراق لم تكن تستحق ما تكلفته، فيما رأى ٤٢٪ أن الحرب كانت تستحق ذلك.

وبدا واضحا أن أميركا على شفا الهزيمة فى العراق، وأن المقاومة نجحت فى جعل كل مكان فى العراق غير آمن بالنسبة لقوات الاحتلال وعملائها بما فى ذلك المنطقة الخضراء، التى اعتبرتها القوات الاميركية مركزا للقيادة، فقد دأبت المقاومة على قصف المنطقة الخضراء بالصواريخ والهاون والعمليات الاستشهادية.

واللافت هو أن المقاومة تمكنت من تطوير اسلحتها الصاروخية وبخاصة القنابل والصواريخ الخارقة للدروع، الأمر الذى مكنها فى الشهور الأولى من عام ٢٠٠٥ من ايقاع خسائر مادية وبشرية هائلة فى صفوف القوات المعادية وتم تطوير الصواريخ المضادة للطائرات الهليوكبتر حيث جرت عمليات لاصطياد طائرات الأباتشى فى مناطق مختلفة بدءا من بغداد ووصولا الى منطقة القائم.

• نصائح فى الوقت الضائع

وقد تجد الولايات المتحدة نفسها تنصت بجدية إلى نصائح المخلصين فى واشنطن بدلا من الاستغراق فى أيديولوجية المحافظين الجدد الذين ورطوا الشعب الأميركى فى حرب غير شرعية، وضمن هؤلاء المخلصين المجموعة الدولية للأزمات التى قدمت فى العام ٢٠٠٤ تصورا حول سبل التعاطى مع الأزمة العراقية، بناء على زيارات ميدانية قامت بها المجموعة الى العراق استغرقت عدة شهور.

والمجموعة الدولية للأزمات هى منظمة مستقلة متعددة الجنسيات لا تستهدف الربح يبلغ عدد طاقم موظفيها اكثر من ٩٠ فردا منتشرين فى خمس قارات ويعملون من خلال تحليل ميدانى ودعوة على مستوى رفيع لتجنيب الصراعات المميتة وحلها ويضم مجلس ادارتها عدداً من الشخصيات البارزة فى المجالات السياسية والدبلوماسية والاعمال والاعلام ويقع مقرها الرئيسى الدولى فى بروكسل ولها مكاتب فى واشنطن العاصمة ونيويورك ولندن وموسكو. كما تعمل من ثلاثة عشر مكتبا ميدانية ومنها مكتب فى كل من القاهرة وعمان وتتمول من حكومات ومؤسسات خيرية وشركات وأفراد.

توصيات إلى حكومة الولايات المتحدة «عن مجلة المستقبل العربى» العدد ٣١٢

١- الاعتراف بالوقائع والقيود الجديدة التى تعمل فى ظلها وخاصة أن:

أ - المقاومة ليست مقصورة على عدد من المتعصبين المعزولين عن السكان والذين يعارضون عراقا ديمقراطيا، إنما تغذيهم مشاعر وطنية وعدم ثقة واسع الانتشار بنيات الولايات المتحدة واحتقار لإعمالها.

ب - العملية الانتقالية الجارية ليست إجابة عن العجز فى الشرعية إنما هى واحدة من مصادره.

ج - الانتخابات الوطنية المقررة فى كانون الثانى يناير ٢٠٠٥ لن تغير الكثير ما لم تسفر عن مؤسسات يمكنها ان تلبى الحاجات الأساسية وان تبرهن على استقلالها بأن تبتعد بنفسها عن الولايات المتحدة وان تمد يدها للتواصل مع كل القوى السياسية.

٢- تعيين مسئول رفيع المستوى فى واشنطن تكون له مسؤولية قيادية عن تصميم وتنفيذ استراتيجية انتقالية للولايات المتحدة فى الفترة المتبقية حتى أواخر عام ٢٠٠٥ وما بعد ذلك اذا اقتضى الامر لتأمين تنسيق مناسب بين الوكالات ومع الميدان.

٣- تطوير استراتيجية - مقاومة مضادة -متكاملة يمكنها:

أ - أن تركز على كسب دعم السكان لا على إبادة المقاومين.

ب - أن تخضع العمليات العسكرية بدرجة اكبر للمبادرات السياسية والاقتصادية بما فى ذلك عرض العفو او التفاوض السلمى مع المقاومين واقامة هياكل حكومية محلية منتخبة مزودة بالسلطة ولديها التمويل الكافى، اعادة الاعمار، دفع التعويضات للمدنيين المشردين والتعويض عن الأضرار.

٤- اعلان سريع بقبول حكومة عراقية ذات سيادة كاملة قبل وبعد الانتخابات على السواء وذلك:

أ - بالامتناع عن التعليق على موعد الانتخابات المرغوب فيه والإعلان بوضوح عن قبول تأجيل تقرره الحكومة العراقية.

ب - السعى لاشراك أكبر عدد ممكن من المراقبين للانتخابات من غير الأمريكيين ومن غير مواطنى دول التحالف.

ج - الامتناع عن اتخاذ خطوات تحد لاستعادة العمل بمراسيم او قرارات سابقة اصدرتها الولايات المتحدة او صدرت بالتنسيق معها والامتناع عن التدخل فى المسائل الحساسة مثل السياسة الاقتصادية.

د - التشاور والتنسيق بصفة منتظمة بشأن اولويات اعادة الاعمار وتنفيذها واشراك المؤسسات المحلية والوطنية العراقية فى إدارة الاموال.

هـ - تحويل أى سجناء - بأسرع ما يمكن - إلى سلطات قضائية عراقية مستقلة وذات مصداقية.

و - التعامل مع الحكومة الجديدة كأى شريك ذى سيادة واشتراط احترام حقوق الانسان والشفافية المالية وخطوات مكافحة الفساد وحل الميليشيات لمنحها دعما طويل الاجل.

٥- تغيير تصورات العراقيين عن الولايات المتحدة عن طريق:

أ - البدء فورا وبصورة واضحة بعملية إنهاء تخصيص مواقع مشتركة للسفارات فى المنطقة الخضراء مع الحكومة العراقية وعن طريق خفض حجم السفارات بقدر كبير.

ب - إعادة نشر القوات على نحو يضمن تفوقها بدرجة أكبر ويضمن وجودا أقل ظهورا، مع الاحتفاظ بقدرة على التدخل السريع.

هـ - الدخول فى مفاوضات شفافة مع الحكومة العراقية بشأن الجدول الزمنى لانسحاب تدريجى، بما فى ذلك «إذا رغبت الحكومة» تحديد موعد كهدف للانسحاب الكامل للقوات الأمريكية والنبذ العلنى والصريح لنية إقامة قواعد عسكرية طويلة الأجل.

د - الإعلان بوضوح عن أن الاولوية العسكرية ليست لتدمير العدو إنها حماية المدنيين، وخاصة عن طريق الحد من العمليات العسكرية التى تعرض المدنيين للخطر وتغيير الاجراءات التى تتبعها الحكومة فى القبض على الأفراد وفى معاملة السجناء وتفتيش المساكن.

هـ - الاستمرار فى نقل المسؤولية الكاملة عن الأمن- إلى الحد الممكن - الى قوات عراقية فى مناطق حيث قوات التحالف تتدخل فقط فى أوضاع الطوارئ.

و - الامتناع عن الإشارة إلى العراق بوصفه نموذجا للمنطقة أو بوصفه «جبهة» جديدة فى الحرب ضد الإرهاب.

ز - تبنى استراتيجيات ذات مصداقية أكبر للاتصالات، عن طريق التفصيل العلنى للاهداف الامريكية، والاعتراف بالانتكاسات وعن طريق التعاون الوثيق مع الاقران العراقية اعترافا وعملا بالمسؤولية الامريكية عن الخسائر المدنية بدفع تعويضات عنها واتخاذ اجراءات تأديبية حيثما كان ذلك مناسب.

ح - تشجيع المفاوضات مع عناصر المعارضة الذين لا يلجأون إلى أعمال عنف متعمدة ضد المدينة.

٦- إعادة التفكير فى مقاربة لتشكيل قوات أمن عراقية:

أ - الكف عن النظر اليهم على أنهم مساعدون فى خدمة القوات الأميركية.

ب - وقف التحول الى الميليشيات المحلية.

ج - المساهمة فى بروز قوة عراقية مستقلة ذاتيا عن طريق وضع أولوية أكبر لتطوير وسائلها الخاصة اللوجيستية ووسائل النقل والتجنيد على أسس موحدة وإجراءات للمراجعة والتسريح ومؤسسات مستقلة ومهنية وعقيدة عسكرية وطنية.

٧- تغيير المناخ الأقليمى المعرقل للجهود فى العراق عن طريق:

أ - الانخراط مع ايران وسوريا بطريقة مباشرة ومستدامة تعترف بأن لها مصالح مشروعة فى مستقبل العراق.

ب - تكثيف الجهود نحو حل الصراعات الفلسطينية - الإسرائيلية والإسرائيلية - العربية.

• المقاومة العراقية على درب حماس: بندقية فى اليد والأخرى تفاوض

والواقع أن هناك عدة سيناريوهات لمستقبل المقاومة فى العراق:

١- هناك سيناريو استمرار المقاومة حتى تحرير المدن العراقية، مدينة تلو أخرى، وتسليمها إلى لجنة شعبية تمثل القوى الفاعلة فيها، المناهضة للاحتلال والاستبداد والطائفية.

٢- سيناريو العصيان المدنى ويرتبط بمشاركة الجماهير نفسها فى عمليات المقاومة السلمية من خلال التظاهر والاعتصام والإضراب ضد الاحتلال والأشكال السياسية العميلة المرتبطة به، وضد الأحزاب الطائفية القديمة والجديدة.

٣- سيناريو التفاوض بين المقاومة والاحتلال لوضع جدول زمنى للانسحاب، يتضمن أيضا مشاركة الأطراف التى تم تهميشها من المعادلة السياسية، ومشاركة المقاومة فى صياغة مستقبل العراق بما فى ذلك وضع دستور جديد وقوانين وصيغ للديمقراطية.

قالت أوساط مقربة من المقاومة العراقية ٤-٢-٢٠٠٥ إنها ستحاول أن تنتهج ذات الأسلوب الذى تتبناه حركة المقاومة الإسلامية (حماس) فى فلسطين، أى أن تضرب بيد وتفاوض باليد الأخرى.

ونقلت وكالة "قدس برس" للأنباء عن هذه المصادر أنه مع اختلاف طبيعة المشهدين الفلسطينى والعراقى إلى حد ما، فإن تلك الجماعات تريد الاستفادة من الأسلوب السياسى الذى تنتهجه "حماس"، خاصة عملية التفاوض.

وأرجعت ذلك إلى أن جماعات المقاومة المسلحة فى العراق أدركت أن انتهاج سياسة العمليات المسلحة وحدها لن يكون هو الحل الوحيد لخروج القوات الأمريكية من العراق.

وبحسب المعلومات التى أفادت بها هذه المصادر، تتجه النية إلى إصدار إعلان من قبل فصائل المقاومة عن جناح سياسى لها، سيكون بمقدوره التحدث باسم المقاومة.

وربما ستكون هذه الشخصيات التى قد يتم الإعلان عنها شخصيات ورموز دينية كبيرة، لن يكون من السهولة بمكان استهدافها من قبل القوات الأمريكية والعراقية.

وكانت فصائل سنية من المقاومة العراقية أعلنت فى مايو ٢٠٠٤ توحدها تحت قيادتين سياسية وعسكرية؛ ليحمل الجناح السياسى اسم "الجبهة الإسلامية للمقاومة العراقية"، ويعرف اختصارا بـ"جامع"، بينما أطلق على الذراع العسكرى اسم "كتائب صلاح الدين الأيوبى".

وهى المرة الأولى التى يكشف فيها عن وجود جناح سياسى لفصائل المقاومة العراقية. وتركز نشاط الجبهة ضد قوات الاحتلال فى محافظتى نينوى ومركزها مدينة الموصل، ومحافظة ديالى ومركزها مدينة بعقوبة.

• نضج سياسى

ومع أن موقف المقاومة العراقية بعد الانتخابات قد لا يطرأ عليه تغيير كبير، إلا أن الطروحات التى باتت تسمع من تلك الأطراف تدل، بما لا يقبل الشك، أن المقاومة ربما تكون قد دخلت فى مرحلة النضج السياسى، بما يمكنها من أن تضرب بيد وتفاوض باليد الأخرى.

وثبت أن حالة الهدوء التى أعقبت الانتخابات قد لا تعنى بحال من الأحوال أن لدى المقاومة النية لتغيير إستراتيجيتها، بل إن الكثير من المراقبين يعتقدون أن العاصفة قادمة بعد هذا الهدوء.

وشهد الوضع الميدانى فى العراق خلال الأيام التى أعقبت الانتخابات حالة من الهدوء النسبى المشوب بالحذر، فالعمليات سجلت تناقصا واضحا بعد يوم الانتخابات الدامى ٣٠ يناير ٢٠٠٥، الذى شهد تسجيل أكثر من مائتى عملية فى عموم الساحة العراقية.

• انتظار وترقب

المقاومة العراقية ترى أن العمل المسلح وحده لا يكفى لرحيل قوات الاحتلال:

ويعزو العديد من المراقبين حالة الهدوء إلى نية المقاومة مراقبة ما ستفرزه حقبة ما بعد الانتخابات، خصوصا أن محاولات كثيرة من قبل كافة أطراف اللعبة السياسية فى العراق قد بذلت من أجل إقناع السنة بالمشاركة فى العملية السياسية مع ضمان لكامل حقوقهم.

وبما أن المقاومة فى العراق هى مقاومة سُنِّية فى الغالب الأعم، فكان من الطبيعى أن تترقب الأطراف المسلحة إنجلاء غبش الأيام التى ستعقب الانتخابات.

لكن بعض أوساط السياسيين العراقيين يرى أن المقاومين قد فقدوا آخر آمالهم بإفشال

الانتخابات، الأمر الذى دفعهم إلى إعادة ترتيب أوراقهم، من أجل الدخول فى اللعبة السياسية. لكن هذا الرأى لا تقوم شواهد كثيرة على تدعيمه، حتى الآن على الأقل. ووصفت مصادر مقربة من المقاومة العراقية الأوضاع فى أوساط المقاومة بأنها صعبة، حيث تعيش العديد من المدن العراقية على وقع الإجراءات الأمنية المشددة، التى فرضتها الشرطة والحرس الوطنى والقوات الأمريكية قبل وأثناء وبعد الانتخابات، الأمر الذى ضيق بالفعل على تلك الفصائل.

• خلاف

وأكدت تلك المصادر لوكالة "قدس برس" أن هناك خلافا بين أوساط المقاومة بشأن إستراتيجية تنفيذ العمليات المسلحة.

وأوضحت هذه المصادر أن بعض الأطراف تصر على التركيز فى عملياتها على استهداف القوات الأمريكية، وخاصة بعد إجراء الانتخابات، من أجل سحب البساط من تحت أقدام أية حكومة قادمة، يمكن أن تدعى أنها حكومة شرعية، بعد أن جاءت بواسطة الانتخابات.

وأضافت أن هذا الاتجاه يعنى تضييق الخناق على فصائل المقاومة التى تنفذ العمليات المسلحة ضد العديد من قوى الأمن والجيش العراقى.

فى المقابل تصر أطراف أخرى، خاصة العنصر العربى فى أوساط المقاومة، على مواصلة العمل بذات الوتيرة السابقة، أى استهداف القوات العراقية والأمريكية على السواء.

وراحت تلك المصادر أبعد من ذلك، عندما قالت إن فصائل المقاومة العراقية ستحاول خلال الأيام القادمة أن تنأى بنفسها عن جماعة الزرقاوى، التى تعتبر واحدة من أقوى الفصائل المسلحة فى العراق.

ولم تستبعد المصادر أن تقوم الجماعات المسلحة بإصدار بيان يؤكد أنها ليست على وفاق مع جماعة الزرقاوى، بسبب تبنيها لإستراتيجية قتل أفراد الشرطة العراقية وقوات الأمن والجيش.

وفى توقيت واحد تقريبا ٢٠٠٥/٦/٢٦ أكد وزير الدفاع الأميركى رامسفليد أن اتصالات جرت بين البنتاجون و«المقاومة» الذين «يشنون عمليات عنف فى البلاد» على حد قوله، فى حين أكد عبدالسلام الكبيسى أحد أعضاء هيئة علماء المسلمين أن اتصالات الهيئة مع الأميركيين توقفت، ووصف ذلك الحوار بأنه شابه الكثير من الغموض والخلط بين ما هوتكتيكى وما هو استراتيجى، واشار الى حوار آخر اجراه الاميركيون مع قيادات فى حزب البعث «المنحل».

وقد ظهر رأى هام لقوى سياسية وعسكرية عراقية اكدت ان ما يشاع عن محاولات أميركية للتفاوض مع اطراف المقاومة «محض افتراء» مؤكدة محاولات اميركية «تأسيس احزاب معارضة لها،

لكنها في حقيقة الامر تسيطر عليها لقمع التوجهات الحقيقية الرافضة للاحتلال وللعملية السياسية الناتجة عنه «الحياة - ٢٦/٦/٢٠٠٥».

ونفى الشيخ مجيد الكعود الأمير العام للجبهة الوطنية لمثقفى العراق أن يكون فصيل من المقاومة الشريفة تفاوض مع الأميركيين لإلقاء السلاح ودخول الحياة السياسية. وقال: «ان المقاومة ستستمر حتى يتحقق النصر والتحرير بخروج جيوش الاحتلال» واضاف إن إعلان الحوار بين الاحتلال والمقاومة يندرج ضمن مخطط اميركى صهيونى - ايرانى سعت الى تحقيقه وزيرة الخارجية الاميركية كونداليزا رايس وكمال خرازى وزير الخارجية الأيرانى خلال زيارتهما للعراق لتهميش المقاومة ومسح عروبة العراق وهويته التاريخية والحضارية والقومية وتجزئته الى كيانات هزيلة مفتوحة لنهب شركات الاحتلال ان ما أطلق عليه أبواب التفاوض مع المقاومة للوصول الى هدنة واصدار عفو عن المقاومين العراقيين محاولة يائسة لاختراق صفوف المقاومة بعدما فشلت خطط القوات الأميركية فى القضاء عليها واتهم المتواطئين مع الاحتلال بخيانة العراق.

وكانت عدة فصائل مسلحة اعلنت انها لم تدخل فى تفاوض مع القوات الأميركية أو العراقية من بينها تنظيم قاعدة الجهاد فى بلاد الرافدين، وتنظيم الجيش الإسلامى، ومنظمة انصار السنة فضلا عن جيش المجاهدين، ويبدو ان هناك منظمات اخرى هى التى دخلت فى التفاوض برعاية من هيئة علماء المسلمين.

ولكن نظرا لأن المفاوضات مع جماعات مسلحة سرية «المقاومة» يتسم بقدر عال من الكتمان والتعتيم، فإن هناك تأكيدات قوية على أن الإدارة الاميركية والحكومة العراقية دخلت فى مفاوضات مع قطاعات من المقاومة بغية الاتفاق على وقف العمليات مقابل وضع جدول زمنى لسحب القوات الأميركية.

من جهته، قال رامسفليد فى مقابلة مع هيئة الإذاعة البريطانية «بى. بى. سى» إن تلك الاتصالات كانت موسعة وضرورية لتحقيق الاستقرار فى العراق لكنه امتنع عن الكشف عن هوية الأطراف التى أجرتها.

وأضاف أن الاتصالات كانت بهدف جعل الجميع يسيرون فى الاتجاه الصحيح نحو دعم الحكومة.

ودعا السناتور الديمقراطى الأميركى رايس فينجولد ادارة الرئيس جورج بوش الى اقتراح جدول زمنى لانسحاب القوات الامريكية من العراق لكن دعوته التى رفضها البيت الابيض لقيت انتقادات من قبل عدد من الديمقراطيين فى الكونجرس.

واعرب زعيم الديمقراطيين فى مجلس الشيوخ هارى ريدو نائب رئيس لجنة الشئون الخارجية فى المجلس جوزيف بيدن عن رفضهما لهذه الفكرة،

وفى حوار مع جريدة الاهرام القاهرية ٢٠٠٥/٦/٢٣ سئل إياد علاوى رئيس الوزراء العراقى السابق هل بدأتم حوارا مع المقاومة او ما تسمونه بالجماعات المسلحة؟

- نعم هناك حوار مستمر، وأنا اتحدث معهم واحثهم على ضرورة ترك العمل المسلح والانخراط فى العملية السياسية.

إحدى قنوات الحوار مع المقاومة بعلم الأمريكان؟

- نعم والحوار مازال مستمرا إلا أننا لا نحاور قتلة العراقيين من الإرهابيين وإنما نحاور الأطراف التى سمت نفسها بالمقاومة الوطنية، هؤلاء لهم وجهة نظر نفهمها ونحاول علاجها والحوار الحقيقى الجارى الان مهم وهو مع الاجنحة المسلحة التى تقوم بالعمليات واستطيع ان اقول انه اتى بثمار جيدة وسيأتى بثمار جيدة اكثر على المدى القريب، وان السياسة المركزية هى فصل الارهابيين وعزلهم عن القوى الاخرى، وبالتالى عزل الارهاب وعناصره.

وكانت مجلة «تايم» الأمريكية قد نقلت عن مصادر بالبنتاجون ومصادر أخرى قولها: إن دبلوماسيين أمريكيين ومسئولى مخابرات يجرون محادثات سرية مع المقاومة العراقية من السنة بشأن انهاء القتال هناك، غير أنه لم يرد تعليق فورى من البيت الأبيض على هذه الانباء وكان نائب زعيم تنظيم القاعدة، أيمن الظواهرى قد اكد فى شريط فيديو اذيع فى محطة الجزيرة الفضائية ان أمن الغرب يتوقف على احترام الاسلام ووضع حد للعدوان على المسلمين.

وكان رئيس حزب «المؤتمر الوطنى» أحمد الجلبى المعروف بتشدده فى التعاطى مع انصار النظام البعثى السابق دعا إلى فتح حوار مع قادة المقاومة فى العراق، مع محاولة لتعزيز دوره فى الحياة السياسية «الحياة - ٢٠٠٥/٣/٥».

وقال: بدأنا بالفعل مرحلة التحاور ونلتقى مع من يرغب فى محاربة الاحتلال» وكانت وجهت الى هذا السياسى المتقلب العام الماضى اتهامات بتسريب معلومات استخباراتية أميركية إلى ايران مع أنه كان من ابرز منسقى الغزو الأميركى للعراق فى ابريل ٢٠٠٣.

وقال الجلبى: «كانت لنا لقاءات عدة مع المقاومين وهناك رغبة حقيقية فى العمل والتنسيق لانهاء الوجود الأجنبى فى العراق، الأمر الذى سيدفعهم «المقاومة» الى الشعور بعدم وجوب القتال.

والتقى الجلبى مسؤولين من «هيئة علماء المسلمين» التى تمثل تجمعا لرجال دين سُنَّة يعتقد بصلتهم

بالمقاومة فى البلاد، كانوا دعوا الى مقاطعة العملية الانتخابية فى ٣٠ «يناير» ٢٠٠٥ وتكشف تصريحات الجلبى الاخيرة بوضوح تحولا حقيقيا فى سياسة الرجل الذى كان أظهر اندفاعا كبيرا لحل القوات المسلحة العراقية السابقة وتطهير دوائر الدولة من اتباع الرئيس صدام حسين.

وأدت تلك الإجراءات إلى ارتفاع نسبة البطالة بشكل خطير بعدما تم تسريح أعداد هائلة من عناصر المؤسسة العسكرية، الأمر الذى اعتبره الكثير من السياسيين العراقيين والمراقبين الدوليين أحد أهم الاسباب التى دفعت الى حركة مقاومة كبيرة تحارب حاليا القوات الأميركية.

وأكد عبدالأمير الركابى الناطق الرسمى باسم «المؤتمر» الوطنى العراقى.

أن الولايات المتحدة منذ غزوها للعراق تعانى من مأزق بفعل المقاومة. وهذا المأزق يتفاقم يوماً بعد يوم.

وهناك أطراف عربية تحاول إقناع الولايات المتحدة بدعوة المقاومة العراقية إلى التفاوض والانسحاب من العراق وهم يفكرون فى ذلك.

لأن إعطاء الحرية والسيادة للعراقيين هو المخرج الوحيد للأزمة الراهنة.

وقال الركابى لـ «البيان المصرى» أعتقد أن الأمور لن تتغير من ناحية بقاء القوات الأمريكية فى العراق بعد الانتخابات لأن هناك طبقة متطرفة من «المحافظين الجدد هى التى تتحكم الآن فى صنع القرار فى الولايات المتحدة رغم ان الديمقراطيين اكثر ليبرالية فى التعامل مع الامور وحول تأثير ما يحدث الآن فى الفلوجة وسامراء وغيرهما من المدن العراقية على الانتخابات العراقية المقبلة قال الركابى للاسف فان الولايات المتحدة تريد الوصول الى الانتخابات القادمة من المدخل الأمنى.

ولذا فإنها تعمل على كسر شوكة العراقيين وهذا لن يؤدى إلى نتيجة بل سيزيد من المأزق الذى تعانى منه الادارة الأمريكية فى البلاد.

فنحن لن نشارك فى انتخابات فى ظل الاحتلال الأجنبى فليرحلوا عن بلادنا وانسحاب القوات الامريكية من العراق لا يمكن ان يحدث فراغا امنيا وحرياً.

لن يحدث هذا ولنا تجربة فى هذا المجال حيث دعونا كافة القوى العراقية لمؤتمر بيروت وتم انتخاب لجنة تحضيرية من ٣٥٠ شخصية دون أية اعتبارات للمذهب او العقدية ولم يعترض أحد.

من جهة أخرى أضاف الركابى ولا أعتقد أن علاقة الأكراد بالمقاومة مقطوعة وخاصة بعد موقفهم تجاه مؤتمر بيروت حيث كان من المفترض حضور ١٦ شخصية كردية دعوا إلى المؤتمر ولكن جلال طالبانى هددهم بدعوى أن ذلك يهدد المصالح الكردية.

وهكذا فإن سيناريو التفاوض يظل موجوداً وحسب التجارب النضالية التاريخية فان كل المنظمات

التى خاضت قتالا ضد العدو الأجنبى وصلت فى النهايةالى طاولة التفاوض، بل ان سيناريو طرد المحتل بالقوة يعتمد فى إحدى صوره على قدرة المقاومة على فرض إرادتها -فوق طاولة المفاوضات - على العدو، فالمقاومة الشعبية فى منطقة القنال المصرية تحت قيادة الزعيم جمال عبدالناصر بعد الثورة مباشرة «١٩٥٢» نجحت فى إجبار الاستعمار البريطانى إلى الدخول فى مفاوضات الجلاء «١٩٥٤» والتى انتهت بوضع اتفاقية رحيل القوات البريطانية إلى غير رجعة، لكن هناك سيناريو آخر، يبدو ان له مؤشرات قوية هو انسحاب الجيش الأميركى من المدن، والتمركز فى عدة قواعد داخل العراق.

• المقاومة لا تفاوض

لكن الشيخ مجيد الكمود، نائب الأمين العام للجنة العليا للقوى الوطنية الرافضة للاحتلال قال خلال اجتماعه فى لندن مع عضو البرلمان البريطانى جورج جالاوى المعروف بمساندته للعراقيين فى رفضهم للاحتلال.

إن المقاومة الوطنية الشريفة لن تفاوض تلك القوات تحت أى ظرف من الظروف.

وأكد ان لقاءه مع جالاوى وشخصيات بريطانية أخرى فى نيوكاسل وأدنبره وبريستول ولندن كان مطمئناً لأن هناك شخصيات أجنبية كثيرة ترفض الاحتلال والانتهاكات التى يتعرض لها الشعب العراقى على أيدى المحتلين.

مما نتج عنها ظروف أمنية ومعيشية متدهورة.

وأضاف قائلا: أنه لا توجد أى مفاوضات بين المقاومة والاحتلال وأن من يتفاوض مع قوات الاحتلال هو من بائعى الوطن ولا يمثل المقاومة، وأن المعارك بين المقاومة والاحتلال مستمرة حتى تحرر العراق بالكامل.

هذا وقد أكد على أن عملية «السيف» التى تشارك فيها مشاه البحرية الأميركية مع عناصر من الجيش العراقى فى منطقة الزيدان جنوب شرق الفلوجة أثبتت قوة وبسالة المقاومة فى مواجهة هذه القوات التى عمدت إلى التعتيم الإعلامى على ما يجرى فى هذه المنطقة لكى تدارى خيبتها.

• القضاء على المقاومة يحتاج ١٠ سنوات

«لصحيفة لوس انجلوس تايمز ٢٠٠٥/٦/٢٤»

أكد محللون عسكريون أمريكيون أن الوضع الميدانى فى العراق لا يتيح للرئيس جورج بوش الفرصة من أجل وضع جدول زمنى لسحب القوات الامريكية من العراق على الرغم من تزايد معدل القتلى فى صفوف هذه القوات.

ويشير الخبراء العسكريون - الذين زاروا الشرق الاوسط - إلى أن القضاء على المقاومة العراقية قد يستغرق ما بين ثلاث وخمس سنوات بل وربما عقد كامل من الزمان حتى تتمكن القوات الأمريكية من السيطرة على عناصر المقاومة بشكل كامل.

ويقولون إنه من المتوقع أن تكون هذه الأعوام دامية سواء للجيش الأمريكى أو للمدنيين العراقيين مما سيبقى الحرب فى العراق فى صدارة الاحداث التى تهتم بها وسائل الاعلام، وكذلك سيزيد من الشكوك التى تراود الامريكيين حول هذه الحرب.

وفى هذا الاطار يقول الجنرال جون كين الذى كان نائبا لرئيس اركان الجيش الامريكى ان مبعث القلق الاول لدى بالنسبة لتلك الحرب هو تآكل الدعم الشعبى لها مشيرا الى ان تضاؤل هذا الدعم هو العامل الرئيسى الذى سيجعلنا عاجزين عن كسب المعركة ضد المقاومة، من منطلق ان تراجع ذلك الدعم يدفعنا الى ان نفقد صبرنا مبكرا فى هذا الشأن.

وهناك وثيقة صادرة من المجلس القومى للمخابرات بالولايات المتحدة تضم ممثلين من أجهزة المخابرات المختلفة عن خطة الوضع بعد ١٧ عاما من الآن حيث تضمنت اتفاق الجميع على عدم الانسحاب من العراق ويجب على القوات العراقية التعاون مع أجهزة المخابرات الأمريكية فى كشف وتدمير الهياكل القيادية والكوادر الرئيسية لجماعات المقاومة الرئيسية فى العراق، هذا مع الحفاظ على وحدة الاراضى العراقية وعدم السماح لأية تقسيمات لما له من أضرار بالمصالح الامريكية فى ذات الوقت الذى ينبغى فيه اعطاء طائفة السنة قدرا من الامتيازات ومما يلغى لديها الاعتقاد بأنها مهمشة فى نظام الحكم القادم مع بذل جهود اضافية لمنع تدهور العلاقات بين الطوائف فى العراق ولقد تم اختيار إياد علاوى رئيسا للوزراء وغازى الياور رئيسا للجمهورية فى إطار صفقة تقضى بأن تتولى القبائل السنية مسئولية اعتقال أو اغتيال (أبو مصعب الزرقاوى) ووضع حد للمقاومة فى المثلث السنى واستعادة عناصر من الجيش العراقى القديم وكوادر البعث ورجال المخابرات فى عهد صدام حتى لا يدينون بالولاء لصدام وان يتم تصفية جيش المهدى بواسطة جهود متضامنة من قبل المرجعيات الشيعية وعلى رأسها السيستانى ودون تدخل عسكرى امريكى الا فى حالة تعرضه لهجمات قوية من قبل جيش المهدى وهذا بالتنسيق مع المرجعيات الشيعية.

وقد أوصت القوات الأمريكية فى العراق بإحداث تغييرات جذرية فى تشكيلها وسيتم مزج جنود وعدد من الوحدات المقاتلة والاختصاصات اللوجستية لإحلال النظام تحت قيادة عسكرية واحدة بحيث تكون اكثر قدرة على التكييف مع الواقع العراقى الحالى.

ومن الواضح أن المسؤولين الأمريكيين فى العراق يعون هذه الصعوبات فالجنرال «بترايوس» الذى كلف بمهمة تكوين قوات عراقية قد قام - بكل الحسابات - بعمل ملحوظ محاولا تناول المشكلات، مركزا بشكل خاص على التجنيد وإدخال تحسينات على التدريب ولكن المشكلة عند هذا الحد تتعمق

كثيرا وتتعلق بالسياق الكامل للحرب وبالافتقار الى المصداقية فى عملية نقل السلطة وحتى مع افتراض تحسن التدريب على نطاق واسع ستقوم القوات العراقية بعملياتها فى بيئة لا يوجد فيها - منذ الآن - تماسك وطنى او ولاء لدولةمركزية أو إيمان ببنية سياسية وحيث قرارات الامن الأساسية «من معايير التنمية الى قواعد الاشتباك الى العقيدة العسكرية» لا تزال تضعها الولايات المتحدة.

لقد أدى هذا الى النتيجتين تبدو ان متعارضين: من ناحية ميل بين المجندين إلى محاكاة أقرانهم الأمريكيين «فى ما يلبسون وكيف يحملون أسلحتهم النارية وحتى كيف يتحدثون» ما يعزز الشعور بأن القوات العراقية بدلا من أن تكون حامية للمصالح الوطنية هى امتداد للقوات الأمريكية ومن ناحية أخرى ولاء غير مؤكد بين كافة الرتب فى الدوائر الأمنية والمخابراتية.

ويميل التحالف والحكومة العراقية إلى إلقاء اللوم عن عدم ولاء قوى الأمن على تسلل رجال المقاومة والموالين لنظام الحكم السابق ويبدو مؤكدا أن هناك شيئا من هذا القبيل. ولكن ليس تغلغل المجندين المعادين بقدر ما هو التناقض الوجدانى لدى المجندين تجاه قوات الاحتلال ونقل السلطة السياسية وكذلك غياب المؤسسات العسكرية والسياسية ذات المصداقية التى يمكنهم أن يوجهوا اليها ولاءهم.

وأثارت القرارات الباهظة النفقات التى اتخذت لأسباب طارئة قصيرة الأجل لا تزال محسوسة باستمرار والهروب من صفوف الفروع الأمنية المختلفة، خاصة حينما يكون العراقيون فى مواجهة مع هجمات من المقاومة، مستمر بمعدل مثير للانزعاج، سواء فى الفلوجة أو النجف اثناء معارك منتصف عام ٢٠٠٤ أو احدث من هذا فى الموصل كذلك فان الافراط فى التعويل على ميليشيات الأحزاب السياسية قد استمر متسارعا تدفعه الضرورة الملحة المتصورة عن ضرورة انزال مزيد من القوات العراقية إلى الميدان.

وكان اللجوء إلى البشمركة الكردية - المرتبطة بالحزبين السياسيين الكرديين الرئيسين - من أجل القتال فى المناطق العربية يقابل بازدراء حاد، وكان ملحوظا أشد ما يكون فى الموصل حيث التوترات العرقية فجة وفى أعقاب نشر المقاتلين الأكراد كجزء من قوات عراقية لا تزال فى مراحلها الابتدائية أثناء الهجوم «الذى تم إفشاله» على الفلوجة فى أبريل ٢٠٠٤ أجبر المقيمون الأكراد فى تلك المدينة «التى كانوا قد أجبروا على الاستيطان فيها من قبل نظام البعث الحاكم بعد انهيار تمرد الملا مصطفى البرزانى الكردى فى عام ١٩٧٥ أى بعد توقيع اتفاقية الجزائر فى ١٩٧٥/٣/٦ بين شاه إيران وصدام حسين على الخروج منها.

كذلك فان وحدات منفصلة من المحاربين العراقيين قد أنشأتها الولايات المتحدة وترتدى الألبسة العسكرية الرسمية الأمريكية - ضد مقاومة غالبيتها العظمى من السنة، الأمر الذى له عواقب وخيمة بالنسبة للعلاقات الطائفية فى المستقبل.

وعلى الرغم من ارتفاع وتيرة المطالبين بسحب القوات الأميركية من العراق فى أوساط النخبة الأميركية والبريطانية إلا أن البنتاجون يرفض ذلك، وزير الخارجية الأمريكى السابق جيمى بيكر فى جامعة رايس فى هيوستون عرض رؤيته للانسحاب فى خطاب إلى بوش كذلك ما ذكره برنت سكوكروفت مستشار الأمن القومى فى ادارة بوش الاب فى المقالة المشتركة لثلاثة من كبار الزعماء فى الأحزاب الرئيسية فى بريطانيا، وهم وزيرا الخارجية السابقان روبين كوك «حزب العمال» ودوغلاس هيرود «المحافظون» والناطق باسم حزب «الاحرار الديمقراطيين» متريس كامبل فى التايم والتى تنادى بضرورة سحب قواتهم من العراق بعد انتهاء التفويض الذى منحته الأمم المتحدة للقوات المتعددة الجنسيات وذكروا أنه إذا استمرت القوات البريطانية والأمريكية لفترة طويلة فى العراق فان الاحتلال سيصبح جزءا من المشكلة الناجمة عن الموقف الأمنى وليس جزءا فى كل ولذلك ينبغى تحديد مهلة زمنية للانسحاب».

رغم هذه الأفكار من قيادات سياسية لها ثقلها، وتبنى عدد من نواب الكونجرس الأميركى، ومجلس العموم البريطانى فكرة الانسحاب من طرف واحد بدلاً من ان تجبر القوات الأنجلو اميركية على الانسحاب إلا أن الإدارة الأميركية والبريطانية تعارض ذلك، بدعوى أن العالم صار أكثر أمنا بعد غياب نظام الرئيس صدام حسين، وقد تحججتا بفوز بوش وبلير فى الانتخابات للادعاء بان الرأى العام يؤيد استمرار الاحتلال حتى بناء جيش وشرطة عراقيين كفيلان باستتباب الأمن.

أود فى هذا الصدد أن أستعين بنتائج «استطلاع عالمى للرأى حول ردود الفعل السلبية لنجاح بوش فى ولايته الثانية» أجرته مؤسسة «جلوب سكان Globescan فى الفترة ما بين ١٥ نوفمبر ٢٠٠٤ الى ٥ يناير ٢٠٠٥ ويهدف هذا الاستطلاع الى تعرف الرأى حول «هل انتصار بوش فى إعادة انتخابه رئيسا للولايات المتحدة فى نوفمبر ٢٠٠٤ سوف يجعل العالم أكثر أمانا وأمنا أم أكثر خطراً او اضطرابا؟».

وفيما يلى تلخيص لما انتهى إليه ذلك الاستطلاع البريطانى من نتائج ثم اجراء استطلاع للرأى فى «٢١» دولة من مختلف القارات، جاءت الإجابة سلبية فى «١٨» دولة، اى أن العالم سوف يكون أكثر عرضة للمخاطر والتهديدات خلال ولاية بوش الثانية.

ولم يظهر التوقع الإيجابى، أى سيكون العالم أكثر أمنا سوى «٣» دول هى الهند والفلبين وبولندة.

فى متوسط الاستجابات عبر مجموع كل الدول «٢١» أبدى «٥٨٪» من العينة الكلية التى بلغت «٢٢٠٠٠» شخص اعتقادهم بأن إعادة انتخاب بوش تنذر بأن العالم سوف يكون فى خطورة أشد.

ومن بين تفاصيل ذلك المتوسط العام تأتى الاستجابة السلبية فى العينة البريطانية بنسبة «٦١٪» وهى أكبر الدول الحليفة فى غزو العراق وفى السؤال الفرعى الخاص بارسال قوات عسكرية بريطانية إلى

العراق جاءت بنسبة «٦٣٪» من المواطنين تؤكد أنها أصبحت أكثر معارضة لارسال أية قوات إلى العراق.

تشير مجمل النتائج إلى وجود معارضة طاغية لارسال أية قوات إلى العراق حتى بين دول التحالف التى تحتل العراق حالياً فمن العينة الايطالية بلغت نسبة الاستجابة السلبية «٥٤٪» وفى العينة الاسترالية «٦١٪».

ترتفع نسبة الاستجابة السلبية لإعادة انتخاب بوش إلى «٥٧٪» فى فرنسا، وإلى «٧٧٪» فى ألمانيا.

بلغت المشاعر السلبية ذروتها فى تركيا، حيث بلغت «٨٢٪» ممن يرون أن إعادة انتخابه تنذر بعواقب وخيمة ضد جهود السلام، بينما لم تتعد نسبة المتفائلين «٦٪».

يشير الاستطلاع، كذلك تشير صحيفة «الإنترنت» إلى أن المحللين لهذا الاستطلاع يرون أنه ذو تداعيات بالغة الدلالة على تنام خطير فى الشعور العدائى نحو الأمريكيين بصورة عامة حيث بلغت «٤٢٪» بينما لم تتعد من تحسنت صورة الأمريكيين لديهم باعادة انتخاب بوش «٢٥٪» من جملة العينة فى مختلف الدول.

أما بالنسبة للعينة الأمريكية فقد جاءت إيجابية بنسبة «٥٦٪» بينما بلغت النسبة السلبية «٣٩٪».

فى استطلاع رأى آخر أجرته «الأسوشيتدبرس» خلال شهر يناري أظهر أن نسبة الرضا عن ولاية بوش الثانية بلغت «٤٩٪» وهى أدنى نسبة موافقة على رئيس يعاد انتخابه للمرة الثانية.

أما بعد..

تلك هى نتائج استطلاع الرأى الذى ورد على شبكة الإنترنت بتاريخ ٢٠٠٥/١/١٩ وليس لنا من تعليق سوى ما أشار إليه «دوج ميلر» Doug miller رئيس مؤسسة «جلوب سكان» من «أن بحثنا يبرز بكل وضوح أن إعادة انتخاب الرئيس بوش قد نجم عنها مزيد من مشاعر العزلة بين الولايات المتحدة والعالم كما نضيف إليها تعليق الأستاذ «ستيفين كال» Steven kull مدير برنامج الإتجاهات الدولية للسياسات الأمريكية فى جامعة ميريلاند حيث يقول إن تلك المؤشرات تمثل حقا صورة كئيبة كما وردت فى الاستطلاع.

لذلك وفى إطار سعى البنتاجون إلى تخفيض حجم خسائره فى العراق وضع خطة لإقامة أربع قواعد ضخمة اثنتين منها فى بغداد، وواحدة فى البصرة والرابعة فى الموصل، تتمركز فيها قوات الاحتلال بحيث تكون متحصنة وبعيدة عن متناول المقاومة، فاذا حصل أى خلل فى التركيبة السياسية والأمنية فى غير مصلحة الولايات المتحدة، فان القوات المتمركزة فى هذه القواعد تتحرك فى الحال لاعادة الأمور إلى نصابها، ولعل السيناريو القوى لمواجهة هذه الخطة هى حدوث تحالف شعبى، واسع

حول المقاومة بحيث لا يجد المحتل بشراً فى الأرض العراقية يرتكز عليها، رافعين شعار «أزرع كل الأرض مقاومة».

• العصيان المدنى ومحاكمة بوش

إن أكبر مهمة تواجه المقاومة العراقية بكل ألوان طيفها هى كسب ثقة الشارع العراقى بكل طوائفه، والسعى لإشراك المواطن العادى، الشيعى والسنى والكردى ومختلف ألوان الطيف العرقى والمذهبى فى حرب شعبية شاملة ضد قوات الاحتلال، وبحيث لا تقتصر المقاومة على العمل المسلح، وانما يمتد ليشمل مقاطعة المحتل وأعوانه، مقاطعة البضائع والسلع الأنجلو اميركية، ورفض التعاون والتعامل مع الحكومة العميلة، وحث اعضاء جدد فى البرلمان للمطالبة بانسحاب قوات الاحتلال.

وبالنظر للتجارب الثورية فى البلدان التى وقعت تحت نير الاحتلال الأجنبى كالجزائر مثلا فى الخمسينيات من القرن العشرين، فان قيادة الثورة للمقاومة الجزائرية اتخذت إبان الثورة الجزائرية عدداً من القرارات الثورية والتزم بها عموم أفراد الشعب الجزائرى، ومن لم يلتزم تم التعامل معه كجهة معادية.

حين دعت قيادة المقاومة الجزائرية إلى العصيان المدنى وعدم التعاون مع المحتل، فالتزم الشعب الجزائرى بكافة فئاته وطبقاته وطوائفه بقرارات الثورة وشل الإضراب والعصيان المدنى. الحياة فى عموم القطر الجزائرى ولم يشذ عن القرار سوى «الكولون» المستوطنون الفرنسيون وعملاء الاستعمار الفرنسى وكانوا يشكلون أقل من ٥٪ بالنسبة للشعب الجزائرى.

إن الذين يخالفون الأغلبية جرى التعامل معهم بالعنف الثورى فرحلوا مع المستعمرين الفرنسيين.

فقد قاطع الجزائريون الدوائر الرسمية والحكومية الفرنسية والمحاكم النظامية والقضاء والشرطة العميلة للاحتلال.

وكان الجزائريون يلجأون لممثلى المقاومة فى مناطقهم لحل نزاعاتهم وبذلك فشلت فرنسا واحتلالها للجزائر العربية.

ورحلت تحت ضغط ضربات التحرير الوطنى ومقاطعة الشعب للاحتلال ومؤسساته ومشاريعه ومخططاته ولم تجر الانتخابات فى عهد الاحتلال.

ومن الواضح ان المقاومة نجحت فى حشد وتعبئة المواطنين العراقيين فى عدد من المناطق أبرزها سامراء والرمادى والانبار واحياء فى بغداد من أجل مقاطعة الاحتلال وأعوانه، لكن امام المقاومة تحديات مهمة للوصول إلى الهدف الأساسى وهو اجبار الاحتلال على الرحيل تحت الضغط الشعبى «العصيان المدنى» والضغط المسلح «المقاومة» وهذا يستلزم:

١- توعية المواطن العراقى لاسيما أبناء الطائفتين الكردية والشيعية بأن الوجود الانجلو أميركى فى العراق ليس فيه أى نفع أو جدوى بالنسبة لهم، وان الوحدة الوطنية والاجتماعية هى الأهم والأبقى من أى مناصب يحصل عليها البعض فى ظل الاحتلال، بل ان استمرار الاحتلال يعنى المزيد من الفوضى الأمنية، وانهيار البنية التحتية وتراجع الخدمات الصحية والتعليمية ليس بسبب المقاومة وانما بسبب الاحتلال وقدنجحت المقاومة فى اقناع ٤٢٪ من الشعب العراقى بمقاطعة الانتخابات التشريعية «٢٠٠٥/١/٣٠».

٢- أن توضح المقاومة للشعب العراقى عدم علاقته بأى اعمال مسلحة تستهدف المواطن العراقى، ولكن كل من يتعاون مع الاحتلال يصبح هدفا مشروعا للمقاومة، وبالتالى يمتنع العراقيون عن المشاركة فى قوات الجيش والشرطة التى تستعملها القوات الأميركية لاقتحام مواقع وقواعد المقاومة، بل ان القوات الأميركية تتعمد دفع القوات العراقية فى المقدمة عند اقتحام المدن والقرى العراقية مما يخلق أزمة طائفية، باعتبار أن النسبة العظمى من القوات العراقية بشقيها «الجيش والشرطة» هى من الطائفتين الشيعية والكردية، ما يترتب عليه آثار نفسية سيئة لدى الطائفة السنية، ويخلق توترات طائفية بدت واضحة فى حروب المساجد والأئمة البغيضة التى شهدتها العراق، والتى سعت قوات الاحتلال الى تغذيتها وتعميقها.

٣- تحاول المقاومة كسب ثقة الهيئات والشخصيات المعارضة لوجود الاحتلال ووسائل الإعلام المناهضة له، وأن تخلق وشائج ارتباط بها بهدف توسيع رقعة النخبة السياسية والدينية المقاومة للاحتلال سلمياً وثقافياً والرد فوراً على كل الشائعات التى تروجها بعض الجهات الطائفية أو الشخصيات المتعاونة مع الاحتلال مع توطيد العلاقة مع السيد مقتدى الصدر وقوات جيش المهدى ورجال الدين الشيعة الرافضين للاحتلال، والسعى إلى تكوين جبهة ثقافية سياسية متعددة الألوان والرايات لمقاومة الوجود الأجنبى.

٤- إيجاد علاقات عربية ودولية وبالذات مع النخب المستقلة فى الوطن العربى، «أحزاب، نقابات، مؤسسات صحفية»، وتزويدها بكل جديد فى العمليات والتحليلات التى تخص خارطة المقاومة، وحث بعض هذه الأطراف لكشف جرائم الاحتلال على كافة الأصعدة، وكذلك دعم دعاوى قضائية يرفعها شخصيات عراقية ضد بوش وبلير، وحسب عبدالسلام الكبيسى عضو هيئة علماء المسلمين فانه مثلما هناك محاكمة للرئيس صدام حسين بتهمة قتل عراقيين من الأكراد، فانه مطلوب محاكمة بوش بتهمة تدمير مدن الفلوجة والقائم والأنبار وقتل مدنيين عراقيين، ومثلما أجرت نقابة المحامين محاكمة علنية دولية للمجرم الصهيونى شارون، فإن النقابات والاتحادات الصحفية والقانونية مطالبة بالتضامن مع المقاومة العراقية، وإجراء محاكمة للإرهابيين بوش وبلير ومن ساندهما فى الحرب على العراق، فمن دون مثل هذه المحاكمة سوف يتشجع مغامرون أو إرهابيون جدد فى الاعتداء على سيادة الدول بدون وجه حق وإذا كان رجل بريطانى مثل جورج جالاوى زعيم حزب الاحترام قد

وقف فى الكونجرس ليكشف الوجه القبيح لتحالف بوش - بلير، ويعرى ورقة التوت التى حاولت واشنطن ولندن تغطية جريمتهما بها، وهى أسلحة الدمار الشامل التى زعمتا وجودها فى العراق، فان القيادات العربية ينبغى أن تتحرك مع المثقفين المناهضين لتشكل جبهة عالمية ضد الظلم والاستبداد والحرب والعولمة.

• تفجيرات لندن

أثناء مناقشات جرت فى مجلس العموم البريطانى «البرلمان» حول تفجيرات لندن وقف جورج جالاوى النائب المعارض لسياسة حكومة تونى بلير تجاه العراق والرافض لاشتراك قوات بريطانية فى تلك الحرب «الوفد ٢٠٠٥/٧/١٨» وقف يقول: إنه من الطبيعى أن يشعر المرء بالتعاطف مع مواطنين لقوا مصرعهم بالمتفجرات أو الزجاج المتطاير من نوافذ قطار المترو فى لندن، غير أن المؤسف أنه لا يوجد من يخطر على باله أن هناك بشراً ماتوا بنفس الطريقة فى مدينة الفلّوجة.

ومن المؤسف أنه لا يوجد من يفكر - ولو للحظة واحدة - فى مصير مدينة تم محوها من سطح الأرض وقتل الآلاف من سكانها على أيدى القوات المسلحة لدولة متحضرة!!

وقال جالاوى: أنا أعلم أنه بالنسبة للكثيرين من أعضاء هذا المجلس ورجال الحكم أن دماء بعض الناس أغلى من دماء أشخاص آخرين.

ووجه سؤالا إلى زملائه: ألا يرى أعضاء هذا المجلس أن مشاعر الكراهية والمرارة قد تولدت من جراء غزو واحتلال العراق والتدمير اليومى لبيوت الفلسطينيين وبسبب إقامة الجدار العازل فى الضفة الغربية واحتلال أفغانستان؟

إن ما قاله جورج جالاوى أصاب الحقيقة فى مقتل.. حيث أوضح أنه ندد بتقديم الحكومة البريطانية السلاح والمال لجماعة بن لادن لتشجيعهم على مواصلة الحرب فى أفغانستان - فى وقت سابق - ضد القوات الروسية وهو يندد اليوم بالحرب على شعب العراق.

وان آلاف بن لادن جدد قد أنبثقوا خلال الفترة التى انقضت عقب أحداث سبتمبر ٢٠٠١ نتيجة للمعالجة الخاطئة لقضية الإرهاب من جانب الولايات المتحدة الأميركية.

وفى تقديره أيضا أن المزيد من الناس فى عالم اليوم يكرهون الولايات المتحدة وبريطانيا بعد نشر صور جرائم سجن (أبو غريب) ومخازى معتقل جوانتانامو وبسبب قيام القناصة الإسرائيليين بإطلاق النار على الأطفال الفلسطينيين واقتلاع أشجار الزيتون.

❖ ❖ ❖

(وثـائـــق)

رسالة هيئة الدفاع عن الرئيس صدام
إلى المؤتمر القومي العربي

وجهت هيئة الإسناد الرسالة التالية إلى المؤتمر القومى العربى الذى عقد دورته السادسة عشرة بالجزائر مؤخرا.

السادة/أعضاء مؤتمر الشعب العربى..

إن هيئة الإسناد للدفاع عن الرئيس العراقى صدام حسين وكافة الأسرى المعتقلين فى العراق تخاطب مؤتمركم العتيد باسم ما يزيد على مائة وعشرين ألف شهيد عراقى ومثلهم من المعتقلين وأمثالهم من الجرحى. وإذ تعتذر الهيئة بداية عن ثقل وطأة خطابها ذلك، أن الحلق مترع بالدم والفم العربى الرسمى فيه ماء ونفط، أما العمل الشعبى العربى فلا يزال معلقا فى فضاء النخبوية والنسبوية فى توزيع مقاعد الفراغ فلا هو فاعل فى مجرى الأحداث ولا منفعل بها، وكأنه يبحث عن ذرائع للتثاقل إلى أرض تم سحبها من تحته. لقد أدركت هيئة الإسناد منذ بداية تشكيلها أنها تخوض معركة الحق والعدالة فى ظل ميزان قوى عالمى مختل لصالح القوة المجنونة العمياء التى لا تستوى معها مبادئ ولا قانون ولا تتصالح ولا تتصاع لمنطق، وإذا كان الصمت الرسمى تجاه هدر حقوق العراقيين واغتصاب اعراضهم، واذا كان الاستهتار بأرواحهم صمتاً متوقعاً فإن صمت المنظمات الشعبية العربية أثار ما هو أكثر من الاستهجان فى ظل وقوف منظمات العمل المدنى العالمية على قدم وساق للتصدى للاعتداءات اليومية الصارخة على الإنسان العراقى وحقوقه وكرامته، ولو أخذنا اليابان مثالا، فان المنظمات الشعبية هناك ضحت بالجهد وبالمال وبالموقف السياسى الرسمى لحكومتها وتمخض عن ذلك حشد وتعبئة ما لا يقل عن خمسة آلاف محام يابانى وعقد سلسلة محاكمات رمزية لقادة التحالف نجم عنها إدانتهم بجرائم حرب الإبادة. وإذا كانت الإدارة الأمريكية قد استطاعت أن تحشد خمسمائة جندى يابانى لمشاركتها فى حربها ضد العراق فإن هيئة الإسناد والمنظمات الشعبية اليابانية استطاعت حشد خمسة آلاف محام وعشرات الآلاف من المواطنين فى حملة شعبية كما أسست الآن باتجاه تحقيق هدف محاكمة الحكومة اليابانية على موقفها المؤيد للولايات المتحدة وما نجم عن ذلك من انتهاكات للدستور اليابانى بخاصة وحقوق الإنسان للمواثيق الدولية بعامة.

أما فى معاقل التحالف وعواصمه فيكفى أن نشير إلى الحملة الضارية التى يقوم بها أحد أعضاء حركة الإسناد السيد رمزى كلارك لمحاسبة بوش وعزله جراء انتهاكاته للدستور الأمريكى ولحقوق الإنسان ولا ننسى توقيع أكثر من ألف رجل قانون أمريكى بارز على وثائق تدمغ سياسة التعذيب والاعتقال العشوائى للمواطنين فى العراق ومطالبة الكونجرس بالتدخل، عدا، القضايا المرفوعة ضد رجال الادارة الأمريكية من قبل منظمات مجتمع مدنى أمريكى، كمنظمة حقوق الانسان اولا، وكذلك

الحال فى بريطانيا حيث تنشط حملة مناهضة السلاح النووى فى رفع القضايا ضد رئيس وزراء بريطانيا وتشكلت هناك لجنة «حملة الدفاع عن المحتجزين فى العراق التى بدأت بجمع التبرعات لصالح هؤلاء المعتقلين وما هذا الا غيض من فيض الهزة العميقة التى رصت صفوف كل محبى الحق والحرية والعدالة معا بصرف النظر عن مواقفهم السياسية المسبقة من العرب عموما ومن نظام حكم الرئيس صدام خصوصا. أفلا يحق لهيئة الاسناد ان تنتظر صحوة وصيحة المنظمات الشعبية العربية؟ وبما أن الوضوح لا يحتاج إلى معجم سياسى لكى نفهمه وان انتهاكات بهذه الفداحة لا تحتاج الى جدل حول جنس الملائكة، وأن من لا ينتفض من على مقعده الوثير والأعراض العربية تنتهك فى عز الضحى لن يأبه على أى فراش ذل سيقضى ليله، وان صلابة جدران العدوان لا تعفى احدا من واجب المحاولة فلكل دور فى العمل على درء التعديات واسترداد الحقوق بصرف النظر عن اعتبارات المكانة أو المكان وتباين المواقع أو المواقف، وأن هيئة الإسناد إذ تذكّر أعضاء المؤتمر بواجباتهم القومية تجاه حقوق المعتقلين والمختطفين فى العراق فانها ستتعامل بكل ايجابية واحترام مع أى طرح واية مبادرة عمل وأية بارقة أمل ضمن لجان عملها الثلاث - القانونية - السياسية - الإعلامية - بما يخدم قضية حقوق الإنسان العراقى والعربى بخاصة وقضايا الحق والعدالة فى العالم بعامة «وإن تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم» والنصر لأمتنا العربية الماجدة وقضايانا العادلة.

زياد الخصاونة

المحامى

رئيس هيئة الإسناد

الأسبوع - العدد ٤٢٣ - ٢٣ من ربيع الأول ١٤٢٦هـ - ٢ مايو/آيار ٢٠٠٥م

هيئة علماء المسلمين فى العراق
المقر العام
هيئة علماء المسلمين تعتبر استهداف كنائس العراق جزءا من مخطط الاحتلال لزرع الفتنة
بيان رقم (٧٥)
حول الاعتداء على كنيستين فى الموصل

الحمد لله الذى لا يحمد على مكروه سواه، والصلاة والسلام على نبينا محمد رسوله ومصطفاه وعلى آله وصحبه ومن والاه وبعد:

فبعد تصريحات بعض المسؤولين الأمريكيين، أن حرباً أهلية قد تقع بعد الانتخابات الهشة المزمع إجراؤها نهاية كانون الثانى، بدأت بذور الفتنة تدس من جديد فى مجتمعنا، وكالعادة بتنسيق محكم ودقيق يتلاءم مع التصريحات المعلنة من قبل الأمريكيين. تم اغتيال عدد من أعيان البلد وعلمائه، وبالطريقة التى تثير الشبهات، وأمس استهدفت كنيستان كبيرتان لإخواننا المسيحيين فى مدينة الموصل.

وفى تقييمنا للأحداث لا يمكن لمسلم يفقه الدين ويخاف الله أن يقدم على استهداف هذه المعابد، وقد منّ الله عز وجل علينا بحفظها ليبقى ذكر الله فيها مرفوعاً من خلال سنة التدافع وجعل ذلك نعمة فقال سبحانه: ((ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدّمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز)).إن هذه الأفعال مما اعتاد على ممارسته بغاة الفتن والساعون لخدمة الاحتلال بإثارة النزاعات بين أبناء الوطن الواحد.

إن هيئة علماء المسلمين إذ تدين هذا العمل الإجرامى الخطير لتؤكد أنها تبرأ إلى الله من أى عمل يستهدف العراقيين الأبرياء أو ممتلكاتهم أو دور عبادتهم، بدوافع عرقية أو طائفية أو دينية، أيّاً كانت الجهات التى تقف وراء ذلك مع يقينها أن هذا ليس من دين أبناء العراق.

وتدعو الهيئة جميع العراقيين إلى التحلى بالصبر، فأمامهم الحلقات الأخيرة من الامتحان الصعب الذى يعد النجاح فيه الخطوة الأولى لإنهاء الاحتلال فعلياً بإذن الله.

وإن الله مع الصابرين..

إدانة شديدة اللهجة لمذبحة الحلة من هيئة علماء المسلمين في العراق
بيان رقم (٩٧)
فيما يتعلق بانفجار السيارة المفخخة في مدينة الحلة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه،

وبعد:

فإن هيئة علماء المسلمين تدين بشدة الحادث الإرهابي الذي وقع في مدينة الحلة وأودى بحياة الكثير من الأبرياء من أبناء بلدنا من غير ذنب ارتكبوه أو جرم اقترفوه.

وتؤكد الهيئة أن مثل هذه الأحداث لن تزيد الوضع العراقي إلا خطورة وتأزماً، وإن إراقة المزيد من الدم العراقي تبعث الحزن والأسى في قلوبنا ونفوسنا وتزيد من معاناة شعبنا الصابر المصابر وتفتح باباً لأعداء هذا البلد للوصول إلى تنفيذ مخططاتهم الخبيثة في العراق.

وتعلن الهيئة حرمة الأعمال الإرهابية التي تطال أرواح الأبرياء من العراقيين أيّاً كانت الجهة الفاعلة وأيّاً كانت المبررات. وتتقدم الهيئة بتعازيها الحارة لذوي القتلى والمصابين جراء هذا الحادث الأليم وتدعو الله تعالى أن يلهم أهلهم الصبر والسلوان.

هيئة علماء المسلمين في العراق

الأمانة العامة

٢٠/محرم الحرام/١٤٢٦هـ - ١/٣/٢٠٠٥م

هيئة علماء المسلمين تنفى الدعوة إلى أى مؤتمر أو تجمع يتعلق بالمشاركة فى العملية السياسية أو كتابة الدستور

تعلن هيئة علماء المسلمين أنها لم تدعو إلى أى مؤتمر أو تجمع يتعلق بالمشاركة فى العملية السياسية أو كتابة الدستور كما إنها لم تشارك فى أى مؤتمر أو تجمع حول هذا الموضوع، وهى ملتزمة بموقفها الذى اتخذته مع القوى المناهضة للاحتلال فى بيانها الصادر يوم ٢٠٠٥/٢/١٥م والذى نص على: ((اجتمعت القوى الوطنية العراقية المناهضة الاحتلال فى جامع أم القرى بتاريخ ٢٠٠٥/٢/١٥ لمناقشة المرحلة الراهنة واستحقاقاتها على كل الصعد، ونظر المجتمعون فى المقترحات التى ترمى إلى إعادة استقلال العراق ووحدته وسيادته كاملة. وقد أعلنت هذه القوى أن تعاملها مع موضوعى المصالحة الوطنية - التى بادرت هى بالدعوة إليها منذ بداية الاحتلال- وصياغة الدستور يقوم على الأسس الآتية:

١- جدولة واضحة ومحددة ومعلنة وملتزم بها وفق ضمانات دولية لانسحاب قوات الاحتلال من العراق بجميع مظاهرها وأشكالها.

٢- إلغاء مبدأ المحاصصة الطائفية والعرقية والإثنية، واعتماد مبدأ المواطنة والمساواة فى الحقوق والواجبات أمام القانون.

٣- إقرار مبدأ حق الشعب العراقى فى رفض الاحتلال والاعتراف بالمقاومة العراقية وحقها المشروع فى الدفاع عن بلدها ومقدراته ورفض الإرهاب الذى يستهدف العراقيين الأبرياء والمنشآت والمؤسسات ذات النفع العام واستهداف دور العبادة من مساجد وحسينيات وكنائس وجميع الأماكن المقدسة.

٤- بما أن الانتخابات التى أجريت ناقصة الشرعية لقيامها على قانون إدارة الدولة المرفوض، ولعدم استنادها على الأُطر القانونية والأمنية، والمقاطعة الشعبية الواسعة لها، والتزوير الحاصل فيها؛ فإنه لا يحق للإدارة الناشئة عنها إبرام أى اتفاقية أو معاهدة من شأنها المساس بسيادة العراق ووحدته أرضاً وشعباً واقتصاداً والحفاظ على ثرواته.

٥- اعتماد الديمقراطية والانتخاب كخيار وحيد لتداول السلطة سلمياً والعمل على تهيئة الأجواء والقوانين التى من شأنها إجراء العملية السياسية فى أجواء نزيهة وشفافة وبإشراف دولى ومحايد.

٦- التأكيد على هوية العراق الوطنية والعربية والإسلامية والوقوف بحزم بوجه كل الدعوات التى من شأنها أن تفقده هذه الهوية.

٧- إطلاق سراح جميع المعتقلين والمحتجزين فى سجون الاحتلال والحكومة المؤقتة، ولاسيما النساء، وإيقاف عمليات الدهم المستمرة وانتهاكات حقوق الإنسان فى جميع أنحاء العراق. والمطالبة بتعمير المدن العراقية المخربة وتعويض أهلها تعويضاً عادلاً ومنصفاً.

وتنبه الهيئة وسائل الإعلام المرئية والمسموعة أن ما يشاع عن مواقف مشوهة للهيئة حول هذا الموضوع لا صحة لها أبداً.

وعلى وسائل الإعلام أن تتحرى الصدق والأمانة المهنية فى عملها ولا تنسب للهيئة شيئاً لم تقله، ونؤكد على أن المواقف الرسمية للهيئة تؤخذ من أمينها العام وناطقها الرسمى الدكتور محمد باشر الفيضى والقسم الإعلامى حصراً.

هيئة علماء المسلمين فى العراق

قسم الثقافة والإعلام

٢٠/محرم الحرام/١٤٢٦هـ - ١/٣/٢٠٠٥م

بيان هيئة علماء المسلمين فى الذكرى الثانية للحرب الأمريكية البريطانية على العراق بيان رقم (١٠٠)

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن والاه إلى يوم الدين، وبعد:

فهاهى الذكرى الثانية للعدوان الأمريكى البريطانى غير الشرعى تحل علينا بعد مواجهة طويلة مع الاحتلال الذى سقطت خلال العام الماضى كل ذرائعه التى شن على أساسها الحرب وانكشف زيفها فزادت من ورطته التى تزداد معها معاناة العراقيين اليومية بسبب عنت قواته وصلفها وإمعانها فى تجاوز كل الحدود فى اضطهاد أبناء الوطن بعد أن ارتكبت فى العام الماضى اكبر جرائم انتهاك حقوق الإنسان فى العالم فى سجنى أبى غريب وأم قصر. وتحل هذه الذكرى وقوات الاحتلال تعانى معاناة شديدة بعد انسحاب بعض حلفائها وانحسار عدد قوات التحالف الشرير الذى شنت بواسطته حربها على العراق وتشكو الفشل فى خلق العراق المتعايش مع الاحتلال كأمر واقع، وتحار فى الإصلاح السياسى المزعوم الذى بشرت بـ(خيراته) الديمقراطية، وتحس وطأة الخيبة فى المؤسسات الأمنية التى أقامتها لحماية نفسها وقمع الشعب فكان سداها الانحلال والتشرذم ولحمتها الإرهاب ضد أبناء وطنها الذين جهروا بكلمة الحق (رفض الاحتلال) فقالوها دون أدنى حساب لاحتمالات الربح والخسارة التى أهتم بها غيرهم، وتمر هذه الذكرى وقوات الاحتلال لم تنجح إلا فى نهب العراق حضارة وتاريخا واقتصادا وإزهاق أرواح أكثر من (١٠٠,٠٠٠) عراقى وجرح وتعويق مثلهم.

ونحن إذ نقف على أعتاب العام الثالث للاحتلال نؤكد على الثوابت الوطنية التى لن ينتهى الاحتلال الا بالتمسك بها والإصرار عليها بعيدا عن دعوات المرونة والواقعية التى يراد منها تغطية الأسباب الحقيقية من الخَور والفشل فى الصمود أمام متطلبات المرحلة الصعبة والتزاماتها الشرعية والوطنية والسعى إلى اغتنام الفرص من اقرب طريق، ونؤكد على المطالب الحقيقية للشعب العراقى من خروج لقوات الاحتلال وفق جدول زمنى معلن وملتزم به ومكفول بضمانات دولية ووفق خطة متكاملة تضمن الحقوق الوطنية للعراقيين كاملة غير

منقوصة ومن غير اعتراف بآثار العدوان على العراق لأنها غير شرعية. ونتوجه إلى أبناء شعبنا الأبى من شمال الوطن إلى جنوبه ومن شرقه إلى غربه بكل فئاته وأطيافه وأديانه ومذاهبه وأعراقه بالتحية على صبره ومصابرته وجهاده وتفانيه فى الثبات على مبدأ التحرير ومطلب الاستقلال والسيادة التامة على أرضه، مع تنبيهنا إياه إلى خلط الأوراق الذى تسعى إليه قوات الاحتلال بافتعالها بعض الأخطار الداخلية وصرف الأنظار عن الخطر الخارجى الذى هو الخطر الحقيقى الواجب التصدى له، وضرورة عدم وضعه فى وجه المخاطر الداخلية.

• العلاقة مع المقاومة

هناك مؤشرات قوية - وتصريحات - تفيد وجود علاقات قوية بين هيئة العلماء المسلمين وبعض فصائل المقاومة، وقال حارث العبيدى عضو الهيئة إن الهيئة لديها تأثير كبير على فصائل المقاومة، وأضاف فى تصريحات لصحيفة الحياة اللندنية ٢٠٠٥/٣/٢٥ أن السعى إلى سحب القوات الأميركية من داخل المدن خطوة إيجابية، وأن الهيئة ستدعم هذا المسعى، وتتعهد مناشدة جماعات المقاومة وقف القتال واحترام الشرطة والجيش العراقيين، وأشار إلى أن الهيئة لها تأثير معنوى كبير على الأرض، وستطلب من جماعات المقاومة وقف القتال، واكد ان انضمام الهيئة الى العملية السياسية والانتخابية أمر مرهون بتحقيق عدد من الشروط أبرزها انسحاب عسكرى من المدن وجدولة الانسحاب من العراق، واجراء تعديلات على قانون إدارة الدولة المؤقت وعدم اتخاذه أساسا لكتابة الدستور الدائم.

❖ ❖ ❖

رسالتنا هذه آتيه من اليابان إلى الشعب العربي.

هدفنا ايصال صوتنا إليكم

و ان ما نريده هو سماع صوتكم-

لنضم صوتنا إليكم ضد الحرب و الإحتلال.

نحن أيضا ضد الإحتلال الأمريكي للعراق ونطالب بالإنسحاب الفوري لقوات الدفاع الذاتي اليابانية من العراق





رعديد اميريكي يخاف من أطفال العراق



جنود يحملون جثة زميلهم الامريكي



أخرج من أرضنا آيها الغازي



جنود اميركا العظمى مطأطئ الرؤس



إذهب إلى الجحيم



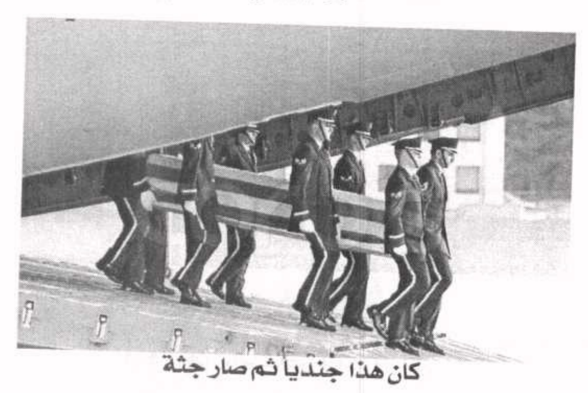
من معارك الفلوجة العظيمة



جثة امريكية من دون حصر



الحلف المشبوه بارزاني وطالباني



كان هذا جنديا ثم صار جثة



شهيد عراقي من المقاومة ورعديد امريكي يدوس رأسه الشريف



جثة جندي ايطالي جار ضمن قوات التحالف



هل هذا هو .. حقاً مقر صدام السري؟



تلاحم بين المقاومة والجماهير بعد عملية ناجحة



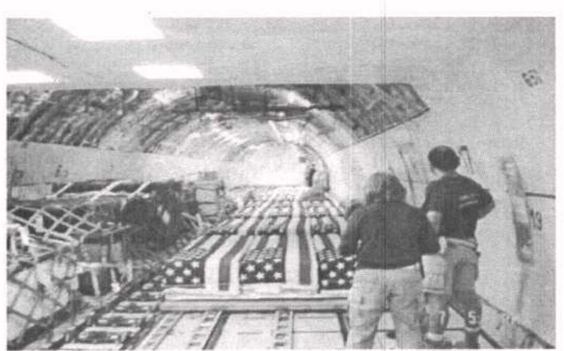
بقايا دبابة أمريكية من أحدث الانواع



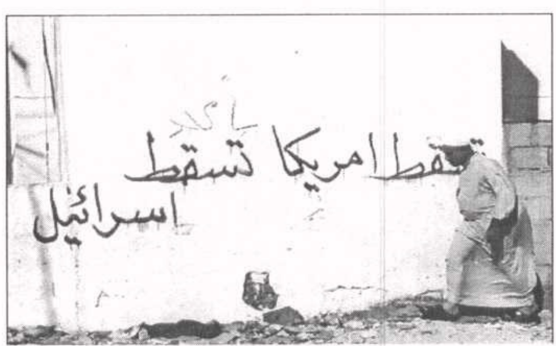
من وسط النخيل يطلع الرجال والسلاح



بوش يودع جنوده



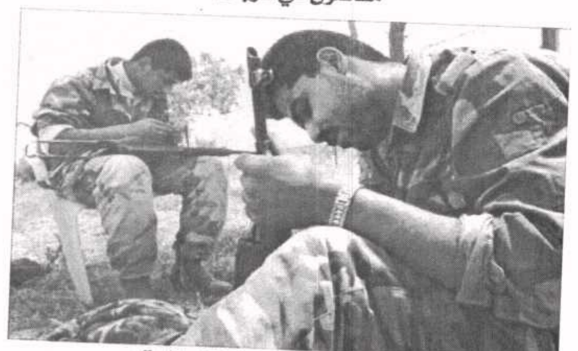
طائرة مليئة بالجثث في طريقها إلى بلاد العم سام



...وعملائها



مقاتلون في كربلاء



استعدادات قبل عملية فدائية



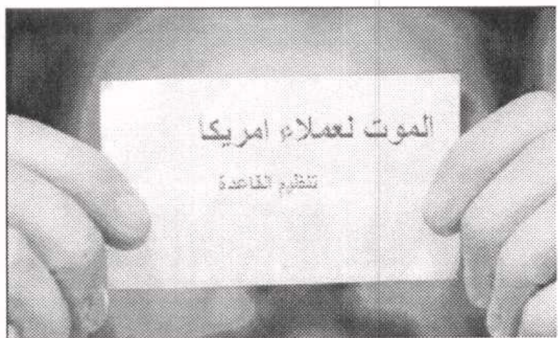
فدائيون يعلنون عن اختطاف عنصر امريكي



مقاومون شعبيون في النجف



هذا الطفل العراقي سوف ينتقم



بدون تعليق..



المعارضة الشعبية للاحتلال والدستور



جندي أمريكي يفتش النساء ويسرق الحلى



متهم عراقي في ظل العلم الامريكي



بوش مزهوا فوق احدى المدمرات الحربية معلناً انتهاء الحرب



وعلامة النصر من امرأة عربية



ار - بي - جي في كل مكان ضد الاحتلال



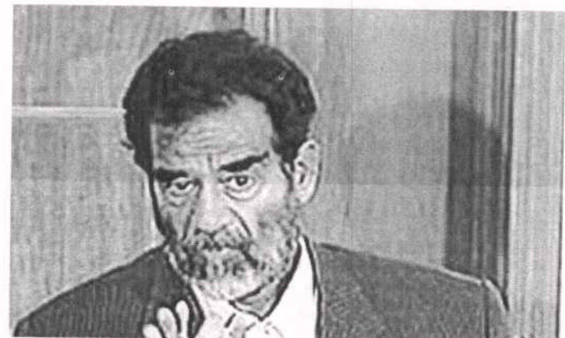
يبكى صديقه



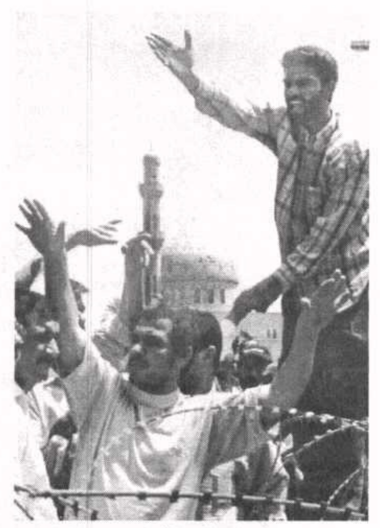
شعار المقاومة العراقية مرسوم على جدران المدارس



دموع الندم



صدام يرد على المحقق ويشكك في شرعية المحاكمة تحت الاحتلال



متظاهرون في الكوفة ضد الاحتلال



اشواق قد تتحول إلى دموع وذكريات



هكذا يوزعون الحرية على ابناء العراق



بقايا عجلة مفخخة

الفهـــرس

صفحة

المراجع

• كتب:

١- الحركة العمالية فى العراق ٤٥ - ١٩٥٨ - د. كاظم الموسوى - مؤسسة الجسر للدراسات - السويد ١٩٩٦.

٢- عراق القائد صدام حسين - سعد قاسم حمودى - الأمانة العامة لمؤتمر القوى الشعبية العربية - بغداد ١٩٩٥.

٣- أمريكا فى مواجهة العالم - حرب باردة جديدة - د. سعيد اللاوندى - دار نهضة مصر - القاهرة ٢٠٠٢.

٤- أمريكا والعالم - الحرب الباردة وما بعدها - د. عبدالمنعم سعيد - دار النهضة - القاهرة ٢٠٠٣.

٥- نكبة العراق - أحمد السيد النجار «محرر» مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية - بالأهرام - القاهرة ٢٠٠٣.

٦- التقرير الاستراتيجى العربى ٢٠٠٣ - ٢٠٠٤ مركز الدراسات السياسية والاستراتيجة بالاهرام ٢٠٠٤.

٧- العراق حرب أخرى من أجل النفط والهيمنة - مركز الدراسات الاشتراكية - القاهرة ٢٠٠٢.

٨- العراق تحت الحصار - مركز البحوث العربية - حنان رمضان خليل - القاهرة ٢٠٠٣.

٩- تاريخ الشيعة - محمد ثابت - بدون دار نشر - القاهرة ٢٠٠٥.

١٠- نشـرة المقـاومـة «العـدد ١١١» مـارس ٢٠٠٥ - الصـادرة عن اللجنة العربية لمساندة المقاومة الإسلامية فى لبنان.

١١- أيديولوجيا العنف - مصطفى الكيلانى - أزمنة للنشر والتوزيع - عمان ٢٠٠٤.

١٢- المأزق العـراقى - مـشكلات بناء الدولة فى مـجـتـمع تعـددى - رجـائى فـايد - كـراسـات اسـتـراتيـجـيـة - مـركـز الأهـرام للدراسـات الاستراتيجية ٢٠٠٤.